اندحارٌ من بعدِ اصطفاء

بنو إسرائيل بفلسطين: أحداثٌ وعِبَر

" إنّ أشبه الناس سمتاً وهيئةً ببني إسرائيل
أنتم، تتبعون آثارهم حذو القذة بالقذة،
لا يكون فيهم شيءٌ إلا كان فيكم مثله"
عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

د. نصرالله أبوطالب

الطبعة الثانية 1428 هـ/2007 م

بسم الله الرحمن الرحيم

" ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربّنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربّنا ولا تُحمّلنا مالا طاقة لنا به، واعف عنّا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين" البقرة 286

" بلغوا عني ولو آية <u>وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج</u>
ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " رواه البخاري

إهـداء

إلى والديّ رحمهما الله تعالى وتجاوز عنهما ورفع درجتيهما..

إلى والدتي الكريمة الفاضلة.. وإلى والدي الوزير الإنسان الشهيد القائل:

وأنّ الليالي وإن عَبّست   وسدّ دجاها علينا الدروبا
ستعرف أنّا مصابيحها   وأنّا النجوم التي لن تغيبا
وأنّا بذلنا الجهود العظام   لنحمي الضعيف ونُؤوي الغريبا
ونُنجِد مَن جاءنا سائلاً   ونرفع عنه الأذى والكروبا
حَمينا الشباب وقُمنا له   بما نستطيعُ، وكان عصيبا
ومَن يكُ ذا مبدءٍ ثابتٍ   فليس يُبالي الهراء والنعيبا
سيعلم أصحابنا أيّنا الصدوق ويُجزي الإلهُ الكذوبا

رحمكما الله تعالى وضاعف أجركما وعفا عنكما..

المحتويات

داود عليه السلام

سليمان عليه السلام

بناء بيت الله بأورشليم

صادوق وحيرام

عصر مملكتي إسرائيل ويهوذا:

انقسام مملكة سليمان عليه السلام من بعده

رحبعام ويربعام

مملكة إسرائيل:

الملوك من بعد يربعام

إلياس عليه السلام وحربه على عبادة البعل

أليسع يواصل المسيرة من بعد إلياس

نهاية مملكة إسرائيل

التعليق على تاريخ مملكة إسرائيل

مملكة يهوذا:

الملك الصالح آسا

يهوشافاط

الردة زمن يهورام وملوك آخرين من بعده

النبي عاموس مصلحاً ونذيراً بالعقاب

النبي ميخا نذيراً جديدا

حزقيا والنبي اشعيا

اندحار سنحاريب بالعون الإلهي

الردة من جديد.. واستشهاد اشعيا

جوشيا مجدداً

نبوءات إرميا والأنبياء بسقوط أورشليم ومواقفهم تجاه المقاومة

نكث العهود مع نبوخذنصر

عصر الحكم البابلي:

هدم البيت والمدينة وسبي سبعين ألفا إلى بابل

اليهود في الأسر البابلي

دانيال عليه السلام

عصر الحكم الفارسي:

سقوط بابل

أستير

السماح بعودة السبي وبناء الهيكل

بناء نحميا لأسوار أورشليم

جمع التوراة

عصر الحكم اليوناني:

انقسام مملكة الإسكندر

حركة التغريق بين اليهود

انطيوخس الثالث وعجز هيليودورس عن سرقة أموال المعبد

انطيوخس ابيفانوس وتحريم الديانة اليهودية وتدنيس المعبد

نشأة الثورة الحشمونية

قيام الحكم الحشموني على يد سيمون ابن ماتاثياس

عودة حركة التغريق والتغريب في ظل الدولة الحشمونية

الفرق اليهودية الرئيسية في ظل الحكم اليوناني:

الفريسيون

الصديقيون

طائفة السامرة

الاسكندر الحشموني ومذبحة الفريسيين

تمكن الفريسيين تحت حكم سلومة الاسكندرا

عصر الحكم الروماني:

صراع أبناء الاسكندر أو صراع الفريسيين والصدوقيين

دخول بومبي أورشليم ومذبحة عام 63 ق م

هيركانوس الثاني

انتيبارتر

هيرودس " الكبير"

الأسينيون

الغيوريون

ثورة تلاميذ المعبد على هيرودس وابنه اراكيلوس

الولاة الرومانيون باليهودية والسامرة

هيرودس أنتباس

استشهاد يحي عليه السلام..

دروس من استشهاد يحي عليه السلام

دعوة المسيح عيسى عليه السلام

الصديق يعقوب ابن خالة المسيح عليه السلام

دعوة بولس

أقريباس

الثورة اليهودية الكبرى عام 70 م.. ووقوع العذاب الشديد

المؤرخ جوسيفس

الربي (الكاهن) يوحنان بن زكي

نفاق الكهنة وفسادهم

التلمود وهمجية تعاليمه

ثورة باركوشبا عام 132 م

الأباطرة العشرة وتقسيم الامبراطورية إلى شرقية وغربية

قسطنطين

مجمع نيقية

ظهور القسطنطينية كعاصمة شرقية للامبراطورية

دولة الإسلام:

استيلاء الفرس على القدس

وراثة الأرض المباركة في عصر عمر ابن الخطاب

النداء الخالد لبني إسرائيل

قيام إسرائيل المعاصرة

هامش الجدول الزمني

الملاحق:

الملحق الأول: ثبات وقوع اللعن الرباني على بني إسرائيل

الملحق الثاني: تفاصيل وقوع العذاب الشديد الموعود

الملحق الثالث: إفساد بني إسرائيل المتكرر بالأرض والوعد بعقابهم مع كل إفساد

إنها مرتان يُهدم فيها البيت ثمّ يُبنى! فهل من ثالثة؟

الملحق الرابع: مكانة الخلافة الإسلامية في التاريخ البشري

الملحق الخامس: شجرة أنساب الحشمونيين

الملحق السادس: الخرائط المتعلقة بالأحداث الرئيسية بالبحث

موجز للأحداث الرئيسية الخاصة ببني إسرائيل بالأرض المقدسة بفلسطين

المقدمـة

ضرورة الإعتبار بتاريخ بني إسرائيل

أضع هذا السرد للأحداث والشخصيات الرئيسة بالأرض المباركة بفلسطين ضمن فترة الإستخلاف لبني إسرائيل التي امتدت من إغراق فرعون إلى طرد بني إسرائيل من الأرض المباركة وتشتيتهم بين الأمم (من القرن الثالث عشر قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي)، أضعه بين يدي القاريء لما فيه من العظات الكثيرة التي لا تكاد أن تُحصى، ولما يُمثله بنو إسرائيل وتاريخهم لنا من تجربة أمةٍ فشلت في القيام بالواجبات التي أُنيطت بها، تلك الواجبات والتكاليف الربانية التي تَحوَّل أمر القيام بها ورعايتها من بني إسرائيل إلى عاتق أمتنا الإسلامية، من بعد الإعلان النهائي عن فشل بني إسرائيل ولعنهم ثم طردهم من الأرض المباركة.. لعل أمتنا المعاصرة بالذات أن تكون أصدق وأقدر – وهي كذلك قطعاً– على القيام بأماناتها، ولعلها أن تأخذ العبر والدروس من فشل بني اسرائيل في القيام بمهام الإستخلاف ووراثة دين الله على الأرض.. وليس هناك أبلغ في بيان ضرورة الإستفادة من تجربة بني إسرائيل هذه من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديث عن أهل الكتاب بلا حرج..

إنّ دراسة تاريخ الشعب الذي كان يوما هو الشعب المصطفى المُرتَجى لحمل رسالة ربّ العالمين، ليكون شهيداً على الأمم، كما شهدت له بذلك التوراة والقرآن، إنّ دراسة تاريخ هذا الشعب بمراحل صعوده وهبوطه، وعزته وذلته، ودراسة إضاعته لسلطانه ومملكته، وهبوطه ليخضع لحكم ما حوله من الأمم، وليعاني طويلاً تحت ردح الإحتلال الأجنبي، ودراسة تبادل السيطرة الشرقية والغربية عليه، ومواقفه من حركات التغريب (تقليد الغرب اليوناني ثم الروماني) وحركات الردة التي عمّت أبناءه، وحركات التطرف التي تولى أمرها جماعات من أبنائه ضمن ردود أفعالهم تجاه الإحتلال والإذلال الأجنبي، وبالذات الغربي

تحت الحكم اليوناني ثم الروماني، ودراسة نتائج آثار كل تلك الحركات على مستقبله الذي انتهى كما هو معلوم باللعن والغضب الإلهي، والعذاب الأليم بالإبادة الجماعية والتشريد ثمّ الإذلال بين الأمم، ودراسة ما يرويه أهل الكتاب عن مواقف الأنبياء والصالحين الذين عاصروا عصور الإنحطاط والهزيمة والتطرف.. وقد كانت عصورا طويلة امتدت عبر مئات عديدة من السنين.. ودراسة كيف جاءَت مواقف هؤلاء الصالحين والأنبياء تجاه ظروف قومهم تلك، وتجاه الفوضى العارمة من فوضى التطلع إلى الإستقلال إلى فوضى الإنصهار ضمن الثقافة الغربية الغازية، إنّ دراسة ذلك كله لممّا يشكل رصيدا ضخما لأمتنا المصطفاة من بعد اندحار ذلك الشعب.. ندرسه ونأخذ منه عِبرَه، ولكن بحذر.. نعلم أنّ الظروف التي تمر بها أمتنا اليوم رغم شدة شبهها بتلك التي مرّت ببني إسرائيل – وهم في ظروف مشابهة من قبل– نعلم أنها تظل مختلفة لإختلاف الأمتين، فقد كان بنو إسرائيل حينها موعودين على ألسنة أنبيائهم بالعذاب، ونحن مازالت لنا بشرى بنصر ننتظر يوماً تحققه..

أوَ ليس في ظهور الأنبياء والأبرار الطاهرين ضمن مجتمعاتهم اليهودية التي ادّعت الإيمان، وهي خاضعة لأمم الكفر الوثنية عبرة وأسوة، أوَلم يكن في ظهور هؤلاء الصالحين في مجتمعاتهم تلك عبرة وأسوة للمؤمنين والمصلحين من أمتنا من بعدهم، خاصة وأنّ أمتنا اليوم تمرُّ بظروف مشابهة من الخضوع لهيمنة أمم كافرة؟ أوَ لم يكن في قتلاهم الذين كان من ضمنهم أنبياء وصديقون سلوى وعزاء لما يلاقيه المؤمنون من بعدهم من قتل وتشريد وعناء؟.. هل انهزم هؤلاء الصالحون حين لقوا حتوفهم (وتكاد أن تكون حتوفهم في كل مرة قد تمت على أيدي أبناء جلدتهم الخاضعين للمستعمرين الشرقيين من بابليين وفارسيين أو الغربيين من يونان وروم) أم كانوا في أنفسهم من المنتصرين؟ ألم يذكر ربنا عزوجل أنّه إذا أراد إهلاك قرية أمّر عليها مترفيها ففسدوا فيها فحقّ عليها العذاب.. فهل من حقّ المصلحين الاعتراض، والأحداث تجري بسنن الله تعالى؟ ألم يكن في رضى الأنبياء والمصلحين وتسليمهم التام لحكم الله بالإنتقام من أقوامهم من بني إسرائيل في عصور مختلفة.. ألم يكن في تسليمهم لأمر الله هذا أسوة لمن بعدهم ليسّلموا كذلك لحكم الله عليهم بفقدان النصر المادي على المفسدين من أقوامهم أو من الأمم الكافرة من حولهم؟ وقد أُبلِغَ الأنبياءُ (كما هو واضح بالعهد القديم على تحريفه) في مراحل مختلفة بالعذاب الشديد

المتكرر على معاصريهم من قومهم من بني إسرائيل فاستسلموا لأمر الله ورضوا به.. ولم يملكوا إلا السعي للاصلاح ودعوة أقوامهم للتوبة والإنابة، وإن لم يكن لهم وعد من الله عزوجل بالنصر على الأعداء والتمكين بالدنيا.. أوَ ليس في أمتنا أحيانا بل كثيرا من الأحيان من مظاهر التنكّر للدين ما لا تستحق به كرامة النصر من الله؟ أوَلم يكن في هزائمها وهي تُحكم بالمفسدين منها تذكيرٌ لها لعلها تراجع دينها ؟ .. الذين عايشوا هزيمة عام 1967 م يعلمون ذلك ! ويدركون أنها كانت هزيمةَ الذين ألغوا الشريعة واستهزأوا بالدين وأنّها كانت خيراً للمؤمنين!.. ثُمّ ما كانت أولويات الأنبياء والمصلحين وهم يقومون بأدوارهم؟ وإلى مَن اتجهوا بدعوتهم؟ وعلى ماذا ركّزوا؟ وما كانت أطروحاتهم لإنقاذ أقوامهم؟ بل لإنقاذ أنفسهم بأداء الأمانة التي كلفهم الله بها؟

وإلى أي مدى يجب علينا الصبر، والتحلي بالواقعية في تعاملنا مع الأمم غير المسلمة المسيطرة هذا العصر على مقدراتنا ومقدرات غيرنا؟ وإلى أي مدى يمكن أن نعتبر ما يُبذل من جهود لإيقاظ هذه الأمة وإعادة بناء شعوبها بتزويدها بما تحتاجه من أسباب القوة والتفوق العلمي والمدني.. إلى أي مدى يمكن أن نعتبر هذه الجهود أعمالا جبانة؟ وهروبا من فريضة الجهاد كما نسمع من البعض أحيانا؟ وإلى أي مدى يلزمنا الأخذ بالأسباب والحسابات المادية عند اتخاذ ردود الفعل تجاه المعتدين؟ أم هل هناك مجال في بعض الأحيان للصبر والإحتساب، كما صبر الأنبياء تحت حكم الوثنيين، وكما صبر من بعدهم رسول الله عليه الصلاة والسلام بمكة؟ وهل من الحكمة ما يجري من قِبَل البعض أحياناً من القفز فوق قضية الأخذ بأسباب المادة والإعداد إلى المسارعة لقطف ثمار لم تبرز حتى براعمها؟ وإلى أي مدى يجب الصبر والمصابرة والإحتساب على من اختاروا المواجهة لمن اعتدى عليهم واضطهدهم في دينهم بل وفي وجودهم فقاموا بالجهاد ضد الباغين عليهم؟ وهل يحق لهم استكثار جهادهم على الله والإسلام؟ أو إستبطاء نصر الله ووعده؟ وهل يرتدوا أو ينتحروا إن لم يُرزقوا نصر الدنيا؟ أوَلم تكن دروب أمثالهم طويلة، ومضت من بعدهم أجيال وأجيال حتى تكللت مساعيهم بالفرج وبلوغ الأهداف؟

كل هذه أمثلة من أسئلة كثيرة تتردد بين المسلمين هذا الزمان، سيجد القاريء إن شاء الله بهذا البحث عرضاً لتجارب مرّت على بني إسرائيل أرجو أن تُعين ولو جزئياً في الردّ على كثير من هذه الأسئلة...

هذا وقد يكون من المناسب هنا الإشارة إلى أمثلة محدودة من الأحاديث الكثيرة التي تُحذِّر هذه الأمة من إعادة أخطاء بني إسرائيل، متضمنة وجوب أخذ العبرة والعظة مما وقع من اليهود ومما وقع عليهم من أحداث..

رُويَ عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال " **بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار** " والحديث من مرويات صحيح البخاري، وروي كذلك مثله بصحيح ابن حبان وسنن أبي داود وسنن الترمذي والسنن الكبرى وسنن الدارمي ومسند الشافعي ومسند الإمام أحمد ومسند الشاميين ومصنف عبدالرزاق ومصنف ابن أبي شيبة وغيرها من كتب الحديث.

وعن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: " **لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لسلكتموه قالوا يا رسول الله مَن اليهود والنصارى؟ قال فمَن إذاً**" .. وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: " **لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعا بباع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**".. وقد روى مثل هذا الحديث البخاري ومسلم والحاكم في المستدرك وابن حبان في صحيحه وابن حنبل.. وجاء في مصنف ابن أبي شيبة عن حذيفة رضي الله عنه: " لتركبن سنة بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير إنّي لا أدري تعبدون العجل أم لا"

ونقل المرزوي رحمه الله في كتابه السنة (الجزء الأول) عن عبد الله بن مسعود أنه قال: " أنتم أشبه الناس ببني إسرائيل والله لا تدعون شيئا عملوه إلا عملتموه ولا كان فيهم شيء إلا سيكون فيكم مثله فقال رجل أيكون فينا مثل قوم لوط فقال نعم ممن أسلم وعرف نسبه" .. وأنّ عبدالله قال: " إن أشبه الناس سمتا وهيئة ببني إسرائيل أنتم تتبعون آثارهم حذو القذة بالقذة لا يكون فيهم شيء إلا كان فيكم مثله ".. ونقل المرزوي كذلك عن همام بن الحارث قال كنا عند حذيفة فذكروا " **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**"، فقال

رجل من القوم إنّما هذا في بني إسرائيل فقال حذيفة نعم الأخوة لكم بنو إسرائيل إن كان لكم الحلو ولهم المر كلا والذي نفسي بيده حتى تحذي السنة بالسنة حذو القذة بالقذة".

وجاء في شعب الإيمان ما روي عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " **إن أول ما وقع النقص في بني اسرائيل كان الرجل يرى أخاه على الذنب فينهاه ثم لا يمنعه منه من الغد أن يكون خليطه وشريبه فضرب الله بقلوب بعضهم على بعض وأنزل فيهم القرآن " لُعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم إلى قوله كثير منهم فاسقون**"، قال وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متكئا فجلس قال " **كلا والذي نفسي بيده حتى تأخذوا على يدي الظالم وتأطروه على الحق أطراً** ".

وجاء كذلك في شعب الإيمان للبيهقي رحمه الله عن أبي عبيدة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **هل تدرون فيما سخط الله على بني إسرائيل قالوا الله ورسوله أعلم قال إن الرجل كان يرى الرجل منهم على معصية فينهاه بعد النهي ثم يلقاه بعد فيصافحه ويواكله ويشاربه كأنه لم يره على معصيته حتى كثر ذلك فيهم فلما رأى الله عز وجل ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ثم لعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعن من قبلكم**" .. تهديدٌ صريح بعقاب ولعن مماثل لما وقع على بني إسرائيل عند تكرار أخطائهم..

وجاء في كتاب الروح لإبن القيم رحمه الله تعالى بالجزء الأول عن أبي سعيد قال :" **خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد العصر فقال في خطبته ألا إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله عز وجل مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة كانت في بني إسرائيل من قبل النساء حتى إنّ المرأة القصيرة كانت تتخذ الخفين من الخشب فتحاذي المرأة الطويلة وحتى إن المرأة كانت تحشو خاتمها من أطيب المسك فإذا مرت بنادي القوم حركت خاتمها فإذا وجد ريحها سألوا عنها**".. **وعن** أبي سعيد الخدري من رواية مسلم وابن حبان في صحيحيهما رحمهما الله تعالى عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال: " **إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء**".

وعن عمارة بن الربيع أنّ عبد الله حدثنا ما سمعنا حديثا هو أحسن منه إلا كتاب الله عز وجل ورواية عن النبي صلى الله عليه وسلم: " **قال إنّ بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم اخترعوا كتابا من عند أنفسهم استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون**" شعب الإيمان الجزء السادس.. ولعل في هذا اشارة إلى التلمود الذي يقدسه اليهود وهو من صنع أحبارهم..

عن سنان بن أبي سنان أنه سمع أبا واقد الليثي يقول خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بكفر وكانوا أسلموا يوم الفتح قال فمررنا بشجرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات نواط كما لهم ذات أنواط، وكان للكفار سدرة يعكفون حولها ويعلقون بها أسلحتهم يدعونها ذات أنواط فلما قلنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم قال: " **الله أكبر، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم**" رواه ابن عيينة ومالك أيضا، وروى مثله ابن حبان في صحيحه، وبمسند الإمام أحمد وأبي يعلي والترمذي والمعجم الكبير وغيرها.

وجاء تعليق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على وساطة أسامة بن زيد لإعفاء المرأة المخزومية من إقامة حدّ السرقة مشيراً إلى آثام بني إسرائيل في تمييز أشرافهم حتى تتجنب ذلك هذه الأمة، فروى البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه أنه عليه الصلاة والسلام قال: "**إن بني إسرائيل كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه، لوكانت فاطمة لقطعت يدها**".

وعن بن شهاب أن نملة بن أبي نملة الأنصاري حدثه أن أبا نملة أخبره أنه بينما هو جالس مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء رجل من اليهود فقال تكلم هذه الجنازة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أعلم، فقال اليهودي: أنا أشهد إنها تتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا**

آمنا بالله وملائكته ورسله فإن كان حقاً لم تكذبوهم وإن كان باطلا لم تصدقوهم، وقال قاتل الله اليهود لقد أوتوا علما" صحيح ابن حبان الجزء الرابع عشر.

فها هنا في هذا البحث حديثٌ عن بني إسرائيل ممّا سطروه في كتبهم المقدسة أو في تلك المأثورة عن آبائهم لا نجزم بصحة ما ورد فيها.. وإن كان فيها الكثير ممّا يبدو صحيحا.. وهي بمجملها في الواقع أخبار حوادث ووقائع تعارف اليهود عليها عبر التاريخ وفي أحيانٍ كثيرة ذكرها كذلك غيرهم.. ولعلها في مجملها لا تدخل ضمن قضايا العقيدة والدين وأخبار الأنبياء الخاصة التي أُمرنا بالتوقف عنها تصديقا أو تكذيبا.. إنّ في الأخبار – التي سنستعرضُ– الكثيرَ ممّا يُدِين اليهود ويُظِهر آثامهم، ويتفق تماماً مع التصور الإسلامي لمعاصي بني إسرائيل التي تسببت في نزع الاستخلاف الربّاني عنهم وتوريثه للأمة الإسلامية، في بيانٍ وتحذير صريح صرخ به عليهم الأنبياءُ عبر القرون.. وما نبتغي من ذلك إلا دراسة تجربتهم بإخفاقاتها ونجاحاتها لأخذ العِبَر التي لا تُحصى لأُمتنا، ولإدراك فضل الله علينا، ولإدراك سننَ الله تعالى التي لا تحيد، ولفهم عدونا بخلفيته الفكرية والعقائدية لعل ذلك يساهم في تصويب آرائنا، بل وربما ليكون لنا عوناً في دعوته لو كان في بعض أبنائه بقية من خير..

هذا ويجب ألا يُنظر في مثل هذا الطرح أنّه يحمل دعوة لعامة المسلمين للإطلاع على كتابات أهل الكتاب، فإنها كتابات محرَّفة وبها من الأكاذيب ما لا يعلمه إلا الله، كما أشارت هي نفسها إلى ذلك، وكما هو معلوم لكل من درسها، واطلع على تاريخها.. ويُخشى أن يحمل البعض ممن اطلع عليها فكرة أو معنى خاطئا فيُحاسب عليه.. وبراءة للذمّة مما قد يُفهم أنه دعوة للاطلاع على كتابات أهل الكتاب أذكر أنه يكفي أو يُغني مثل هذا الكتاب أو غيره عامةَ المسلمين عن الاطلاع على كتابات أهل الكتاب.. وهو في ذلك يستوي مع استشهادات كتابية كثيرة رويت عن أئمة وصحابة رضوان الله عليهم لم تحمل لمستمعيها الدعوة لقراءة كتابات أهل الكتاب، ولكنها دخلت ضمن الأمر بالحديث عن بني إسرائيل ولا حرج..

كثيرون آخرون من جانب آخر لا يُرضيهم هذا الطرح ولا التحليل.. يعتبرونه تفكيرا متخلفا عقيماً.. أو رجعياً من الماضي الذي يجب ألا يعود.. أو كما يقول ناقدوا التوراة من

الغربيين العلمانيين إذ يعتبرونه تفكيرا توراتياً أو تثنوياً (نسبة إلى سفر التثنية).. وما هو في الواقع إلا محاولة متواضعة لدراسة التاريخ اليهودي من وجهة نظر دينية تؤمن بأن القوانين التي تحكم حياة الأفراد وتلك التي تحكم حياة الأمم إنما هي من وضع الخالق لهذا الكون الفسيح .. سنناً سنّها الله عزوجل، وأعلَمَ أنبياءَه طرفاً منها.. منها أنّ الأمم التي استخلفها الله عزوجلّ على الأرض لها آجال محدودة.. وأنّ الذين حُمّلوا أمانة حمل دين الله لأمم الأرض ثم خانوها سيقصر الله أعمار أممهم، ويعجل لهم ولأممهم العقوبة في الدنيا، ويسلمهم لأعدائهم يقتطعون أملاكهم ويسومونهم سوء العذاب.. وأنْ ليس لهم مخرج من بعد ذلك ولا طريق للإرتقاء إلا بالعودة الصادقة الكاملة إلى الله والدخول الكامل في دينه وشريعته تطبيقاً ومعيشة.. وأنهم إن لم يتوبوا فسيُهيء الله لدينه آخرين غيرهم.. وسيرى القاريء الكريم كيف أن التوراة وكتب الأنبياء رغم التحريف الهائل الذي أصابها إلا أنها لم تدع لليهود مجالا للتردد بأن نجاتهم وعزتهم كانت ستكون بتطبيقهم للشريعة وبأن ذلهم وهلاكهم كان في الخروج عن الدين واتباع الأمم الوثنية.. وبأنّ الله سيجعل مملكته ودينه في غيرهم.. وسيرى القاريء هاهنا ضمن التاريخ اليهودي أمواجا قليلة محدودة من الإرتقاء الذي ترافق مع محاولات العودة والإنابة الى الله عز وجل.. وطوفانا لا يكاد ينقطع من السقوط والتردي في معصية الله ورسله.. رغم التأنيب الدائم والتذكير والتحذير والتهديد الذي لم ينقطع منذ بداية عهدهم بالدين.. بل ورغم وقوع العقوبات المتتالية.. فكان إصراراً على عدم السماع للأنبياء أو طاعتهم.. قال تعالى: "**ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم، ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم..**" **المائدة 65-66**.. ولكنهم عمّوا وصمّوا مراراً وتكراراً حتى وقع عليهم العذاب الذي وُعدوا به..

إنّنا هنا ندرس التاريخ اليهودي من مصادره الدينية.. من الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى.. مُدركين أنّ هذه المصادر قد احتوت على كثير من التحريفات والمبالغات.. وهي تحريفات ومبالغات بيّنة في كثير من الأحيان.. لكنّ الأحداث الرئيسية والعِبَر المستخلصة منها ظلّت بارزة وبيّنة رغم حرص الأجيال المتتالية من بني إسرائيل على تجميل صورة أمتهم وتثبيت اصطفائها الرباني.. وهي القضية التي يُمكن ببعض الجهد نفض

غبار التحريف عنها والوصول فيها إلى الحقيقة، وذلك إلى حد ما كان موضوع كتابي عن البشارات بالإسلام.. إننّا كمسلمين نؤمن بالإصطفاء الرباني لبني إسرائيل لقرون طويلة.. وتلك قضية لا يؤمن بها العلمانيون.. ونؤمن بأن العهد المغلظ بالطاعة والإتباع قد أُخذ عليهم، وبأنهم نقضوه وتمّ استبدالهم بأمة الإسلام التي حُمّلت الأمانة من جديد.. وكل تلك قضايا بيّنة من الكتاب المقدس رغم التحريف الذي أصابه (1)..

إنّ القضية في محورها هي قضية الإيمان.. هل حقاً نؤمن بالله ورسوله! وبالتالي بدينه وشريعته.. فإن آمنا، فإنّ الطرح الذي نطرحه هنا لأخذ العبرة من أحداث التاريخ العبري مقبول ومطلوب.. خاصة بعد أن تُوّعدنا بعقاب مماثل لما وقع على بني لإسرائيل من اللعن والهوان والإذلال.. ولولا استغاثة رسول الله صلى الله عليه وسلم لربّه لأصابنا عذاب الإستباحة والإستئصال الشامل الذي أُصيبت به الأمم السابقة وأصيب به بنو إسرائيل على أيدي الروم فلم يدع منهم بالأرض المباركة أعداداً تُذكر (2).. ومثل هذا العقاب.. عقاب الهوان والإذلال.. لا يُرفع عن الأمة – بنص الأحاديث الصحيحة– إلا عند العودة للتمسك بهذا الدين.. قال تعالى: " **أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر**" القمر 43–44.. وإنّ مقتضى الإيمان إدراك أنّ إصلاح هذه الأمة يجب أن ينطلق من أسس تسعى لدعم الإلتزام بالدين والشريعة على كل المستويات (3).. وأنّ في دعوات التحلل من هذا الدين ضياع الأمة وهلاكها.. وتلك هي رسالة هذه الرسالة..

وهذا الكتاب كما قد يعلم القاريء هو في الواقع تفصيل لجزء من الفصل الأول، فصل المقدمة في كتابي " تباشير التوراة والإنجيل بالإسلام ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم" توسعت فيه كما كنت قد أشرت إلى ذلك في مقدمة الطبعة الأولى منه.. وقد تركت الكتاب هاهنا على هيئته الأصلية كما كان ضمن جدول زمني لسرد الأحداث التي يتم التعليق عليها واستعراض العبر منها في الناحية اليسرى المقابلة.. راجيا أن يكون سرد الأحداث ضمن " جدول زمني" أيسر لتتبع هذه الأحداث وأمتع للقاريء وأشوق.. وأرجو ألا يحتار القاريء الكريم في كيفية قراءة الجدول.. فقد خصصت العمود الأيمن لسرد الأحداث إلا في مواضع محدودة في بداية الرسالة حين استعرضت به عددا من النصوص الكتابية..وخصصت العمود الأيسر للتفصيل والتعليق على الأحداث المذكورة بالخانة المقابلة

من العمود الأيمن.. وعلى القاريء الإنتهاء من قراءة فقرة العمود الأيمن إلى نهايتها التي قد تكون في صفحة تالية قبل البدء بقراءة الجانب المقابل من العمود الأيسر..

وأختم هذه المقدمة بإثبات تقديري وشكري لزوجتي أم الحسين ولأخي الدكتور يحي زيدان على مراجعتهما لهذا الكتاب قبل طبعه وتقديمهما لعدد من الملاحظات والتصحيحات المفيدة.. كما أرجو من الله عزوجل مغفرته على أي زلل ورد به.. فالكمال لله ربّ العالمين.. وما أردت القدح بأحد من المسلمين مُحدداً، وأعتذر عن ذلك إن فهم عني بأي موضع.. بل أردتُ تنبيه الأمة كاملة إلى ما نرتكبُ من زلات وأنّها وإن هانت في أعيننا إلا أنّ مثلَها في كثير من الأحيان تسبَّب في عذاب بني إسرائيل.. وعلينا أخذ العظة والعبرة خشية أن يُصيبنا ما أصابهم، فبذلك تُوّعدنا..

المؤلف

نصرالله أبوطالب

هوامش المقدمـة

(1) بإمكان القارئ رؤية هذه الحقائق ساطعة بالإطلاع على فصول: مملكة الله القادمة، ووراثة الأرض المباركة، وظهور المختارين من كتابي " تباشير التوراة والإنجيل".

(2) تنبأ أصحاب مخطوطات البحر الميت بطرد اليهود واستئصالهم من فلسطين، وسموا ذلك بعذاب الإستئصال، وقد سبقهم بذلك الزبور الذي ذكر صراحة طرد الأمة الملعونة عن فلسطين حتى لا يبقى بها أحد منها، وتوريث الأرض للأمة المباركة.. وقد فصّلت ذلك في كتابي عن البشارات بالرسول عليه الصلاة والسلام.. ومثل عذاب الاستئصال هذا الذي لم يُبقي للأمة أي كيان قد أُعفي منه المسلمون.. جاء في صحيح مسلم (وفي صحيح ابن حبان وسنن أبي داود والترمذي والبيهقي وبمسند الإمام أحمد وفي غيرها) عن ثوبان رضي الله عنه، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا".. ومن الجلي أنّ هذا قد تحقق بحذافيره عبر القرون.. وأن ما وقع على المسلمين من استباحات على أيدي أعدائهم كانت دائما في ظل تناحرهم.. وهي مع ذلك لا تصل إلى عذاب الإستئصال الشامل الذي يمحو وجود الأمة وكيانها كما وقع على بني إسرائيل ومَن قبلهم من الأمم..

(3) أكدت هذا المعنى وهو ضرورة الإنابة إلى الله حتى يتم رفع البلاء كثيرٌ من الآيات القرآنية.. منها على سبيل المثال قوله تعالى: " **ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**" الأعراف 96.. ومن الأحاديث النبوية في هذا المعنى ما جاء في المعجم الكبير وفي غيره عن بن عمر رضي الله عنه قال: " أتى علينا زمان وما يرى أحد منا أنه أحق بالدينار والدرهم من أخيه المسلم وأنا في زمان الدينار والدرهم أحب إلينا من أخينا المسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتركوا الجهاد في سبيل الله ولزموا أذناب البقر وتبايعوا بالعينة سلط الله عليهم بلاء لم يرفعه حتى يراجعوا" دينهم "

الشريط الزمني للأحداث الرئيسة بالتاريخ اليهودي بفلسطين(1)

الحدث:

– هجرة إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه بـ أور بالعراق في حوالي عام 2100 ق.م، بعد أن بلغ (أي إبراهيم) الخامسة والسبعين من عمره إلى الأرض المباركة بفلسطين (لعله استقر بالخليل المسماة بحبرون) (2)

التعليق والتفصيل:

_ أُصطفي إبراهيم عليه السلام ليكون أباً لكل الأنبياء من بعده.. وطبقا لما جاء بالتوراة فقد وُعد بأن يرث أبناؤه الأرض المباركة، وبأن تتبارك أمم الأرض بنسله.. وبأنّ الله سيُكثر نسله حتى يكونوا كعدد نجوم السماء وحبات الرمل على الشاطيء (3)..

.. واصطفي ابنيه اسماعيل واسحاق عليهم السلام أنبياء.. وعلى هذا فلم يكن ابراهيم أباً لليهود وحدهم بل كان أباً للمسلمين من اتباع حفيده محمد صلى الله عليه وسلم كذلك.. وبذلك تحقّقَ تباركُ أمم الأرض بابراهيم عليه السلام.. وأكثر أتباع هاتين الديانتين (بما فيهم اليهودية لغلبة المتهودين بينهم (1)) ليسوا في الواقع من نسله المباشر، لكنّ ابراهيم أباً للمؤمنين جميعاً ممّن اتبعوا الأنبياء من نسله، وممّن اتبعوا عقيدة التوحيد التي آمن بها.. ولا يحقّ لليهود ولا للنصارى زعم التفرُّد بابراهيم أو الزعم بأنّه كان منهم يهودياً أو نصرانيا.. وكيف يكون منهم وما قامت مِلَلُهم ولا أُنزلت كتبهم إلا من بعده بقرون طويلة.. قال تعالى: "**يا أهل الكتاب لم تُحآجّون في ابراهيم وما أُنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده، أفلا تعقلون.. ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين. إنّ أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين**" آل عمران 65..

– الأمر بالختان شمل حتى المقيمين مع بني إسرائيل إذا أرادوا أن يؤاكلوهم (الخروج 12: 48).. وبه التزم المؤمنون جميعاً وعلى مرّ العصور بما فيهم عيسى عليه السلام والحواريون وأتباعهم من نصارى القدس من بعدهم كما هو ثابت.. ولم يتجرأ على إلغاء الختان إلا بولس ضمن جرأته على إلغاء الشريعة وتغيير دين المسيح عليه السلام من بعده (انظر الملحق الخامس).. ومن حيث لا يريد النصارى ففي إلغائهم للختان دليل ميسر (بنص التوراة التي يؤمنون بها) على خروجهم عن عباد الله المُصطَفين..

الحدث:

– تذكر التوراة المعاصرة أنّ الله عزوجل أمر ابراهيم أن يختتن هو ومن معه وكل الأجيال المؤمنة من بعده، وأنّ ذلك الختان هو علامة حفظ العهد في ذريته مع الله عزوجلّ، وأنّ تلك علامة أبدية لا تُنسخ.. فغير المختونين هم خارج العهد.. " هذا هُوَ عَهدي الذي تَحفظونهُ بَيني وبينكم وبين نسلكَ من بَعدِكَ: يُختنُ منكم كل ذكر. ختون فِي لحم غُرلتكم فيكون عَلامة عهد بيني وَبَينكم. ابن ثمانية ايامٍ يُختنُ منكم كُلُّ ذكر فِي اجيالكم.. فَيَكُونُ عَهدي فِي لَحْمكم عَهداً ابديا. وَامَّا الذكر الاغلَف الذِي لا يُختن فِي لحم غرلَته فتُقطع تلك النفسُ من شَعبها. انَّهُ قد نكث عهدي".. التكوين 17: 11– 14.

– ومن أبناء اسحاق أُصطفي يعقوب ثم يوسف عليهما السلام.. ومع أنّ بني إسرائيل هم بنو يعقوب (لُقب عليه السلام بإسرائيل)، إلا أنّهم زعموا أن الاصطفاء كان أصلاً لعيسو أخي يعقوب.. وأنّ يعقوب حصل على الاصطفاء بالغش والكذب والخداع.. فقد زعموا أنّ يعقوب تنكّر بملابس أخيه عيسوا لمّا علم أنّ أباه إسحاق (وقد فقد بصره عليه السلام كبيراً) ينتظر عودة أخيه عيسو من الصيد ليُباركه.. فادّعى أنّه عيسو.. فلم يطمئن الأب.. فتحسّس بشرته، وكان عيسو أشعرا، ولكنّ يعقوب كان قد أكمل تنكره المزعوم بتغطية أطرافه بجلد معز إضافة إلى لبس ملابس أخيه فخدع والده، وكذب عليه صراحة بأنه عيسو، فباركه الأب ظاناً أنه يبارك عيسو، فحلت البركة على يعقوب (مالم يُرده الأب)، وورث يعقوب عليه السلام (بالخدعة بدلاً من أخيه) الحكمَ والنبوة!

التعليق والتفصيل:

.. هذه القصة تبدو – على ما قُصّت، والله أعلم بأصلها إن كان لها أصل– غير محبوكة بل ساذجة وخرافية. فالأب البصير الذي يستطيع باللمس تمييز بشرة عيسو عن يعقوب، يعجز – وهو شاعر بأنّه ربما يُخدع– في التمييز بين جلد الماعز وبشرة عيسو الحقيقية.. ماذا يُريد بني إسرائيل من نسبة الكذب والاحتيال لأنبيائهم؟.. هل يبقى بعد ذلك لوم على مَن يكذب؟ وخاصة عند نجاح الكذب في رفع الكاذبين إلى أعلى الدرجات وبلوغهم به منزلة النبوة والاصطفاء ؟ إنّها الوسيلة تبررها الغاية !!

ثمّ مَن هذا الذي كتب التوراة الحالية؟ وماذا يهدف من اعتبار أنّ اصطفاء يعقوب عليه السلام تمّ نتيجة الكذب والانتحال؟ وماذا يريد من وراء الإساءة إلى الأنبياء؟ وسيرى القارئ نماذج أخرى كثيرة!

فهل كَتبَ هذه الأجزاء إلا أعداءُ الأنبياء، بل وأعداء الدّين الذين أرادوا أن يُجرّدوا قومهم من الانتماء إليه، إذ ما جاءهم الدين إلا خطأً.. وقد كان في الواقع من نصيب غيرهم..

على أي حال لم يخلو واقعنا من وقاحة الزنادقة والكفار.. ولم يسلم بلد من بلاد المسلمين من أولئك الذين سعوا إلى تصوير الإسلام بأنّه دين قدم من جزيرة العرب يجب أن يُطرد الإسلام إليها فهو غريب عن قومياتهم.. ومن المظاهر المشابهة لهذا الإفتراء الخرافي على الأنبياء في أمتنا إدعاء إحدى فرق الضلال بخطأ جبريل عليه السلام في التمييز بين رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه.. وقد ذكر هذا التشبيه ابن حزم رحمه الله تعالى في الفصل في الملل (الجزء الأول، ص108): " وما أُشبِّهُ هذه القضية – أي دعوى حصول يعقوب على النبوة احتيالاً– إلا بحمق المغالية.. القائلين أنّ الله تعالى بعث جبريل إلى علي فأخطأ جبريل وأتى إلى محمد وهكذا بارك إسحاق على عيسو فأخطأت البركة ومضت إلى يعقوب""!!

الحدث:

– هجرة إسرائيل (يعقوب) عليه السلام من الأرض المباركة إلى مصر بطلب من يوسف عليه السلام أيام القحط وأيام إدارته لمخازن مصر وشئونها.. تمّ ذلك قبل حوالي 2000 سنة قبل الميلاد.

– وكانت تلك نشأة نواة أمّة..

التعليق والتفصيل:

– قال تعالى: " **فلمّا دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين**" سورة يوسف: 99

– كان تعداد بني إسرائيل الذين انتقلوا مع يعقوب عليه السلام إلى مصر هو سبعة وثلاثون فردا فقط شاملة للأبناء الأحد عشر من غير يوسف عليه السلام مع زوجاتهم وأبنائهم، وتكاثروا بمصر حتى قيل أن عدد مقاتليهم بلغ ستمائة ألف (قدّر ابن حزم عددهم الشامل على هذا بمليون ونصف مليون فرد، وفي ذلك مبالغة بينة !) لمّا غادروا مصر مع موسى عليه السلام، وقد تسمّى أبناء يعقوب عليه السلام بالأسباط، وقد كانوا من بعد خطيئتهم مع يوسف عليه السلام رجالا صالحين، وشكلّ نسل كل واحد منهم قبيلة أو سبطا من أسباط بني إسرائيل، وهم – أي الأسباط الاثناعشر– أبناء أربع زوجات، اثنتين منهنّ من الإماء، فقد ولدت ليئة بـ" رأوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر، وزبولون"، وولدت راحيل وهي الزوجة الحرة الأخرى بـ" يوسف عليه السلام وبنيامين"، وولدت بلهة (جارية لراحيل) بـ" دان ونفتالي"، وولدت زلفة (جارية لليئة) بـ" جاد وأشير".. يُذكر هنا أن التوراة المعاصرة تذكر أنّ زواج يعقوب من ليئة تمّ نتيجة

خداع والدها له.. إذ تمّ العقد على راحيل (الأخت الأصغر).، لكن والدها دفع مساء بأختها الكبرى ليئة بدلاً عنها، فلما اكتشف يعقوب هذا الخداع باليوم التالي أرضاه الأب بتزويجه بابنته المرغوبة راحيل.. وتلك هي المقدمة لسلسلة من الطعون الكبرى في أنساب أنبياء بني إسرائيل! لا ندري من ولماذا كتبها! ولا يُفرق اليهود بين الأسباط (القبائل) التي تنتسب لأبناء يعقوب أبناء الحرائر أو أبناء الجواري.. ولكنهم تعصبوا ففرقوا بين اسحاق واسماعيل أبناء ابراهيم عليهم السلام بحجة اختلاف الأمهات في الحرية، ونسوا أنّ كلاً من اسماعيل واسحاق عليهما السلام في البنوة من ابراهيم عليه السلام سواء كما كان الأسباط آباؤهم في بنوتهم من أبيهم يعقوب سواسية كذلك رغم اختلاف الأمهات بل واختلاف عقود زواجهنّ!..
الحدث: - وصايا يعقوب عليه السلام وبنيه.. **التعليق والتفصيل:** .. وترك يعقوب (وقد لُقّب بإسرائيل) عليه السلام في أبنائه وصية جده إبراهيم، وأكدّها لهم عند وفاته، وكذلك فعل كلُّ الأسباط الاثناعشر عند وفاتهم على ما ترويه الكتابات اليهودية فيما سُمّي بـ" وصايا الشيوخ الاثناعشر"، كلهم أوصوا أبناءهم من بعدهم بعبادة الله وحده، وعدم الانجراف خلف الأهواء والضلال.. قال تعالى " **ووصى بها ابراهيمُ بنيه ويعقوبُ يابنيّ إنّ الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون. أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموتُ إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي، قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون**".. - حظي بنو إسرائيل (أي بنو يعقوب) بمكانة مرموقة بالمجتمع المصري أيام حكم يوسف عليه السلام.. وقد تولى يوسف عليه السلام الحكم التام على مصر بعد موت "فرعون" لمدة ثمانية وأربعين عاماً كما جاء بالمخطوطات، ثم أعطى الحكم بعد ذلك لحفيد فرعون الذي آواه بمصر (تجاوزاً سُمّي فرعوناً بالتوراة وإلا فالأصح أنّه ملك).. ومن المعلوم أنّ سلالة الملوك الذين حكموا مصر وعاصرهم يوسف عليه السلام كانوا من الهكسوس وليس من الفراعنة، وسُمّوا بالفراعنة تجاوزاً، وقد حافظوا على علاقة جيدة ببني إسرائيل حتى انتقل الحكم منهم إلى

عوائل فرعونية أخرى.. وتكاثر عدد أبناء إسرائيل كثيرا خلال هذه الفترة (سفر الخروج 1: 7).
– **بنو إسرائيل بمصر من بعد يوسف:** وحدث أن تغير نظام الحكم بمصر، وجاء فراعنة خافوا على المصريين من تكاثر بني إسرائيل (سفر الخروج 1: 8– 14)، فاضطهدوهم، وسخروهم للأعمال الشاقة بالحقول والبناء، وبنوا بهم مدن فيثوم ورعمسيس، ولكنّ أعداد بني اسرائيل ظلت تتنامى رغم الإضطهاد والتعذيب، فأمر فرعون بقتل الأطفال الذكور واستحياء الأناث (سفر الخروج 1: 16).. – ثم وُلد موسى من أبوين من سبط لاوي، فخبأته أمه ثلاثة أشهر، ولما خافت عليه وضعته بسفط من البرديِّ بين الحلفا على ضفة النهر، ووقفت أخته مريم تراقبه من بعيد (سفر الخروج 2 : 1–4)، فالتقطه آل فرعون، ولكنهم ردّوه إلى مرضعة عبرانية (هي أم موسى) لترضعه لهم بأجر.. التي ردته إليهم لما كبر، "**ودعته (أي أمّ موسى) موسى، ومعناها مُنتشل قائلة لأني إنتشلته من الماء**" الخروج 2: 5– 10 – هروب موسى عليه السلام الى أرض مديان (شمال غرب الجزيرة العربية فيما بين مدينتي معان وتبوك) لما أراد فرعون قتله بعد قتل موسى للمصري الذي وجده يضرب عبرانيا (سفر الخروج 2: 11: 15).. ثمّ زواج موسى عليه السلام من ابنة كاهن مديان.. – كلام الله عزوجل لموسى عليه السلام بالوادي المقدس، وإرساله إلى فرعون لدعوته للإيمان بالله تعالى، والكفّ عن اضطهاد بني إسرائيل "**ولا تُعذبهم**" طه 47، والإذن بخروج قوم موسى من مصر إلى الأرض المباركة (الخروج 3: 2– 20).. وتزويد موسى بمعجزات العصا ويده التي تصير برصاء ثم ترجع طبيعية إذا أعادها الى جيبه.. ومعجزة أخرى أضيفت بتحويل الماء الذي يغرفه من النهر الى دم (الخروج 4: 1– 9).. وتأييده بهارون عليه السلام.. وإيمان قوم موسى برسالته وسجودهم لله تعالى لرحمته بهم ورعايته لهم.. ثم رفض فرعون للإنصياع والسماح لبني إسرائيل بمغادرة مصر.. وإمعانه بزيادة الإضطهاد على بني إسرائيل.. وزيادة الأعمال الشاقة بحجة الحرص عليهم حتى لا يسمعوا الأقوال الكاذبة: " ثقِّلوا العمل على كواهل القوم حتى يشتغلوا به ولا يلتفتوا إلى الأقوال الكاذبة" الخروج 5: 9.. وشكوى بني إسرائيل بذلك لموسى.. ثم توالي العقوبات والمعجزات كمعجزة الدم (وذلك بتحول مياه النهر والسواقي والجداول إلى دم وموت الأسماك الموجودة بها وانتانها، الخروج 7: 19– 22)، والضفادع (التي

اقتحمت البيوت والفرش من كثرتها المفاجئة والهائلة، الخروج 8: 1- 7)، والبعوض وأسراب الذباب (حتى امتلأت بها البيوت)، وهلاك مواشي فرعون ومواشي المصريين – دون مواشي الإسرائيليين- بالوباء، وإصابة الجميع بشراً وحيواناً بالدمامل المتقيحة، وإتلاف مزارعهم وأشجارهم بالبَرَد، ثم بالجراد الذي لم يُبقِ بمصر على شئ أخضر، وغطى الأرض من كثرته حتى أظلمت (الخروج 10: 12- 15)، وبالظلام الكثيف، ثمّ بإهلاك كل بكر من أبنائهم وأبناء بهائمهم.. وفي كل مرة كان فرعون وملؤه يستغيثون بموسى ثمّ يكابرون.. (سفر الخروج: الإصحاحات 5- 12).

التعليق والتفصيل:

- أفسد فرعون الذي عاصر ولادة موسى عليه السلام مصرَ، وطغى واضطهد وعذّب بني إسرائيل: " **إنّ فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم، إنه كان من المفسدين**" القصص:4

.. من الواضح أنّ فترة معاناة بني إسرائيل تحت الإستعباد الفرعوني كانت طويلة.. وشديدة.. يصنع الفراعنة خلالها ما يشاؤن بالقوم المستضعفين من بني إسرائيل.. يُقّتلون أبناءهم.. ولا يملك بنو إسرائيل وسيلة لمنعهم وحماية أبنائهم أو حتى للانتقام لأبنائهم من هؤلاء المجرمين القتلة.. وبنو إسرائيل هم أبناء الأنبياء إبراهيم واسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام أمةٌ مؤمنة، صالحة في عامتها.. قد انتهت بهم الأيام أن يخضعوا للتذبيح والإضطهاد.. والقهر الطويل.. وكل ذلك وقع بتقدير الله تعالى ابتلاء وربّما عقاباً.. " **وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم**" الأعراف 141.. فالبلاء ليس من فرعون، بل هو من الربّ عزوجلّ على يد المجرم فرعون.. ولن يرفع فرعون أو استجداؤه بل الربّ عزوجلّ وحده هو من يقدر على رفعه..

وباستغاثة القوم بالله عزوجلّ.. تأتيهم الاستجابة بولادة موسى عليه السلام وصناعته صناعة ربانية فريدة.. ولكنها استجابة تحتاج إلى صبر طويل.. قال تعالى: "**ونريد أن نمُن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين. ونمُكّن لهم في الأرض ونُريَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون. وأوحينا إلى أمّ موسى أن أرضعيه فإذا خِفتِ عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني..**" القصص 5- 7.. فجاءت الاستجابة الربانية من خلال ولادة موسى عليه السلام.. ولكنّ موسى الرضيع لن يقود أمته إلا بعد أربعين عاماً بل ثمانين

عاماً – على ما ورد بالتوراة المعاصرة– وتزيد على ذلك بسنوات دعوته ومواجهته لفرعون التي تضاعف خلالها الاضطهاد على بني إسرائيل.. كم من الأنين والألم.. كم من القهر والإحباط.. كم من الظلم والعدوان.. كم من الدعاء ومن العهود لله عزوجلّ قد قدمها القوم المستضعفون حتى أتاهم الفرج.. ومضت أجيالٌ ظلت تتساءل متى سيأتيها الفرج.. ولماذا أذن الله عزوجلّ للمؤمنين من أبناء إبراهيم بهذه الذلة وتلك العبودية للقوم الكافرين.. وكيف يُعطي الله عزوجلّ هذا السلطان لمن كفر به واعتدى على المؤمنين.. إنّ ذلك بحقّ – كما ذكر مراراً بالقرآن الكريم– كان ابتلاء عظيماً " **وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم**" إبراهيم:6.. ولله الحكمة البالغة.. والدنيا فانية، وقد اختار الله لمن عاش فترة البلاء أن يُمتحن به.. وامتحنت الأمّة كلها بالصبر.. وكان نداء الصالحين بالصبر.. وبه جاء موسى يُصبّرهم مع أنّ لهم بالبلاء عشرات السنين من قبل عودته لهم من مديان بالرسالة.. " **قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إنّ الأرض لله يُورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين. قالوا أُوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا، قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون**". الأعراف 128– 129.. فصبر بنوإسرائيل وتم لهم النصر والتمكين لصبرهم الطويل: "..**وتمّت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا**.." الأعراف 137..

وليس هناك ما يمنع من تكرر هذا البلاء العظيم الطويل – بكل تداعياته والتساؤلات المرتبطه به– على المؤمنين من هذه الأمة مستقبلاً، خاصة عند ضعف الأمة وعدم استحقاقها للنصر الإلهي.. وعلى المؤمنين الصبر واستلهام الدروس مما مرّ على قوم موسى عليه السلام.. ولا يخفى على القارئ تبادل الأدوار في هذا الزمان.. فهؤلاء بنوإسرائيل قد لبسوا دور فرعون بإجرامه وتقتيله وذبحه اليومي للمؤمنين أتباع الأنبياء، وبكفره بالشريعة والأنبياء والوحي وتكبره في الأرض وإفساده بها.. فبئس ما رضي به بنو إسرائيل لأنفسهم اليوم مثلا.. والمؤمنون من هذه الأمة ورثة الأنبياء يتلقون اليوم بفلسطين البلاء العظيم وفي أمتهم ضعف ووهن ونفاق وردة.. هي سبب لهذا البلاء كما كانت كذلك لبني إسرائيل.. والوصية واحدة : " **استعينوا بالله واصبروا**" ..

وأعان الله عزوجل موسى وقومه على فرعون وقومه بما أنزله الله عليهم من بلايا عظيمة متتابعة كانت تحل على المصريين وحدهم من دون الإسرائيليين.. قال تعالى: "**ولقد أخذنا آل**

فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون. فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه، وإن تصبهم سيئة يطيّروا بموسى ومن معه، ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون. وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين. فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين.." الأعراف 130 –133..

ولمّا جاءهم الفرج من الله عزوجل كان هؤلاء القوم للأسف أسوأ مثل في نكران فضل الله عليهم وجحوده.. تبين فعلاً أنّهم لا يستحقون نصرالله الذي مُنحوه.. وتمّ فيما بعد تشريدهم في البراري حتى الفناء.. وتأجيل وعد الله لجيل تالٍ من بعدهم.. والشاهد هنا هو ألا نستكثر كمسلمين ولا نستطيل معاناتنا في هذا الزمان، فإننا لا ندري هل نستحق نصرَ الله أم مازلنا ممن إذا لمحوا النصر تنازعوا على الدنيا وتقاتلوا بينهم وعصوا الله ورسوله فانتزع منهم النصر وحرموه.. وما مثل افغانستان التي تقاتل فيها المجاهدون فيما بينهم من بعد نصرهم على روسيا الملحدة حتى ضيّعوا النصر الذي أُوتوه عنّا في هذا الزمان ببعيد، واننّا لله وانّا إليه راجعون.. إنّ مفتاح النجاح في هذه الفترة هو الصبر والإحتساب.. دع بني إسرائيل اليوم يفرحون بما يُصيبوا منّا من جراح، فما جراحنا بجراح وما شهداؤنا بقتلى.. وإنّ لهم ليومٌ موعود لا يُقرِّبه لنا إلا قربُنا من الله عزوجل وصبرنا وصدقنا معه وعودتنا الشاملة إلى شريعته ودينه..

– آتساءل! لِمَ لمْ يُطلب من موسى عليه السلام السعي لصناعة السلاح (ولو سراً) وتجميعه وإعداد قومه لمواجهة قوم فرعون به؟ ويبدو أنّ الجواب واضحٌ.. فلا قِبل لقوم موسى بجند فرعون! فمع أنّهم أمّةٌ بلغت الستمائة ألف وبإمكانها تجنيد عشرات بل ربّما مئات الآلاف من المقاتلين.. إلا أنَّ تمكُّن جند فرعون من بني إسرائيل، وإحاطتهم بديارهم ومنازلهم، بمعزل عن بقية الأمم من حولهم.. مع ضعف بني إسرائيل نفسياً وإيمانياً (وهو ما تبين فيما بعد) يعني تماما أن لا قبل لهم بفرعون وجنده! .. وكان الله عزوجلّ أرأف بهم من أنفسهم فلم يأمرهم بقتال فرعون.. ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.. هذا رغم معاناة بني إسرائيل الرهيبة ورغبتهم الجامحة في الثأر ممن قهرهم وسفك ويسفك دماءهم وأبناءهم كل حين! وقريباً من ذلك بعض الشئ كفُّ أيدي المسلمين وهم مستضعفون بمكة عن الثأر ممن اعتدى عليهم من المشركين!

إنّ خذلانَ أمم المسلمين اليوم لإخوانهم بفلسطين ليضع المسلمين بفلسطين في موقعٍ هو أضعف

بكثير جداً عن موقف بني إسرائيل تجاه فرعون.. فعزلتهم أشدّ وعدوهم أقوى.. ولا أريد هنا التخذيل! فما أكثر المخذلين.. ولكنّي أدعو إلى مراجعة الأمر.. فرغم فوائد المواجهة التي تفوق كثيراً تبعاتها.. إلا أنّ الصبر والتركيز على البناء الداخلي للأمة وتحصينها ضد مخططات التمييع والإذابة قد يبدو للقائمين – عند المراجعة– هو الأنسب حيناً حتى يأذن الله بالمدد والفرج من عنده.. وليُقهَر العدوّ بالثبات على الدين والصبر حتى تتيسر أسباب النصر..

- **الحدث:**

الإذن ببزوغ أمة جديدة لحمل الرسالة..

قال تعالى: " **إنّ فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، إنه كان من المفسدين. ونُريد أنّ نمُنَ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين. ونُمكِّن لهم في الأرض ونُريَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون. وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني، إنّا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين" القصص 4-7** .. ما أعظم هذا السرد القصصي بالقرآن..

التعليق والتفصيل:

" **واصطنعتك لنفسي**" طه: 41... ما أجملها في إعداد موسى عليه السلام لحمل رسالة ربّه عزوجلّ.

.. إنها أمّة ناشئة من بعد غيرها ستُعطى الحكم والنبوة، وتُستخلف في الأرض.. إبتلاء من الله لها.. لينظر الله عزوجلّ هل تُؤدي ماتُكلف به، أم تنسى الرسالة وتُفرِّط في الأمانة..

.. ونعلم أنّ بني إسرائيل من بعد ذلك قد فشلوا فشلاً ذريعاً، حتى استحقوا لعنة الله وغضبه.. وأُستخلف المسلمون من بعدهم رحمة بالعالمين وابتلاءً وامتحاناً للمسلمين أنفسهم من ربّ العالمين.. فهل يُحافظون على أماناتهم ويؤدون ما أُمروا به؟

- ودعا موسى على فرعون وملئه " **وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك، ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يُؤمنوا حتى يروُا العذاب الأليم**" يونس : 88، واستُجيبت الدعوة " **قال قد أُجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعانّ سبيل الذين لا يعلمون**" يونس: 89

الحدث:

- **خروج بني إسرائيل بقيادة موسى عليه السلام من مصر تمّ في حوالي عام 1250 ق.م:**

إصرار فرعون على بقاء بني إسرائيل خدماً مضطهدين بمصر، وخروج بني إسرائيل ليلا مشرقين، وخروج فرعون بجنده وراءهم كبرا وعدوانا.. وغرقه هو وكل جنده بالبحر الأحمر.. وابتهاج بني إسرائيل بهذا النصر العظيم، وإيمانهم بموسى وربّه عز وجلّ..

(في الآثار الدينية والتاريخية يهودية وإسلامية ما قد يستنتج منه أن هذا الخروج تمّ عام 1500 أو عام 1450 قبل الميلاد، ويؤيد ذلك ما ذكره الأب متى المسكين في كتابه "تاريخ اسرائيل" من ذكر الوجود الإسرائيلي بفلسطين بالنقوش المصرية ومهاجمته من قِبل حاكمها مرنتباح، مما يعني استقرار بني إسرائيل بفلسطين قبل عام 1244 ق.م).

التعليق والتفصيل:

– جاء أمر الخروج استجابة لدعوة موسى " **وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم مُتبعون**" الشعراء: 52، " **ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركا ولا تخشى**" طه: 77، " **فلما تراءا الجمعان قال أصحاب موسى إنّا لمُدركون. قال كلا إنّ معي ربي سيهدين. فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم. وأزلفنا ثمّ الأخرين. وأنجينا موسى ومن معه أجمعين. ثم أغرقنا الأخرين**" الشعراء: 61– 66.. إنّه يوم عظيم من أيام الله تعالى.. يوم هلاك الطاغية وانتصار المؤمنين بعد صبرهم الطويل.. جاء في صحيح البخاري رحمه الله تعالى عن بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لمّا قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وجد اليهود يصومون عاشوراء فسُئِلوا عن ذلك، فقالوا هذا اليوم الذي أظفر الله فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون ونحن نصومه تعظيما له، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن أولى بموسى منكم ثم أمر بصومه".

– " **آلآن وقد عصيتَ قبلُ وكنتَ من المفسدين. فاليوم نُنجّيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية، وإنّ كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون**" يونس 91– 92.. كذابٌ مجرمٌ عنيد.. رأى الآيات العظام متتابعةً.. أبى إلا المكابرة والإصرار على الكفر.. واختار أن يقفل على نفسه باب الهداية بإصراره أنّ هذه الآيات ليست إلا سحراً مبينا، رغم إقرار السحرة أهل الإختصاص وإذعانهم بأنّها من ربّ العالمين.. لكنّه وملأه تمسّكوا بتهمة السحر المبين، " **وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرَنَا بها فما نحن لك بمؤمنين**" الأعراف 132.. " **فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إنّ هذا لسحر مبين**" يونس 76.. وأبى إلا إخلاف عهوده المتكررة التي أعطاها لموسى عليه السلام وهو وقومه تحت وطأة البلايا " **وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك إنّنا لمهتدون**" الزخرف 49.. كذابٌ.. كان مصراً على الجريمة والكفر حتى آخر لحظة.. لو خرج من البحر لفتك بالمؤمنين.. مجرمٌ لم يستسلم للآيات إلا عند إيقانه بالهلاك..

لقد آمن حينها بحقّ.. آلآن! آلآن..! لكنّه مع ذلك هو الوغدُ لو أُنقذ لعاد لما كان.. ولنقض العهود كما نقض من قبل.. " **فاليوم نُنجّيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية، وإنّ كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون**" يونس 92.. وقد جعل الله تعالى جثته بحق آيةً حتى هذا الزمان.. وأُتبع هو بلعن الدنيا والآخرة..

كم جاء بعد فرعون مِن فرعون.. ما تذكّروا إلا وهم مثله يُغرغرون! حينها تُسمعُ عندهم آيات الله تُتلى.. لو كانوا يعقلون!

– وبنجاة بني إسرائيل وإنقاذهم من فرعون تمّ اصطفاءهم، وابتدأت مرحلة ابتلائهم بالاستخلاف..

– ويأتي هاهنا السؤال.. **لماذا اصطفي بنو إسرائيل بالذات؟** وتجيب التوراةُ أنّ ذلك الاصطفاء تمّ وفاءً لأبيهم إبراهيم عليه السلام فقد جعلت النبوة من بعده في أبنائه، ولفساد الأمم من حولهم وكونهم أصلحها وقت الاصطفاء.. جاء في التثنية 9: 4– 6: " لا تَقُل فِي قَلبكَ (أي يا شعب إسرائيل) حِينَ يَنْفِيهِمِ (أي الشعوب المالكة للأرض قبلكم) الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ أَمَامِكَ: لأَجْلِ بِرِّي أَدْخَلنِي الرَّبُّ لأَمْتَلِكَ هَذِهِ الأَرْضَ. وَلأَجْلِ إِثْمِ هَؤُلاءِ الشُّعُوبِ يَطْرُدُهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِكَ. **لَيْسَ لأَجْلِ بِرِّكَ وَعَدَالةِ قَلبِكَ تَدْخُلُ لِتَمْتَلِكَ أَرْضَهُمْ بَل لأَجْلِ إِثْمِ أُولئِكَ الشُّعُوبِ يَطْرُدُهُمُ** الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ أَمَامِكَ وَلِيَفِيَ بِالكَلامِ الذِي أَقْسَمَ الرَّبُّ عَليْهِ لآِبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ. فَاعْلمْ أَنَّهُ ليْسَ لأَجْلِ بِرِّكَ يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ هَذِهِ الأَرْضَ الجَيِّدَةَ لِتَمْتَلِكَهَا لأَنَّكَ شَعْبٌ صُلبُ الرَّقَبَةِ". وفي التثنية 8: 17– 18 : " الذِي أَطْعَمَكَ فِي البَرِّيَّةِ المَنَّ الذِي لمْ يَعْرِفْهُ آبَاؤُكَ لِيُذِلكَ وَيُجَرِّبَكَ لِيُحْسِنَ إِليْكَ فِي آخِرَتِكَ. وَلِئَلا تَقُول فِي قَلبِكَ: قُوَّتِي وَقُدْرَةُ يَدِيَ اصْطَنَعَتْ لِي هَذِهِ الثَّرْوَةَ. بَلِ اذْكُرِ الرَّبَّ إِلهَكَ أَنَّهُ هُوَ الذِي يُعْطِيكَ قُوَّةً لِاصْطِنَاعِ الثَّرْوَةِ لِيَفِيَ بِعَهْدِهِ الذِي أَقْسَمَ لآِبَائِكَ كَمَا فِي هَذَا اليَوْمِ."

التعليق والتفصيل:

– وبغرق فرعون وجنده أُسدل الستار على تاريخ أحد أشرس طغاة البشرية.. " **فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليمِّ، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين. وجعلناهم أئمةً يدعون إلى النار ويوم القيامة لا يُنصرون. وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنةً ويوم القيامة هم من المقبوحين**"_القصص 40– 42..

وبنجاة بني إسرائيل من فرعون واضطهاده تمّ إصطفاء بني إسرائيل على العالمين، وتمّت عليهم كلمة الله الحسنى لو رعوها، وُوعدوا بتملك الأرض المقدسة وسكناها.. قال تعالى بعد

هلاك بني فرعون وجنده : "**وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها، وتمّت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون** " الأعراف 137..

لقد تمَّ الاصطفاء لبني إسرائيل لصبرهم ولفساد غيرهم من الأمم.. وتحقيقاً للوعد لإبراهيم في ذريته.. وقد كانوا أصلح ذرية ابراهيم عليه السلام وقت اصطفائهم.. وهو اصطفاء كما نرى من التوراة نفسها مرهون بصلاحهم وليس إرثاً موروثاً.. فإنّ لإبراهيم عليه السلام ذريةً غيرهم ليرثوا الاصطفاء كما قال لهم يحيى عليه السلام (متى 3: 7– 10): " قَالَ –أي يحيى عليه السلام– لَهُمْ: « يا أَولاد الأَفاعِي من أَراكم أَن تهربوا من الغضبِ الآتي؟ فاصنعُوا أَثمَاراً تليقُ بالتَّوبة ولا تفتكِروا أَن تقولوا في أَنفسِكم: لنَا إِبراهِيمُ أَباً. لأَنِّي أَقُولُ لكم: إِنَّ اللَّه قادر أَنْ يقيمَ من هذه الحِجارة أَولاداً لإِبراهيم. وَالآن قد وضعت الفأْسُ على أَصل الشَّجر فكلُّ شَجرةٍ لا تَصنع ثمراً جيِّداً تُقطع وتُلقى في النَّار".. قال تعالى رداً على دعواهم بأنّهم أبناء الله وأحباؤه : " قل فلم يُعذبكم بذنوبكم، بل أنتم بشرٌ ممن خلق " المائدة 18..

ينبغي على المسلمين كذلك أنّ يُدركوا أنّ اصطفاءهم مرهون أيضاً بصلاحهم وتمسكهم.. ولولا أنّ هذه هي الرسالة هي الخاتمة وأنّ دعوة الإسلام قد احتوت كلّ البشرية بكل أجناسها لمضت سنة الاستبدال على المسلمين كذلك.. وفي الواقع فإنّها ماضية على المسلمين كذلك بنقل الريادة من أمةٍ منهم لأخرى منهم أصلح وأنشط للقيام بواجباتها..

– **مِنّة النجاة من فرعون..**

وقد تكرر تذكير بني إسرائيل والإمتنان عليهم بنجاتهم من إضطهاد فرعون، وتظليلهم بالغمام، وإعطائهم المنّ (والسلوى) والماء، وإشهادهم الآيات والمعجزات الكثيرة، تكرر ذلك التذكير مراراً ومنذ زمن موسى عليه السلام بعد نجاتهم من فرعون وقومه، وعلى مرّ العصور حتى عصور الإسلام.. تكرر ذلك التذكير كثيراً من خلال التوراة أيام موسى، ومن خلال الكتب الملحقة بها في العصور اللاحقة، ومن خلال القرآن الكريم تذكيراً باقياً إلى يوم الدين، لعلهم يدركوا فضل الله عليهم ويتوبوا إليه.. وستمرُّ معنا استشهادات عديدة من الكتاب المقدس ومن أسفار التوراة (كأسفار التثنية والخروج) المنسوبة إلى موسى عليه السلام نفسها بها تذكيرٌ لبني إسرائيل بفضل الله عليهم بإنقاذهم من فرعون وإغراقه.. وبها وعد ووعيد.. قال تعالى مشيراً إلى هذا الوعد

والوعيد الذي أصبح محوراً رئيساً لدعوة موسى عليه السلام: " **وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم. وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد..**" سورة إبراهيم (6– 7).. وقال تعالى تذكيراً دائماً لهم عبر الزمان " **وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم، وفي ذالكم بلاء من ربكم عظيم. وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون. وإذ.. .. وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى، كلوا من طيبات ما رزقناكم، وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون..**" البقرة 49– 58.. وإضافة إلى ما سيرد أذكر هنا بما جاء في نحميا 9: 9– 11 على سبيل المثال: "..ورأَيتَ ذُلَّ آبَائنا في مِصرَ وسمعتَ صراخَهم عِند بحر سُوفٍ (أي البحر الأحمر). وَأَظهرتَ آياتٍ وعجائبَ عَلَى فِرعَون وعلى جَمِيعِ عَبيده وعلى كلِّ شَعب أَرضه لأَنَّك علمتَ أَنَّهم بَغُوا عليهم وَعَمِلتَ لِنَفسك اسماً كَهَذَا اليومِ. وَفَلَقتَ اليمَّ أَمَامَهُمْ وَعَبَرُوا فِي وسط البَحر على اليابِسَةِ وَطَرَحتَ مُطَارِدِيهِم فِي الأَعمَاقِ كَحَجَرٍ فِي مياهٍ قويَّة.".. وما جاء على لسان النبي إرميا وهو يُثني على الله عزوجل ويحمده : "الَّذِي جَعَلتَ آيَاتٍ وَعَجَائِبَ فِي أَرْضِ مِصرَ إِلَى هَذَا اليَومِ وَفِي إِسرَائِيلَ وَفِي النَّاسِ وَجَعلتَ لنفسِكَ اسماً كَهَذَا الْيَوْمِ، وَأَخرجتَ شَعبكَ إِسْرَائِيلَ من أَرضِ مِصر بِآيَاتٍ وعجائب وَبِيَدٍ شديدةٍ وذرَاعٍ مَمدُودَةٍ وَمَخَافَةٍ عَظِيمَةٍ، وَأَعطَيتهم هَذِهِ الأَرضَ الَّتِي حلفتَ لِآبَائِهِم أَن تُعطِيَهُم إِيَّاها أَرضاً تَفِيضُ لَبَناً وَعسلاً. فَأَتُوا وَامتَلَكُوهَا وَلَم يَسمَعُوا لِصَوتِكَ وَلاَ سَارُوا فِي شَرِيعَتِكَ. كُلُّ مَا أَوْصَيتَهُم أَن يَعمَلُوهُ لَم يَعمَلُوهُ فَأَوقَعتَ بهِم كُلَّ هَذَا الشَّرِّ.." إرميا 32: 20– 23،

ومازالت أجيال اليهود المعاصرة هذا الزمان كأجيالهم الأولى تصرّ على الكفر والتكذيب بأنبياء الله الحقّ، ولا تعي لوعظ ولا تذكير! فما ينتظرون اليوم إلا ما وقع على آبائهم.. عقاباً ربانيا قادماً لا محالة! .. وإنما هم يجتمعون له من جديد!

هذا وقد ظلّ بنو إسرائيل غير متأدبين مع موسى رغم المعجزات الهائلة التي أجراها الله على يديه أمامهم .. فلم يكد يمر عليهم موقف به توتر إلا ويسارعون إلى المنّ على موسى والتذمر مما صيرهم إليه.. فمن أمثلة ذلك أنهم نقموا على موسى وهارون عليهما السلام عند زيادة معاناتهم على أيدي زبانية فرعون بعد قيامهما بالدعوة (الخروج 5: 21)، ونقموا على موسى عليه السلام لما رأوا فرعون خلفهم يطاردهم بأنه – أي موسى– أخرجهم من مصر ليهلكوا، ولما طلبوا الماء بعد العبور كادوا أن يرجموا موسى عليه السلام (الخروج 15: 24، 17: 1– 7)،

فضرب لهم الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا بأمر الله، ثم تذمّروا لقلة الأكل بسيناء (الخروج 16: 2–12) فأعطاهم الله المنّ والسلوى (الخروج 16: 13– 21)، ولم يلتزموا بما يُؤمرون به، وأظلهم الغمام (العدد 9: 15– 23، 10: 34).. وتبرّموا وتذمروا من المنّ والسلوى مع ذلك، وطلبوا من موسى البصل والقثاء الذي هو أدنى، فقالوا لموسى عليه السلام باكين**!** " لقد تذكرنا سمك مصر الذي كنا نأكله مجاناً، والقثاء والبطيخ والكرّات والبصل والثوم، أمّا الأن فقد فقدنا شهيتنا وهزُلنا وليس أمامنا سوى هذا المنّ" سفر العدد 11: 4– 6.. كان المنُّ في حجم بذور الكُزبرة، وكانوا يطبخونه ويخبزونه وله طعم " قطائف بزيت" وكان ينزل بنزول الندى على مخيمهم بالليل.. وفي ذلك قال تعالى: " **وإذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد، فادع لنا ربك يُخرج لنا ممّا تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها، قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة**.." البقرة 61.. وفي ذلك فيما يبدو إذن لهم بالحصول على ما طلبوا من مصر التي خرجوا منها أو من مصر من الأمصار المجاورة.. لكنّ هذه الإعتراضات والآثام المتتابعة انتهت بغضب الله عليهم.. وقد ذكرت التوراة المعاصرة أنّ أخلاطاً من المصريين بين بني إسرائيل كانوا هم وراء هذا الطلب الذي يبدوا من التوراة أنّه كان بالذات طلباً للحم، وأنّ الله عزوجل استجاب لموسى عليه السلام تضرّعه وعجزه عن إرضاء قومه، فأرسل عليهم السلوى وهي طيور السمّان فكانت تتساقط على المخيم ويجففوها ويأكلوا منها.. إلا أنّ التوراة تذكر أنّ الله عزوجلّ عاقب بعد ذلك هؤلاء "القوم المشتهين" بوباء مُمِيت اضطرت معه جماعة بني إسرائيل إلى مغادرة ذلك الموقع الذي دفنوا به " القوم المشتهين" العدد 11: 31– 35.. ويبدو أنّ ذلك كانت نتيجة معصيتهم وإصرارهم على الإحتفاظ بلحم السلوى حتى اليوم التالي، وكان موسى عليه السلام قد نهاهم عن ذلك (الخروج 16: 19– 21) فأنتن اللحم وأدَوَد.. وبذلك جعلوا نعمة السلوى تتبدل إلى نقمة.. ولا نفهم من كتاب الله تعالى القرآن الكريم إلا أنّ السلوى كانت مع المنّ من نعم الله عليهم التي لم يرعوها أو يُقدّروها..

- **عبادة العجل..**

واستبطأ بنو إسرائيل موسى عليه السلام لمّا غاب أربعين نهاراً وليلة لميقات ربه وتلقي الألواح.. حيث انطرح بذلٍّ أمام الربّ.. (التثنية 9: 18) يستغفر لقومه خطاياهم.. استبطأوا

غيابه وصنعوا لأنفسهم من أقراط الذهب التي في آذان نسائهم وبناتهم عجلاً ليكون لهم إلهاً يتقدم مسيرتهم كما يزعمون، وقالوا عنه: "هذه آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من ديار مصر" الخروج 32: 4.. وقدموا للعجل القرابين والذبائح وعبدوه.. وأطلعَ الله عزوجل موسى على ما صنعوا، فجزع لغضب الربّ واحتدام سخطه على بني إسرائيل حتى كاد أن يبيدهم (التثنية 9: 19، الخروج 32: 9– 11) واستغفر لأخيه هارون ولقومه، وانحدر إلى قومه ومعه اللوحين، فلما اقترب منهم وشاهدهم حول العجل ألقى الألواح فانكسرت، وأخذ العجل الذهبي وأحرقه وطحنه حتى صار ناعماً، وذراه على النهر.. وأمر بقتل " كل داعر" فقُتل منهم ثلاثة آلاف رجل غيرةً لله تعالى.. قتل الصالحون يومها أبناءهم وإخوانهم طاعةً لموسى عليه السلام وليحظوا بالمغفرة (الخروج 32: 27– 29)..

التعليق والتفصيل:

– إنّ العقلية الوثنية في التعامل مع الخالق عز وجلّ والمسارعة نحو عبادة الأصنام بشكل غريب سيلحظها القارئ ظاهرةً بارزةً في تاريخ بني إسرائيل، وهي ذات دلالات بعيدة حول النفسية المادية (الجمادية) لهذا الشعب..

قال تعالى عن مصير العجل : " **وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنّه ثم لننسفنه في اليم نسفاً**" طه 97 .. ونزّه الله عزوجلّ بالقرآن الكريم هارون عليه السلام عن إثم صناعة العجل وعبادته الذي اتهمه به بنو إسرائيل بالتوراة المعاصرة.. إذ تنص التوراة المعاصرة أنّ هارون استجاب لطلب قومه بصناعة إلهٍ لهم! وأمرهم أن يجمعوا إليه أقراط الذهب، فصاغها لهم عجلاً فعبدوه (الخروج 32: 2– 4) فكيف يُعقل أن يكونَ هو مَن يُشرِف ويدلّ على صناعة العجل في ردّة فاضحة عن الله والشريعة، وهو وزير موسى والنبيّ معه (بنص القرآن والتوراة، كما في الخروج 7:1) الذي كثيراً ما ورد الوحي إلى موسى عليه السلام بصيغة المثنى ليشمله بالتكليف مع موسى (الخروج 7: 8).. ثم كيف يُقتل ثلاثة آلاف رجل عقوبةً على عبادة العجل ولا يُقتل بل ولا يُمسّ هارون عليه السلام وهو – حسب التوراة المعاصرة– هو مَن أشرف على صناعة العجل.. والواقع أنّ بني إسرائيل كانوا تحت قيادته وإمرته وقت صناعتهم للعجل لكنهم لم يسمعوا له.. وخشي على نفسه أن يقتلوه لمعارضته لهم لصناعة إلهٍ لهم! وخشي عليهم من التشتت أو الهلاك إن تركهم.. قال تعالى: " **ولقد قال لهم هارون من قبل يا**

قوم إنّما فتنتم به وإنّ ربّكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري. قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى. قال ياهارون ما منعك إذ رأيتَهم ضلوا ألا تتبعنِ أفعصيتّ أمري. قال يابنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إنّي خشيت أن تقول فرّقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي" طه 90– 94.. وقال تعالى: " **وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ، وَأَلْقَى الألْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**" الأعراف 150.. وقد بيّنَت الكتابات القديمة فعلاً قيام هارون بتذكير قومه ومقاومته صناعة " إله ليعبدوه" ولكنّهم لم يسمعوا له واستضعفوه وأخافوه.. (الآثار التوراتية لفيلو، الترجمة الإنجليزية لـ M. James 12: 3–4، وإن كان هذا المصدر في النهاية نسب إلى هارون عليه السلام الأمر بجمع الأقراط وهو ما يستحيل أن ينحدر إليه ولو مداهنة).

ويلحظ القارئ هنا عجز القائد الحكيم – حتى وهو نبيٌّ مفروضة طاعته على قومه بالوحي (كهارون عليه السلام)– عجزه في منع قومه من الضياع وصيانتهم عن الزلل.. وذلك إذا استولت على قلوبهم الأهواءُ وكثر بينهم أصحابُ الفتن.. ويُذكرنّي وضع هارون عليه السلام بهاروننا كرم الله وجهه.. فلكم هدّده مَن معه، ولكم أجبروه على الرضوخ لآرائهم الخاطئة الكثيرة التي لم يكن التحكيم إلا إحداها، مضيعين بذلك فرصاً كثيرة حقيقية أتيحت للحفاظ على الخلافة الراشدة.. لقد كانا على قوميهما كالأبوين لابنهما العاقّ يخشيان لو أصرّا عليه أن يُضيعاه للأبد.. نُسب إلى الإمام علي رضي الله عنه أنه قال: " ولكن لا رأي لمن لا يُطاع".

– يعجب المرء لسخاء بني إسرائيل (!) ومسارعتهم في التبرع بحلي نسائهم ومجوهراتهم للسامري الذي قام بصهرها وصناعة العجل لهم ليعبدوه.. ولو أنّ موسى عليه السلام – وهو النبي والقائد صاحب المعجزات المعايشة– لو أنّه عليه السلام هو مَن أمرهم بجمع ذهب نسائهم لقضية دينية لما أطاعوه ولما سخت ببذل ذلك الذهب أنفسهم إلا قليلٌ منهم، والله أعلم.. ذلك أنّ البذل في سبيل الله يصد عنه الشيطان مخوفاً الناس بالفقر.. وأنه يحث أولياءه على البذل في سبيله وييسر لهم ذلك.. قال تعالى: "**الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا، والله واسع عليم**" البقرة 268.. ثمّ إنّهم قد أحسوا في غياب موسى بالضياع بدون الإله محسوسا ومشاهداً.. وهذا المشروع لصناعة الإله (إله موسى!) مرئياً

ومحسوساً جعله الشيطان مشروع الأمة الذي لا يُعلى عليه (!).. " **فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي**" طه 88..

وبالمقابل فلا يحضر في أذهاننا عن التبرع بأقراط نساءُ هذه الأمة المسلمة وزينتهنّ إلا لدعم الجهاد وإطعام المساكين في مواقف لا تُحصى على مرّ العصور ومنذ زمن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم حتى هذا الزمان.. وهذا من مفاخر هذه الأمة..

جاء عن ابنِ عَبَّاس أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خَرَجَ ومَعَهُ بِلالٌ فَظَنَّ أَنَّهُ لَمْ يُسْمِعِ النِّسَاءَ فَوَعَظَهُنَّ وأَمَرَهُنَّ بالصَّدَقَةِ فَجَعَلَت المَرْأَةُ تُلْقِي القُرْطَ والخَاتَمَ وبِلالٌ يأْخُذُ في طَرَفِ ثَوْبِهِ.

- يلاحظ أنّ هول جريمة صناعة العجل وعبادته لم تدع لدى موسى فرصة للتفكير في الاحتفاظ لقومه بالذهب المستخدم في صناعة العجل.. والأغلب أن نسف العجل وذره بالبحر قد تمّ بأمر الله، وهو كذلك ما يبين زهد الصالحين في مثل هذه الأموال واستغنائهم عنها..

وتقديمهم استئصال كل آثار الفتنة كاملة على الاستفادة من بعض القطع الذهبية التي قد يسنغلها الشيطان مستقبلا للتبرك بها والتوكل، أو يستغلها حتى لصناعة العجل من جديد.. ومع ذلك فسنرى بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام يصنعون عجلاً جديداً ويعبدونه..!

- **لفتة نبوية:**

جاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل تعليقاً على إلقاء موسى عليه السلام للألواح لمّا رأى مظهر الرّدة البيّنة وقومه عند العجل حديثٌ عن بن عباس رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: " ليس الخبر كالمعاينة، إنّ الله عز وجل أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلقِ الألواح فلمّا عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت"..

الحدث:

- أخذ <u>العهد المُغلّظ</u> على بني إسرائيل من خلال موسى عليه السلام.. وإعلانه لهم مع تهديدهم بالعقاب الشديد إن نقضوه.

.. وهو عهد قطعه موسى عليه السلام مع جيله وكل أجيال بني إسرائيل من بعده.. " ولستُ أقطعُ هذا العهد وهذا القسم معكم وحدكم، بل فضلا عنكم أنتم الماثلين اليوم أمام الربّ إلهنا، فإنني أُبرمه أيضاً مع الأجيال القادمة" التثنية 29: 15.

- نقَضَ بنو إسرائيل عهدهم مع الله عزوجل بصورة متكررة بل شبه مستمرة كما سنرى في هذا الكتاب من كفرهم بالله المتكرر، وعبادة الأصنام، واتباع أدعياء للنبوة دجالين بعلمهم، وتقليدهم للأمم الكافرة، وتبني عاداتها وتعاملاتها هذا إضافة إلى قتلهم الأنبياء والصالحين ..وسنرى في هذا الكتاب جوانب من هذه الردّة التي استحق بنوإسرائيل بسببها نزع النبوة والإستخلاف منهم وإعطائهما لأمة الإسلام..

- ورد بالتوراة وكتب الأنبياء شواهد كثيرة لا تكاد أن تُحصى على نقض بني إسرائيل لعهد الله واستحقاقهم للعنتة تعالى، وفيما يلي أمثلة فقط من هذه الشواهد الكثيرة:

- <u>التثنية</u> 29: 25:

" لأنّ هذا الشعب <u>نقض عهد الربّ إله آبائهم الذي قطعه معهم حين أخرجهم من ديار مصر</u>، وغووا وعبدوا آلهة أخرى وسجدوا لها.. فالتهب غضب الربّ على تلك الأرض فصبّ عليها كل اللعنات المدونة في هذا الكتاب، واجتّثّهم من أرضهم بغضبٍ وسخط وغيض عظيم، وطوَّح بهم إلى أرض أخرى.."

- <u>التثنية</u> 32: 15..

" فسَمِنَ بنو إسرائيل ورفسوا، سمِنوا وغلظوا واكتسوا شحماً، فرفضوا الإله صانعهم وتنكروا لصخرة خلاصهم، أثاروا غيرته بآلهتهم الغريبة.. فرأى الربّ ذلك ورَذَلهم.. يُثكلهم سيفُ العدو في الطريق.. قلتُ: أُشتتهم في زوايا الأرض، وأمحوا من بين الناس ذكرهم.. <u>إنّ بني إسرائيل أمة غبية لا بصيرة فيها، لو عقلوا لفطنوا لمآلهم وتأمّلوا في مصيرهم</u>"

- **دانيال 9 : 10- 11:**

" وما سمعنا صوت الربّ إلهنا لنسلك في شرائعه التي جعلها أمامنا عن يد عبيده

الأنبياء. وكل إسرائيل قد تعدى على شريعتك وحادوا لئلا يسمعوا صوتك فسكبت علينا اللعنة والحلف (القسم) المكتوب في شريعة موسى عبد الله لأننا أخطانا إليه ".

- **إرميا 23 : 40:**

" لذلك ها أنذا أنساكم نسياناً وأرفضكم من أمام وجهي أنتم والمدينة التي أعطيتكم وآباءكم إياها، وأجعل عليكم عاراً أبدياً وخزياً أبدياً لا يُنسى "

- **ملاخي 2 : 2 – 6 :**

" قال رب الجنود فإني أرسل عليكم اللعن ، وألعن بركاتكم ، **بل قد لعنتها لأنكم لستم جاعلين في القلب** "، والخطاب هنا هو لبني إسرائيل.

هوشع 9 : 15–17:

" إني هناك ابغضهم من أجل سوء أعمالهم أطردهم من بيتي لا أعود أحبهم .. يرفضهم إلهي لأنهم لم يسمعوا له فيكونون تائهين بين الأمم".

- **إشعيا 24: 5–6:**

" **تدنست الأرض تحت سكانها، لأنهم تعدوا على الشريعة، ونقضوا الفرائض، ونكثوا العهد الأبديّ، لذلك التهمت اللعنةُ الأرضَ، وعوقب أهلها بإثمهم..**"

وكان قبل ذلك قد قال في نفس الإصحاح:1 :" **ها إنّ الربّ يُخرب أرض يهوذا ويقفرها، ويَقلبُ وجهها ويُشتت سكانها**"

- **إرميا 11 : 3:**

“ **قال الرب إله إسرائيل: ملعونٌ الإنسان الذي لا يسمع كلام هذا العهد الذي أمرت به آباءكم يوم أخرجتهم من أرض مصر.. اسمعوا كلام هذا العهد واعملوا به لأني أشهدت على آبائكم إشهاداً.. فلم يسمعوا.. فجلبت عليهم كل كلام هذا العهد الذي أمرتهم أن يصنعوه ولم يصنعوه”.**

- **ملاخي 3 : 9:**

" **من أيام آبائكم حدتم عن فرائضي ولم تحفظوها، إرجعوا إليّ أرجع إليكم.. قد لعنتم لعناً..**".

- **أخبار الأيام 34: 24:**

" **ها أنا جالب على هذا الموضع وعلى أهله كل اللعنات الواردة في السفر..**"، وكذلك

22-7:19 وفيه وعد بالتشريد وهدم الهيكل عند نكثهم لعهد الله.

.. قال تعالى " **يابني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوّكم.. كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحلّ عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى. وإني لغفارٌ لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثمّ اهتدى**" طه 81- 82.. لقد هووا وانحدروا فحلّ عليهم غضب الله تعالى ولعنته..

التعليق والتفصيل:

- جاء في سفر التثنية وهو من أسفار التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام ذكر متكرر للعهد الذي أُخذ على بني إسرائيل مع ذكر الثواب والعقاب المنتظر لإيفائهم أو لنقضهم للعهد، ففي الإصحاح 28 : 15- 68 (والخطاب موجه إلى بني إسرائيل عند نزول التوراة على موسى عليه السلام):

" **ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك.. تأتي عليك جميع هذه اللعنات، وتدركك ملعوناً تكون في المدينة وملعوناً تكون في الحقل.. ثمر أرضك وكل تعبك يأكله شعب لا تعرفه فلا تكون إلا مظلوماً ومسحوقاً كل الأيام.. يذهب بك الرب ويملكك الذي تقيمه عليك إلى أمة لم تعرفها أنت ولا آباؤك.. وتكون دهشاً ومثلاً وهزأةً في جميع الشعوب الذين يسوقك الرب إليهم.. وتأتي عليك جميع هذه اللعنات وتتبعك وتدركك حتى تهلك لأنك لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحفظ وصاياه وفرائضه التي أوصاك بها.. ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقصى الأرض إلى أقصاها.. وفي تلك الأمم لا تطمئن ولا يكون قرارٌ لقدمك بل يعطيك الرب قلباً مرتجفاً وكلال العينين وذبول النفس..** "

- وفي التثنية 11 : 26 ..

" **انظر أنا واضع أمامكم اليوم بركة ولعنة، البركة إذا سمعتم لوصايا الرب.. واللعنة إذا لم تسمعوا بوصايا الرب إلهكم وزغتم عن الطريق..** وفي 29: 9: " **فاحفظوا كلمات هذا العهد واعملوا بها لكي تفلحوا في كل ما تفعلون**".. وفي 28 13-14: " **وإذا أطعتم وصايا الرب التي أنا آمركم بها اليوم لتحفظوها ولتعملوا بها، فإنه يجعلكم رؤوساً لا أذناباً، متسامين دائما، ولا يدرككم انحطاط أبدا، لا تنحرفوا يمينا أو شمالا عن جميع هذه الشرائع التي أنا أوصيكم بها اليوم، لكي لا تغووا وراء آلهة أخرى لتعبدوها**".. وفي

30: 16: " .. **إذ أنّني قد أوصيتُكم اليوم أن تحبوا الربّ إلهكم وأن تسلكوا في طرقه وتطيعوا وصاياه وفرائضه وأحكامه لتحيوا وتنموا، فيباركم الربّ في الأرض التي أنتم ماضون لإمتلاكها، ولكن إن تحولت قلوبكم ولم تطيعوا، بل غويتم وسجدتم لإلهة أخرى وعبدتموها، فإني أنذركم اليوم أنكم لا محالة هالكون، لا تطيل الأيام على الأرض التي انت عابر الأردن لتدخلها وتمتلكها، ها أنا أُشهد عليكم اليوم السماء والأرض، قد وضعت أمامكم الحياة والموت، والبركة واللعنة**.. " ويكرر عليهم موسى عليه السلام بعد ذلك أنّ الربّ " **هو الذي يُطيل أيامكم لتستوطنوا الأرض التي حلف الرب أن يعطيها لآبائكم**.." التثنية 30: 20 في إشارة أخرى إلى قصر بقائهم بالأرض المباركة نتيجة عصيانهم لله عزوجل.. وهو ما وقع فعلا بعد ذلك..   قارن نصوص التثنية أعلاه بالآيتين الكريمتين التاليتين تلخصان وتوثقان خياري الهدى والضلال معروضان على بني اسرائيل وما آلوا اليه: " **وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ. فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**"
.. الّذين رأوا اليهود في مهاجرهم قبل عصر استكبارهم الحالي يعجبون كيف تحقق وعيد التثنية بحذافيره كاملةً ولقرون طويلة لمّا نقضوا العهد وعصوا.. ونعلم يقيناً من التوراة وما يُنسب من كتب للأنبياء ومن الإناجيل المعاصرة ومن القرآن (كما هو واضح من النصوص بالعمود الموازي) أنّ اليهود قد عصوا ونقضوا العهد واستحقوا اللعنة والطرد من الأرض المباركة.. وهو أمر يُقِرّ به اليهود أنفسهم.. وهم ونحن نعلم يقيناً أنهم لم يُحققوا العهد مرة أخرى ولم يُوفوا به من بعد أن نقضوه آخر مرة وطردوا بسببها من الأرض المباركة.. ويهود اليوم في شتتاتهم ومهجرهم وفي دولتهم المعاصرة أبعد ما يكونوا عن شريعة التوراة وتحكيمها.. وهو ما ينقض دعوى أحقيتهم بالأرض المباركة حتى من منطقهم.. وليس لهم إلا إنتظار الإنتقام الإلهي.. وهو ما يؤمن به في الواقع كثير منهم..

إن المرء ليعجب من النصارى يتحاملون على كتاب الله تعالى بأنه تجنى على اليهود، وما جاءت صورة اليهود بالقرآن إلا مصدقة لصورتهم بما يؤمن به النصارى من " كتب العهد القديم والجديد".. وما جاء من توثيق غضب الله على اليهود ولعنهم وتمزيقهم بالقرآن إلا منسجما لما ينسبه النصارى أنفسهم لله عزوجل ولأنبيائه الكرام.. ولا أدري ما كانوا ليقولوا عن القرآن الكريم لو انفرد بهذا الحديث عن اليهود.. لكن هذا العصر هو عصر العلو لليهود ارتضى معه النصارى الغربيون أن يغيروا أسساً في دينهم وفكرهم خضوعاً واستسلاما لسيطرة اليهود المحكمة..

– ورد تذكير بني إسرائيل بعهدهم مع الله ومطالبتهم بالوفاء به بمواضع عديدة من القرآن الكريم.. مع ذكر نقضهم لعهد الله من قبل، فمنها قوله تعالى:

" **يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون. وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولاتشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون. ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون. وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين. أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**" البقرة 40– 44، ، وقال تعالى " **فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق، وقولهم قلوبنا غلف، بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا..**" النساء 155.. وقال تعالى " **لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بمالا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون**" المائدة 70..

من الواضح من الآيات أعلاه أن وفاء بني إسرائيل بعهد الله لا يتحقق إلا من خلال إسلامهم.. لا بد لهم من الإيمان برسول الله محمد عليه الصلاة والسلام.. فبذلك أُمروا بكتبهم.. وقد أوردت بكتابي " تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم" حشداً ضخماً من البشارات الباقية بالكتاب المقدس الذي يؤمنون به.. مما لا يدع لهم مفراً من الإقرار بالإسلام والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم..

_ وفي تفصيل لجوانب من هذا العهد قال تعالى " **وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون**" البقرة 83..

وللمقارنة مع تفاصيل العهد المذكورة في الآية أعلاه، أذكر المقاطع التالية عن هذا العهد كما هي عليه بالتوراة الحالية، فمن سفر الخروج " .. **لايكن لك** – الخطاب لشعب بني اسرائيل– **آلهة أخرى سواي.. لأني أنا الرب إلهك إله غيور.. أكرِم أباك وأمك لكي يطول عمرك في الأرض التي يهبك إياها الرب إلهك، لا تقتل ، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد زورا على جارك، لا تشته بيت جارك ولا زوجته ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما له.. من يشتم أباه أو أمه يُقتل.. لا تضطهد غريبا ولا تضايقه، فقد كنتم غرباء في ديار مصر، لا تسيء إلى أرملة أو يتيم..** ".. والمقاطع الأولى هي ما يُعرف بالوصايا العشر، وسنفصل الحديث عنها لاحقاً.. وفي زكريا 7: 8– 14:

" وَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى زَكَرِيَّا:(هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: اقْضُوا قَضَاءَ الْحَقِّ وَاعْمَلُوا إِحْسَاناً وَرَحْمَةً كُلُّ إِنْسَانٍ مَعَ أَخِيهِ. وَلاَ تَظْلِمُوا الأَرْمَلَةَ وَلاَ الْيَتِيمَ وَلاَ الْغَرِيبَ وَلاَ الْفَقِيرَ وَلاَ يُفَكِّرْ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَرّاً عَلَى أَخِيهِ فِي قَلْبِهِ. فَأَبُوا أَنْ يُصْغُوا وَأَعْطُوا كَتِفاً مُعَانِدَةً وَثَقَّلُوا آذَانَهُمْ عَنِ السَّمْعِ.. فَجَاءَ غَضَبٌ عَظِيمٌ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْجُنُودِ..).

..وفي التثنية ".. **تعشيرا تُعشِّر كل محصول زرعك الذي يخرج من الحقل سنة بسنة..**" وقد اختُتمت هذه المقاطع من التثنية بالتهديد باللعن والطرد إن نكثوا عهدهم مع الله عز وجلّ.. وقد نكثوه إلا قليلاً منهم..

ويلاحظ بالتالي من هذه المقاطع أنّ عهدهم مع الله عزوجل اشتمل على عناصر توحيد الله تعالى بالعبودية، والإلتزام بالإحسان للوالدين واليتامى والمساكين، وبحسن الخلق مع الناس، وبإيتاء الزكاة (الصدقات) وكلها ممّا لُخص في الآية الكريمة المذكورة أعلاه.. وسنستعرض فيما بعد ما يُدلّ على أن هذا العهد وهذه الوصايا قد انتقل التكليف بها إلى المسلمين..

– إنّ استبدالَ اليهود بأمّة الإسلام نتيجة نقضهم ميثاقهم مع الله يقابله ضمن أمة الإسلام: استبدال أمم مسلمة بأخرى مسلمة أصلح من الأولى عند تقصير الأمم الأولى في القيام بواجباتها تجاه هذا الدين.. وشواهد هذا لا تكاد تُحصر في التاريخ الإسلامي، فكلما تقاعست أمة في حمل هذا الدين لا نرى إلا وقد أنهض الله له أمة جديدة لحمله ونشره..

" **يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين**" المائدة:54.. وقال تعالى " **وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا**

يكونوا أمثالكم" محمد:38، وقال تعالى في توجيه لأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " **إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئا، والله على كل شيء قدير**" التوبة: 39.

– ينبغي على أمة الإسلام أن تدرس بعناية تلك القضايا التي أُخذت على اليهود، والتي اعتبرت من معالم نقضهم لميثاقهم مع الله عزوجل، وألخص فيما يلي بعضا منها:

– ترك تطبيق أجزاء من الكتاب والشريعة تبعاً لأهوائهم، وقد ورد التصريح بمعصيتهم للشريعة كسبب لغضب الله عليهم في مواضع لا تكاد تُحصى من العهد القديم، منها بعض الإستشهادات الواردة أعلاه (دانيال 9: 10– 11، إشعيا 24: 5–6).. جاء عن يعقوب في الرسالة المنسوبة إليه: "وأنّ مَن يُخالف واحدة منها فقط يصير مذنبا تماماً كالذي يُخالف الوصايا كلها" (يعقوب 2: 11).. وقال تعالى:" **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب..**" البقرة: 85.. وقال تعالى عن سبب لعنهم وفرض الذل والمسكنة عليهم: "**.. ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**" آل عمران 112

– تقليد الأمم الكافرة بما في ذلك من إقتباس شرائعهم وتحكيمها بدلاً عن شريعة التوراة، جاء في سفر حزقيال 11: 7– 12: " **.. قد فزعتم من السيف فالسيف أجلبه عليكم يقول السيد الرب، وأخرجكم من وسطها وأسلمكم إلى أيدي الغرباء وأجري فيكم أحكاما، بالسيف تسقطون.. فتعلمون أني أنا الرب الذي لم تسلكوا في فرائضه ولم تعملوا بأحكامه بل عملتم حسب أحكام الأمم الذين حولكم.**" .. ويدخل تقليد الكفار ما وقع في التاريخ اليهودي من اقتباس شرائع اليونان وروما، ومن عبادة أوثان الأمم المجاورة كبعل وعشتاروت..

– عدم التناصح.. قال تعالى: " **لُعِن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، لبئس ما كانوا يفعلون، ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا..**" المائدة: 78– 80، ومداهنة علمائهم لحكامهم.. وعدم التصريح بما جاء بالكتاب من أحكام خوفا من الحكام أو مداهنة لهم.. وقد وردت آيات كثيرة تلومهم على كتمانهم لأحكام الكتاب، قال تعالى: "**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أُتوا الكتاب لتُبيُنّنّه للناس ولا تكتمونه، فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا**

قليلا فبئس ما يشترون" آل عمران: 187، وقد جاء التصريح بمداهنتهم لأهل المعاصي رغم إصرار العصاة على معاصيهم كأحد أسباب لعن بني إسرائيل..

– موالاة الكفار، وطاعتهم واتباع توصياتهم وإملاءاتهم ولو كانت مخالفة للشريعة.. " **ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا**.." المائدة: 80.. وسنرى كيف تسببت موالاة الكفار على بعضهم البعض كانت من ضمن أسباب الفتنة وضياع الدين بينهم.. قال تعالى محذراً هذه الأمة: " **ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أُوتوا الكتاب يردُّوكم بعد إيمانكم كافرين**" آل عمران 100.

– الإعتداء على الأنبياء بالقذف والسب والقتل إضافة إلى العصيان والتكذيب، وسنستعرض نماذج على ذلك في قتلهم للأنبياء اشعيا وزكريا ويحي عليهم السلام إضافة إلى محاولة قتلهم لعيسى وإلياس وإرمياء وغيرهم عليهم السلام وقتلهم الصالحين من علمائهم، وقد جاء التعريض بقتلهم الأنبياء في مواضع متعددة من نسخ الكتاب المقدس، وقال تعالى بسورة النساء، آية 155– 158: " **فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا.وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً . وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله**.."

– الإفساد في الأرض وهجر الوصايا وبنود الميثاق الذي أُمروا بتطبيقه.. وكلّ ذلك تم في الواقع نتيجة تعطيلهم للشريعة.. وسنستعرض جوانب من هذا الإفساد وشواهد على حدوثه المتكرر من قبلهم فيما بعد.

وقد وقعت هذه الأمة – أمة الإسلام– بكل هذه الأخطاء بلا استثناء، إلا الإفتراء على الأنبياء (إذ لا نبي لها من بعد نبيها)، فقد استبدلته بالإفتراء على الصحابة والمصلحين، والواجب هو إصلاح هذه الآثام وتطهير الأمة منها حتى يرتفع عنها هذا البلاء الذي تعيشه..

الحدث:

– **شريعة التوراة**

: (The Law of Moses)

رغم ضياع التوراة مع السبي البابلي، ثم إعادة كتابتها ممّا حفظه الكهنة على يد عزرا ثم

تحريفها الثابت بعد ذلك، فإنّ معالم الشريعة الناصعة التي أُنزلت على موسى عليه السلام ما زالت تشع من خلال التوراة الحالية..

فأساس هذه الشريعة هو الوصايا العشر (الخروج 20: 2– 17) التي تذكر التوراة نزولها على موسى عليه السلام وهو بجبل سيناء، وهي – أي الوصايا – أساس العهد الذي أُخذ على بني إسرائيل كما واضح من المناقشة السابقة، وأول هذه الوصايا هو الأمر بتوحيد الله في الربوبية والإلوهية إيماناً وعقيدة.. " فلا يكن لك آلهة سواي"، ثمّ النهي عن عبادة الأوثان والسجود لها، ثم الأمر بتنزيه الله عن كل باطل، والنهي عن كل استخدام باطل للفظ الجلالة، ثم النهي عن العمل يوم السبت، ثم الأمر بالإحسان للوالدين، ثم النهي عن القتل، ثم النهي عن الزنا، ثم النهي عن السرقة، ثم النهي عن شهادة الزور واليمين الكاذبة، ثم آخرها النهي عن اشتهاء ما لدى الجار (والآخرين) من بيت وزوجة وعبد وأمَةٍ ودابةٍ ومال.. الخروج 20: 1–17، وكذلك التثنية 5: 6– 21.. ثم توالت الأحكام مُفصِّلة لكثير من قضايا الحقوق والأملاك والعلاقات الزوجية وأحكام الإماء والعبيد والقصاص والإعتداءات المباشرة وغير المباشرة أو غير المقصودة وأحكام السحر والأمر بالعدل ولو على المسكين أو القريب أو العظيم، والأمر بالإحسان إلى الأرامل واليتامى والغريب بل والعدو.. إضافة إلى تحريم الوشم والعرافة والفاحشة والشذوذ الجنسي وزواج المحارم (والنص بقتل مرتكبيها عامة) وتحريم الكذب والظلم والغش في المكاييل والموازين وتحريم الوشاية والسرقة والغدر والحلف الكاذب والمماطلة في دفع أجرة الأجير.. ثم تفصيل لأحكام النجاسة والطهارة والنذر وما يحل وما يحرم أكله من الحيوانات والأحكام المتعلقة بالأعياد وغيرها من القضايا.. وكان بالشريعة الموسوية على ما هو متبقٍ بالتوراة المعاصرة شدة واضحة.. فالحائض مثلاً نجسة، ولا تطهر إلا بعد اسبوع من انتهاء النزيف الشهري، ولأنّها نجسة فإنّ فراشها وكل ما تجلس عليه وكل ما تلمسه ينجس، وعلى مَن يلمسها أو يلمس شيئاً من متاعها أو يلمس شيئاً مما كان على فراشها عليه الاستحمام، ويُصبح هو نفسه نجساً إلى المساء.. وعليها وعلى مَن يلمس شيئاً نجساً، وعلى من يكتم شهادة ومن يفرط بحلف وعلى من اقترف احدى النواهي الاعتراف بالخطأ وتقديم ذبيحة نسكاً لله تعالى.

التعليق والتفصيل:

– قال تعالى: " **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين**

هادوا والربانيون والأحبارُ بما استحفظوا من كتابِ الله وكانوا عليه شهداء، فلا تخشوُا الناس واخشونِ، ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" المائدة 44.. وقال تعالى : "**قل مَن أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدىً للناس**.." الأنعام 91.. وقال تعالى :" ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب. هدىً وذكرى لأولي الألباب" غافر 53–54

أُنزلت الشريعة على موسى عليه السلام ليأمر قومه ومَن بعدهم من الأجيال: بتحكيمها والإلتزام بها على كل المستويات الفردية والجماعية.. وجاء الأنبياءُ والربانيون الصالحون والأحبارُ عبر الأجيال الطويلة من بعد موسى عليه السلام ليهتدوا وليهدوا الناس بنفس الشريعة وليحثوهم على الإحتكام إليها كما جاءت في التوراة (أو كما سمّاها الكثير منهم بكتاب موسى).. وظلت الشريعة على مدى القرون على ما جاء بالكتاب المقدس تُنسب على ألسنة الأنبياء إلى موسى عليه السلام لا يتجرأُ أحدٌ على نسخها أو الاستهانة بها.. حتى عيسى عليه السلام نفسه أعلن أنه لم يأت بنسخ التوراة.. وما تجرأ على الاستهانة بالشريعة إلا بولس كما سيأتي تفصيل ذلك بالملحق..

لقد ظل كتاب موسى عليه السلام نبراساً ونوراً وهدى ومرجعاً للأجيال المتلاحقة من بني إسرائيل عبر القرون.. لو كانوا يهتدون!

– وتعتبر الوصايا العشر (سبق إيراد مقاطع من نصوصها عند تفصيل العهد أعلاه) روح الشريعة وعمادها العظيم الذي فشل بنو إسرائيل على مرّ الزمان في الإلتزام به.. وتنص التوراة المعاصرة بأنّ "الوصايا العشر" كانت ممّا كُتب على الألواح التي أُعطيت لموسى عليه السلام وألقاها على الأرض أثناء غضبه على قومه لمّا عبدوا العجل.. وأنّ الله عزوجل قد أبدله بعدها بلوحين آخرين سليمين.. وأنّه تمّ الاحتفاظ بهما بعد ذلك بالتابوت (التثنية 10: 4– 5).. قال تعالى: " **وكتبنا له في الألواح من كلّ شيء موعظةً وتفصيلاً لكل شئ، فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها، سأوريكم دار الفاسقين**" الأعراف 145..

إنّ تطبيق وتحكيم الشريعة التي أُنزلت على موسى عليه السلام قد أصبح – كما سنرى– هو مدار الأحداث وهمّ الأنبياء والمصلحين طيلة القرون التالية من بعد موسى حتى مجئ المسيح عيسى عليه السلام وطرد بني إسرائيل من الأرض المباركة ونزع النبوة والاصطفاء

عنهم نتيجة عصيانهم وتمردهم.. نقرأ بالأناجيل الحالية أنّ عيسى عليه السلام اعتبر اتباع الوصايا أساس الفوز بالآخرة: " .. وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا». قَالَ لَهُ: «أَيَّةَ الْوَصَايَا؟» فَقَالَ يَسُوعُ: «لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ" متى 19: 17– 19

– نعلم كمسلمين أنّ الشدة التي فُرضت بالشريعة الموسوية كانت ابتلاءً من الله عزوجل لبني إسرائيل نتيجة عصيانهم المتكرر.. وإن كنا لا نجزم بشئ مما بالتوراة المعاصرة أنه هو من أصل الشريعة.. على أي حال فمجئ الإسلام بأحكامه الميسرة كان رحمة من الله عزوجلّ بهم وبكل الناس.. واليهود اليوم ليسوا على شئ، فلا شريعتهم التي بكتبهم طبقوا، وما هم بقادرين، ولو طبقوها ما أغنتهم عن اتباع الإسلام، ولا الدين الخاتم الذي ارتضاه الله لهم وللناس اتبعوا فأفلحوا ونجوا..

– وباستثناء بولس.. فلم يقل أحدٌ بنسخ شريعة التوراة غيرُ خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم.. وفي الواقع فقد تنبأت له بذلك بشاراتُ الكتاب المقدس نفسه كما فصلتُ ذلك بكتابي عن بشارات الكتاب المقدس..

عهدهم وعهدنا:

وللقارئ الكريم أن يسترجع الوصايا الربانية الموجهة لهذه الأمة بالقرآن الكريم بسور الأنعام والإسراء وغيرها، ويلاحظ اتحادها – فيما عدا حرمة السبت– مع الوصايا العشر بالتوراة، ومع تفاصيل العهد المأخوذ على بني إسرائيل، ذلك العهد الذي أشارت إلى تفاصيله أيضاً آياتٌ قرآنيةٌ سابقة ذكرتُ بعضها أعلاه عند الحديث عن عهد الله تعالى المأخوذ على بني إسرائيل، كما يلحظ القارئ الإشارة إلى الوصايا بسور الأنعام والإسراء والنحل بعهد الله وبأنّها وصايا أو أوامر، والتعقيب على ذكرها في آيات الأنعام بعلاقة القرآن الكريم بكتاب موسى عليه السلام.. **فهذا تكليف لهذه الأمّة بالقيام بهذه الوصايا من بعد فشل بني إسرائيل في القيام بها على يسرها**، خاصة وأنّ آباء العرب قبل الإسلام كانوا يتطلعون إلى هذا التكليف ويزعمون أنهم سيكونون أهدى من طائفتي اليهود والنصارى من قبلهم.. فهاهم والأمّة المسلمة معهم فعلاً قد ورثوا التكليف.. قال تعالى: "**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً، وبالوالدين إحسانا، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق، نحن نرزقكم وإياهم، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها**

وما بطن، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون. ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، حتى يبلغ أشده، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط – لا نكلف نفسا إلا وسعها – وإذا قلتم فاعدلوا، ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون. وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون. ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن، وتفصيلاً لكل شيء، وهدى ورحمة، لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون. وهذا كتاب أنزلناه مبارك، فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون. أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا، وإن كنا عن دراستهم لغافلين. أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم، فقد جاءكم بينة من ربكم، وهدى ورحمة، فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها".. وبمثل آيات الأنعام تأتي الأوامر والوصايا في كل من سورتي النحل والإسراء بنفس العناصر الأساسية مع المطالبة مرة أخرى بالوفاء بعهد الله.. قال تعالى: " **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون. وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، إن الله يعلم ما تفعلون.**" النحل 90– 91.. وقال تعالى بسورة الإسراء (23– 39): " **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه، وبالوالدين إحساناً.. وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً.. ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسوراً.. ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم، إن قتلهم كان خطأ كبيرا.. ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا.. ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق.. ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل، إنه كان منصورا. ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا. وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم. ذلك خير وأحسن تأويلا. ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد، كل أولئك كان عنه مسؤولاً. ولا تمش في الأرض مرحا. ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحورا.**" الإسراء 23– 39

يقول سيد قطب رحمه الله في تفسيره تعليقاً على قوله تعالى بسورة الأنعام: " **وبعهد الله أوفوا**": "**ومن عهد الله** قولةُ الحق والعدل ولو كان ذا قربى. ومن عهد الله توفية الكيل والميزان

بالقسط. ومن عهد الله ألا يقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن. ومن عهد الله حرمة النفس إلا بالحق.. وقبل ذلك كله.. من عهد الله ألا يشركوا به شيئاً. فهذا هو العهد الأكبر، المأخوذ على فطرة البشر، بحكم خلقتها متصلة بمبدعها، شاعرة بوجوده في النواميس التي تحكمها من داخلها كما تحكم الكون من حولها".. جاء في صحيح البخاري عن عبادة بن الصامت يقول: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس: "تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفّى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه" فبايعناه على ذلك.. وجاء في صحيح ابن حبان عن جرير بن عبد الله قال: بايعت رسول الله صلى الله عليه السلام على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم"، وفي الواقع فإن عناصر الوصايا الربانية للمسلمين واضحة ويسيرة.. وتكاد أن تكون هي نفس الوصايا التي عجز بنو إسرائيل عن النهوض بها.. وهي ما ورد بالآيات السابقة من وصايا النهي عن الشرك، والأمر بالإحسان للوالدين خاصة، وللناس عامّة من بعدهم وبالأخص لذوي القربى وابن السبيل..
والأمر بقول الحقّ حتى على القريب والفقير فالله أولى بهما، والنهي عن القتل والزنا وأكل مال اليتيم، وعن غش الموازين والمكاييل، إضافة إلى النهي عن الاختلاف وتمزيق الدين، وما ورد بآيات وأحاديث شريفة أخرى من وجوب المحافظة على أركان الدين، ولزوم جماعة المسلمين وطاعة أولي الأمر.. وعلى ذلك كانت بشكل عام البيعة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذها من الناس، وإن كانت قضايا الجهاد وعدم الفرار بها أكثر بروزا..

وهنا تتأكد للقارئ قضية وحدة دين الله وأن ماعجز اليهود عن القيام به ورثه المسلمون تكاليفاً ربانية مشابهة.. واضحة ويسيرة.. ليس بها تعقيد ولا فلسفة..! ميسرة للبليد والذكي والغني والفقير على حد سواء..! لا تحمل بذور فرقة ولا شرذمة..! بها سعادة الدنيا والآخرة لأفراد الأمة.. وصلاحها وعزتها على الأمم.

يبقى بعد هذا الإشارة إلى أنّ مجتمعاتنا الإسلامية لا تُقدم اليوم إلا مثالاً سيئاً على الإلتزام بهذه الوصايا الربانية.. لقد اصبح الغش في كل شئ، والكذب والاحتيال والرشوة، والسرقة، وأكل أموال اليتامى والأرامل والنساء وعدم توريثهنّ، والربا، إضافة إلى انتشار الحسد والبغضاء

والغيبة والنميمة، والتمزق إلى فرق ومذاهب متناحرة متباغضة.. لقد أصبحت كل هذه المخالفات وغيرها هي سمة العديد من المجتمعات الإسلامية.. حتى سمعنا وما زالنا نسمع مَن يتغنى بأمانة وأخلاق الكفار ووفائهم بالعهود واحترامهم لحقوق الناس.. يتغنّى بذلك على المسلمين.. ليطالبهم بالإقتداء بالكفار.. فإننا لله وإنا إليه راجعون كيف فرّطت أمتنا بواجباتها حتى جعلت من نفسها مثلاً للجهل والاحتيال والتمزق والاعتداء والإرهاب.. فصدت بذلك عن سبيل الله كثيرا.. وفتنت أبناءها باعدائها وأذنت لنفسها بالذل الذي نعيشه عدلا وقسطاساً من الله عزوجل.. نسأله العفو والرحمة..

– قال تعالى في أمرهم بأخذ الكتاب بقوة: "**وكتبنا له في الألواح من كلّ شيء موعظةً وتفصيلاً لكل شئ، فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها، سأوريكم دار الفاسقين**" الأعراف 145.. وقال تعالى في مطالبة قوم موسى بأخذ الكتاب بجدّ وقوة: " **وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون**" الأعراف 171

الحدث:

– **مطالبة بني إسرائيل بأخذ الكتاب بقوة:**

جاء في كتاب النبي يوشع (1: 7–8) ضمن تكليفه بالرسالة من بعد موسى عليهما السلام: ".. إِنَّمَا كُنْ مُتَشَدِّداً، وَتَشَجَّعْ جِدّاً لِتَتَحَفَّظَ لِلْعَمَلِ حَسَبَ كُلِّ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَمَرَكَ بِهَا مُوسَى عَبْدِي. لاَ تَمِلْ عَنْهَا يَمِيناً وَلاَ شِمَالاً لِتُفْلِحَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ. لاَ يَبْرَحْ سِفْرُ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ مِنْ فَمِكَ، بَلْ تَلْهَجُ فِيهِ نَهَاراً وَلَيْلاً, لِتَتَحَفَّظَ لِلْعَمَلِ حَسَبَ كُلِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهِ.."

هذا وقد تكرر في مواضع كثيرة من التوراة مطالبة بني إسرائيل بالتمسك بالكتاب والشريعة والحرص عليها والتعلق بها طول الوقت وتعليمها للأبناء والبنات.. وأخذ الكتاب بقوة وبدون تهاون.. وبدون التفات عنها يمنة أو ميسرة.. جاء في التثنية 5: 32–33: "فَاحْتَرِزُوا لِتَعْمَلُوا كَمَا أَمَرَكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ. لا تَزِيغُوا يَمِيناً وَلا يَسَاراً. فِي جَمِيعِ الطَّرِيقِ التِي أَوْصَاكُمْ بِهَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ تَسْلُكُونَ لِتَحْيُوا وَيَكُونَ لكُمْ خَيْرٌ وَتُطِيلُوا الأَيَّامَ فِي الأَرْضِ التِي تَمْتَلِكُونَهَا».. وفي التثنية 6: 3–17 : " فَاسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ وَاحْتَرِزْ.. فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ. وَلتَكُنْ هَذِهِ الكَلِمَاتُ التِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا اليَوْمَ عَلى قَلبِكَ وَقُصَّهَا عَلى أَوْلادِكَ وَتَكَلمْ بِهَا

حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ وَحِينَ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ وَحِينَ تَنَامُ وَحِينَ تَقُومُ وَارْبُطْهَا عَلامَةً عَلى يَدِكَ وَلْتَكُنْ عَصَائِبَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ وَاكْتُبْهَا عَلى قَوَائِمِ أَبْوَابِ بَيْتِكَ وَعَلى أَبْوَابِكَ.. فَاحْتَرِزْ لِئَلا تنسى الرب الذِي أَخرجك من أَرض مصر من بيت العبودية. الرَّبَّ إِلهك تتقي وإيَّاه تعبد وباسمه تحلف. لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلِهة الأمم التي حولكم لأَنَّ الرب إِلهَكم إِله غيورٌ فِي وسطِكم لئلا يحمى غضبُ الرَّبِّ إِلهِكُمْ عليكم فيبيدكم عن وجه الأَرضِ. لا تُجَرِّبوا الرَّبَّ إِلهَكُمْ كَمَا جَرَّبْتُمُوهُ فِي مَسَّةَ. احْفَظُوا وَصَايَا الربِّ إلهكم وشهاداته وفرائِضه التي أَوصاكم بِهَا.." ومسّه هي اسم الموضع الذي تذمر فيه بنو إسرائيل على موسى وكادوا أن يرجموه لقلة الماء لديهم، وعندها أُمر بضرب الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا.. وفي التثنية 7: 10- 11: "وَالمُجَازِي الذِينَ يُبْغِضُونَهُ بِوُجُوهِهِمْ لِيُهْلِكَهُمْ. لا يُمْهِلُ مَنْ يُبْغِضُهُ. بِوَجْهِهِ يُجَازِيهِ. فَاحْفَظِ (أي يا شعب إسرائيل) الوَصَايَا وَالفَرَائِضَ وَالأَحْكَامَ التِي أَنَا أُوصِيكَ اليَوْمَ لِتَعْمَلهَا." .. وفي 8: 11، 19- 20 " اِحترز من أَن تَنسى الرب إِلهك وَلا تحفظ وصاياه وأَحكامه وفرائضه التِي أَنَا أُوصِيك بها اليوم.. وَإن نسيت الرب إلهك وذهبت وراء آلهةٍ أُخرى وعبدْتها وسجدت لها أشهِدُ عليكمُ اليوم أَنَّكم تبيدون لا محالةَ. كَالشُّعوب الذِين يبيدهم الرَّبُّ مِنْ أَمَامِكُمْ كذلك تبيدون لأجل أَنَّكم لمْ تَسمعوا لقول الرب إلهكم."

التعليق والتفصيل:

وبمثل هذه القوة والحزم أمر يحيى عليه السلام، قال تعالى: " **يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا**" مريم 12.. كتب سيد في الظلال في تفسير آية الأعراف السابقة : " إنه ميثاق لا ينسى.. فقد أخذ في ظرف لاينسى! أُخذ وقد نتق الله الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم! ولقد كانوا متقاعسين يومها عن إعطاء الميثاق; فأعطوه في ظل خارقة هائلة كانت جديرة بأن تعصمهم بعد ذلك من الانتكاس. ولقد أمروا في ظل تلك الخارقة القوية أن يأخذوا ميثاقهم بقوة وجدية وأن يستمسكوا به في شدة وصرامة وألا يتخاذلوا ولا يتهاونوا ولا يتراجعوا في ميثاقهم الوثيق. وأن يظلوا ذاكرين لما فيه لعل قلوبهم تخشع وتتقي. وتظل موصولة بالله لا تنساه ! ولكن إسرائيل هي إسرائيل! نقضت الميثاق ونسيت الله ولجت في المعصية حتى استحقت غضب الله ولعنته. وحق عليها القول، بعدما اختارها الله على العالمين في زمانها وأفاء عليها من عطاياه. فلم تشكر النعمة ولم ترع العهد ولم تذكر الميثاق وما ربك بظلام للعبيد".

" فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى، ويقولون: سيغفر لنا. وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق؟ ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون . أفلا تعقلون. والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة، إنا لا نضيع أجر المصلحين. " كتب سيد قطب رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية الكريمة " ألم يؤخذ عليهم – أي على بني إسرائيل– ميثاق الله في الكتاب ألا يتأولوا ولا يحتالوا على النصوص , وألا يخبروا عن الله إلا بالحق . . فما بالهم يقولون: (سيغفر لنا) ويتهافتون على أعراض الحياة الدنيا؟ ويبررون لأنفسهم هذا بالتقول على الله وتأكيد غفرانه لهم وهم يعلمون أن الله إنما يغفر لمن يتوبون حقاً ; ويقلعون عن المعصية فعلاً; وليس هذا حالهم , فهم يعودون كلما رأوا عرضاً من أعراض الحياة الدنيا ! وهم درسوا هذا الكتاب وعرفوا ما فيه ! بلى ! ولكن الدراسة لا تجدي مالم تخالط القلوب. وكم من دارسين للدين وقلوبهم عنه بعيد. إنما يدرسونه ليتأولوا ويحتالوا, ويحرفوا الكلم عن مواضعه ويجدوا المخارج للفتاوى المغرضة التي تنيلهم عرض الحياة الدنيا. . وهل آفة الدين إلا الذين يدرسونه دراسة; ولا يأخذونه عقيدة يتقون الله ويرهبونه! (والدار الآخرة خير للذين يتقون . أفلا تعقلون؟). نعم ! إنها الدار الآخرة ! إن وزنها في قلوب الذين يتقون هو وحده الذي يرجح الكفة , وهو وحده الذي يعصم من فتنة العرض الأدنى القريب في هذه الدنيا.. إن الصيغة اللفظية:(يمسكون).. تصور مدلولاً يكاد يحس ويرى.. إنها صورة القبض على الكتاب بقوة وجد وصرامة.. الصورة التي يحب الله أن يؤخذ بها كتابه وما فيه.. في غير تعنت ولا تنطع ولا تزمت.. فالجد والقوة والصرامة شيء والتعنت والتنطع والتزمت شيء آخر . . إن الجد والقوة والصرامة لا تنافي اليسر ولكنها تنافي التميع! ولا تنافي سعة الأفق ولكنها تنافي الاستهتار ! ولا تنافي مراعاة الواقع ولكنها تنافي أن يكون "الواقع" هو الحكم في شريعة الله ! فهو الذي يجب أن يظل محكوماً بشريعة الله ! والتمسك بالكتاب في جد وقوة وصرامة ; وإقامة الصلاة – أي شعائر العبادة – هما طرفا المنهج الرباني لصلاح الحياة.."

أين الذين يُمسِّكون بالكتاب في أمتنا اليوم! أين الآخذين الكتاب بقوة.. لقد قلّ عددهم.. وخَفُتَ صوتهم.. وهان شأنهم.. واحتُقر في الأمة همُّهم، وجُرِّم صنيعهم.. أين هم! فإننا في كثير من مجتمعاتنا الإسلامية لا نكاد نراهم.. إنّا لله وإنّا إليه راجعون! أين جماهير الأمة عجزت وقد أُعطيت في زمان "الديموقراطيات" هذا آذاناً سامعة، ثم هي لا تجأر تطالب بالتمسك بكتاب ربها وتحكيم شريعة دينها.. ثمّ تراها بعد ذلك ترجوا فلاحاً ونصراً على الأعداء.. فأنّى لها ذلك!

الحدث:

- التيه في سيناء لأربعين عاما، بعد رفض بني إسرائيل دخول فلسطين إلا رجلين (لم يرفضا) هما يوشع بن نون عليه السلام وكالب بن يفنه.

يلاحظ أن القوم أرادوا رجم الرجلين المؤمنين الذين طالباهم بالاستجابة لأمر الجهاد مع موسى وهارون عليهما السلام، ولولا برهان من الله لقتلهم القوم (العدد 14: 10).. ولمّا جاءهم التهديد الرباني بالإبادة الذي خُفف بشفاعة موسى عليه السلام إلى تحريم الأرض المباركة على ذلك الجيل (العدد 14)..

حاول بني إسرائيل بعد ذلك – كما تروي التوراة المعاصرة– التكفير عن معصيتهم لنداء موسى عليه السلام لهم بالجهاد، ببدء الجهاد من ذات أنفسهم.. فحذرهم موسى عليه السلام بأنّهم سيُهزمون لأنّ الله عزوجلّ ليس معهم.. فأصرّوا على المضي للجهاد، قائلين: " ها نحن قد أخطأنا، فلنمضِ إلى المكان الذي وعدنا به الربّ"".. فعصوا موسى وصعدوا إلى الجبل مقاتلين، فهُزموا شرّ هزيمة..

التعليق والتفصيل:

- كان الجيل الأول أسوأ أجيالهم! (عكس المسلمين) ومع ذلك لم تتعظ الأجيال الأخرى من بعده.. وهذه النظرة هي التي صرح بها انجيل برنابا، وهي متفقة مع ما يُفهم من عقاب الله لجيلهم الأول ومن مسارعة هذا الجيل الذي رأى الآيات التسع التي أيد الله بها موسى، ورأى إنفلاق البحر وإنقاذ الله له، ومع ذلك يسارع على الدوام إلى إيذاء موسى، ومعصيته، وعبادة أوثان الأمم الأخرى والمطالبة بمثلها ".. إجعل لنا إلها كما لهم آلهة" الأعراف آية 138، ومثل هذه المسارعة إلى الأوثان هي ما أكدتها التوراة، فسارع هذا الجيل الى عبادة العجل، ورفض الجهاد فخاف من دخول أريحا (إذ كانوا قد قدموا على فلسطين من شرقها)، رغم الوعد الإلهي بالنصر ودخولها بسهولة تامّة (وهو تماماً ما تمّ فعلا فيما بعد على يد الجيل الثاني)، " قالوا ياموسى إنّا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون" المائدة 24، واشترط هذا الجيل الأول رؤية الله، وقام بتحريف الكلم عن مواضعه.. وهو مع ذلك هو الجيل الذي رأى الآيات، والذي يعلم يقينا أن موسى هو رسول الله: "..ياقوم لِمَ تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم.." الصف آية: 5.. حتى بلغ الأمر بموسى عليه السلام أن يبرأ إلى الله

عزوجلّ قائلا : "قال ربّ إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين" المائدة: 25..

فاستحق هذا الجيل عقاب الله له بتحريم الأرض المباركة عليه كما قال تعالى (فإنّها محرمةٌ عليهم) وتشريده أربعين عاما حتى يفنى كله، ثم يدخل الأرض المباركة أبناؤه.. قال تعالى : " قال فإنّها محرمةٌ عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأسَ على القوم الفاسقين" المائدة: 26.

جاء في التثنية 34_ 38 " وسمع الربّ تذمركم فسخط عليكم وأقسم قائلا: لن يرى إنسان من هذا الجيل الشرير الأرض الجيدة التي أقسمت أن أهبها لآبائكم إلا كالب بن يفنة.." وذكر كذلك يشوع بن نون فسيدخلها كذلك..

.. إنّ الجيل الأول من بني إسرائيل، الجيل الذي تعرض لاضطهاد فرعون وملئه، ثم رحمه الله تعالى فاصطفاه وأنقذه من فرعون، وأراه الآيات البينات.. إنّ هذا الجيل المُصطفى قد حُرِم من النصر ووراثة الأرض المباركة التي كان قد وُعد بها، ثمّ شُرّد بالبراري.. حتى الفناء.. آية من الله عزوجل لكل المؤمنين أنَّ إتكالهم على الاصطفاء لا يكفيهم ولا يمنعهم غضبَ الله تعالى ونقمته إن عصوا وخالفوا.. ولولا رحمة الله عزّ وجل وحكمته واستجابته لتشفع موسى عليه السلام (العدد 13–21) ولولا أنّ مِن ذلك الجيل مَن يبدو أنه قد تاب، وأنّ الجيل التالي جاء أصلح لكانت فيما يبدو – والله أعلم– تلك هي نهاية الاصطفاء لبني إسرائيل..

يلاحظ أنّ محاولة هذا الجيل تدارك الأمور والمضي للقتال من ذات نفسه رُفضت من قبل الله تعالى.. وتسببت في هلاك المقاتلين العصاة.. وإنّ هذا ليُذكِّرنا تماماً بالمتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.. إذ لم يُؤذن لهم – بعد تخلفهم ورضاهم بالقعود أول مرة– بالجهاد مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك أبدا ..

جاء في كتاب نحميا (9: 16 – 19) ما قد يُفهم منه أنّ رحمةً من الله لم تنقطع عن ذلك الجيل الذي شُرِّد بالصحراء حتى الفناء: " .. ولكِنهُم بَغُوا هُم وَآبَاؤُنَا وصلبُوا رِقَابَهُم وَلَمْ يَسمَعُوا لوصاياكَ. وَأَبُوا الإِسْتِمَاعَ وَلَمْ يَذكُرُوا عَجائِبَكَ التِي صَنَعتَ مَعَهُم وَصَلَّبُوا رِقَابَهُم. وَعِندَ تَمَرُّدِهِم أَقَامُوا رئيساً لِيَرجِعُوا إِلَى عُبُوديَّتهم. وَأَنتَ إِلَهٌ غَفُورٌ وحنانٌ ورحيمٌ طويلُ الرُّوحِ وَكثير الرحمة فَلَم تتركهُم. مع أَنَّهُم عَمِلُوا لأَنفُسهم عِجلاً مَسبُوكاً وقالوا: هذا إِلَهُكَ الَّذِي أَخرجَكَ من مصر وعملُوا

إهانةً عظيمةً. أَنتَ برحمَتِكَ الكَثِيرَةِ لَمْ تَتْرُكْهُمْ فِي البَرِّيَّة ولم يزُل عنهُم عمودُ السَّحابِ نَهَاراً لِهِدَايتهم فِي الطَّرِيقِ وَلاَ عمودُ النَّار ليلاً لِيُضيء لهُم في الطَّرِيق التي يسيرُون فيها.."

لقد تكررت بعد ذلك بالتاريخ الإسرائيلي ظاهرة التمرد والعصيان والعمى والصمم ثم التوبة والإنابة.. حتى قست قلوبهم، وانتزع منهم الاصطفاء ليدخلوا فيه من جديد إن أرادوا العودة إلى الله من خلال اتباع المصطفى خاتم الأنبياء..

– هذا وقد هُدّد الجيل الأول من هذه الأمة كذلك (ومن يليه) بالاستبدال إذا لم يستجيبوا لنداء الخروج للجهاد، قال تعالى مخاطباً الجيل الأول بعد أن اكتمل بناء صفه: " إلا تنفروا يُعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير" التوبة 39.. وكذلك جاء أمر الجيل الأول من قوم موسى بالجهاد متأخراً بعد اكتمال إعداده، فلما عصوا استبدلهم الله تعالى بأبنائهم.. الذين استجابوا لنداء يوشع (أو يشوع) بالجهاد، وقالوا له: " كل ما أمرتنا به ننفذه، وحيثما تُرسلنا نذهب" يشوع 1: 16..

– هذا وقد وردت الإشارة إلى الرجلين الذين أطاعا أمر الجهاد ودخول الأرض المقدسة (مبتدئين بأريحا) بالقرآن الكريم " .. قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب، فإذا دخلتموه فإنكم غالبون.." المائدة: 23.

الحدث:

– وفاة موسى عليه السلام خلال فترة عقوبة الأربعين عاما عن عمر مائة وعشرين عاما على ما ذكر في سفر التثنية بالتوراة.. بعد أن بُشِّر بدخول قومه مستقبلا إلى الأرض المباركة.. واستخلافه ليشوع (أو يوشع) بن نون من بعده..

– دخول الأرض المباركة (أرض كنعان) بقيادة يوشع بن نون عليه السلام.. وكان ذلك بعد العبور (تجاوز البحر) مع موسى بإحدى وأربعين عاما كما قررته مخطوطات البحر الميت (4Q379, fragment 12).. أي في حوالي عام 1209 ق م.

التعليق والتفصيل:

.. كانت أول مدينة دخلها بنو إسرائيل بقيادة يوشع عليه السلام هي مدينة أريحا.. إذ دخلوا فلسطين من ناحية الشرق بعد ان قطعوا جنوب فلسطين إلى شرق نهر الأردن، ثمّ عبروا نهر الأردن بقيادة يوشع عليه السلام إلى أريحا (يُرجى هنا مراجعة خريطة 2).. ولعل من المهم

الإشارة الى ما توصل إليه المؤرخ الميداني رون ويات Ron Wyatt (انظر موقعه بالانترنت www.wyattmuseum.com) من عبور موسى عليه السلام بقومه تم من خلال خليج العقبة لا السويس، وبالذات من المنطقة المقابلة لنويبع، وقد أيد استنتاجه هذا بمجموعة من الشواهد منها ضحالة أرض البحر الممتدة بين الشاطئين المقابل لنويبع، ومنها اكتشاف عظام بشرية وعربات فرعونية متحجرة بالمنطقة.. وتقدم نظريتة هذه لممر عبور بني إسرائيل – إن صحت– تفسيراً بديلا لدخول بني إسرائيل فلسطين أول مادخلوا من مشرقها.. هذا وقد سقطت أبواب أريحا وأسوارها على هتاف الإسرائيليين عند قدومهم.. مصداقاً لنبوة الرجلين الذين يخافا الله تعالى أيام موسى عليه السلام حين نصحا معشر بني اسرائيل بطاعة موسى ودخول الأرض المقدسة.. " ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون".. دخلوها بسهولة تامّة، ولكنّهم – على ما هو مذكور بالتوراة الحالية– استباحوها: *" ودمروا المدينة وقضوا بحد السيف على كل من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ حتى البقر والغنم والحمير"* يشوع 6: 21... ولم يُستثنَ من سكان المدينة إلا زانية تعاونت قبل غزو المدينة مع الإسرائيليين ضد قومها..

– كما سبق فإنّ بني إسرائيل لم يُعطوا ميراث الأرض المباركة حين أُعطوه في بداية عصرهم هذا إلا لفساد وكفر الأمم من حولهم.. وقد وُصفت أرض فلسطين المباركة هذه بالتوراة ومخطوطات البحر الميت (4Q378) بأنها أرض الخيرات والينابيع وأرض التين والزيتون والحنطة.. وبمثل ذلك كما نعلم أُشير إليها بالقرآن الكريم..

الحدث:

– حروب الإبادة التي أفسحت لهم الأرض المباركة على ما يرويه الكتاب المقدس..

التعليق والتفصيل:

.. وقد روي بالعهد القديم المعاصر نماذج عديدة للإبادة الجماعية لسكان مدن وقرى أخرى كثيرة، ففي طريق بني اسرائيل مع موسى عليه السلام (على ما يروون) نحو الأرض المقدسة يروي اصحاح العدد أنّ بني إسرائيل حرّموا مدن الكنعانيين بالنقب (بمعنى أبادوا جميع السكان بما فيهم الأطفال والنساء) (سفر العدد21: 1– 3)، وكذلك حرّموا مدن الأموريين، ومدن باشان "حتى لم يبق منهم حي" (العدد 21: 21– 35)، وحرموا أيضاً مدن المديانيين التي أبادوها تماما، وقتلوا حتى نساءها وأطفالها الذكور، ولم يستحيوا منها إلا العذارى اللواتي تقاسمهن الجيش (العدد20: 9– 20).. وفصّل سفر القضاة في إبادة بعض هذه المدن.. فنسبوا إلى يشوع النبي أنّه أفنى بحدّ السيف جميع سكان مدينة عاي رجالاً ونساء (وكانوا اثناعشر ألفاً) وأحرق مدينة عاي نفسها وحولها إلى تل خراب (يشوع 8: 22– 28)، وأباد مقيدة " وقتل بالسيف ملكها وكل نفس فيها، لم يفلت منها ناج" (يشوع 8: 28)، وصنع مثل ذلك تماماً بمدن لبنة ولخيش وعجلون ودبير.. ليجيء التعليق على ما صنعه بعد قتل كلّ أهل مدينةٍ من هذه المدن بعبارة " وقتل كل نفس فيها بحدّ السيف، وأحرقوها بالنار، فلم يفلت منها ناج" .. وهاجم " أرض الجبل والمناطق السهلية والسفح.. ودمّرها ولم يفلت منها ناجٍ، بل قضى على كل حيٍّ كما أمر الربّ إله إسرائيل" (يشوع 29– 41).. واستولى على حاصور " وقضوا فيها على كل نسمة بحدِّ السيف، فلم يبقَ فيها حيّ" .. واستولى سبطُ دان على مدينة لَشَم وقضوا عليها بحدّ السيف.. وقتل سبط يهوذا أهل أورشليم(؟) وصفاة بحد السيف وأحرقوها بالنار (القضاة 1: 8)..

والسؤال هو هل وقع فعلاً ذلك القتل الهائل وإبادة المدن الكثيرة بهذا الشكلّ ؟ وقتل كل من بها من أطفال ونساء ورجال بل وحيوانات, ذلك القتل الذي يذكره الكتاب المقدس الحالي (سفر يشوع)؟

لا نجزم بشيء هاهنا خاصة أنّ التوراة تذكر هذه المجازر كعقوبات إلهية فرضت على هذه

الأقوام نتيجة كفرها..

لكنّ القضية هي أنّ يهود هذا العصر العلمانيين، الذين هم على موازين التوراة التي يدّعون الإيمان بها هم على موازينها أكفر وأخبث من آبائهم الذين طُردوا من فلسطين على أيدي البابليين والرومان، لكنّ القضية هي أنّ هؤلاء المعاصرين من اليهود قد تبنوا أساليب المجازر والقتل الجماعي كوسيلة لإفراغ فلسطين من سكانها المسلمين .. ولولا خشية الفضيحة الدولية لما تأخروا عن توسيع مجازرهم الى مثل تلك التي ينسبونها لأنبيائهم.. ومع أنّنا نتشكك كثيراً في صحة ما يُنسب إلى أنبياء الله من مجازر جماعية، إلا أنّه لو وقع منهم – وما نحسب– في حق الأمم الكافرة شيءٌ من ذلك فقد كان ذلك بوحي من السماء، أمّا هؤلاء المرتدون من اليهود اليوم فهم أبعد ما يكونون عن الله عزوجلّ، وأعمالهم هي الإجرام بعينه الذي سيلقون يوماً جزاءه..

والعَجَب كل العجب أن يأتي كفار اليهود والنصارى هذه الأيام ليتحدثوا عن إرهاب الإسلام والمسلمين، ويتجرؤون على كتاب الله تعالى فيستشهدون بالآيات التي تأمر بقتال المشركين! فكيف يُغمضون أعينهم عن الآيات والأحاديث التي تأمر بالقسط مع الناس بما فيهم غير المسلمين، وعدم مجادلتهم إلا بالحسنى، وكيف ينسون أنّ آيات القتال التي يستشهدون بها هي الأوامر بالقتال في ساحات المعارك للدفاع عن الإسلام، وفسح الباب لإنتشاره، بدون إكراه أحد عليه، وأن ليس بالقرآن والإسلام دِيناً وقربةً إلى الله عزوجل أعظم بعد التوحيد من حفظ الأنفس والأموال وحقوق البشر، وضمان ذلك للناس جميعاً بما فيهم غير المسلمين، حتى أنّ رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم أعلن أنه خصمُ من آذى أحداً من أهل الكتاب.. بينما جعل اليهود والنصارى الإعتداء على كل ذلك قربةً وعبادةً بما سطروه بالتوراة كما رأينا، وبما قاموا به وطبقوه على مرّ الزمن.. وكيف ينسون أن ليس في التاريخ أحدٌ احترم حقوق الناس في المحافظة على حياتهم، وحرية عقائدهم غير المسلمين.. ويكفي بقاءُ الأقليات غير المسلمة قائمةً بين المسلمين عبر كل هذه القرون، وفناء أقليات المسلمين بين غيرهم، وعلى أهل الكتاب المعاصرين أن ينظروا في هذه المجازر التي جعلوها بالتوراة قُرُباً إلى الله عزوجل وعبادة.. فعلى ذلك ساروا – يهوداً ونصارى– بكل الأزمان يغدرون ويقتلون، ولا يرعون إلاً ولا ذمّة إن تمكنوا من مخالفيهم خاصة لو لمسلمين، ولا تنتهي الشواهد على ذلك من الماضي والحاضر..

فهم يربُّون الناس – دائماً أينما تواجدت دعوتهم– على الحقد على المسلمين، ويستعينون على ذلك بالكذب والإفتراء الذي لا يقف عند حدّ.. ومن ذا الذي يستطيع أن يتخيل جرائمهم بأوروبا نفسها (عبر التاريخ) وبالقدس والحروب الصليبية وبالأندلس (أباد الصليبيون الإسبان أنفُسُهم كذلك مائتي مليون هندي أحمر بالأمريكيتين كما أحصى ذلك أحد القساوسة الأسبان الذين شهدوا تلك الأحداث، هذا غير حروب الأبادة التي تلت على أيدي المهاجرين المتأخرين)، وبالفليبين، وبلغاريا، وبجمهوريات آسيا على أيدي القياصرة، ثمّ البلاشفة الروس حين قتلوا ستة وعشرين مليوناً من المسلمين، وبالجزائر حين قتل الفرنسيون على مدى سنيّ استعمارهم لها ثمانية ملايين من سكانها، وبالبوسنة والهرسك حين ذبح الصربُ ثلاثمائة ألف من مواطنيها العُزّل، ورواندا حين شاركوا مباشرة في مجازرها التي حصدت مئات الآلاف في الستينات ثم في التسعينات من القرن الماضي، وفي مناطق أخرى كثيرة لعل أرمينيا وبورما واوغندا واثيوبيا من شواهدها الأخرى الحديثة مؤخرا.. لقد أبادوا العشرات والعشرات من الملايين قتلاً وذبحاً متعمداً، ذبحوهم بأطفالهم ونسائهم وضعفائهم.. وعلى الذين لا يكادون أن يصدّقوا ذلك أن يسترجعوا بأذهانهم ما رأوه من صور جثث المسلمين رجالا ونساء وأطفالاً مُلقاة في شوارع صبرا وشاتيلا، ومن قبلها في قرى بورما ونيجيريا وأوغندا وزنجبار والهند، وبداخل منازل البوسنة والهرسك وشوارعها حين فُتك بثلاثمائة ألف من الأبرياء المسلمين المسالمين.. ولم تقف معاناة المسلمين بالماضي والحاضر فيما تلقوه من حَمَلة الصليب، بل تجرأت عليهم في أزمان ضعفهم بقيةُ أمم الأرض.. فمجازر التتار والهندوس وأهل الصين والشيوعيين الملاحدة لا تُنسى لا بالماضي البعيد والقريب ولا بالحاضر.. ولو ذهبنا نُعدِّد هذه المآسي الفظيعة والجرائم الخيالية التي ارتكبت في حقّ المسلمين لاحتجنا إلى مجلدات طويلة.. قال تعالى " **كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة..**" " **لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمّة وأُولئك هم المعتدون**" التوبة 8 و 10.. وانضم اليوم إلى ركب المعتدين أولئك الذين كُتبت عليهم الذلة من بني إسرائيل فاستأسدوا على المسلمين واستحلّوا قتلهم واضطهادهم كلّ يوم منذ ما يزيد على نصف قرن.. إنّ في كل ذلك لشاهد على إجرام أكثر غير المسلمين، وعلى أنّ للجهاد دوراً لا يمكن إنكاره في حماية المستضعفين بالأرض من تلك الذئاب المتنكرة بمسوح الرحمة والإنسانية.. إنّ قتلة الشعوب اللذين أبادوا مئات الالاف من مسلمي الشيشان ومن مسلمي البوسنة والهرسك وكشمير

وفلسطين وغيرها، وأصروا على حكم بل واستعباد شعوب مسلمة لا تمت لهم بدين ولا بلغة، وأولئك المتأمرين على خيرات الأمم واستقلالها وحقوقها يتربعون اليومَ على منصاتِ الأمم المتحدة يزعمون أنهم رسل الرحمة والسلام.. وأنّ مهمتهم اسئصال المجرمين الإرهابيين من المسلمين.. وتناسوا أنّ هؤلاء الشباب في حقيقتهم ما خرجوا من ديارهم حين خرجوا لأولّ مرة إلا لإنقاذ الثكالى والأطفال بافغانستان والبوسنة والشيشان.. وأنّ الأعمال الإرهابية – التي وقعت– ما وقعت إلا من فئة محدودة منهم، أخطأت الصواب وتجاوزت في ردود فعلها عدل الإسلام وسماحته، وأنّ هذه الفئة لا تمثل إلا ردود فعلِ خرقاء للفظائع التي رأتها تقع على إخوانهم المسلمين.. وقد وجدت هذه الفئة مع ذلك تيسيراً من الذئاب المتربصة ليأخذوا الأمّة كاملةً بهذه الأعمال.. مع أنّ الأمة كلها تقريباً لا تُقرّ بها، ولا تدافع عمّن قام بها.. فبأي حقّ يُتهم الإسلام في مبادئه! وليس في الوجود إذا ألغينا إدعاءات الكاذبين لأنفسهم أسمح من مبادئه! كيف وأمته هي ضحية الإرهاب الدولي..! أفلا يستطيعون – أم هم لا يريدون– أن يُفكروا كيف يستحلون لأنفسهم ذبح المسلمين ويستكثرون أيّ ردّ فعل من المسلمين! وكيف يغمضون أعينهم عن ظُلم المسلمين واحتلال أراضيهم.. ولا يرون للمسلمين الحقَّ في الحرية ورفع الإضطهاد عن أنفسهم..

أمثلة أخرى على رخص دماء غير اليهود..

قصة شمشون..

.. ثلاثون نفساً فلسطينية تُقتل للحصول على ثلاثين قميصاً كانت تلبسها، وذلك حتى تُعطى كمكافأة على حلّ لغز قيل لتسلية الضيوف..

التفصيل:

ولد شمشون مُبَشراً به لأب صالح ضمن فترة عصر القضاة 1180 – 1020 ق م (سفر القضاة 14 و15 و 16) ، ولما كبر صار قاضيا لبني إسرائيل عشرين عاما، وتزوج من امرأة فلسطينية، وفي عرسه قدم لضيوفه الفلسطينيين لغزا " من الآكل خرج أُكُل، ومن القوي خرجت حلاوة" واتفق على أن يعطيهم أو يعطونه ثلاثين قميصا إذا نجحوا أو إذا فشلوا في حلّ اللغز.. واللغز يشير إلى حادثة له لا يعلمها أحد حين قتل مرة أسدا فمرّ على جثته بعد فترة فوجد النحل يتكاثر ببطنه، فأخذ لنفسه من العسل الذي تجمع ببطن الأسد.. ويعرف الفلسطينيين الحلّ من خلال ابنتهم التي زوجوها لشمشون.. وهنا يفي شمشون بوعده! فنزل إلى مدينة أشقلون فقتل ثلاثين من رجالها، وأخذ ثيابهم وأعطاها لضيوفه الذين عرفوا حلّ لغزه!.. فما أرخص دماء الفلسطينيين هاهنا على ما كتبوا! والله أعلم..

مهر داود عليه السلام على زعمهم: مائتي غلفة..!

وجاء في سفر صموئيل 1: 18: 25– 27 أنّ مهر ميكال بنت شاول عندما خطبها داود عليه السلام كان " مئة غلفة من غلف الفلسطينيين" وأن داود " انطلق مع رجاله وقتل مئتي رجل من الفلسطينيين وأتى بغلفهم وقدّمها كاملة لتكون مهرا لمصاهرة الملك" شاول..

غدر بأهل مدينة بسطاء..

التفصيل:

وجاء في سفر التكوين قصة غدر أبناء يعقوب عليه السلام (على ما تعنيه القصة التي لا نجزم ببطلانها ولا بصحتها) بأبناء مدينة سمح لهم أهلها بالسكن إلى جنبهم ورحبوا بمعاشرتهم ومصاهرتهم، إلا أنّ ابن رئيس المدينة أراد الزواج بابنة ليعقوب كان قد اعتدى عليها عندما رأها بالمدينة، فقام ذكور المدينة الفلسطينية كلهم! بالإختتان تلبية لشرط زواج ابن رئيسهم بابنة يعقوب، فهجم عليهم أبناء

يعقوب وهم في جراحهم من الختان، فقتلوهم جميعا وسبوا نساءهم وكل أموالهم.. هذا ما كتبوه بالتوراة وهو قصص لا نعلم صحته ولا دقة نقله.. وعلى أي حال ففي جميع الأحوال فهذا ما يتعلمونه ويُعلمونه لأبنائهم.. وما كتبوه في التلمود الذي يُقدّمونه على التوراة لهو أشدّ وأصرح في دعوتهم للإعتداء على غير اليهود واستحلال أموالهم وحقوقهم .. وسنستعرض شواهد على ذلك فيما بعد عند الحديث عن التلمود.. ويبقى أنّ الذين انتهكوا حرمة القرآن الكريم وتجرأوا باتهامه بالتحريض على ما يسمونه إرهابا نسوا ما سطروه بكتابهم المقدس، وما سقنا هاهنا إلا القليل.. وهي على أي حال كتابات تترك بلا شك آثارها على العقلية اليهودية المعاصرة.. هذه العقلية التي هي علمانية كافرة هذا الزمان، والتي هي أبعد ما تكون عن آثار الأنبياء والصالحين من بني إسرائيل إلا مما نسبته إليهم من سفك دماء واعتداء على حقوق الآخرين!.. وإن هذا لمما يُفسِّر استرخاص إسرائيل لدماء الفلسطينيين هذا الزمان.. ولكنّ الأدوار قد تغيرت فالفلسطينيون هم المؤمنون، وورثة الأرض بموجب نصوص الكتاب المقدس والقرآن، واليهود وهم يكفرون اليوم بالله ورسله، هم الكفرة بموجب نصوص الكتاب المقدس والقرآن.. ولا يُقبل ممّن ادعى منهم الإيمان إلا أن يَدخل في الرسالة الخاتمة..

تعليق على استباحة الدماء المشار إليها أعلاه:

حرمة الغريب كحرمة الاسرائيلي.. ولكنهم يفترون على الله الكذب..

رغم أن أهل التوراة أُمروا برعاية العهود مع غيرهم، واحترام حقوق غير اليهود إلا أنّهم لم يلتزموا بذلك، جاء بالتوراة بعد الأمر بالقصاص في القتل ووقوع الضرر كسر بكسر وعين بعين وسن بسن، وبعد الأمر بتعويض البهائم المقتولة والأضرار الموقوعه، ختم ذلك بعبارة (اللاويون 24: 22): "**حكم واحد يُطبق عليكم، الغريب كالإسرائيلي، إني أنا الربّ إلهكم**" ولهذا أنكر عليهم القرآن الكريم قولهم أن " **ليس علينا في الأميين سبيل**" بقوله تعالى " **ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون**" آل عمران 75، رغم هذا فقد استحل بنو إسرائيل على مرّ الزمان لأنفسهم أكل أموال الآخرين والإعتداء عليها.. وسطّروا ذلك كما سنناقش فيما بعد في تلمودهم الذي قدسوه وقدموه على التوراة.. ولا نحتاج لإثبات ذلك أن نستشهد بصنيع اليهود المعاصرين، فإنّ المعاصرين علمانيون يكفرون حتى بدينهم! ويُقدمون سيلا من الأدلة اليومية في الإعتداء على الحقوق، لن نحاول الإستشهاد به فهو خارج الإطار الزمني لهذا الكتاب.. إنّما أوردت هنا بعض ما يروون من قصص بالكتاب المقدس يدل على استهانتهم بحقوق مَن حولهم بل وبدمائهم.. هذا على حدّ روايتها التي بها يغذون أنفسهم وأبناءهم..

الحدث:

" **وقطَّعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمما**" الأعراف 160

يذكر الكتاب المقدس أنّ الله عزوجل أمر يشوع بعد دخول بني إسرائيل فلسطينَ أن يُقسّم الأرض بالقرعة بين الأسباط الأثني عشر.. وإن كان سبط اللاويين (وعلى رأسهم أبناء هارون عليه السلام) قد ورث مُدنَه موزعةً بين الأسباط الأحد عشر الآخرين.. إذ اختص هذا السبط بالكهانة ورعاية شئون الدين.. وبذلك تمّ لبني إسرائيل وراثة الأرض المباركة مُشَكّلين اثني عشر قبيلة.. وفي الواقع فإن تميز بني إسرائيل إلى اثني عشر قبيلة كان من قبل دخولهم فلسطين.. وقد قُطِّعوا كذلك في فترة التيه وقبلها وجعل لكل قبيلة منهم عين مميزة..

يلاحظ القارئ هنا أن تميز الأمّة المسلمة زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأنبياء من قبله إلى قبائلها وعشائرها قد حوفظ عليه ولم يُنظر إليه بأنه مُمزق للأمة.. وإنّما حورب التعصب والتفاخر الفارغ بالأنساب والأعراق.. على القارئ أن يُميِّز هذا التقطيع عن ذلك التقطيع المذكور في قوله تعالى: " **وقطعناهم في الأرض أمما..**" فإن التقطيع الأخير يعني تشتيتهم في الأرض جماعات وأمماً بعد إن طردوا عن فلسطين.. حينها لم تعد أسباطهم مميزة..

قصة بلعام:

وردت قصة بلعام هذا في سفر العدد، الذي هو أحد أسفار التوراة.. وأهمية القصة تأتي من تعدد مرات الإستشهاد بها ومن اتهام اليهود لعيسى عليه السلام بأنّه بلعام الثاني الذي تنبأ لمصلحة أعداء قومه.. وقد وردت بسورة الإعراف إشارة إلى رجل آتاه الله العلم فآثر عليه الدنيا حملها أكثر المفسرين على أنها تعني بلعام هذا..

لمّا قدم بنواسرائيل فلسطين أتوها من شرق نهر الأردن من المنطقة المقابلة لأريحا.. ويفهم من التوراة أنهم بلغوا هذا الموقع في أيام موسى عليه السلام، ولكنهم لمّا خافوا دخول اريحا حُرّمت عليهم فلسطين أربعين عاما..

وفي تلك الفترة وبنو إسرائيل على أعتاب فلسطين، قُبيل تيه الأربعين، وقعت أحداث قصة بلعام، فحين رأى ملك موآب (منطقة شرق الأردن) جموع الإسرائيلين تصل إلى شرق الأردن خاف هو وقومه منهم، وأراد أن يستعين على بني إسرائيل بالرجل العالم بلعام ليدعو عليهم، فقد اشتهر عن بلعام أنّه مُجاب الدعوة وأنّ مَن يباركه يكون مباركا ومَن يلعنه يكون ملعونا.. فأرسل ملك موآب رسله إلى بلعام يغرونه بكل شئ! ولا تبدو جريمة بلعام واضحة فقد رفض الإستجابة في باديء الأمر، ولم ينطلق مع الرسل إلا لما أُذن له من خلال الوحي، ولم ينطق في أربعة مقامات (أو أربع محاولات للدعاء على بني إسرائيل إرضاء للموآبيين) إلا بمباركة بني إسرائيل.. إلا أنّ التوراة المعاصرة تذكر تهديد الوحي المتكرر له بألا ينطق إلا بما يؤمر به.. وواضح أنه ببنائه المذابح المتعدده، وتقديمه المتكرر للقرابين لله تعالى (باسم الموآبيين لعلّ الله عزوجل أن يأذن بمباركتهم على لسان بلعام) إنما كان يسعى بكل وسيلة لإرضاء ملك موآب وقومه والحصول على ما يريدونه من لعن وشتم بني إسرائيل.. هذا رغم أنه أُعلم من قبل مغادرته مع رسل الملك بأنّ الله يبارك بني إسرائيل، وأُثبت له ذلك بعد كل محاولة دعاء جديدة قام بها لتكون على بني إسرائيل فتنتهي لصالحهم وينطق لسانه – من حيث لا ينتبه وبغير إرادته هو– بالدعاء لبني إسرائيل، في أربع مرات متتالية.. فاستحق مقت الله وغضبه لعلمه بالحق الذي عليه موسى عليه السلام وقومه، ولإيثاره الدنيا التي أُغري بها.. ويغلب أنه كان إسرائيليا في الأصل وغادر قومه – كما ذكر ذلك بعض العلماء– ليسكن في مدينة على ضفاف الفرات.. ولذا اعتبره الإسرائيليون خائنا لقومه لمحاولته الدعاء لأعدائهم،

ولقبوا عيسى عليه السلام – وهو منهم– بلقب بلعام الثاني لأنه كان يبشر صراحة بانتقال النبوة إلى غيرهم.. وقد اعتبروا ذلك التبشير خيانة كذلك لقومهم..

هذا وقد نقل عن كثير من الصحابة والتابعين القول بأنّ بلعام هو الشخص المقصود في آية الأعراف، جاء في تفسير ابن كثير: حدثنا المعتمر عن أبيه أنه سئل عن هذه الآية " **واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان، فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**" الأعراف 175– 176، فحدث عن سيار أنه كان رجلا يقال له بلعام وكان مجاب الدعوة قال وإن موسى أقبل في بني إسرائيل يريد الأرض التي فيها بلعام أو قال الشام قال فرعب الناس منه رعبا شديدا فأتوا بلعام فقالوا ادع الله على هذا الرجل وجيشه قال حتى أؤآمر ربي أو حتى أؤآمر قال فآمر في الدعاء عليهم فقيل له لا تدع عليهم فإنهم عبادي وفيهم نبيهم قال فقال لقومه إني قد آمرت ربي في الدعاء عليهم وإني قد نُهيت، فأهدوا له هدية فقبلها ثم راجعوه فقالوا ادع عليهم فقال حتى أوآمر ربي فآمر فلم يأمره بشيء فقال قد آمرت فلم يأمرني بشيء، فقالوا لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك المرة الأولى قال فأخذ يدعو عليهم فإذا دعا عليهم جرى على لسانه الدعاء على قومه وإذا أراد أن يدعو أن يفتح لقومه دعا أن يفتح لموسى وجيشه أو نحوا من ذلك إن شاء الله، قال فقالوا ما نراك تدعو إلا علينا قال ما يجري على لساني إلا هكذا ولو دعوت عليه أيضا ما استجيب لي، ولكن سأدلكم على أمر عسى أن يكون فيه هلاككم إنّ الله يبغض الزنى وإنهم إن وقعوا في الزنى هلكوا ورجوت أن يهلكهم الله <u>فأخرِجوا النساءَ تستقبلهم</u> فإنهم قوم مسافرون فعسى أن يزنوا فيهلكوا، قال ففعلوا فأخرجوا النساء تستقبلهم قال وكان للملك ابنة فذكر من عظمها ما الله أعلم به قال فقال أبوها أو بلعام لا تمكني نفسك إلا من موسى، قال ووقعوا في الزنى.."..و" شرع الرجال يرتكبون الزنى مع الموآبيات اللواتي أغوين الشعب لحضور ذبائح آلهتهنّ والأكل منها والسجود لها. فاشترك الإسرائيليون في عبادة بعل فغور، فاحتدم غضب الرب عليهم" وأُمر موسى عليه السلام بصلب وقتل كل الذين عبدوا البعل.. وبكى موسى ومن معه من المؤمنين لما صنعه بنو إسرائيل..وكان أن مرّ إسرائيلي بأبنة رئيس إحدى القبائل المديانية (أُعتبرت بحديث سيار أعلاه ابنة ملك المديانيين) من أمام موسى ومن معه، فلحقهما أحد المؤمنين واسمه فينحاس بن العازر – غيرة لله– إلى خيمة دخلوها، فطعنهما برمح واحد اخترق جسديهما معاً.. وكفّ الله عزوجلّ بذلك الوباء الذي أنزل عقابا على بني إسرائيل فقتل الوباء منهم أربعة وعشرين ألفا.. وجاء في التوراة: " إن فينحاس بن العازر قد رد غضبي عن بني إسرائيل إذ غار

غيرتي في وسطهم، فلم أفنِ بني إسرائيل بغيرتي.."

هذا وقد أصبح بلعام (وكان إسرائيلياً تقياً فيما يبدو) مثلاً في قومه من بني إسرائيل يُطلق على الرجل يخون قومه المؤمنين ويسعى في مصلحة أعدائهم.. وهو بلا شك عبرة للمؤمنين من هذه الأمة أن ليس هناك أمان لأحد مهما بلغ فضله وعلت درجته.. فالمتساقطون عن طريق الهدى كثير.. ونراهم كل يوم.. من كل المستويات يما فيها مستويات المجاهدين والعلماء العاملين..فلا غنى لأحد عن التضرع المستمر لله عزوجلّ بالثبات وعدم الفتنة..

وفي القصة كذلك عبرة في دور الفحش والفساد في ضياع الأمة وهلاكها وغضب الله تعالى عليها.. وأنّها سلاح مدمر قد يستخدمه الأعداء ضد أمتنا كما نشاهده اليوم في ممارسات أعداء المسلمين..

عهد القضاة (1180 – 1020 ق م):

– عاش بنو إسرائيل في هذا العهد كجماعات أو قبائل متفرقة بالمدن المختلفة.. يُسيّر شئونها عددٌ من القضاة.. وقد تميز هذا العهد كما هو مذكور بالأسفار الملحقة بالتوراة بمخالفة بني اسرائيل للشريعة وتقليدهم للكنعانيين الوثنيين من حولهم، بل وعبادتهم لآلهة الكنعانيين، ثم عقاب الله لهم بتعبيدهم للموآبيين بالأردن، ثم توبتهم، وانقاذهم بإهود البنيامي، ثم فسقهم وعقابهم بتعبيدهم مرة أخرى للكنعانيين، ثم تخليصهم على يد باراق، ثم ضلالهم – أي اليهود– وعودتهم للأوثان فعقابهم بمديان، فتخليص الله لهم من مديان على يد جدعون النبي، ثم عودتهم بعده لعبادة الأوثان مرة أخرى، ثم العقاب بتعبيدهم للفلسطينيين وبني عمون، ثم توبتهم ونصرهم على بني عمون، ثم.. وقامت حروب عدة فيما بين اليهود قتل فيها ما قد يتجاوز المائة ألف كما تذكر الأسفار.. وأهم هذه الحروب هي تلك الحرب التي استأصالوا بها سبط بنيامين حتى لم يبق من هذا السبط سوى أعداد بسيطة خشوا عليها من الإنقراظ.. وكان سبب الحرب هو امتناع هذا السبط عن تسليم شباب بإحدى مدنه قاموا بالاعتداء بالفاحشة الجماعية على امرأة من بني إسرائيل كانت في سفر مع زوجها وتسببوا في وفاتها.. وفي هذه الحروب قتل بنوإسرائيل خمسة وعشرين ألفاً من المقاتلين من هذا السبط ثم ارتدوا على مدن هذا السبط فـ"قضوا على أهلها قاطبة بحد السيف، وذبحوا البهائم وكل ما وجد فيها، وأحرقوها بالنار" (القضاة 20: 48).. ولمّا أرادوا بعد هذه الإبادة الجماعية (المعتادة من قبلُ على غيرهم) أن يُحافظوا على من بقي من سبط بنيامين من الانقراض، قاموا فأبادوا فرعاً من أحد أسباطهم (يابيش جلعاد) لم يشاركهم في قتال سبط بنيامين.. فقضوا على كل أهل يابيش بحد السيف رجالا ونساء إلا أربعمائة عذراء استحيوهن عمداً لمن بقي من سبط بنيامين.. إذ قد انقرضت نساء بنيامين من جراء الإبادة التي قاموا بها قبل ذلك (القضاة 21: 8– 15)..

وفي حرب أخرى بينهم شنّوها على سبط أفرايم كانوا يستوقفون العابرين لنهر الأردن، ويطلبوا منهم أن يقولوا كلمة: " شبولت" فإن نطقها " سبولت" عرفوا أنه أفرايمي فذبحوه على مخاوض الأردن، فقتلوا من أفرايم إثنان وأربعون ألفاً (القضاة 12: 4– 6)..

كان هذا هو مستهل تاريخهم بالأرض المباركة .. مليء بالردة وعبادة الأوثان.. وبشكل متكرر !

التعليق والتفصيل:

يبدأ هذا العصر من بعد استقرار بني إسرائيل بفلسطين، كل سبط استقر على الأرض التي خرجت له بالقرعة (**يُرجى هنا مراجعة الخريطة 3**).. ويظهر في هذا العصر أنّ الجيل الذي

عاصر يوشع عليه السلام كان جيلاً صالحاً تمت على يديه الإنتصارات والفتوحات رغم الملاحظات المناقشة أعلاه عليها.. وكان شعاره الحرص على تحكيم الشريعة وترديد كلماتها.. وذلك ما وصّى به يوشع قومه عند وفاته وما حُمِّله هو عند بداية دعوته على ما يذكر الكتاب المقدس.. قال لهم عند وفاته: "واحرصوا على طاعة كل ما هو مكتوب في سفر شريعة موسى، وعلى العمل به لئلا تحيدوا عنها شمالاً أو يمينا.. ولكن تمسكوا بالرب إلهكم كما فعلتم إلى هذا اليوم.." يوشع 23: 6، 8.. ولكنّ الجيل الذي تلا جيل يشوع " لم يعرف الربّ" وارتدّ عن الشريعة وعبد بعل وعشتاروت الذين عبدهما أهل البلاد الوثنيين من قبل مجئ بني إسرائيل..

جاء بالتوراة المعاصرة: "..وفي كل مرة كان الربّ يُقيم قاضيا كان يُؤيده بقوة طوال حياته فيُخلِّص الشعب من عبودية أعدائه إذ يُشفق الربّ عليهم مما يسومهم مضايقوهم وظالموهم من عذاب، فكان الربّ يُنقذهم طوال حياة القاضي، **ولكن ما إن يموت القاضي حتى يرتدوا عن الربّ ويتفاقم فسادهم** .. لم يرتدعوا عن أفعالهم وسلوكهم العنيد.." (القضاة 2: 18– 20) فما أرحم الله بهم.. وما أجحدهم.. وإلى اليوم!

وكان من هؤلاء القضاة والأنبياء: عثنيئيل وإهود وباراق وجدعون وتولع ويائير وبيفتاح وشمشون.. وكلهم سعوا إلى هداية قومهم إلى عبادة الله وحده ونبذ الأصنام والالتزام بالشريعة.. وكلهم حملوا السلاح وقاتلوا الكفار من حولهم ونُصروا.. وقد كانوا أحياناً قلة في العدد والعدة.. وبعد كل انتصار من تلك الانتصارات كان بنوإسرائيل يسارعون إلى الردة وعبادة الأصنام.. فيحل عليهم البلاء وتغلبهم الأمم من حولهم..

– يُذكر هنا أن جدعون كان نبياً على ما جاء بالكتاب المقدس وأنه انتصر بثلاثمائة مقاتل على عشرلت الالاف من أعدائه.. ولعل في ظهور هذا العدد من القادة والقضاة والأنبياء الربانيين الذين قاموا بالجهاد في هذه الفترة المبكرة من تاريخ بني إسرائيل مِن قبل عصر طالوت وداود عليهما السلام ما يُعطي بعض الخلفية لقوله تعالى على لسان القلة المؤمنة الصابرة التي ظهرت فيما بعد – مع نهاية هذا العصر– مع طالوت (شاول): " .. **قال الذين يظنون أنّهم ملاقوا الله <u>كم من فئة</u> قليلة غلبت فئةً كثيرةً بإذن الله، والله مع الصابرين**" البقرة: 249.. ولقوله تعالى: " **<u>وكأيّن من نبي</u> قاتل معه رِّبيون كثيرٌ فما وهنوا لما أصابهم في سبيل**

الله وما ضعفوا وما استكانوا، والله يحب الصابرين.." ال عمران: 146.. وواضح مع ذلك أنّ الآيتين بما فيهما آية البقرة لا تقصران الجهاد قبل عصر طالوت على جهاد بني إسرائيل فقط..

حروب الإبادة الشاملة لغير الإسرائيليين..

– مرةً أخرى يعرف المسلم من وقائع الإبادة الجماعية هذه والمذكورة بالكتاب المقدس والمنسوبة لقادة صالحين سرّ القتل الجماعي الذي دأب أهلُ الكتاب على ممارسته عبر القرون كلما تمكنوا من المسلمين ومن غير المسلمين أو حتى من بعضهم البعض على مرّ القرون.. إنّها إبادات جماعية لا يتخيل المسلمُ وقوعها على أيدي البشر.. ولكنّها لا يصحّ أن تُستغرب ممّن يُنشّأون على أنّ هذا كان هو صنيع الأجيال الصالحة من أمتهم.. أوأنّه كان بأمرِ من الربّ عزوجل (وهو ما نتوقف عن الحكم بصحته).. جاء في التثنية 20: 16– 18: " وَأَمَّا مُدُنُ هَؤُلاءِ الشُّعُوبِ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيباً فَلا تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَا بَل تُحَرِّمُهَا تَحْرِيماً (أي بل واقتلوا كل مَن بها) الحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالكَنْعَانِيِّينَ وَالفِرِزِّيِّينَ وَالحِوِّيِّينَ وَاليَبُوسِيِّينَ كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. لِكَيْ لا يُعَلِّمُوكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا حَسَبَ جَمِيعِ أَرْجَاسِهِمِ التِي عَمِلُوا لآِلِهَتِهِمْ فَتُخْطِئُوا إِلى الرَّبِّ إِلهِكُمْ."

إنها إبادات شملت النساء (والأطفال) بل وأحياناً عديدة شملت كذلك البهائم! هذا على ما كتبه أهل الكتاب أنفسهم بالكتاب المقدس لديهم.. وإبادة النساء منصوصٌ عليها مراراً، ولنا أن نستنتج أنّ الأطفال قد أُبيدوا وقُتلوا بشكل جماعي كذلك.. وهو ما يُفهم (مع إبادة النساء كذلك) من التأكيد كلّ مرة بأنّهم لمّ يتركوا أيَّ حيّ بأيّ من هذه المدن.. وبدليل أنّهم لما أرادوا إنقاذ سبط بنيامين من الإنقراض لم يجدوا من هذا السبط سوى بضع مئات من الرجال كانوا قد استطاعوا الفرار بأنفسهم.. فلما ندم بنو إسرائيل وأرادوا إنقاذ هذا السبط من الإنقراض لم يجدوا لإنقاذه إلا استحياء العذارى من سبط آخر! (بعد إبادة رجالهنّ!) أو خطف النساء من أسباط أُخر(؟) ليكنّ زوجات لمن تبقى من رجال البنياميين بعد إبادة النساء البنيامينيات كلهنّ..

وواضح أنّه لم يبق من هذا السبط أطفال.. ولو بقي أطفال البنياميين أحياء لما خافوا هكذا على السبط من الانقراض.. وفي الواقع فإنّ التصريح بإبادة الأطفال قد سبق إيراده في عدد من المواضع بالكتاب المقدس.. منها عند ذكر وصف الكتاب المقدس لدخولهم أريحا، جاء في يشوع 6: 21 " ودمَّروا المدينة – أي أريحا– **وقضوا بحدّ السيف على كل من فيها من رجال**

ونساء وأطفال وشيوخ حتى البقر والغنم والحمير".. وجاء كذلك بصورة تكليفٍ موجه فيما بعد لداود عليه السلام عند غزوه للعماليق، جاء في سفر صموئيل الأول: اصحاح 15: 3 " فاذهب الآن وهاجم عماليقَ واقضِ على كلّ ماله ولا تعف عن أحدٍ منهم، **بل اقتلهم جميعاً، رجالاً ونساءً، وأطفالاً ورضعاً، بقراً وغنماً، جمالاً وحميراً**".. كما جاء التصريح بقتل الأطفال والنساء والرجال في إبادة قائد جند شاول (دواغ) لنوب "مدينة الكهنة".. حيث ورد في سفر 22: 19 من صموئيل الأول: " **ثم اقتحم نوب مدينة الكهنة وقتل بحدّ السيف الرجال والنساء والأطفال والرضع والثيران والحمير والغنم**".. إنّ هذه الشواهد لتوضح بشكل بيّن معنى العبارة المتكررة المذكورة أعلاه بعد احتلال المدن بأنّه لم يبق بها حيّ أو لم تُترك بها نسمة.. إنّها فعلاً إبادة شاملة لكل حيّ وبالمعنى الحرفي للكلمة!! إبادة شملت كل حيّ وبدون تمييز.. ونُسبت للأنبياء..

إنّ هاهنا تعاليم وقصص وأخبارٌ نمت وترعرعت على الاستماعِ إليها والتأمل في تفاصيلها الأجيالُ عبر الزمن.. ونحن لا ندري مدى صحتها، لكنّ وجودها بالكتاب المقدس ونسبتها إلى صالحين أمرٌ له آثاره المتوقعه (والثابتة) على عقلية أهل الكتاب وتصرفاتهم..

أفيُعقل بعد هذا كله أن يأتي أهلُ الكتاب من يهود ونصارى هذا الزمن ليتهموا القرآن الكريم بأنّه إرهابي ويشجع على الإرهاب!

– لعلّ بني إسرائيل هم أول مَن مارس القتل بلا تمييز، وذلك واضحٌ من إبادة كل حيّ بهذه المدن الكثيرة التي اقتحموها.. ومن الطريف أنّ تتبع أهل هذه المدن بالقتل قد امتدّ إلى مَن هم بخارجها.. وفي معاركهم مع سبط أفرايم (إسرائيليون كذلك) تعرّفوا على هوية الأفرايميين بلهجة من كانوا يستوقفونهم من العابرين والمسافرين.. حين كانوا يطلبون منهم أن يقولوا كلمة: " شبولت".. وهو ما يُذكرنا بما وقع من قتلِ المسلمين الفلسطينيين في الحرب اللبنانية عن طريق تنطيقهم للاسم المحلي للطماطم.. فيطلبون ممّن يعترضون عند الحواجز أن يُسمِّي الطماطم التي بأيديهم، فإن سمّاها بَنَدورة، وحرّك النون في "بَنَدورة" قُتِل لأنّه فلسطيني، وإن سكَّنها "بَندورة" خُلي سبيله..

– وأمام هذا القتل الجماعي لسكان المدن نساءهم ورجالهم وأطفالهم، ذلك القتل الذي مارس القيام به أهلُ الكتاب وما زالوا كما فصلتُ من قبل.. أمام كل هذا للمرء أن يسترجع التاريخ

والوصايا الإسلامية ليعلم الفرق الهائل.. فقد كانت الوصية الدائمة للجيوش الإسلامية ألا يغدروا (يلاحظ أن أكثر المذابح التي قام بها النصارى بالتاريخ قد وقعت غدراً بمدن مسالمة ومصالحة كما وقع بالقدس والأندلس) ولا ينكثوا عهودهم ولا يعتدوا على الأطفال والنساء.. ولم يتعارف المسلمون إلا على حرمة حقوق الإنسان والوفاء بالعهود والعقود.. جاء في صحيح ابن حبان عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومَن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا مَن كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً.."

.. ولعل القارئ يذكر ردّ المسلمين لأموال الجزية التي كانوا قد أخذوها من نصارى حمص بالشام لمّا بلغهم أن هرقل قد أعد جيشاً كبيراً لقتالهم.. فخشوا ألا يتمكنوا من ردّ هذا الجيش، وبالتالي ألا يوفوا بحماية أهالي حمص، وهو ما بسببه حقّ لهم أخذ الجزية منهم، فما كان من المسلمين الفاتحين إلا أن ردُّوا الجزية لأهالي المدينة التي فتحوها.. ولقد سمع الجميع بخبر الجيش المسلم الذي فتح سمرقند، فاشتكى أهلها إلى قضاةِ المسلمين أنّ الجيش لم ينذرهم، فأمر القضاةُ المسلمون جيشَ المسلمين بالإنسحاب من المدينة.. ويذكر القراءُ عُمرَ بن الخطاب حين أَحضِر من مصرَ حاكمَها مِن قِبَله عمرو بن العاص وابنَه حتى يقتص للمصري القبطي من لطمةٍ تلقاها من ابن عمرو.. ويقول لعمرو وابنه: " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا".. ولا تكاد تُحصى الأمثلة.. وهي كلها تشهد بأنّ بين الإسلام وغيره بُعداً هو أكثر ممّا بين المشرقين..

_ ظهرت بأمة الإسلام مظاهر شركية متعددة لكنّها لم تصل أبداً في أي فترة من الفترات ولا في أي مكان من الأماكن إلى عبادة الأوثان والأصنام صراحةً كما حدث بالتاريخ اليهودي بصورة متكررة كما رأينا وكما سيأتي معنا.

الحدث:

– تأتي قصة عالي وزوجته العاقر حنّة في أواخر أحداث عصر القضاة.. وقد كان عالياً هو قاضي بني إسرائيل لأربعين عاماً.. وقد رُزق من حنّة بصموئيل صبياً صالحاً، كُرِّس لله وفاءً لنذر نذرتُه حنةٌ أمّه إن هي رُزقت به.. وقد أصبح صموئيل بعد ذلك نبياً لبني إسرائيل.. ومن خلاله تمّ اختيار شاول (طالوت) فيما بعد لملك بني إسرائيل كما سيأتي معنا..

وكان لعالي ولدان هما حفني وفينحاس، كانا هما كهنة زمانهما.. يذكر عنهما سفر صموئيل

الأول أنّهما كانا متورطين بالشرّ، مستهينين بالشعائر.. ممارسين للفاحشة في مواضع العبادة.. وقد وبخهما عالي وأنّبهما.. لكنّه فيما يبدو لم يحزم معهما.. فأتى الوحيُ على صموئيل بالوعد بإهلاك ابني عالي في يوم واحد.. وإهلاك عالي نفسه نتيجة عدم ردعه لإبنيه.. وكان أن هزمَ الفلسطينيون الإسرائيليين، وقتلوا منهم ما يزيد على ثلاثين ألفاً وسرقوا منهم التابوت.. وقُتل في هذه المعارك ابني عالي، وسَقَط عالي عن كرسيّه لمّا بلغه فقدان التابوت فانكسرت رقبته ومات..

التعليق والتفصيل:

– أوردت قصة عالي هذه على ما وردت بالكتاب المقدس والله أعلم بصحتها لما فيها من بيان خطورة التهاون في قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الأقارب والأصدقاء.. تلك القضية التي تهاون بها بنو إسرائيل، وكانت كما سبقت الإشارة إليه أحد أسباب هلاكهم.. قال تعالى: " **لُعِن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، لبئس ما كانوا يفعلون، ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا**.." المائدة 78– 80.. وفي القصة عبرة وعظة بيّنة في وجوب الحزم القوي الصادق في التعامل مع الأبناء، وعدم الاكتفاء عند العظة برفع الحرج الشرعي بأداء العظة كما هو الحال مع الآخرين.. ونرى هنا أنّ أبني عالي قد صارا أعدى أعداء والدهم، وتسببا في تعرضه لسخط الله تعالى رغم صلاحه الفريد.. والله عزوجل أعلم.. قال تعالى: " **يا أيها الذين آمنوا إنّ من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم، وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإنّ الله غفورٌ رحيم.** ." التغابن 14.

فترة الحكم الملكي (1030– 586 ق.م)
وعصر الأنبياء (1050 أو 750– 550 ق.م)

– قيام **الحكم الملكي** لليهود 1050 ق م، مبتدأً بحكم شاول Saul (طالوت) المعاصر للنبي صموئيل عليه السلام، وكان صموئيل قد اختار شاول ملكاً على بني إسرائيل، بناء على وحي من الله عزوجل، وذلك لما ألحّ بني إسرائيل على نبيهم صموئيل أن يجعل لهم ملكاً ومملكة، وتميّز شاول – الذي كان في الأصل راعيا للغنم– ببسطة في الجسم حتى أنه كان من أوسم الناس بل وكان أطولهم (صموئيل الأول 9: 2)، وتمكّن شاول (طالوت) من قيادة بني إسرائيل وهزم أعدائهم.. فقضى أولاً على نحاش ملك عمّون (عمّان) وقومه بعد أن كادوا أن يبيدوا أهل مدينة يهودية.. فقدِم الفلسطينيون (سكان البلاد في تلك الفترة، وهم ليسوا بالضرورة – كما هو معلوم– آباء الفلسطينيين المعاصرين) بجيش من " ثلاثين ألف مركبة حربية وستة آلاف فارس وجيش كرمل شاطئ البحر في كثرته" (صموئيل الأول 13: 5)، فتفرق الجيش الإسرائيلي أمام هذا الجمع وهرب أكثرهم، وبقي شاول " مع بقية من الجيش ملأ قلوبها الذعر"، أحصاها شاول بستمائة رجل.. ولكن ابنه يوناثان باغت " الفلسطينيين" قائلا " لا يمتنع الربّ أن يُخلّص بالعدد الكثير أو القليل"، فأرعبهم وانهزموا ووقعوا غنيمة للمؤمنين.. وقد توالت انتصارات شاول.. وحدث أن اجتمع له جيش الفلسطينيين، وبرز منهم جليات (جالوت) رئيس الفلسطينيين يطلب المبارزة.. فلم يبرز له أحد لمدة أربعين يوماً (؟)، وحدث يوماً أن قدم أرض المعركة داود.. وقد كان فتى مجهولا يرعى الغنم، أرسله والده إلى مقر مرابطة جيش شاول ليتفقد إخوته المقاتلين مع شاول، وليمدهم ببعض الغذاء، فسمع داود تحديّ جالوت للجيش الإسرائيلي بالمبارزة، فخرج له بمقلاع وخمسة أحجار متوكلاً على الله، وذلك بعد أن حاول لبس الدرع والخوذة، ثم خلعها لعدم قدرته على الحركة بها، فأسقط داود عليه السلام جالوت بحجر أصاب رأسه، ثمّ اجتز رأسه بالسيف الذي كان يحمله جالوت نفسه.. ويبدو من سفر القضاة أنّ المعركة التي انتصرت بها الأقلية المؤمنة هي غير المعركة التي قتل بها داودُ جالوت.. على أي حال فقد قرّب شاول داودَ بعد قتله لجالوت وولاه "إمرة رجال الحرب"، وكان النجاح حليفه في كل المهام التي كلِّف بها، واشتهر بين الناس،" وأصبح اسمه على كلّ شفة ولسان" (صموئيل الأول 18)..

التعليق والتفصيل:

– تمت بداية **ما يُسمى بعصر الأنبياء** بفترة نبوة صموئيل ثم ناثان عليهما السلام.. وقد تزامنت تقريبا مع بداية العصر الملكي (بشاول).. ثم تتابع بعد ذلك ظهور الأنبياء عليهم السلام في بني إسرائيل.. وإلى عدد من هؤلاء الأنبياء تُنسب بعض كتب العهد القديم.. وإليهم (وإلى بقية الأنبياء من بعد موسى عليه السلام) تمت الإشارة بالقرآن الكريم في عدد من الآيات القرآنية كقوله تعالى: " **قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا وماأُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباطِ وما أُوتي موسى وعيسى وما أوتيَ النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**" البقرة : 136.

– جاءت بالقرآن الكريم الإشارة إلى مطالبة بني إسرائيل باختيار ملك لهم ، قال تعالى: "..**ألم ترَ إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا**.." البقرة آية 246.. وجاء بالأسفار ما يُشير إلى مقاومة النبي صموئيل لفكرة اختيار ملوك عليهم، ويبدو أن الذين طلبوا منه ذلك إنما طلبوه في ظاهر الأمر للتخلص من ظلم القضاة ولتنظيم صفوفهم في مواجهة أعدائهم، وإن كان الطلب لا يخلوا من تقليد الأمم الأخرى.. وجاء بسفر صموئيل الأول 8: 11– 18 أنّ النبي حذرهم من جور الملوك، وتسخيرهم لأبنائهم خدماً وحرسا لهم، واتخاذ بناتهم عاملات بقصورهم، واستئثارهم بخيرة حقولهم وأموالهم لأنفسهم، وجبيهم لعشور أموالهم لأنفسهم وحاشيتهم، فأبى الشعب وقالوا له " لا بل نَصِّب علينا ملكا، فنكون كسائر الشعوب، لنا ملك يقضي بيننا ويقودنا ويحارب معاركنا".. ثم أُمر صموئيل بالإستجابة لهذا الإصرار، واختار صموئيل بعد ذلك شاولَ (طالوتَ) على الرغم من اعتراضات البعض.. وأُثبت بالقرآن الكريم و" كتب الأنبياء" الملحقة بالتوراة اعتراضات اليهود على هذا الإختيار، ثم جبنهم وعصيان أكثرهم لأمر الجهاد بعد ذلك.. وتخاذلهم عنه في إحدى المعارك كما أشرتُ حتى تناقصوا إلى ستمائة من أصل جيشه الذي تجاوز المائتي ألف فرد على ما ذُكر بالكتاب المقدس! ومع ذلك فقد انتصرت الفئة المؤمنة الصابرة كما رأينا.. قال تعالى: " .. **فلمّا جاوزه هو والذين آمنوا معه، قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين، ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ**

علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، فهزموهم بإذن الله وقتل داودُ جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء" **البقرة 249- 251..**

- يُذكِّرنا تطوعُ داود الفتى من بين كل الجموع لمبارزةِ جالوت، وعدم موافقة شاول له لأنه "مازال فتى" فجالوت "رجل حرب منذ صباه" ثم اذنه له عند تصميمه (صموئيل الأول:17)، يذكرنا ذلك ببروز الفتى علي بن أبي طالب من بين الجموع لمبارزة عمرو بن ود العامري وعدم اذن رسول الله عليه الصلاة والسلام له " " إنه عمرو اجلس" إلا في طلبه الإذن للمرة الثالثة (مغازي ابن إسحاق)، ونجاح كلٌّ منهما في قتل عدوه بسهوله مع أنهم فتيان وعدويهما من رجال الحرب المتمرسين..

.. لا يفوتنا هنا الإشارة إلى العدد الهائل من المعارك التاريخية التي انتصرت بها القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة.. كان ذلك أوضح ما يكون خلال تاريخ الفتوحات الإسلامية.. فتكاد أن تكون جميع الغزوات في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام عدا معركة حنين في أولها، وكذلك معارك الفتوحات الإسلامية أثناء الخلافة الراشدة نماذج بارزة لهذا النصر الإلهي.. وقد تتابعت بعد ذلك معارك كثيرة يصعب بل يستحيل حصرها انتصرت بها القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة..

هاهنا كذلك لفتة للمؤمنين المتمسكين في عصرنا الحالي..! فقد أصبحوا أقلية بين عامة المسلمين من حولهم.. فهل ينصرهم الله على أعدائهم من غير المسلمين وما زال المسلمون من حولهم في وضعٍ لا يستحقون فيه من الله الا دوام الاذلال والعقاب؟

إنّ في نصر الله لطالوت ومن معه من المؤمنين الثابتين وهم أقليةٌ بين قومهم من بني إسرائيل ما يفتح الأمل بنصر الله للقلة المتمسكة حتى ولو لم يصلح حال أكثر المسلمين من حولهم.. فمن الصعب اصلاح كل الناس من حولنا، وأن نشترط ذلك قبل مواجهة العدو الكافر.. إلا أنّ هنالك فارق يجب ألا نغفل عنه.. ذلك أنّ هذه القلة من طالوت ومن معه من المتمسكين الثابتين كانت – حين انتصرت- في موقع القيادة والامارة ولم تكن قلةٌ من الشعب مطاردة أو محبوسة في السجون.. فنصر الله الذي رُزقت به جماعة طالوت لم يكن ليُجيَّر نصراً لحكام آخرين منحرفين.. فيتمكّن بمثل ذلك النصرِ حكامٌ ظلمةٌ من الإمعان في ظلمهم وغيهم.. إنّه ما سُجل للأقليات المؤمنة المضطهدة من قبل قومها النصرُ الا على أنفسها بثبات أفرادها

وصمودهم، ولله الحكمة البالغة حين هُزم على أيدي اليهود وغيرهم هذا الزمان مضطهدي الدعاة والعلماء مع أنّ المضطهدين مسلمون وأعداءهم من غير المسلمين، فلا تدري ما كان هؤلاء المضطهِدون ليصنعوا من أنفسهم وما كانوا ليصنعوا بالمؤمنين لو انتصروا؟ ولعل في هذه الخاطرة ما يبعث أملاً بنصر الله لمن تولى الأمر بفلسطين من أهلها المتمسكين.. وفيها ما يدعو المسلمين لإصلاح قياداتهم كأحد الشروط الأساسية لنصرهم على أعدائهم.. وفي التاريخ ما يشهد بأهمية صلاح القيادة على تمام صلاح الرعية..

خطيئة شاول:

ومرة أخرى تتكرر نسبة القتل الجماعي للرجال والنساء والأطفال بما فيهم الرُّضع الى الأنبياء والصالحين، فيزعم سفر القضاة الأول 15 أن شاول قتل شعب العماليق أجمعه بحد السيف، تماماً كما نسب الى موسى ويوشع عليهما السلام من قبل، وتزعم أسفارهم أن ذلك كان بأمر الله تعالى لشاول من خلال نبيه صموئيل: " فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً, طِفْلاً وَرَضِيعاً, بَقَراً وَغَنَماً, جَمَلاً وَحِمَاراً " صموئيل 15: 3، وأنّ خطيئة شاول التي نُزع بسببها ملكه الى داود عليه السلام كانت أنّه رغم تحريمه (ابادته) لكل شعب العماليق بحد السيف هي أستثناءُه لملك العماليق أجاج ولخيار الأنعام من القتل: " وَأَمْسَكَ أَجَاجَ مَلِكَ عَمَالِيقَ حَيّاً, وَحَرَّمَ جَمِيعَ الشَّعْبِ بِحَدِّ السَّيْفِ" صموئيل 15: 8.

والله أعلم بحقيقة أمر الله تعالى لطالوت (شاول) وحقيقة خطأه إن وجد، إلا أنّنا لا نتوقع صحة نسبة الأمر بالقتل الجماعي للنساء والأطفال الى الوحي.. وما يبعد أن يكون الأمر في أصله هو قتل الرجال وعدم الاحتفاظ بأسرى حتى يستقر الأمر والحكم لشاول ومن معه من المؤمنين, فلما احتفظ بأسرى نُزع الملك منه لغيره (داود عليه السلام)..

وقد علّقتُ من قبل على قضية نسبة القتل الجماعي للأنبياء والصالحين، وما ذا يتوقع النّاس هذا الزمان من قومٍ يتلقون هذه التعاليم عن أنبيائهم وصالحيهم في مراعاة الحُرُم وحقوق الانسان! إلا أن يمتهنوا قتل النساء والأطفال! ثم لماذا يستنكرون على رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجال قريظه الخونه الذين تآمروا غدراً وخيانةً مع المشركين للإجهاز على المسلمين.. فقد كان ذلك هو حكم الله العادل فيهم، وفي كتبهم من أحكام على الكفار –نسبوها لله– ماهو أشدّ!

الحدث:

يذكر سفر صموئيل أنّ النبي صموئيل كان بأمر الله قد اصطفى داود وهو ما زال فتى يرعى الغنم.. (أي مسح بالزيت على رأسه ليكون مسيحاً أو مصطفى).. وذلك ليكون ملكا من بعد شاول بعد ارتكاب الأخير لبعض المخالفات على ما يذكر السفر.. وتمّ ذلك مِن قَبلِ المعركة التي شارك فيها داود عليه السلام..

- تذكر كتب الأنبياء (صموئيل الأول) أنّ شاول غار من بروز داود عليه السلام بعد قتله لجالوت، وأنّ الأمر تطور إلى التآمر على حياة داود عليه السلام ممّا اضطره إلى الفرار إلى الصحارئ ومناطق غير الإسرائيليين.. وأنّ داود ظل وفياً للملك (شاول) الذي اصطفاه (اختاره أو مسحه) الله عزوجل ملكاً على بني إسرائيل ولم يؤذ داودُ شاولَ رغم تمكنه منه مرتين على الأقل.. كما تذكر كتب الأنبياء أنّ انتقال الملك إلى داود عليه السلام كان وعداً ربانياً تعارف عليه الناس أيام شاول، لكنّ الغيرة (؟) والخوف من بطش الأسرة المالكة القادمة (من أبناء داود عليه السلام) بأبنائه قد دفعتا شاول كما يذكر الكتاب المقدس لمقاومة هذا الإصطفاء المنتظر للبطل الناشئ في أيامه (داود عليه السلام).. هذا الموقف المذكور عن شاول يقابله موقف ابنه يوناثان **Jonathan** المتسم بالحبّ العميق لداود عليه السلام، وبالتضحية من أجله بالنفس وبالملك المنتظر.. وبالرضا التام بالإرادة الإلهية المتوقعة بإصطفاء داود ملكاً بديلاً لبني إسرائيل.. لقد كان يوناثان مؤمنا متفانياً يحبّ داود عليه السلام كثيراً، وكان يُسرّ إليه بنوايا أبيه..

ويذكر الكتاب المقدس تفهُّم داود عليه السلام لشاول وصبره عليه..

- بايع الناس من سبط يهوذا داود ملكاً عليهم (بالخليل Hebron) بعد استشهاد شاول، واستشهاد ابنه يوناثان في معركة مع الفلسطينيين، فقد كان الناس يعلمون أنّه الملك الذي سيملك من بعد شاول، ويُشير الكتاب المقدس أنّ الوحي قد جاء على الأنبياء بذلك.. ومع هذا فقد عمد قائد جيش شاول إلى مبايعة اشباول (ايشبوشت Ishbosheth) ابن شاول على الملك من بعد استشهاد أبيه شاول متجاهلاً الإنطباع الموجود بأنّ الملك منتقلٌ إلى داود عليه السلام، فملك اشباول ابن شاول على أسباط إسرائيل من غير سبط يهوذا الذي انضوى جميعه تحت لواء داود عليه السلام.. وقاتل اشباولُ داودَ مراراً لكنّه كان ضعيفاً، وانتهى حكم اشباول

باغتياله على يد اثنين من قواده كما سيأتي.. وبذلك تم انتقال الحكم والملك على كلّ بني إسرائيل من بيت شاول إلى بيت داود عليه السلام..

تذكر كتب الأنبياء أنّ داود عليه السلام أمر بقتل مَن قتل شاول لمّا جاءه هذا القاتل يبشِّره بأنّه وجد شاول بعد معركته الأخيره مع الوثنيين بفلسطين جريحاً جراحاً ميئوساً نجاته منها، فأجهز عليه ليُريحه زاعماً أنّ ذلك الإجهاز كان بطلب شاول نفسه (!) الذي لم يُرِد أعداءه أن يصلوا إليه حياً، وقد كان الناس ينتظرون انتقال الملك بعد شاول إلى داود عليه السلام.. فجاء القاتلُ ليُبشر داود (وهو أي داود ما زال في مهجره فاراً من شاول أن يقضي عليه).. فما وجد قاتلُ شاول عند داود عليه السلام إلا القصاص.. وكذلك فعل داودُ عليه السلام ببعنة وركاب وهما قائدان من قواد اشباول ابن شاول الذي ملك على أسباط بني إسرائيل عدا سبط يهوذا من بعد استشهاد أبيه شاول، إذ اغتالا غدراً اشباول ابن شاول وهو على سرير نومه، وقطعا رأسه وحملاه إلى داود عليه السلام ليُبشراه بقتل منافسه (إذناً بوحدة بني إسرائيل تحت حكمه إذ لم يكن تحته إلا سبط يهوذا)، فما كان من داود عليه السلام إلا أن أمر بقتلهما وصلبهما.. مع أنّ صنيعهما قد وحّد بني إسرائيل وجعله ملكاً أوحداً عليهم..

وقد حزن داود عليه السلام وبكى كثيراً على شاول وعلى ابنه يوناثان الذي استشهد معه في معركة واحدة.. ورثاهما داود على ما يروي الكتاب المقدس:

" .. شاول ويوناثان المحبوبان، ومثار الإعجاب في حياتهما لم يفترقا حتى في الموت. كانا أخف من النسور، وأقوى من الأسود.."

..وظل داود عليه السلام وفياً لأبناء يوناثان من بعده.

التعليق والتفصيل:

تُذكرنا هذه الأحداث التي شملت الخلاف بين شاول (طالوت) وداود، إلى أحداث قتل داودُ لقاتل شاول ولمن جاءه برأس اشباول بن شاول تذكرنا هذه الأحداث مجتمعة (إن صحت ولو جزئياً) بموقف الإمام علي رضي الله عنه مِن قاتل الزبير رضي الله عنه وقد جاءه برأس الزبير رضي الله عنه يُبشِّره بأنه قد قتل له (!) الزبير الذي هو من أمراء الصف المعادي وممن نكثوا بيعته (وقد تأوّل لذلك)، فما كان من أمير المؤمنين إلا أن بشّر القاتل بجهنم.. ويشفع لحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير رضي الله عنه انسحابه من القتال، ورصيده من الصحبة

والجهاد الذي قلّ أن يُنافس على مثله.. جاء في المستدرك على الصحيحين عن زر بن حبيش قال: " كنت جالساً عند علي فأتي برأس الزبير ومعه قاتله فقال علي للآذن بشِّر قاتل بن صفية بالنار سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكل نبي حواري وإن حواري الزبير" والحديث صحيح، وقد جاء أن الرجل الذي جاء متُقرِّباً لعلي رضي الله عنه برأس الزبير غضب وقتل نفسه!

هؤلاء المؤمنون على مرّ الأجيال بشرٌ هم لا ملائكة.. يجتهدون في مواجهة الأحداث والمواقف فيختلفون.. وقد يزيد اختلافهم حتى تقع بينهم الفتنة والقتال.. وذلك أمرٌ عظيم بلا شكّ.. لكنّ المؤمنين والصالحين لم يُعصَموا منه.. خاصةً إذا هم أَعطَوا آذاناً لضعفاء الإيمان وللمنافقين المندسين بينهم، وتساهلوا بعض الشئ في ردّ الظن السئ بإخوانهم، وتَرَكوا مِن حيث لم ينتبهوا للشيطان المجالَ ليُحبك أدلته، ويُحكم حجته بأنّ إخوة الإيمان يتآمرون عليهم.. واجتمع مع ذلك شئ من الجفاء أو التقصير المتزايد.. فإنّ الهفوة تصبح جريمة.. والقشة تُصبح ثقلاً لا يُحتمل ولا يُصبر عليه.. وهكذا يجد الشيطان طريقه للفتنة بين المؤمنين.. ولا يعني ذلك أنّ الخلاف قد رُكِّب دائماً على سراب خالص، فقد توجد أخطاءٌ متعمدة أحياناً، لكنّ واجب الاخوة والإيمان والطمع في أجر الآخرة كان يستدعي التسامي على الأخطاء والتجاوز احتساباً لأجر الآخرة.. كان يعني وقفةً مبصرةً لقطع الطريق على الشيطان.. لكنّنا بشرٌ ولا مفرّ لنا من الزلل.. والواجب التسديد وإصلاح ما فات.. وتبقى الأخوة والوفاء عامرة رغم كل ما يقع..

لقد كان القتال بين المؤمنين ممّا لا يتخيله أحد زمن النبوة، ومع ذلك خشيَهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم على أصحابه الكرام وعلى هذه الأمة وحذر منه.. وهي وصية الرسول عليه الصلاة والسلام الباقية إلى يوم القيامة كما نُقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه.. جاء في صحيح البخاري (وفي معظم كتب الصحاح الأخرى) عن جرير رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال له في حجة الوداع استنصت الناس فقال: " **لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض**"..

لقد كان شاول صالحاً وقائداً مجاهداً نصر الله به المؤمنين، نستبعد عنه تلك الأخطاء الكثيرة التي نُسبت إليه بالأسفار المنسوبة إلى الأنبياء وهي أخطاء شملت الغيرة الشديدة من داود عليه السلام ومطاردته سعياً لقتله، والتردد على العرافات لتحضير الأرواح! إلا أنّه قد لا

يُستبعد بعض الأصل لذلك كتفسيرٍ لنقل الاصطفاء من بيت شاول إلى بيت داود عليهم السلام.. فإن كان قد وقع شئ من الخصام فذاك لعدم عصمة شاول، ومثله قد وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم.. لكنّ المؤمنين يسارعون للإصلاح والعفو والوفاء.. واخوتهم متجددة وباقية..

ما أجمل كلمات الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه في لملمة الجراح وإحياء المحبة في الله بعد أن طغت عليها الضغائن التي سالت بسببها الدماء.. كلماتٌ تحمل الاعتراف بوقوع الغل بين الاخوة، لكنّها واثقة أنّ عفو الله أعظم رغم فداحة النتائج دنيوياً.. جاء في المستدرك على الصحيحين عن أبي حبيبة مولى طلحة قال: دخلت على عليّ مع عمر بن طلحة بعد ما فرغ من أصحاب الجمل، قال فرحب به وأدناه قال أنّي لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله عز وجل ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين فقال يا بن أخي كيف فلانة كيف فلانة قال وسأله عن أمهات أولاد أبيه.. ".

إنّ تَعَالي المؤمنين وتساميهم على عوامل الضغينة والغلّ بينهم عملٌ يرفع صاحبه إلى أعلى المراتب ولو قلّ نسكه وعبادته.. وهو أساس من أسس وحدة المؤمنين واخوتهم.. جاء في مسند الشاميين عن مغيث بن سمي وكان قاضياً لعبد الله بن الزبير عن عبد الله بن عمرو قال: " قيل للنبي صلى الله عليه وسلم أيّ الناس أفضل، قال مؤمنٌ مخموم القلب صدوق اللسان، قيل له وما المخموم القلب قال: التقي لله النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد قالوا فمن يليه يا رسول الله قال الذي نسي الدنيا ويحبّ الآخرة، قالوا ما نعرف هذا فينا إلا أبا رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فمن يليه قال مؤمنٌ في خلق حسن" وجاء في سنن ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أفضل قال: كل مخموم القلب صدوق اللسان قالوا صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب قال هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد"

- جاءت الإشارة إلى انتقال الملك من طالوت (شاول) إلى داود عليه السلام بقوله تعالى: "**فهزموهم – أي الجيش الذي كان على رأسه طالوت– بإذن الله، وقتل داودُ جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه ممّا يشاء**" البقرة: 251..

– مملكة داود عليه السلام 1020– 961 ق.م:

حاصر داود أورشليم التي ظلت حتى زمانه ممتنعة على الإسرائيليين رغم مرور 550 عاماً من عصر يوشع.. وكانت تحت حكم اليبوسيين (فرع من الكنعانيين على ما ذكره المؤرخ اليهودي جوسيفياس)، واقتحم رجاله حصونها، وطرد عنها اليبوسيين وأسكن بها الإسرائيليين، واتخذها عاصمة لمملكته عليه السلام.. وسميت بمدينة داود *The City of David*، وقد كان اسمها أيام ابراهيم عليه السلام بمدينة السلام Salem, or Solyma على ما يذكر جوسيفياس.. ونقل داود التابوت من الخليل لأورشليم.. وأراد أن يبني المعبد.. لكن ذلك عمل ادُّخِر لابنه سليمان عليه السلام..

– تذكر الأسفار والمراجع اليهودية بعض الأحداث والقصص خلال عهد داود عليه السلام، لا نعلم مدى صحته، إلا أننا نردّ بعضها بلا تردد.. لعل من أهم هذه الأحداث:

- ثورة ابشالوم ابن داود على أبيه، واستيلائه على الملك، واضطرار داود عليه السلام للهروب من أورشليم مع مجموعة كبيرة ممن أخلص له وثبت معه، وتجميعه لقوات غلب بها قوات ابنه الذي قُتل وقتل معه عشرون ألفاً من جيشه.. وكان ابشالوم هذا قد استطاع عبر السنين أن يكسب قلوب الناس بحسن خلقه وتواضعه الذي يبدو أنه استغلاهما لحشد الناس معه..
- قتاله المتكرر مع الأقوام الوثنية بفلسطين، ونسبة الأسفار الإبادة الجماعية لهذه الأقوام لداود عليه السلام.. جاء في صموئيل الأول 27: 9– 11 تعليقاً على قتاله للفلسطينيين أثناء فترة هربه إلى بلادهم! " وهاجم داود سكان الأرض، فلم يستبق نفساً واحدة، واستولى على الغنم والبقر والحمير والجمال والثياب.. ولم يكن داود يستبقي رجلاً أو امرأة على قيد الحياة.. هكذا كان داود يفعل طوال مدة إقامته في بلاد الفلسطينيين" ! وفي حروبه معهم بعد ملكه كان يضطهدهم ويقتلهم بلا حساب، فقد جعل الموآبيين "يرقدون على الأرض في صفوف متراصة، وقاسهم بالحبل، فكان يقتل صفين ويستبقي صفاً".. صموئيل الثاني 8: 2
- يذكرسفر صموئيل قصة غريبة بأنّ الله عزوجل أصاب بني إسرائيل بالمجاعة لثلاث سنوات أيام حكم داود عليه السلام بسبب قتل شاول من قبله للجبعونيين وقد كانوا على عهد مع بني إسرائيل.. فعرض داود عليهم تعويضهم، فطلبوا لذلك سبعة رجال من أبناء

شاول يصلبونهم انتقاماً على ما صنعه أباهم أو جدهم منذ سنين طويلة.. فأعطاهم خمسة من أحفاده من أبناء إحدى بناته واثنين من ابنائه فصلبوهم..! (نستغرب القصة لمخالفتها للقاعدة الشرعية بمسئولية الأفراد عن تصرفاتهم الذاتية فقط.. والله أعلم).

التعليق والتفصيل:

- شوهت صورة داود وسليمان عليهما السلام بالعهد القديم بشدة، وفي الواقع فقد تمت الإساءة إلى معظم الأنبياء باتهامهم بارتكاب المحرمات البشعة كالزنا بما فيه الزنا بالمحارم، والسرقة والسكر والظلم والبطش والقتل بغير حق.. ونحن نرى هاهنا مرة أخرى فيما يؤمن به أهل الكتاب كوحي مقدس صوراً جديدة من عمليات الإبادة الجماعية التي تُنسب إلى الأنبياء والصالحين.. وهي كلها كبائر تصل عقوبة أكثرها مفردة إلى القتل ولا تُقبل من العامة فكيف تُنسب إلى الأنبياء.. ومع رفضنا صحة نسبتها إلى داود عليه السلام والصالحين من بني إسرائيل من قبله ومن بعده، إلا أنّ لنا أن نتساءل: هل يبقَ بعد ذلك على الصليبين الذين أوغلوا ويوغلون في أعمال الإبادة على مرّ القرون، وعلى اليهود الذين يذبحون الأهل بفلسطين من حرج إذا كان هذا ما صنعه صالحيهم من قبل.. وبأي وجه يتجرأ هؤلاء على الإسلام وكتابه المصون..! فالفرق الهائل في تحريم النفس البشرية أياً كان دينها بين تعاليم القرآن والسنة وبين ما كتبه أهل الكتاب المقدس من نسبة الإبادات الجماعية للأنبياء الكرام من أمثال موسى ويوشع وداود وغيرهم لهو ما يُعلل الفرق الهائل في السلوك الإنساني للمسلمين مقارنة بالنصارى واليهود..

- إن سهولة القتل الواردة بالقصص الإسرائيلي امتدت في الواقع إلى الأعوان والمخلصين، وكثيراً ما انتهت حياة الأبطال بقتلهم على أيدي اخوانهم وأبناء ملتهم، في كثير من الأحيان لأسباب تافهة.. ومع أنّ كثيراً من ذلك قد وقع للأسف بالتاريخ الاسلامي اقتتالاً على الملك والسلطة إلا أنّه ظل محصوراً في طبقة الحكام والقادة ومنافسيهم ولم يتجاوزه إلى استباحة دماء العامة حتى ولو كانوا من المخالفين.. هذا إضافة إلى أنّ الإقتتال والانقلابات الداخلية بين المسلمين لم تقع من أشخاص ذوي قدسية أو ذكر بالكتاب المقدس.. ولا يُنظر إليها إلا كأخطاء يحزن الجميع لوقوعها..

إن أساليب الإبادة الجماعية مرةً أخرى لم يعرفها المسلمون ولم يمارسوها، والتاريخ خير

شاهدٍ على ذلك.. وما حدث مؤخراً من أحداث دارفور بالسودان فهي على أيدي جهلة غلبتهم العصبية وقلة الدين.. وحكم الإسلام فيما صنعوه بيّن.. وقد أعطى هؤلاء الجهلة مادةً لأعداء الإسلام ليضخموها ويسعوا إلى تشوية صورة الاسلام الناصعة في حماية النفس والحياة البشرية.. إنّ ممارسات الابادة الجماعية التي وقعت وما زالت تقع على المسلمين وقعت على أيدي المتدينين والقادة والدول والحكومات من غيرهم..

..لا ينظر الكثير من أهل الكتاب المعاصرين يهوداً ونصارى إلى داود وسليمان عليهما السلام كأنبياء.. وأشعر أنّ في ذلك مماحقة مقصودة لمضادة القرآن الكريم.. وقد غاب عن هؤلاء ما في نفيهم لنبوة داود وسليمان عليهما السلام من رفض لصريح الكتاب المقدس، ولما فيه من تناقض كبير إذ كيف يؤمنون بتلقيهما للوحي وينسبون إليهما أهم كتب الكتاب المقدس من بعد أسفار موسى عليه السلام، وبالذات المزمور الذي يَتلُون صفحاته في صلواتهم، ثم لا يقرون لهم بالنبوة.. وقد جاء في رسالة الأعمال (2: 30) من العهد الجديد المقدسة لدى المسيحيين بأنّ داود عليه السلام كان نبياً " لأنّ داود كان نبياً وعارفاً بالله..".. وفي الواقع فإنّ طوائفاً يهودية آمنت بهما كأنبياء ملوك.. وقد جاء في الرقعة 4Q174 من مخطوطات البحر الميت تصريح بأن داود كان نبياً (**The Dead Sea Scrolls, ed. 1996, by Michael Wise et al)**

كما ولعلي أذكر هنا أنّه برغم تشويه صورة داود عليه السلام فيما كتب عنه بالكتاب المقدس فإنّ صورته لدى بني إسرائيل كنبي وملك عظيم قد ظلت قائمة على مدى العصور.. وأذكر على سبيل المثال وصف المؤرخ اليهودي جوسيفياس لداود عليه السلام (Antiquities, 7: 390-1): " كان شجاعا، حكيما، رقيقا، رحيما، عادلا، إنسانيا" وتلك صورة موافقة للتصور الإسلامي ومغايرة تماماً لما رسمه الكتاب المقدس عن داود عليه السلام من الإحتيال والغدر المتكرر والقيام بإبادة المدن بأبريائها واستحلال المحرمات والوقوع فيها.. وهو مما يشير إلى أنّ هذه الإفتراءات هي نتيجة إدخالات متأخرة على الكتاب المقدس ظلت معزولة عن الصورة المشرقة التي بقيت لداود من بعد عصره عليه السلام.. ومع هذا فلم يخلو الكتاب المقدس من إيراد العديد من الصور الناصعة في الصبر والاحتساب من حياة داود عليه السلام.. جاء في سفر أخبار الأيام 18: 14 " وملك داود على جميع أرجاء إسرائيل فعدل بين شعبه وأنصف"

– خطيئة داود عليه السلام من الكتاب المقدس المعاصر لا يمكن قبولها، فقد شملت اتهاماً

بفاحشة مع أم سليمان عليه السلام قبل الزواج بها! واشتملت على اتهامٍ بالتآمر لقتل زوج أم سليمان عليه السلام من بعد حملها من داود عليه السلام وهي ما زالت بعصمة زوجها كما يزعمون! .. ومن المؤكد أنّ هنالك ذنباً قد وقع من داود عليه السلام وتمت الإشارة بالقرآن الكريم إلى لفت نظر داود لذلك، وإلى توبته إلى الله عزوجلّ..

وقد ردّ علماء هذه الأمة هذه التهمة التي كتبها اليهود في كتبهم عن نبي الله داود عليه السلام، وروى عدد منهم في تفاسيرهم كأبي السعود و غيره أنّ عليا بن أبي طالب رضي الله عنه قال: " **من حدّث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصّاص جلدتُهُ مائة وستين وذلك حد الفرية على الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم..**" .. فما أروع أمة الإسلام.. نحن أولى بأنبيائهم منهم.. ولكنّا لا نعاقب غير المسلمين على عقائدهم ولو دخلوا – أي بني إسرائيل– في الإسلام وأبقوا على ما يعتقدونه بأنبيائهم من الوقوع في الفواحش لجلدناهم على ذلك.. هذا وقد ذهب عدد من المفسرين أنّ القضية كانت خطبة داود عليه السلام وهو صاحب الزوجات الكثير عددهن على خطبة أوريا العازب، أو أنّ داود عليه السلام طلب من أوريا التخلي عن زوجته له بطلاقها! وزعموا أن مثل هذا الطلب كان مقبولاً عرفا، وغير مخلّ بالمرؤة لدى بني إسرائيل، وأنّ داود عوتب عليه من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين.. ورأى آخرون بأنّ الأمر كان مجرد همّ من قبله عليه السلام بالزواج من زوجة أوريا إن هو قُتل وأنّه عوتب على ذلك الهمّ.. والله أعلم .. إلا أنّ من الثابت إفتراءات اليهود على الأنبياء عليهم السلام بإفتراءات عظيمة مثل اتهامهم ليعقوب عليه السلام بالزنا الذي جاء منه فارص أبو الأنبياء داود وسليمان وعيسى عليهم السلام! وزنا ابنه رأوبين ببلهة سرية أبيه وأم أخويه دان ونفتالي، زونا ابشالوم ابن داود باخته وبسراري والده.. وقد تمّ الردّ المباشر على بعض هذه التهم بالقرآن الكريم من مثل اتهامهم هارون بعبادة العجل، واتهامهم سليمان عليه السلام بالردة وعبادة الأصنام في آخر حياته طاعة لزوجاته.. وذلك مما يُعين على ردّ قصة ذنب داود عليه السلام على ما رواها اليهود، فهي ممّا لا يُتخيل وقوعه من أنبياء الله الكرام..

– ولا أدري هل لو كان في أمة الإسلام بعد خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم أنبياءٌ آخرون هل كانوا سيسلمون من الطعن فيهم وافتراء الكذب كما لم يسلم أنبياء بني إسرائيل؟ يظهر أنّ هذا من الذنوب التي كررتها هذه الأمة ولكن على علمائها وأوليائها.. وهم منها بمنزلة

أنبياء بني إسرائيل من قومهم في حملهم على الإلتزام بشريعة موسى والكتاب الذي أُنزل عليه.. ولا شك بأنّ أهل بيت النبوة وأصحاب النبي هم أولى أولياء هذه الأمة.. ويأتي في هذا المعنى ما روى عن ابن عباس بمسند الشاميين قوله رضي الله عنه : " **إنما دفع الله القطر (المطر) عن بني إسرائيل بسوء رأيهم في أنبياءهم وإنّ الله يدفع القطر عن هذه الأمة ببغضهم علي بن أبي طالب**" ..

الحدث:

- **مملكة سليمان** 961- 922 ق.م، وبناء المعبد الأول عام 950 ق.م

التعليق والتفصيل:

- " **وورث سليمانُ داودَ**" النمل 16.. فسليمان عليه السلام أول ملوك بني إسرائيل يصله الملك وراثةً، بعد أن مَلِكَ قبله في بني إسرائيل كلٌ من طالوت (شاول) وداود أبوه.. وقد أُعطي عند ولادته لقب حبيب الربّ على ما جاء في سفر صموئيل الثاني 12: 25، وأعطي الحكمة حتى لا يكاد يُضاهيه بها أحد " **فإنني سألبي طلبك، فأهبك قلبا حكيما مميزا، فلا يُضاهيك أحد من قبل ولا من بعد**" الملوك الأول 3: 12.. هذا إضافة إلى تعظيم ملكه حتى لا يكون له نظير (الملوك الأول 3: 13).. جاء في الدر المنثور للسيوطي الجزء السابع " أخرج عبد بن حميد عن عكرمة رضي الله عنه قال ما من نعمة أنعم الله على عبد إلا وقد سأله فيها الشكر إلا سليمان بن داود عليه السلام، قال الله لسليمان عليه السلام " **هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب**"..

- من القصص المشهور عن حكمة سليمان عليه السلام (سفر الملوك الأول 3: 16 – 28) حُكمه بين امرأتين عاهرتين تعيشان معا ولكل منهما طفل رضيع، مات طفل إحداهما، فادّعت كل منهما أن الطفل الحي المتبقي هو ابنها.. فدعا سليمان بالسيف ليشطر الطفل بينهما، فارتاحت لهذا الحكم احداهما، وكرهته الأخرى متخلية عن دعواها ليعيش الطفل، فأعطى سليمان عليه السلام الطفل للتي أرادت له الحياة، فهي أمه التي أحنت عليه).. وقد وردت هذه القصة كذلك بصحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ".. كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت صاحبتها إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود فقضى به للكبرى فخرجتا

على سليمان بن داود فأخبرتاه فقال ائتوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى".. وجاء في سورة الأنبياء الإشارة إلى حكمه في قضية أخرى، هي قضية الغنم الذي دمّر الزرع، قال تعالى : " وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين. ففهمناها سليمان.." الأنبياء 78–79.. وجاء تفصيل حكم سليمان عليه السلام في الحديث الصحيح بالمستدرك على الصحيحين: عن ابن مسعود رضي الله عنه: في قوله عز وجل:" وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم" قال: كرَمٌ قد أنبتت عناقيده فأفسدته الغنم، قال فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان غير هذا يا نبي الله، قال وما ذاك، قال تدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها حتى إذا عاد الكرم كما كان دفعت الكرم إلى صاحبه ودفعت الغنم إلى صاحبها.."

جاء في سفر الملوك الأول 4: 29– 34 في الإشارة إلى حكمة سليمان عليه السلام: " **ووهب الله سليمان حكمة وفهما فائقين، ورحابة صدر غير متناهية.. فكان أكثر حكمة من جميع الناس.. ونطق بثلاثة آلاف مَثَل وبلغت أناشيده ألفا وخمس قصائد، ووصف الحياة النباتية.. كما وصف البهائم والطير والزواحف والسمك..**"

– تمثل فترة حكم داود وسليمان عليهما السلام العصر الذهبي بتاريخ بني إسرائيل، وفيه تمت حركة عمرانية ضخمة بأورشليم، وبكل أرجاء فلسطين، شملت بناء مدن كثيرة وقصور وحصون وأساطيل، وتمّ لبني إسرائيل بذلك اكتمال مقومات الدولة أو الإمبراطورية.

– تجاوز ملك سليمان كل ملك يمكن أن يصل إليه بشر! وقد أثبت القرآن الكريم هذا الأمر وأثبت له ضمَّه الجن والطير ضمن جنده.. الأمر الذي جعله يتمكن من نقل عرش ملكة سبأ من اليمن إلى فلسطين بلمحة بصر! وهي قدرة ما أظن البشر يصلون إليها يوما من الأيام.. كما أُشير هنا إلى أنّ تفاهم سليمان عليه السلام مع الطير وتسخيره إياها لأمره قد أُثبِتَ ذلك بالرسائل المقدسة الأولى ككتاب رؤيا باروخ السريانية (77: 25)، وفي الكتاب المقدس الحالي إشارة واضحة حُرّفت إلى فهم أحوال الطيور والحيوانات والحديث عنها (الملوك الأول 4: 33).. كما ورد في رسالة " وصية سليمان" تفصيل عجيب لتسخير سليمان عليه السلام للجن – وقد كانوا من الجن المفسدين والمغوين للناس– تسخيره إياهم في ضبط بعضهم لبعض وفي أعمال

البناء بما فيه من قطع للرخام وحجارة البناء من الجبال..
هذا ويتهم معظم المؤرخين العلمانيين وكذلك معظم اليهود سليمان عليه السلام بالحرص على جمع المال واقتناء مظاهر الملك الفانية على حساب قومه الذين يدّعون أنه أفقرهم وأعوزهم.. وهم بالتالي لا يُميّزون بين سليمان عليه السلام ومَن جاء بعده من ملوك ظلمة مغتصبين أو كهنة محتالين لكنز أموال الناس وسرقتها.. والواقع هو أنّ الملوك والكهنة الذين جاءوا من بعد سليمان وتسابقوا على أكل أموال الناس كانوا موضع سخط الأنبياء عليهم السلام على مرّ العصور.. وسنستعرض فيما بعد مظاهر لجشعهم وطمعهم.. أمّا سليمان عليه السلام نفسه فقد تصدّر الدعوة وإليه تُنسب مجموعة من مزامير داود عليه السلام والكتب المقدسة ككتاب الأمثال والجامعة.. إنّ سليمان عليه السلام لم يكن مجرد حاكم بل كان ملكاً ونبياً (يُوحى إليه) آتاه الله ملكا عظيما ليتصرف به كما يشاء، ولم يُعرف عنه إلا العدل مع الناس والحرص عليهم.. وكان زاهداً في كل مظاهر الملك.. كما يتضح ذلك من مبادرته عليه السلام للتخلص من الخيول (كني عنها بالخير الذي هو المال) زهداً فيها لمّا شغلته عن ذكر الله تعالى أو عن الصلاة.. جاء في ذلك قوله تعالى.. : " **ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أوّاب. إذ عُرض عليه بالعشي الصافنات الجياد. فقال إني أحببت حبّ الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب. ردّوها عليّ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق**" ص 30– 33.

– بنى سليمان عليه السلام بيتَ اللهِ House of God بأورشليم بأرض كان قد اشتراها داود عليه السلام من أراوناه Araunah الذي يُعتقد أنّه ربما كان آخر ملوك اليبوسيين الذين سكنوا أورشليم قبل داود عليه السلام، وهي أرض اشتراها داود عليه السلام بقيمتها الكاملة رغم إصرار صاحبها أن يجعلها هدية منه، فاشتراها داود عليه السلام خصيصا لتكون موضع بناء بيت الله، الذي أُجل بناؤه ليكون على يد سليمان عليه السلام، " وسخر الملك سليمان ثلاثين ألف رجل من أرجاء إسرائيل.. وفضلاً عن هؤلاء كان لسليمان سبعون الفا من حمالي الخشب وثمانون ألفا من قاطعي الحجارة في الجبل، ما عدا ثلاثة آلاف وثلاثمائة من المشرفين" (الملوك الأول 5: 13–16)، ومع هذا كله فقد جاء البناء حسب ما سجله الكتاب المقدس بطول 180 قدماً وعرض 90 قدما وارتفاع 50 قدماً أو 55 x 27 x 15 متراً فقط.. أو ستين ذراعا في عشرين ذراعا في عشرين ذراعا (الملوك الأول 6: 2) (تكاد أن تكون أبعاد كل المساجد الجامعة بالمدن

الإسلامية أعلى من هذه الأبعاد التي زعمها اليهود لبيت الله الذي بناه سليمان عليه السلام).. وهذا أمر غريب أن يإتي البناء بعد ذلك في مثل ذلك الصغر!

– هذا وقد جاء في الحديث النبوي تصريح ببناء سليمان عليه السلام لبيت الله بأورشليم (بيت المقدس أو القدس) روي عن عبدالله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " **أنّ سليمان بن داود صلى الله عليه وسلم، لمّا بنى بيت المقدس سأل الله عزوجل خلالاً ثلاثة، سأل الله عزوجل حُكما يصادف حكمهَ، فأُوتيه، وسأل الله عزوجلّ ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأُوتيه، وسأل الله عزوجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه**" رواه النسائي وأحمد وابن ماجه وغيرهم، وصححه الألباني (6).. إلا أنّ الحديث الصحيح كذلك من رواية البخاري رحمه الله تعالى قد صرح كذلك بأن المسجد الحرام بأورشليم (المسجد الأقصى) قد بُني بعد البيت الحرام بمكة بأربعين عاما.. (6) ولعلّ في ذلك دلالة على أنّ إبراهيم عليه السلام قد عرف منطقة بيت المقدس قبل اليبوسيين الذين جأوا من بعده كما هو معلوم تاريخيا، وهو الذي سماها مدينة السلام Salem, or Solyma كما سبق ذكره، فلمّا عاد بنو إسرائيل من مصر وجدوا منطقة أورشليم – التي عرفها جدهم إبراهيم عليه السلام– معمورة باليبوسيين، ولم تعد لملكيتهم لأرض أورشليم أو لبيت المقدس إلا في عصر داود عليه السلام الذي جهز المواد لبناء البيت، ذلك الذي أُنجز فيما بعد على يد ابنه سليمان عليهما السلام.. وبهذا فأول من أقام المسجد بأورشليم هو ابراهيم عليه السلام، وقد كان أمةً لوحده، وكان بناء سليمان عليه السلام له تجديدٌ له من بعد ضياع أرضه لمدة لا تقل عن ألف عام.. ولا يملك أهل الكتاب وهم يُصّرون (وهو ما نخالفه) على أنّ الموضع الذي اختاره ابراهيم عليه السلام لذبح ابنه كان هو موضع المسجد، لا يملكون بهذا المُعتقد إلا الإقرار بأنّ أول من حدّد مكان البيت بأورشليم كمكان للنسك والعبادة كان فعلاً ابراهيم عليه السلام.. هذا وقد رأى بعض العلماء أنّ الذي حدد موقع بيت المقدس هو آدم عليه السلام لأنه هو نفسه الذي حدد موضع الكعبة المشرفة.. ويكون ما بين اصطفاء الموضعين أربعين عاما..

– يذكرنا شراء داود عليه السلام لأرض بيت الله بقيمتها ورفضه لها كهدية بشراء رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم لأرض الحرم النبوي ورفضه قبولها كهدية من أصحابها.. جاء في

زاد المعاد لابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى: " قال الزهري بركت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم موضع مسجده وهو يومئذ يصلي فيه رجال من المسلمين وكان مربداً لسهل وسهيل غلامين يتيمين من الأنصار كانا في حجر أسعد بن زرارة فساوم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين بالمربد ليتخذه مسجداً فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فأبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتاعه منهما بعشرة دنانير".

– أصبح لبيت الله (أوالمعبد) مكانة مقدسة في نفوس اليهود، وأصبح قيامه خلال القرون التالية رمزا لوجودهم.. وهذا أمرٌ قد يفهم من قبل المؤمنين منهم بالقرون الخالية.. ولكنه لدى العلمانيين من يهود هذا العصر لا يعدو إلا أثراً ورمزاً قومياً .. ولا ينبغي لمن زعم لنفسه الإيمان منهم الا التسليم بفناء البيت عقوبة مُسطَّرة من الله لديهم.. ولمن يزعم منهم الإيمان دلائل كافية من كتبهم ببيت لله جديد ببقعة جديدة على أيدي المختارين (يراجع كتاب التباشير بالإسلام ..).

– لم ترث الأمة الوارثة (أمة الإسلام) من معالم أهل الكتاب معلماً مقدساً غير بيت الله بأورشليم (المسجد الأقصى).. ولا تُشد الرحال إلى شئ من آثارهم ومعالمهم إلا إليه.. وقد ثبت قي عدد من السنن قيام أبي هريرة رضي الله عنه بزيارة جبل الطور، وأنكر عليه ذلك – ولكن بعد الزيارة– الغفاري رضي الله عنه .. جاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل (ومثله بمسانيد أخرى) عن أبي بصرة الغفاري قال: لقيت أبا هريرة وهو يسير إلى مسجد الطور ليصلي فيه قال فقلت له لو أدركتُك قبل ان ترتحل ما ارتحلتَ. قال فقال ولم؟ فقلت انّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لا تشد الرحال الا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا".. هذا رغم أن جبل الطور قد ذُكر مراراً بالقرآن الكريم فكيف بما ليس له أصل ولا ذكر من آثارهم لدينا.

- من الشخصيات الهامة التي عاصرت سليمان عليه السلام:

- **صادوق Zadok** : وهو الكاهن المعاصر لداود وسليمان عليهما السلام، وهو من سبط لاوي من أبناء هارون الذين جاءت تعاليم التوراة توصي ببقاء الكهانة بينهم.. وقد انضم كمقاتل جبار" إلى جيش داود وهو بحبرون (أخبار الأيام الأول 12: 26– 28).. وانفرد برئاسة الكهانة من بعد فصل سليمان عليه السلام للكاهن الآخر المعاصر له ابياثار بسبب تأييد الأخير لاختيار أدونيا أخي سليمان للملك بدلا من سليمان عليه السلام، هذا على ما يذكر كتاب الملوك الأول (2: 26).. وقد انفرد أبناء صادوق بتوارث موقع الكاهن الأعلى عبر القرون حتى حفيده " جيهوصادوق" Jehozadak الذي أُخذ مع السبي البابلي عام 586 ق م.. ثم استعاد يوشع Jeshua ابن جيهوصادوق موقع الكهانة مع بناء البيت ثانية في الاعوام 520– 515 ق م، واستمرت في أبنائه حتى عام 172 ق م حين انتزعها الملك السلوقي اليوناني انطيوخس وأعطاها لمينيلاس كما سيرد تفصيله.. ثمّ أخذ الكهانة بعد ذلك ملوك المكابيين (سيرد الحديث عنهم) الذين لم يكونوا من أبناء صادوق.. وكان هذا سبباً لاعتبار المكابيين غير شرعيين، ولتأييد الكثير من الجماعات اليهودية كالأسينيين والفريسيين لعودة الكهانة لأبناء صادوق (الذين كانوا ما يزالون يتوارثون الكهانة ولكن بمعبد بالمهجر بمصر، أغلقه الإمبراطور الروماني فيسبيان لاحقا بعد تدميره للقدس عام 70 م).. كما سنفصل فيما يلي من أحداث..
- **حيرام Hiram**: وهو البَنَّاء الماهر الذي قام بأعمال رئيسية من بناء الأعمدة والقدور والتماثيل والزينة ودورات المياه اعتمدت كلها على صهر النحاس (الملوك الأول 7: 13– 47).. وهو من سكان صور أصلا، وأمُّه إسرائيلية من سبط نفتالي.. يلاحظ أنّ ملك صور في عهد داود وسليمان عليهما السلام كان اسمه كذلك حيرام، إلا أن ذلك لا علاقة له بحيرام البناء .. هذا ويزعم البناؤن أو الماسونيون أنهم ينتسبون إلى حيرام البناء هذا.. ولعل ذلك مما يفسر أنّ إعادة بناء الهيكل بالقدس هو أحد الأهداف الماسونية التي تسعى الماسونية لتحقيقها.

عصر مملكتي إسرائيل و يهوذا (خريطة 4)

(أخذت التفاصيل لهذا الفصل من نسخ الكتاب المقدس وشروحاته المذكورة بالمراجع مباشرة)

الحدث:

- انقسام مملكة سليمان عليه السلام إلى مملكة يهوذا Judah بالجنوب (931 ق.م – 586 ق.م، وقد تعاقب عليها 20ملكاً) ومملكة إسرائيل Israel بالشمال (931 – 721 ق.م، تعاقب عليها 19ملكاً)، واستمرار القتال بينهما لفترة طويلة رغم إحاطة الأعداء بهما، واستعانة بعضهم على بعض بأعدائهم من الخارج، مع تكرر الانقلابات المتتالية على الحكام في كل منهما، وانتهاء حياة معظم الحكام قتلا على أيدي منافسيهم من اليهود أنفسهم.

- كان رحبعام بن سليمان عليه السلام هو أول الملوك بعد سليمان عليه السلام.. وقد تمردت عليه المناطق الشماليه التي كونت مملكة إسرائيل كما سنفصل لاحقاً.. بينما سميت المنطقة الجنوبية التي بقيت معه باسم مملكة يهوذا.

- كانت مملكة يهوذا بالجنوب أفقر وأضعف من مملكة إسرائيل بالشمال.. وأكثر عرضة للضياع أمام هجمات الفراعنة وهجمات مملكة إسرائيل.. ولكنها استعانت بأموال المعبد وبدول مجاورة على أعدائها، بما فيهم أعداءها من الإسرائيليين بالشمال.. وربما كانت وبشكل عام أقل ردّة من إسرائيل بالشمال.. وقد تكونت مملكة يهوذا من أبناء سبطي يهوذا وبنيامين بينما تكونت مملكة إسرائيل من أبناء العشرة أسباط الآخرين، وإن كان أحدها وهو سبط لاوي قد انتشر في الواقع على المملكتين.

- يذكر سفر الملوك الأول أن سبب خروج إسرائيل بالشمال عن الخضوع لإمارة رحبعام بن سليمان عليه السلام هو رفض رحبعام التخفيف عن كواهل سكانها من الواجبات التي كانت عليهم، اتباعا لنصيحة بعض الشباب الذين كانوا معه ونصحوه بتحدي طلب الشعب إثباتا لقوته، فتمردت عليه مدن الشمال وكونت مملكة إسرائيل، التي رأسها يربعام بن نباط (931– 901) الذي كان خادما لدى سليمان عليه السلام، ثم عصاه وهرب إلى شيشق ملك مصر، فدعاه أهل إسرائيل لحكمهم.. ولم يبق لرحبعام بن سليمان الا سبط يهوذا (وسبط بنيامين الضعيف).. ويذكر السفر أن يربعام صنع عجلين من ذهب ووضعهما ببيت إيل وبدان ليعبدهما الناس ويقربوا اليهما الذبائح بدلا من تقديمها لله عزوجل بأورشليم.. وقد أطاعه الشعب في ذلك، كما يذكر السفر (الملوك الأول اصحاح 12: 1– 33).

ويذكر سفر الملوك (اصحاح 14: 22– 24) أن قوم رحبعام بمملكة يهوذا أيضا قد أقاموا

التماثيل والأنصاب، وانتشر بينهم العهر والشذوذ الجنسي..

- وأصبح لمملكة الشمال قبلتها ومكانها المقدس البديل الخاص بها **(جبل جروزيم بالسامرة)!!**

التعليق والتفصيل:

- بناء على التوراة المعاصرة فقد انتشرت في هذه الفترة التي تلت عصر داود وسليمان عليهما السلام عبادةُ الأوثان وتقليد الأمم الكافرة، إرضاءً لها أو إعجابا بها، وظهرت الردة عن الدين، وكثر مدّعي النبوة كذبا بين اليهود بشكل سريع ومتكرر. وقد ظهر خلال هذه الفترة حكام مرتدون ظلمة كآخاب وأحزيا وغيرهم قتلوا الأنبياء، وعبدوا الأوثان.. كما ظهر حكام مصلحون، أُيدوا بنصر الله طالما التزموا بدينه وحكموا شريعته.. ومن أنبياء هذه الفترة عزريا وميخا وإيلياء واليسع (القرن العاشر إلى التاسع ق.م) ويحزئيل وزكريا بن يهوياداع، وقد قتل الأخير رجما بالحجارة في ساحة الهيكل رغم نبوته.

ومن أنبياء هذه الفترة كذلك عاموس وهوشع في مملكة إسرائيل، واشعيا وارميا في يهوذا.. وتمّ بعد ذلك في هذه الفترة (الممتدة إلى الأسر البابلي عام 586 ق.م) نشر النبي إشعيا بالمنشار، وقتل أنبياء آخرين كثيرين فوق أن يحصوا.. وقد تنبأ كثير منهم بسقوط السامرة (عاصمة مملكة إسرائيل بالشمال، وهي واقعة شمال غرب نابلس أو شكيم الحالية بستة أميال) وبسقوط أورشليم (سيرد الاستشهاد بأمثلة منها).. وسنستعرض ببعض التفصيل المحدود تاريخ هاتين المملكتين..

- أعادت الأمة الإسلامية في تاريخها الطويل في كل بقاعها نفس مسلسل الإنقلابات والتقاتل على الحكم، والإستعانة بغير المسلمين على المسلمين، فكان أن ضاعت ديارهم وسيطر عليهم أعداؤهم.. ولن يستطيع أحد إحصاء الأمثلة على ذلك من التاريخ الإسلامي لكثرتها للأسف.. وفي ذلك معصية مباشرة لأوامر الله عزوجل وإيذانا بإسلامه تعالى الذين تنازعوا للأعداء يستبيحون حرماتهم ويستعبدونهم.. وهو ما حدث مرارا بالتاريخ الإسلامي في عصور مختلفة ومناطق شتى نتيجة التمزق والإختلاف.. قال تعالى : " **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ..**" الأنفال 46، وقال تعالى : "**يأيها الذبن آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أُوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين**" آل عمران 100.

- يلاحظ القارئ على بني إسرائيل – من مواقف عديدة وكثيرة على مرّ تاريخهم– سرعة كفرهم

بالله، وارتدادهم لعبادة الأوثان والأصنام.. وهو أمر تكرّر من جيل الآباء الذي عاصر موسى عليه السلام وعايش المعجزات على يديه، إذ سارع إلى عبادة العجل خلال غياب موسى عليه السلام المحدود للقاء ربه، وطلب الجيل نفسه من موسى بعد العبور مباشرة أن تكون لهم آلهة كتلك التي يتعلق بها الوثنيون.. " **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون..**" الأعراف:138.. ولعل القارئ لاحظ سرعة التهاوي إلى الردّة خلال عصر القضاة رغم العقوبات الإلهية المتتابعة، ويرى هاهنا سرعة العودة إلى عبادة الأصنام وتقليد الأمم الكافرة بمجرد موت سليمان عليه السلام، وسيرى أمثلة أخرى عديدة في بقية هذا السرد التاريخي، هذا من غير الحديث عن عصيان الأنبياء والتآمر عليهم، واتباع المتنبئين الكذبة، والإفتراء على الله وتعطيل شرعة، وتقليد الأمم الكافرة.. ومع أنّ الأمة المسلمة كررت كثيرا من آثام بني إسرائيل، إلا أنّ أبناءها في عامتهم كانوا أثبت كثيرا على دينهم من أبناء بني إسرائيل.. وما نقرأه مما كتبه اليهود بأنفسهم عن سرعة كفر أبنائهم وتهاويهم لعبادة الأصنام كل حين لهو أمر لا يكاد يتخيل العقل المسلم وقوعه ممن آمنوا بالله ورسله يوما من الأيام..

مملكة إسرائيل 931 – 721 ق.م

(اصحاحات الملوك الأول والثاني):

مات **يربعام** عام 901 ق.م بعد سيرة فاسقة كما يذكر الكتاب المقدس عصى فيها الأنبياء، وأضل فيها قومه، وأحيا خلالها عبادة الأصنام، ثمّ انتقل الحكم بعده إلى ابنه **ناداب** الذي فسق كوالده، وسرعان ما قتله مع كل أبناء يربعام أحد قواده وهو **بعشا** (900– 877 ق.م) الذي تحالف مع الكوشيين على الحرب ضد يهوذا، وكان كذلك شريرا، ثم حكم ابنه بعده اسبوعا، ليُقتل مع كل أهله على يد قائده **زمري**، فيقضي على زمري قائد آخر هو **عُمري**.. ليحكم عُمري هذا 12عاما بسياسة اهتم فيها بالتنظيم المدني ولكن بعيدا عن الدين، فما ذُكر إلا بالشرّ..

ثم حكم ابنه **آخاب بن عمري** (874– 853 ق.م) لإثنين وعشرين سنة فكان أشرّ من أبيه ومن كل من سبقه... وتزوج من **ايزابل** ابنة ملك صيدا.. فعبد آخاب معها **البعل** (معبود الكنعانيين) وسجد له، وشيد له مذبحاً وأقام له أصناماً ومعبداً بالسامرة... وقَتَل مدفوعاً بزوجته

ايزابـل أنبيـاءَ الله.. وحـدث أن أصـيبت إسـرائيل – عقوبـةً مـن الله – بجفـاف ومجاعـة شـديدة أجبرت آخاب أن يسمع للنبي **إيليـا (إليـاس)** الذي لـن تتمكن إيزابل من قتلـه كبقيـة الأنبيـاء.. وطلـب إيليـا مـن آخـاب أن يجمـع النـاس ليشـهدوا أيّ قربـان سـيتقبله معبـوده (الله عزوجـل أَم البعل)، فيُقرّب ايليا قربانا لله، ويقرب آخاب قربانا للبعل (الصنم).. فأيّ القربـانين تنـزل عليـه نـارا مـن السـماء لتحرقـه فهـو القربـان المقبـول مـن الإلـه الـذي يسـتحق العبـادة.. وكـان أن تمـت المعجزة لإيليا وحده، " وخرّوا _ أي جموع الناس_ ساجدين على وجوههم إلى الأرض هاتفين :" الـرب هـو الله ! الـرب هـو الله !"، واسـتجابت جمـوع النـاس لإيليـا بجمـع أنبيـاء البعـل ثـم ذبحهـم جميعـا... وانقشـع بـذلك بـلاء الجفـاف والمجاعـة... ولكـن ايزابـل أعلنـت عزمهـا علـى قتـل إيليـا انتقاما لـ" أنبياء البعل" الدجالين، فهرب منهـا... ثمّ إنّ آخـاب أراد شراء بسـتان مجـاور، فـرفض صـاحبه بيعـه، فقامـت إيزابـل بـأمر الوجهـاء بقتـل صـاحب البسـتان بحجـة قـول كلمـة الكفـر بعـد إشـهاد شـاهدي زور، وضـمت بعـد ذلـك بسـتانه لقصـر آخـاب... فقضـى الله تعـالى بعـد ذلـك علـى آخـاب فقُتـل فـي معركـة مـع الأراميين.. وتـأخرت النقمـة مـن ايزابـل رأس الشـرّ زمنـا حتـى ألقاهـا فتيانهـا طعامـا للكـلاب طاعـة للقائـد يـاهو الـذي تمـرد علـى يهـورام ابنهـا الـذي سـترد الإشـارة إليـه لاحقـاً... قـال تعـالى عـن قتلـة الأنبيـاء والمصـلحين :" **إنّ الـذين يكفـرون بآيـات الله ويقتلـون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم، أولئـك الـذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين**" آل عمران 21–22.

قال تعالى عن رسالة إيليا (إلياس) ومقاومته لعبادة البعل: " **وإنّ إليـاس لمـن المرسـلين، إذ قال لقومه ألا تتقون، أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين، الله ربكم ورب آبائكم الأولين، فكذبوه فإنّهم لمحضرون، إلا عباد الله المخلصين، وباركنـا عليـه فـي الآخرين، سـلام علـى إل ياسين، إنا كذلك نجزي المحسنين، إنّه من عبادنا المؤمنين**" الصافات 123– 132

وكان قد حكم بعد آخاب ابنه **أخزيا** (853– 852 ق.م) فكان كوالديه من المرتدين... ثم حكم **يهورام** (852– 841 ق.م) أخو أخزيا... ومضى يهورام شريراً مثل من قبله، وإن كان قد أزال تمثال بعل الذي نصبه أبوه آخاب وأظهر طاعة واستعانة بالأنبياء في كثير من المواقف.. ورفع الله عزوجلّ إيليا حياً إلى السماء في هذه الفترة كما يذكر كتاب الملوك الثاني (2: 10– 11) بعد فشـل عـدد مـن محـاولات قتلـه رغـم مـا أُويّد بـه مـن معجـزات كثيـرة منهـا احيـاء ميـت

وتصديق نبؤاته والنار الملتهمة للقرابين وفلق ماء النهر ليسير على يابسته وقتل خصومه بنار من السماء وغيرها، واستخلف للدعوة من بعده تلميذه **أليسَع** نبيا مؤيداً كذلك بالمعجزات... فمن معجزات اليسع أو أليشع التي فصّل ذكرها سفر الملوك معجزات مباركة الطعام القليل ليكفي الأعداد الكبيرة من الناس، وتحلية المياه الرديئة، وصدق نبواته عن نتائج المعارك ومستقبل عدد من الأفراد، وإنجاب الشيخة العاقر، وأحياء ولدها بإذن الله لما مات فيما بعد، وإشفاء الأبرص بإذن الله، وإبراء الطعام من السم، وإصابة الجند الذين جأوا للقبض عليه بالعمى... وغيرها كثير... وقد حاول يهورام قتل أليسع سخطاً (على الله عزوجلّ !) لمّا أصيبت السامرة بمجاعة شديدة أثناء حصار الآراميين لها، واضطر معه البعض من سكانها لسلق أطفالهم وأكلهم، وقد كان ذلك عقاباً وابتلاءً من الله عزوجلّ لو كانوا يفقهون!.. وذلك رغم كل هذه المعجزات التي جرت على يدي اليسع ومن قبله الياس عليهما السلام، ورغم دور اليسع الكبير في توجيه يهورام ونصحه وإنقاذه..

واختار أليشع بأمر الله – كما يذكر سفر الملوك– **ياهو** (841– 814 ق.م) أحد قواد يهورام ليكون ملكا على إسرائيل، فأيّده بقية القادة، فقضى ياهو على يهورام وعلى أمه ايزابل كما أشرت من قبل، وأباد كل أبناء آخاب زوج ايزابل حتى لم يُبق من نسله أحد، تماما كما فعل القائد بعشا مع أبناء سيده يربعام، وكما فعل القائد زمري مع أبناء سيده بعشا، واحتال ياهو فجمع كل عبدة بعل للإحتفال في معبد بعل، فأبادهم جميعا ولم يبق أحدا.. وأزال تمثال بعل وجعل معبده مزبلة... لكنه لم يحكم بالشريعة، ولم يحد عن خطايا من قبله.. وانكمشت أراضي اسرائيل في زمنه...

هذا وقد ظهر في هذه الفترة نبي الله **يونس بن متى** (يونان بن أمتاي) رسولاً إلى مملكة آشور وإلى عاصمتها نينوى (وبها مائة وعشرون ألف نسمة).. في فترة كانت سابقة لعصر يربعام بن يوآش (سيأتي ذكره) كما يُفهم من سفر الملوك الثاني 14: 25، الذي يُفهم منه كذلك أنّ يونس عليه السلام هو أصلاً من بني إسرائيل وإن كان قد أرسل إلى أعدائهم.. وهو ما يتفق كذلك مع القرآن الكريم الذي عدّ يونس عليه السلام من أبناء إبراهيم عليه السلام (الانعام 86).. ويبدو من الآثار الإسلامية أنّ يونس دعا أهل نينوى إلى الله عزوجل فلم يُطيعوه.. وتهددهم بالعذاب فما استجابوا.. فأنذرهم بوقوع عذاب الإستئصال خلال أربعين يوما، وهجرهم

بعد أن نفد صبره عليهم غاضباً مسافراً عبر البحر.. فكان أن قدّر الله عليه أن يلتقمه الحوت.. ثم تاب الله عليه بعد استغفاره، واصطفاه وأرسله إلى نينوى مرة أخرى.. وكان أهلها قد افتقدوه وآمنوا وتابوا (ذكر البعض أن توبتهم هذه تمت في غيابه) مع ظهور أمارات العذاب الذي كان قد تهددهم به بشكل غيوم سوداء كثيفة.. فاختلفوا بذلك عن بقية الأمم قبلهم التي ظلت تكذب بالعذاب وتسخر من وقوعه إلى آخر اللحظات كما أُشير إلى ذلك في عدد من الآيات الكريمة بالقرآن حين اعتبرت أقوام سابقة كسف السماء سحاب مركوم أو عارض ممطر.. وكان أن فرّج الله عليهم ورحمهم بعد أن تابوا جميعا فلم يقع عليهم حينها العذاب " **فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لمّا آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين**" يونس:98.. وترد قصة يونس بالكتاب المقدس (سفر يونان) في عرض مختلف.. فغرق يونس كان لعدم امتثاله الأمر بالسفر إلى نينوى (يعزوا مفسروا الكتاب المقدس ذلك لكراهيته هداية أعداء قومه)، ثم إنّ الله عزوجل بعد أن أنجاه من بطن الحوت أمره ثانية بالذهاب إلى نينوى التي لم يكن أصلا قد ذهب إليها.. فآمن أهلها وتابوا.. فيقول الكتاب المقدس أنّ نجاتهم تلك أغضبت يونس عليه السلام! كأنّما كان يتمنى لهم العذاب.. وأنّه هجرهم بعدها وأنّ شجرة اليقطين نبتت عليه بعد ذلك.. ولاشك بأنّ يونس عليه السلام من الأنبياء العظام يدل على ذلك نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفضيله على يونس عليه السلام.. وما ورد في الآثار اليهودية عنه لايبدوا واضحا.. وما تعارض منه مع القرآن الكريم فهو قطعاً غير صحيح.. هذا ولا يبدو أن هداية قوم يونس قد طالت كثيرا.. فقد أجرى الله على أيديهم عذاب الإستئصال الكامل لمملكة إسرائيل بأسباطها العشرة عام 721 ق م.. ثم عذبهم هم أنفسهم على أيدي البابليين (عام 612 ق م) الذين ملكوا ديارهم وأموالهم..

ثمّ خلف ياهو بعد موته ابنه **يهوأحاز** (814- 798 ق.م) الذي كان شريرا، فسلط الله عليه ملك أرام، ثمّ جاء بعده **يهوآش** (798- 793 ق.م) ابنه فكان كذلك شريراً إلا أنه تغلب على خصومه من الآراميين ومملكة يهوذا، فخلفه ابنه **يربعام** (793- 753 ق.م) فحكم لإحدى وأربعين سنة، وكان كذلك شريرا، لكنه ضم إلى إسرائيل أراضي حماة ودمشق، وظهر في هذه الفترة النبي **عاموس** الذي هاجم الفساد الأخلاقي والسياسي في كل من إسرائيل ويهوذا، وأنذر بزوال دولة إسرائيل، وسنستعرض بعض أقواله عند الحديث عن مملكة يهوذا، ثم خلفه

ابنـه زكريـا (753 – 752 ق م) وكـان كذلك شريرا، وقتلـه بعد ستة أشـهر **شـلوم بـن يلبـيش،** وقتل شلوم بعد شهر من حكمه على يد **مناحيم بن جادي** (752– 742 ق.م)، فحكم لعشر سنين وكان شريرا، واسترضى مناحيم هذا فول ملك آشور بألف وزنة (أي ثلاثة آلاف وستمائة كيلوجرام) من الفضة، ثم مات مناحيم فخلفه **فقحيا** (742– 740 ق.م) لسنتين ولم يكن صالحا فقتله **فقح بن رمليا** (740– 732 ق م) أحد قواده، ولكنه كذلك كان شريرا، وخسر مدنا كثيرة لصالح الآشوريين، ثم قتله **هوشع بن أيلة** (732– 722 ق.م)، ولم يكن كذلك صالحا، وزحف عليه **شلمنأسر** ملك أشور عام 727 ق م، فخضع هوشع له ودفع له الجزية، ثم خانه (عدم توفيق من الله لهؤلاء الحكام المفسدين حتى تتم عليهم العقوبة الربانية، وسنرى مثل هذا لاحقا)، فعاد شلمنأسر لحصار السامرة، ولكنه مات ففك الحصار، وجاء سرجون الثاني ملكا على آشور، فقام باجتياح إسرائيل وتدميرها (الملوك الأول 14: 22– 24)، وسبى الآشوريون الإسرائيليين إلى أشور، "**ونقلوا أقواما من بابل وكوث وعوّا وحماة وسفراويم فأسكنوهم مدن السامرة محل بني إسرائيل**".. وبذلك انتهت مملكة إسرائيل إلى الأبد وضاع معها عشرة أسباط من أسباط بني إسرائيل الاثني عشر لا يعلم مصيرهم حتى الآن.. وأما القوم الوثنيون الذين سكنوا إسرائيل فقد خلطوا عباداتهم الوثنية مع شيْءٍ من اليهودية علمهم إياها بعض الإسرائيليين الذين أطلقهم الآشوريون لهذا الغرض...

وتعليقاً على هذا الإستئصال الرباني (بلا شكّ) لعشرة أسباط من بني إسرائيل جاء في سفر الملوك الثاني، اصحاح 17 : " وقد حلت هذه النكبة ببني إسرائيل لأنهم أثموا في حق الربّ إلههم الذي أخرجهم من ديار مصر من تحت نير فرعون، وعبدوا آلهة أخرى، سالكين حسب فرائض الأمم الذين طردهم الرب من أمامهم (أي متبعين لشرائع الأمم التي هزمها الله لهم)، وارتكب بنو إسرائيل في الخفاء معاصي في حق الرب إلههم.. وأقاموا لأنفسهم أنصابا وتماثيل لعشتاروت – Ashatroth اسم لمعبودة أو آلهة كنعان– على كل مرتفع، وتحت كل شجرة خضراء، وقدموا محرقات كسائر الأمم.. واقترفوا الموبقات لإغاظة الرب عابدين الأصنام التي حذرهم ونهاهم الرب عنها، وقد أنذر الرب إسرائيل ويهوذا عن طريق أنبيائه ورائييه (جمع رائي) قائلا : " ارجعوا عن طرقكم الآثمة، وأطيعوا وصاياي وفرائضي بمقتضى كل الشريعة التي أوصيت آباءكم بتطبيقها، والتي أعلنتها لكم على لسان عبيدي الأنبياء". لكنهم أصموا

أذانهم وأغلظوا قلوبهم كآبائهم الذين لم يثقوا بالرب، وتنكروا لفرائضه وعهده الذي أبرمه مع آبائهم، وتجاهلوا تحذيراته ونواهيه لهم، وضلّوا وراء أصنام باطلة، فأصبحوا هم أنفسهم باطلين، وتمثّلوا بالأمم الذين حولهم مع أنّ الرب أمرهم ألا يفعلوا مثلهم... ونبذوا جميع وصايا الرب إلههم.."

التعليق على تاريخ مملكة إسرائيل:

لايكاد المرء يستطيع حصر العبر من تاريخ مملكة إسرائيل أعلاه... فعقابُ الله لم يتأخر عن القوم الظالمين، وعن قتلة الأنبياء والصالحين كما أشرتُ من قبل، وإن كان هؤلاء قد أُمهِلوا، وأُسبق العذاب بقدر هائل من التذكير والتحذير على ألسنة الأنبياء والصالحين، وعجزت المعجزات الساطعة أن تُثبِّت إيمان بني إسرائيل، بما فيها معجزة القربان الذي تأكله النار (وقد تكررت عليهم مراراً)، وهي المعجزة التي زعموا فيما بعد أنهم أمروا باشتراطها للإيمان بالمرسلين، وذلك من كذبهم فإنّ كل المرسلين الذين جاءوا من بعد إلياس واليسع لم يأتوا بهذه المعجزة، وقد آمن بهم الكثير منهم، ثمّ إن الذين جاءوا بها قتلوهم أو سعوا لقتلهم! جاء في مخطوطات البحر الميت في عدد من الرقع منه الرقعة 4Q376, col.1&2 وغيرها حديثا عن اختبار النبي الصادق بتقديم قربان تأكله النار، قال تعالى يحاجج هؤلاء الذين اتخذوا هذا عذراً لأنفسهم فلم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا، قال عز وجلّ " **الذين قالوا إنّ الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين**" آل عمران 183..

ونفهم هاهنا كذلك عدم إنفراد عيسى عليه السلام بإحياء الموتى بإذن الله تعالى فقد شاركه في هذه المعجزة الياس واليسعُ كما تروي كتب الأنبياء، ولا انفرد برفعه حياً إلى السماء إنقاذاً له من القتل كما نفهم من الكتاب المقدس، فقد تمّ مثلُ ذلك لإدريس وإيليا عليهما السلام، كما نلاحظ من دراسة تاريخ هذه المملكة مرةً أخرى سرعةَ كفر بني إسرائيل، ونكثهم لميثاقهم مع الله عزوجل، وسهولة ردّتهم إلى عبادة الأوثان بمجرد رغبة الحاكم وهواه، وخلطَ كثير منهم في آنٍ واحد بين عبادة الله وعبادة الأوثان، بل إنّ كتب الأنبياء أخذت على كثير من ملوكهم الصالحين عدم تطهيرهم للبلاد تماما من الأوثان، وتساهلهم مع تلك التي بالمرتفعات (المعابد البديلة للمعبد أورشليم)، وأشارت الكتب إلى هذا النقص في عملهم وأنه لا يقبل من الناس إلا

التوحيد الخالص... هذا إضافة إلى انتشار الفساد المالي وأكل حقوق المستضعفين منهم، وانتشار الفاحشة بينهم بشكل سافر ومرعب، رغم تغليظ التوراة في تجريم الزنا وفرض عقوبة القتل رجماً على مرتكبيها.. وخلاصة القول هو أنّ القوم تنكروا للشريعة والدين والأنبياء فاندحروا من بعد الاصطفاء واستحقوا عذاب الاستئصال.. أكرر بعض ما ما جاء في سفر الملوك الثاني (17: 7- 23) تعليقاً على إفناء إسرائيل : " وقد حلت هذه النكبة ببني اسرائيل لأنهم أثموا في حقِّ الربّ إلههم، الذي أخرجهم من ديار مصر من تحت نير فرعون، وعبدوا آلهة أخرى سالكين حسب فرائض الأمم الذين طردهم الربّ من أمامهم ومن أمام ملوكهم (أي تبنوا عقائد الأمم التي أخضعها الله لهم!).. وارتكب بنو إسرائيل في الخفاء معاصي في حق الربّ إلههم.. وأقاموا لأنفسهم أنصاباً وتماثيلَ لعشتاروت.. عابدين الأصنام التي حذَّرهم ونهاهم الربُّ عنها، وقد أنذر الربُّ إسرائيل ويهوذا عن طريق أنبيائه ورائييه قائلاً: " ارجعوا عن طرقكم الآثمة، **وأطيعوا وصاياي وفرائضي بمقتضى كلّ الشريعة** التي أوصيتُ آبائكم بتطبيقها، والتي أعلنتها لكم على لسان عبيدي الأنبياء" لكنهم أصموا أذانهم وأغلظوا قلوبهم كآبائهم الذين لم يثقوا بالرب إلههم، وتنكروا لفرائضه وعهده الذي أبرمه مع آبائهم، وتجاهلوا تحذيراته ونواهيه.. ونبذوا جميع وصايا الربّ إلههم.. فاحتدم غضب الرب على إسرائيل وطردهم من حضرته، ولم يبق سوى سبط يهوذا، ولكن حتى سبط يهوذا لم يحفظ وصايا الرب إلهه بل نهج في طرق إسرائيل التي سلكتها، فنبذ الربّ كل ذرية إسرائيل وأذلهم وأسلمهم ليد آسريهم وطردهم من حضرته.." عقاب عادل، ودرس بيّن، ياليت أمتنا تتعلم منه وتستفيد!

ونلاحظ من تاريخ إسرائيل شدة إعجاب بني إسرائيل بالأمم الوثنية من حولهم، واقتباسهم المتكرر لعاداتها بل ولعباداتها، مع أن الله قد حرّم عليهم تقليد الكفار من حولهم كما صرح بذلك كتابهم المقدس... الأعجب من ذلك هو تبني الإسرائيليين لأوثان بعض الأمم التي هزموها.. وهو ما يذكرنا بآبائهم لما خرجوا من مصر منتصرين، فرأوا قوما يعبدون أوثاناً فطلبوا من موسى أن يجعل لهم آلهة مماثلة.. وفي هذا يقول الله تعالى : " **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون. إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون. قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين..**" الأعراف 138- 140، فمن الواضح أنّ سلوك الجيل

الأول في مسارعته للوثنية وعبادة العجل وعدم تقدير الأنبياء بل والإساءة إليهم، أنّ هذا السلوك قد استمر بكل حذافيره في أجيالهم التالية، حتى استحقوا عقاب الإستئصال الذي حلّ بهم في مملكة إسرائيل، ثم عقاب الطرد والتشريد الذي حل بيهوذا ثمّ ببقيتهم على أيدي الرومان كما سنستعرض فيما بعد...

وأما تاريخ ملوكهم واستعانتهم بالكفار على بعضهم، وتقاتلهم على الحكم فمن المؤسف أن مثل ذلك كله قد تكرر في التاريخ الإسلامي.. ويبقى من مزايا الأمة الإسلامية أنّ شعوبها حافظت على التمسك بدينها، وإقامة شريعة ربها.. باستثناء القرون المعاصرة، ولم يظهر بالأمة الإسلامية الكفر البواح إلا فيما ندر... عكس تاريخ بني إسرائيل.. ومع هذا فسنة الله لا تتبدل، والأمة تعاني من الإذلال ما هو معلوم عقوبةً لها من الله على هجرها أو هجر الكثير من أبنائها وحكامها للشريعة والدين... وكما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنّ الله لن يرفع هذا الذل حتى تراجع هذه الأمة دينها..

يلاحظ أنّه تم نفي نسل العشرة أسباط من بني إسرائيل إلى آشور، وضياعهم بعد ذلك بشكل نهائي، وأنّه لم يبق بذلك من أحفاد أسباط بني إسرائيل الاثنا عشر سوى سبطي يهوذا وبنيامين، وهما السبطان اللذان تشكّل منهم سكان المملكة الجنوبية (غلب عليهم اسم يهود لضآلة سبط بنيامين بالنسبة ليهوذا)، إلا أنّ أعداداً بسيطة من أحفاد العشرة أسباط قد تكون ربما بقيت بفلسطين، وشكلت مع الشعوب المهاجرة الجديدة ما عرف بعد ذلك بالسامريين.. جاء بالملوك الثاني إصحاح 17: 18 : " فغضب الرب جداً على إسرائيل، ونحاهم من أمامه ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده، ويهوذا أيضا لم يحفظوا وصايا الربّ إلههم بل سلكوا في فرائض إسرائيل التي عملوها فرذل الرب كل نسل إسرائيل وأذلهم..".. هذا ولا زال اختفاء أسباط بني إسرائيل العشرة لغزا مستعصيا لدى المؤرخين على التفسير.. وقد وُضعت بعض النظريات لكنها ظلت عاجزة عن تفسير سرّ الإختفاء السريع للعشرة أسباط الكبيرة من بني إسرائيل.. ونعلم كمسلمين أن أقواما منهم اختفت لأنّ الله عزوجلّ قد مسخها خلقاً آخر.. جاء في مسند أحمد رحمه الله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه **أنّه قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بضب، فقال اقلبوه لظهره فقلب لظهره ثم قال اقلبوه لبطنه فقلب لبطنه، فقال تاه سبط ممّن غضب الله عليهم من بني إسرائيل فان يك فهو هذا، فان يك فهو هذا، فان يك فهو هذا".**

ويلاحظ القاريء كيف سلط الله الأقوام الوثنية وأيدها بالسلطان والقوة على من يُفترض أنّهم حملة دينه ورسالة أنبيائه... وقد عاش بقيةُ بني إسرائيل الذين تسمّوا بعد ذلك باليهود (لغلبة سبط يهوذا على بقيتهم) ودخل فيهم كثيرٌ ممن تهوّدوا، ولم يكونوا أصلاً من أبناء إسرائيل والأسباط الاثنا عشر، عاش هؤلاء من بعد الإطاحة بمملكتي إسرائيل ويهوذا تحت الإحتلال الأجنبي... وفتنوا كما سنرى بما تُفتن به أمة الإسلام اليوم من الإعجاب بالغرب ومدنيته وحضارته...

مملكة يهوذا (931 ق.م – 586 ق.م)

(اصحاحات الملوك وأخبار الأيام)

– نعود إلى إنقسام مملكة سليمان عليه السلام من بعده... فقد قامت الحروب بين رحبعام بن سليمان(931– 913 ق م) ويربعام طوال عهدهما، ثم ورث أبيام (913– 910 ق م) أباه رحبعام فهاجم إسرائيل بأربعمائة ألف مقاتل، وقتل من جيشها البالغ ثمانمائة ألف قتل منهم خمسمائة ألف من خيرة المحاربين (أخبار الأيام الثاني 13: 13– 20)..

التعليق والتفصيل:

الأرقام خيالية من حيث العدد ومن الصعب تقبلها والله أعلم.. إلا أنّها على أي حال تعكس ضراوة الحروب الداخلية بين بني إسرائيل وقسوة بعضهم على بعض..

.. من المؤسف أن نذكر أن حروب المسلمين فيما بينهم قد تسببت في قتلى هم أضعافاً مضاعفة لا تُحصى قياساً لما قتله غيرُ المسلمين منهم أو لما قتلوه هم من غيرهم..

ولعلي أُذكّر القاريء بأنّ السبعين ألفاً الذين قتلوا بمعركة صفين وجميعهم مسلمون يزيدون كثيراً عن قتلى وشهداء معارك الإسلام قبل صفين كلها مجتمعة.. مع أنّ الفتوحات بتلك المعارك السابقة على صفين قد بلغت الصين والأطلسي.. هذا تاريخ محزن حدوثه لكننا لا نملك أن نتجاهله وقد حذّر من وقوعه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع وهو يوصي الناس ويستنصتهم – كما جاء في صحيح البخاري– فيقول " **لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض..**"

– خلف آسا (910– 869 ق م) أباه أبيام على عرش يهوذا، وكان صالحا فأباد " طائفة العاهرين الذين يمارسون الشذوذ كجزء من عبادتهم الوثنية، واستأصل جميع الأصنام **التي**

أقامها أباؤه" الملوك الأول 15: 11–12 "وأوصى شعب يهوذا.. أن يطبقوا الشريعة والوصية، واستأصل من كل مدن يهوذا المرتفعات وتماثيل عبادة الشمس، فاستراحت المملكة في عهده، وبنى مدنا حصينة" أخبار الأيام الثاني: 14: 4– 5، وأقام حول المدن الأسوار والأبراج والأرتاج.. وجعل في جيشه ثلاثمائة ألف من حملة الأتراس والرماح، كلهم من سبط يهوذا، ومئتين وثمانين ألفا من سبط بنيامين من حملة الأتراس ورماة الأسهم، وأباد بهم جيش الكوشيين الذين هاجموه بمليون محارب لم يكن ليقدر عليهم لولا تضرعه إلى الله عزوجل ولجوء إليه كما يروي الكتاب المقدس، فنصر وأهلك الكوشيين حتى لم يبق من جيشهم أحدا! (أخبار الأيام الثاني 14: 9– 13)..

..إلا أن السفر أعلاه يروي خذلان الله له في آخر حياته بسبب استعانته بملك أرام الوثني المقيم بدمشق على بعشا ملك إسرائيل، وكان الأخير قد هاجم مملكة يهوذا لكنه اضطر للإنسحاب عنها لإنقاذ مدنه من هجوم ملك أرام.. ويروى بالسفر أنه في ذلك لم يتكل على الله بل اتكل على ملك أرام فتخلى الله عنه.. وأصابه مرض شديد لم ينفعه عليه الأطباء الذين استعان بهم.. فمات بعد إحدى وأربعين سنة من الحكم..

التعليق والتفصيل:

– واضح من أسفار الأنبياء صلاح آسا، وقوة إيمانه وتوكله على الله، وأخذه بعد ذلك بالأسباب المادية التي شملت تحصين المدن وصناعة السلاح وإعداد الجيش، قام بكل ذلك في وقت سلم وأمن، لكنه لم يركن لذلك، بل أعد العدة تحسبا لأوقات الحروب، التي سرعان ما داهمته، فثبته الله عزوجلّ ونصره، " وحل روح الربّ على عزريا بن عوديد" (اخبار الأيام 15: 1) نبيا ناصحا وموجهاً فكان في ذلك تثبيت لآسا".. فقطع آسا العهد لله مع من تجمع إليه من الأسباط " **أن يطلبوا الرب إله آبائهم من كل قلوبهم وأنفسهم، وأن يقتلوا كلّ من لا يطلب الربّ إله إسرائيل، لا فرق في ذلك بين صغير وكبير، رجل وامرأة، وحلفوا للرب معلنين ولاءهم بصوت عظيم..**" وقدموا سبعمائة بقرة وسبعة آلاف من الضأن قربانا وتوبة لأمتهم لله عزوجلّ.. أخبار الأيام الثاني 15: 8– 15.. وقد نصره الله في حروبه إلا في آخر حياته لما لم يستعن بالله..!

– قليلون من ملوك بني إسرائيل الذين كانوا صالحين كآسا.. وقليل هم الذين جمعوا بين

الصلاح والأصلاح مع إعداد أسباب القوة والبناء والتجهيز للعدو المحتمل..

وأعلم أنني سأُنتقد.. ولكنّها الملاحظة التي لا أستطيع تجاوزها، وأذكرها بأسف.. تلك هي قلة أو على الأقل قلةٌ نسبيةٌ لمثل هذا الطراز من القادة خلال التاريخ الإسلامي.. ولا أشك أننا قد تميَّزنا عن اليهود كأمّة على مستوى الأفراد والشعوب.. كنّا وما زلنا بفضل الله تعالى خير أمة أُخرجت مثلاً ربانيا للناس.. هذا على مستوى الأفراد والشعوب.. أمّا على مستوى الحكام فقد امتلأ التاريخ الإسلامي ومنذ عصر مبكر بطغاة وفاسقين وعصاة من طبقة القادة والحكام تجعلني أتردد في الجزم السريع المطلق بتفوقنا في هذا الجانب على اليهود.. والله أعلم.. وذلك أمر مؤسف بكل المقاييس..

ظاهرة دعوى سوء الخاتمة لكثير من الأنبياء والصالحين..

.. أرجو أن يلاحظ القاريء معي أنّ هنالك عدداً من الصالحين لم تُختم سيَرهم بالعهد القديم عطرة كما بدأت.. ونذكر هنا سيرة سليمان عليه السلام على ما يرويه الكتاب المقدس، وسيرة شاول (طالوت)، بل وهارون عليه السلام حين نسبوا إليه الأمر بصنع العجل، بل وحتى موسى عليه السلام لم تخلوا التوراة المعاصرة من انتقاصه آخر أيامه.. وكذلك جدعون النبي (على ما يروي سفر القضاة، الإصحاحات 6– 8) الذي خلّص بني إسرائيل من أعدائهم وكان بحقّ واحداً من الأنبياء الذين انتصروا بثلة من الرّبانيين على الكثرة الكافرة، هذا النبي (على ما يُفهم من الكتاب المقدس) زعموا أنّه ختم جهاده بجمع أقراط الذهب من نساء بني إسرائيل، وصاغ منها صنماً نصبه في مدينة عفرة " فغوى الإسرائيليون وراءه وعبدوه، فكان هذا الصنم شركاً لجدعون وعائلته" القضاة 8: 27، وكذلك انتقصوا جوشيا الملك الصالح الذي سيرد الحديث عنه، وهاهنا جاء حديثهم عن الملك المجاهد آسا.. وغيرهم.. ونجزم هاهنا بأنّ ما نسب لهارون وسليمان وداود عليهم السلام إنّما كان افتراء.. ونتوقف عن ما نُسب لبقية صالحيهم، ولا نستبعد كون ذلك أيضا مما أصاب كتبهم من تحريف.. وإننا لنعجب من ظاهرة الإفتراء المكشوف هذه على الأنبياء.. وهي مكشوفة لأنّها نَسَبَت الكبائر إلى الأنبياء والصالحين الذين يستحيل منهم صدور هذه الكبائر ثم يظلوا بعدها أئمة تُنسب إليهم كتب مقدسة ويُمتدحون في كلّ الأجيال حتي أتى ذكرهم بالقرآن الكريم مشرفا.. إنها إفتراءات تكشف عن حقد وعداء الكثيرِ ممّن تناقلوا كتب الأنبياء عليهم السلام!

ومع هذا فقضية الثبات في آخر العمر الهادئ بعد تجاوز جذوة الشباب واتقادة في مصارعة الأعداء ومغالبتهم، فقضية الثبات في هذا العمر هي همّ الصالحين وشغلهم الشاغل، فلا تكفّ ألسنتهم عن اللهج بسؤال الله أن يثبتهم فيما بقي من أيامهم.. فلا شك أن الشيطان يفتكّ بالبعض ويضلهم بعد تسطيرهم صفحات بيضاء في الدعوة والجهاد.. وينقض غزلهم من بعد اتمامه، قال تعالى: " **ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً**" النحل: 92..

ثم خلف **يهوشافاط** (869–848 ق م) أباه آسا، وكان صالحا، أمر الكهنة في زمانه أن يتجولوا في جميع ارجاء يهوذا ليُعلموا الناس شريعة الرب، وحرص على إقامة العدل، ومنع المظالم، والحُكم بالشريعة، وأوصى بذلك القضاة والحكام، وبنى جيشا قويا بلغ تعداده مليون ومائة وستين ألف محارب (هذا على ما ذكر بالكتاب المقدس)، وبنى اسطولا بحريا، وازدهرت مدن يهوذا وانتشر بها الصلاح والعدل والرخاء والثراء.. ونصَرَه الله في حروبه على أعدائه نصرا مبينا، وكان يأمر الناس بالصيام قبل الحرب والدعاء والإبتهال والسجود لله، ولم يؤخذ عليه إلا أنه تحالف مع آخاب ملك مملكة إسرائيل الشمالية، واشترك معه في حرب حذره منها أحد الأنبياء، ولكن الله عزوجلّ سلمه وجيشه وأهلك آخاب المرتد وجيشه، وعاتبه بعد ذلك أحد أنبياء عصره كيف يعين الشرير ويُحب مبغضي الربّ..

– وحكم من بعده يهورام (848– 841 ق م) الشرير الذي شيد المعابد الوثنية، وأضل قومه، وقتل اخوته، فهزمه الله بأيدي الشعوب المحيطة به من العرب والفلسطينيين، فنهبوا أمواله وسبوا نساءه، وقتلوا أولاده إلا إخزيا (يهوآحاز) ابنه الذي ملك (841– 841 ق م) بعده وكان مثله شريرا.. وقامت عثليا (841– 835 ق م) أم أخزيا (حفيدة الملك المرتد بمملكة إسرائيل عمري، وقد حكمت لست سنوات من بعد أخزيا) بقتل كل من بقي من أبناء " النسل الملكي من بيت يهوذا" – أي أنها قتلت أحفادها– إلا رضيعا اسمه يوآش (بن أخزيا) تم تهريبه منها، إلى بيت الكاهن يهويادع، الذي ربّاه، ثم أخذ له البيعة (835– 796 ق م) سرا، ثم قتل أم أخزيا التي ثارت على صنيع يهويادع..

– أخذ **يهويادع** العهد على الشعب والملك أن يكونوا للرب (أخبار الأيام الثاني 23: 16–21)، واندفع الناس نحو معبد بعل فحطموا تماثيله ودمروه وقتلوا كاهنه، وجدّد **يوآش** بناء بيت الله.. وظل صالحا حتى مات الكاهن يهويادع الذي رباه، فأضله قادة يهوذا وارتدّ، وعبد

الأصنام وتماثيل عشتاروت (ملكة وآلهة السماوات عند البابليين).. فانتقم الله منه بالآراميين الذين هزموه رغم قلة عددهم وكثرة عدد جنوده، وأفنوا كل قادته، وتركوه يعاني من جراحه، فأجهز عليه اثنان من رجاله انتقاما لدم **زكريا** النبي الذي قتله (بالطبع غير زكريا أبي يحي عليهم السلام)..

وحكم **أمصيا بن يوآش** (796– 767 ق م) بعد ذلك لتسعة وعشرين عاما، وكان فيه في البداية صلاح، وهزم ساعير (أدوم) وقتل من رجالها عشرة آلاف، وسبى عشرة آلاف آخرين قتلهم برميهم من فوق قمة جبل ساعير ! و"حمل معه آلهة بني ساعير ونصبها له آلهة، وسجد لها وأوقد لها بخوراً !" وهدد النبي الذي زجره عن هذه الردّة بالقتل، وهزم بعدها على أيدي الأسرائيليين (مملكة الشمال)، ثم ثارت عليه فتنة وتم اغتياله، فخلفه ابنه **عزيا** (767– 739 ق م)، وكان صالحا في أول عهده كأبيه أمصيا، وحكم لإثنتي وخمسين عاما، وانتصر على أعدائه من الفلسطينيين، والعمونيين، وبلغ جيشه أكثر من ثلاثمائة ألف، فاغتر، واعتدى على حرمة الهيكل ليوقد للتبخير به، وهو ما اختص به أبناء هارون عليه السلام، فعاقبه الله بالبرص، وانعزل حتى مات، فخلفه **يوثام** (739– 731 ق م) وكان كأبيه صالحا إلا أنه لم يُصلح شعبه، ومات بعد أن نُصر على أعدائه، فحكم بعده ابنه **آحاز** (731– 715 ق م)، وكان شريرا مرتداً، سبك التماثيل لعبادة البعليم، ونشر الوثنية بيهوذا، وأقام لها المعابد والمذابح، يساعده في ذلك الكاهن أوريا، وهدم آحاز الأوعية البرونزية بالمعبد، ووضع مكانها معبداً وثنيا آشوريا، إرضاء لسادته الجدد بآشور الذين خلصوه من أعدائه بمملكة الشمال (إسرائيل) وبدولة دمشق الآرامية.. وأدت هذه المداهنة الإختيارية إلى انتشار الوثنية المرتبطة بعبادة الشمس والقمر والنجوم بمملكة يهوذا.. "**فأسلمه الربّ لملك آرام**" الذي أسر الكثير من جند آحاز وأخذ عليه مدينة أيلة، ثمّ أسلمه الله لملك إسرائيل فقح الذي هزمه وقتل من جنده مائة وعشرين ألفا، منهم كثير من مقربيه، وسبى من نساء يهوذا وابنائها مئتي ألف، فاستعان آحاز بملك آشور الوثني على بني إسرائيل بمملكة إسرائيل وعلى ملك أرام، وأظهر له الخضوع، وأرضاه بالأموال، فاحتل ملك آشور دمشق عاصمة الآراميين، وبنى آحاز بالهيكل مذبحاً وثنيا إرضاء لملك آشور على غرار المذبح الذي بناه الأخير بدمشق، وأرضاه بمحاكاة ديانته الوثنية.. ومع هذا فقد ضايقه ملك آشور وأذلّه واغتصب أمواله.. وكان آحاز بذلك سبباً لضياع مملكة إسرائيل واندثار

أبناء عشرة أسباط من أسباط بني إسرائيل الاثناعشر كما فصّلنا أعلاه..

التعليق والتفصيل:

- يُذكر زواج يهورام من بنت آخاب ملك مملكة إسرائيل المرتد كسبب رئيسي لضلال يهورام وابنه أخزيا من بعده.. وذلك أن الزوجة التي أتى بها أبوهم الصالح يهوشافاط إنما أتى بها من بيت ردة ووثنية.. مرة أخرى تظهر فتنة النساء في بني إسرائيل..

- يُلاحظ القارىء تفاوت الحكام في صلاحهم وفسادهم.. بدرجة لايبدو أنّها أسوأ مما مرّ بعد ذلك على الأمّة الإسلامية خلال تاريخها الطويل.. فقد أُبتلي المسلمون كما أخبرهم الرسول عليه الصلاة والسلام بالحكام الفاسدين منذ عهد مبكر من تاريخ الإسلام.. ولعلّ ما يُميّز الأمة الإسلامية في هذه القضية هو ندرة المجاهرة بالكفر البواح من قبل حكامها، إلا في العصر الحالي الذي جاهر فيه الحكام بتعطيل الشريعة بل وفي بعض الأحيان بإعلان الكفر البواح وغمز الدين بالكلام المباشر..

ومرة أخرى نكررها: تظل في الواقع ميزة هذه الأمّة عن بني إسرائيل في ترسخّ إيمان عامتها.. فلا نعلم في تاريخ الأمة مثل هذه المسارعة الى الكفر وعبادة الأصنام والتذبذب بين الإيمان والكفر من قبل العامة اتباعاً لأهواء الحكام وتذبذباتهم.. لقد حافظت الأمة الإسلامية على صلاحها وحرصها على الدين وتعاليمه ومدارسته بغض النظر عن صلاح الحكام وفسادهم.. وتلك هي بلا شكّ إحدى فضائل هذه الأمة المباركة..

لقد حافظ أكثر العلماء والدعاة على هجر السلاطين، والزهد في إغراءاتهم، والإبتعاد عنهم إلا مضطرين، فأبقى ذلك لهم وللدين هيبة في نفوس هؤلاء الحكام..

يلاحظ هنا أن تدخل الكاهن يهويادع قد حافظ على بقاء الأسرة المالكة من أبناء داود.. وأنقذ البلاد من الردة على الأقل أثناء حياته.. فإيجابية مواقف العلماء تجاه الأحداث التي يعاصرونها تظل هي الموقف الأصلي المتوقع من العلماء..

- يذكر سفر الأخبار الثاني (24: 17- 21) أنّ الله أرسل أنبياء لينذروا بني إسرائيل " ويدعونهم للتوبة، ولكنهم لم يرتدعوا"، وكان ممن نُبِّؤا زكريا بن الكاهن يهويادع الذي أنذر اليهود بنبذ الله لهم، فأمَرَ يوآش برجمه بالحجارة في ساحة الهيكل، دون مراعاة لنبوته ولا لفضل والده عليه..! وجاء بعد زكريا عاموس الذي هُدد بالقتل ثم إشعيا الذي نشر بالمنشار كما سبق

تفصيله ثم ميخا.. وجاء بعدهم بفترة حبقوق وصفنيا وإرميا وأخرون وسنتحدث عن بعضهم فيما بعد.

.. نلاحظ هنا اتباع العامة لملوكهم في سهولة بالغة، حتى في قضايا الإيمان والكفر، وقتل الأنبياء عليهم السلام.. ومن هنا فقد استحق الجميع العقاب الإلهي، وما كان للمستضعفين والعامة أن يطيعوا كبراءهم في هذه القضايا ولا فيما فيه عصيان لأوامر الله عزوجلّ.. وكتاب الله عزوجل صريح في ذلك يوم يتخاصم الفريقان، فلا يُعذر المستضعفون ولايُستمع إليهم..

– كثُرت بالتأريخ اليهودي بما فيه تاريخ مملكتي إسرائيل ويهوذا نماذج الحكام الفاسدين والمرتدين، والذين غيروا الدين والتعليم إرضاء لأسيادهم من الوثنيين أو إعجاباً بهم.. وآحاز هنا مجرد مثال من كثيرين مثله.. وللمرء أن يعجب كيف كرر المسلمون هذا الأمر، وعطّل حكامُهم الحكم بشريعة ربهم وغيروا تعاليم دينهم إرضاء أو إعجابا بالكفار.. وتجاهلا لرغبة شعوبهم وحقوقها عليهم..

– من المشهور أن ردّة آحاز وتعظيمه لأصنام آشور بلغت حدّ تقريبه ابنه قربانا محروقا لهذه الأصنام!!

– يظل للقاريء المسلم الحقّ في الإندهاش الشديد من مسارعة اليهود نحو عبادة الأصنام تقليدا للأمم الوثنية من حولهم، حتى في لحظات إنتصارهم هم أنفسهم عليها يقتبسون منها أوثانها ! وقد مرّ معنا على ذلك أمثلة من قبل.. ويستغرب المسلم كيف تصل الأمور بالشعب المؤمن (من بني إسرائيل) أن يُجاهَر فيه بمظاهر الشرك والوثنية دون أن يتصدى لها عامّة المتدينين والكهنة (العلماء).. ولكنّ الكهنة كثير منهم كانوا هم رؤوس الأفاعي وقادة الضلال.. والأمثلة على ذلك كثيرة.. كيف وهم قد انغمسوا في جمع الأموال والتآمر على الأنبياء كما يتضح ذلك من العهد القديم والإنجيل والقرآن ومن التاريخ.. ولا يخفى أنّ جماعة من المؤمنين قد اختارت مقاطعة المجتمع لفساده وعبادة الله عزوجل بالكهوف والصحاري.. وإن كانت هذه المجموعات ومنها جماعة قمران التي كتبت مخطوطات البحر الميت لم تظهر في الواقع إلا في عصور متأخرة لاحقة..

من المناسب هنا الإشارة إلى انتشار مظاهر شركية كثيرة بين كثير من جهلة المسلمين في مختلف أقطار العالم الإسلامي.. وقد يستغرب القاريء إذا ذكرتُ علمي بتعارف قرى إحدى

المقاطعات ببلد مسلم على اتخاذ كل قرية لقبر ولي.. يلجأ إليه أهل القرية لقضاء حوائجهم وإنزال أمطارهم.. قال لي أحدهم أنّهم يذبحون بجانب قبر الولي الذبيحة ويصبون الماء على دمها المسكوب بالأرض حتى يضمنوا بلوغ الدم إلى الولي المدفون ليُسكّن لهم العواصف ويُحقق لهم المطالب.. وانتشر بين كثير من المسلمين ما شاهدناه من التمسح بالقبور والطواف حولها وتقديم القرابين لها.. ودعاء الأموات (الأولياء) والإستغاثة بهم، والحلف بغير الله.. وأمور أخرى كثيرة كلها من المظاهر الشركية.. لكنها لا تصل إلى عبادة الأصنام صراحةً كما ظلّ بني إسرائيل على مرّ القرون يمارسونه وينحدرون إليه رغم نصح الأنبياء والصالحين لهم وتحذيرهم.. لكنّ انتشار تلك المظاهر الشركية لهو ممّا يُصدّق الأحاديث في تكرارنا لمعاصي بني إسرائيل بما فيها من معاصي الشرك، ولو بنطاق أضيق أحيانا..

وإذا كنا مندهشين من تهافت بني إسرائيل على عبادة الأصنام وتبني عقائد الأمم من حولهم.. فإنّنا المسلمون اليوم في حال لو اطّلع علينا مسلم من الأجيال المسلمة السابقة لصعق مما نحن فيه واندهش أكثر من دهشتنا من مسارعة اليهود نحو الوثنية وتقليدهم مَن حولهم.. هل يتخيل مسلمٌ من الأولين أن يُجاهَر بالكبائر بين عامة المسلمين.. يمرّون عليها بالصباح والمساء دون اعتراض أو نقد ! فحانات الخمر معلنة بشوارع معظم المدن الإسلامية، بل ودور البغاء قائمةٌ تحميها قوانين الكثير من حكومات المسلمين، ودور الربا لا تخلوا منها مدينة إسلامية، وأحكام الشريعة تكبّر عليها معظم الحكام المسلمون، فلا هي تُدرّس ولا تُطبق، بل عامة ما يُدرس ويطبق هو قوانين الأمم الكافرة، فكأنّ المسلمون تبرأوا من شريعة ربهم، وآثروا عليها أحكام وآراء الكفرة من حولهم، ثمّ رفعوا أيديهم يجأرون إلى الله عزوجل أن ينصرهم..! ومظاهر الإسلام انكمشت إلى المساجد.. فتماثيل الزعماء والقادة ودور الموسيقى والسينما انتشرت في ساحات المدن المسلمة وشوارعها بما يفوق انتشارها بالمدن غير المسلمة، وعمّرها الناس أحيانا أكثر مما يُعمّرون مساجدهم، وأولاء نساء المسلمين قد خلعن الحجاب وكشفن عن زينتهن وشعورهن وسيقانهن وصدورهن فلا يكاد أحد من الأولين يحسبهن من نساء المسلمين، ويرى المرءُ كثيراً من شباب المسلمين وقد تحلّى بالأساور والقلائد، وتمايل كالإناث في مشيه وحركته، وتلقف كل تقليعة وموضة من الغربيين وتسابق عليها تسابق الجيل الأول على اتباع وحي السماء.. هذه حالنا من ديننا وهي ليست ببعيدة عن إنحدارات اليهود لولا بقية من

الصالحين والمتمسكين بالكتاب.. والله أعلم..

– ومن الأنبياء الذين ظهروا في هذه الفترة على ما يرويه الكتاب المقدس **عاموس**.. فقد عاصر زمن حكم أمصيا وعُزيّا بيهوذا وزمن يربعام بن يهوآش بإسرائيل (793– 753 ق.م).. ووقف نذيراً قوياً لقومه بيهوذا لرفضهم لتطبيق الشريعة: *".. لأنهم رفضوا شريعة الربّ ولم يُطيعوا فرائضه، فأضلتهم أكاذيبهم التي غوى وراءها آبآؤهم، لهذا أُرسل ناراً على يهوذا فتلتهم حصون أورشليم"* عاموس 2: 4،5.. وهاجم إسرائيل للجور والظلم الذي عمّها بما في ذلك من سحق الفقراء وأكل حقوقهم وغش الموازين والمكاييل ورفع الأسعار وتقبل الرشاوي والتكالب على جمع المال ولو ببيع الصديقين والمساكين وعهودهم:"لأنهم باعوا الصديق لقاء الفضة، والبائس مقابل نعلين، الذين يسحقون رأس المسكين في التراب ويجورون على البائسين.." "فلأنكم تطأون المسكين وتبتزون منه رشوة قمح حتى تشيدوا بيوتا من حجارة منحوتة، فإنكم لن تسكنوا فيها.. إذ أنكم تضايقون البار أيها المرتشون الذين تصدون المسكين عن حقه" عاموس 2: 6،7، 5:11، وهاجمها كذلك للفحش الذي انتشر بها (عاموس 2: 7).. وأعلن لإسرائيل *" لذلك يُعلن الربّ الإله: سيجتاح العدو البلاد، ويُحيل حصونكم حطاماً وينهب قصوركم.. هكذا لن ينجو سوى القليل من شعب إسرائيل المقيمين في السامرة"* عاموس 3: 11– 13. وطالب عاموس بني إسرائيل جميعاً بالتوبة والإنابة إلى الله عزوجلّ والتخلي عن شرورهم والقيام بالخير والعدل..

التعليق:

– كانت دعوة الأنبياء واحدة.. كلهم بلا استثناء قاوموا الشرك وعبادة الأصنام.. وهاجموا تعطيل الشريعة بعدم تحكيمها أو بالتحايل عليها.. كما هاجموا ظلم الفقراء والمساكين وابتزاز أموالهم وغش الموازين والمكاييل.. وانتشار الزنا والفساد بين أقوامهم.. وأنذروهم بالعقاب الشديد الأكيد الذي ينتظرهم إن لم يُعجلوا بالتوبة والإنابة إلى الله عزوجلّ..

وقد ظلّ هذا هو النداء الثابت عبر القرون كما يرويه الكتاب المقدس (مع تعرضه للتحريف) على ألسنة الأنبياء موسى وداود وإلياس واليشع وعاموس وميخا وزكريا وحبقوق وصفنيا وإرميا ودانيال وحزقيال وآخرين كثيرين.. واختتم بتأكيده على ألسنة النبيين المتأخرين يحي وعيسى عليهما السلام.. ومع ذلك فقد جاء من المؤرخين (من مثل ول ديورانت مؤلف كتاب قصة

الحضارة) مَن يزعم أن الأنبياء دعوا إلى ألهة مختلفة.. فإله داود وسليمان أجاز التماثيل.. وإله موسى لم ينف غيره من الألهة حين ذكر إنه أحقها بالعبادة..!.. وواضح للمسلم أنّ في هذا سخفاً وضحالة لا يُقابلها إلا زعم المشركين أنّ رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم قد دعا إلى آلهة متعددة لمّا تعددت الأسماء الحسنى لله عزوجلّ : " **قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى**.." الأسراء 110.. إنّ تركيز هؤلاء الأنبياء على بعض المآثم أكثر من غيرها لا يعكس إلا ما عاصروه من آثام قومهم.. ومع هذا فقد اشتركوا كلهم جميعا في التشديد على نداء التوحيد..

- يلاحظ إفحاش الأمم المسلمة في هذا العصر للأسف في آثام الرشاوي والتحايل على الأموال العامة والخاصة، والتحايل على الشريعة لأكل حقوق الضعفاء والمساكين، لجمع الثروات وكنز الأموال بالبنوك العالمية، وبناء القصور والدور والحدائق.. قد انتشرت بالأمة كثيرا حتى عُرف بها في أكثر بلادنا المسلمة طوائفُ الحكام والمسئولون والقضاة والعلماء! وحتى غدت الشعوب الكافرة لبعضنا – للأسف– نموذجا للأمانة والعدل بين الناس.. وهذه ذنوب عظيمة أُنزل بسببها العذاب بأقوام سابقة.. ويسكت عن التصدي لها اليوم كثيرٌ من الصالحين! وهي طامة عظيمة وسبب بيّن من أسباب وضعنا البائس المعاصر..

- وجاء النبي **ميخا** نذيراً جديدا لبني إسرائيل في كلتا المملكتين من بعد عاموس عليهما السلام.. وقد عاصر حكم يوثام وآحاز وحزقيا.. وحذر من هلاك قادم وإبادة شاملة للسامرة (مملكة إسرائيل) ثمّ أورشليم (مملكة يهوذا) بسبب انتشار الأصنام والظلم والغش والرشاوى.. وأشار إلى معاصيهم في إخراج مستضعفيهم من ديارهم أو قتلهم.. إلا أنه بشّرهم برحمة الله من بعد إهلاك ممالكهم على أيدي الأمم الوثنية..

التعليق:

..جاء في سفر ميخا (لا نعلم مدى التحريف الذي أصابه) عن عاقبة مملكة إسرائيل: " فما ذنب يعقوب؟ أليس هو <u>أصنام السامرة</u> ؟ وما خطيئة يهوذا ؟ أليست هي <u>أوثان أورشليم</u> ؟ لذلك سأجعل السامرة كومة حجارة في الحقل.." ميخا 1: 5 و 6.. وقال عن عاقبة يهوذا "لهذا من جراء أعمالكم ستُحرث صهيون كالحقل وتصبح أورشليم كومة من الخرائب.." ميخا 3: 12.. وقال عن آثامهم أيضا "<u>تطردون أرامل شعبي من بيوتهن</u>، وتجرِّدون أطفال كلٍّ منهن من

عطاياي إلى الأبد (2: 9).. وتسلخون جلود شعبي وتجردون لحومهم عن عظامهم.. ثم حين تستغيثون بالربّ لا يستجيب (3: 2، 4).. في بيوت الأشرار كنوز مسروقة وموازين مغشوشة. فكيف أُبرئ ذا المعايير المغشوشة، صاحب كيس الموازين الناقصة؟ قد امتلأ أثرياء المدينة ظلماً، ونطق سكانها بالكذب (6: 10– 13).. قد باد الصالح من الأرض، واختفى المستقيم من بين الناس، جميعهم يكمنون لسفك الدماء وكل واحد منهم يقتنص أخاه، تجِدُّ أيديهم في ارتكاب الشرّ، ويسعى الرئيس والقاضي وراء الرشوة، ويُملي العظيم عليهم أهواء نفسه، فيتآمرون جميعا على الحق، أفضلهم مثل العوسج، وأكثرهم استقامة أسوأ من سياج الشوك، وها يوم عقابكم الذي أنذر به الأنبياء قد وافى.. (7: 2–4)"

.. من المُحزن أن نذكر أنّ هذه الآثام بما فيها من انتشار الظلم والغش والكيد بين الأفراد والاخوان وانتشار الرشاوي بين القضاة والموظفين واتباع أهواء المسئولين والزعماء حتى فيما يخالف الشريعة والدين.. من المحزن القول بأنّ هذه الآثام قد شملت أكثر مجتمعاتنا الإسلامية في هذا الزمان.. وما علينا بعد ذلك إلا أن لا نستغرب تسليط الأعداء علينا وتأخر إجابة الإستغاثات منّا.. فذلك هو بعينه ما وقع على بني إسرائيل.. وما وُعدنا بمثله عند تكرار آثامهم..

– جاء **حزقيا** Hezekiah (ابن آحاز 715– 686 ق م) مختلفا عن أبيه.. فقد أعاد الناس إلى عبادة الله وحده، وطالب الكهنة والناس بالتوبة إلى الله، والتسبيح له والسجود، وتلاوة المزامير، وتقديم الأضاحي، وتجديد العهد مع الله، ذلك العهد الذي خانه آباؤهم فاستحقوا "غضب الربّ" عليهم، وقام بتطهير الهيكل من الأصنام، وهدم المعابد الوثنية بالمرتفعات والوديان، وأفنى صنم عشتاروت (كأنّها أم البعل) وكل الأصنام والرموز الكثيرة لعبادة غير الله... التي أدخلها أبوه آحاز، واستمع للأنبياء اشعياء وميخا..

التعليق:

يعتقد أن حزقيا هو عمانوئيل (الاسم معناه الله معنا) الذي كان النبي اشعيا قد بشّر أباه آحاز بقدومه حين طلب منه الصمود أمام الأعداء (من الواضح أنّ هذه لم تكن بشارة بعيسى عليه السلام كما يزعم النصارى).

وكان حزقيا على ما وُصف بالعهد القديم مثال الصلاح والإستقامة.. ولكنّ قومه لم يثبتوا

فاستحقوا العقاب من بعده..

– جاء في إرمياء 26: 18 :" إنّ ميخا المورشتي تنبَّأ في عهد حزقيا ملك يهوذا، وخاطب كلَّ شعب يهوذا قائلاً هذا ما يعلنه الرب القدير: إن صهيون ستُحرث كحقل وتصير أورشليم كومة من الخرائب، وجبل الهيكل مُرتَفَعَاً تنمو عليه أشجار الغاب".. وكان هذا النذير وأمثاله سببا في الدعوة للتوبة والإصلاح زمن حزقيا.. وتجنب الناس عقابَ الله عزوجلّ الذي وقع على أجيال من بعدهم رفضت التوبة والإستماع لنُذُر الله ورسله..

– وقد قام سنحاريب Sennacherib الملك الآشوري بحصار تام للقدس عام 705 حتى 681 ق م، وكان قد أنشأ امبراطورية ابتلعت ما حولها من ممالك .. وسخر سنحاريب من تصميم حزقيا على الصمود، واستكبر بأنه ليس لهم من ناصر، وأنّ كل آلهة الأمم التي قاتلها الآشوريون من قبل لم تغني عنهم شيئا، وقال " كيف يستطيع إلهكم أن يُنقذكم من يدي" .. وكان حزقيا قد استعد له بترميم سور أورشليم وبناء الأبراج المرتفعة به، وردم جميع العيون والينابيع خارج المدينة، وشجع الناس معه على الثبات والتوكل على الله، وقال لهم " تقووا وتشجعوا، لا تجزعوا، ولا ترتعبوا من ملك أشور ولا من الجيش الذي معه، لأن الذي معنا أكثر من الذي معه، فمعه قوى بشرية، ومعنا الربّ إلهنا ليُنجدنا ويحارب حروبنا"، وفوق كل ذلك استغاث بالله هو والنبي إشعيا الذي عاصره... فأهلك الله جيش سنحاريب وقادته، يذكر الكتاب المقدس بأنّه أُهلك بملك من السماء، وعاد سنحاريب إلى أرضه مخذولا، فلما دخل معبده قتله أولاده بسيوفهم، وكان نصراً بيّنا للمؤمنين.

..." **لقد أفلح حزقيا في كلّ عمل قام به**".. كانت تلك هي خاتمة حديث سفر أخبار الأيام عنه.. ولم يؤخذ عليه إلا مرة امتلاء قلبه ببعض الكبر وعدم عزوه شفاؤه من مرض شديد إلى الله.. وصفح عنه بعد ذلك..

التعليق:

وفي هذا النصر آية للمؤمنين.. لقد كان سوء قدر سنحاريب أنّه هاجم ملكا صالحا ومصلحا للأمّة معه، فما كان له عليه من سبيل، وربّ العالمين ناصره.. يلاحظ هنا كيف أن المؤمنين كانوا قد تابوا وأنابوا إلى الله من قبل وقوع العدوان، وأنهم أخذوا بكل الأسباب المادية التي أُتيحت لهم لقتال أعدائهم، ثمّ كانوا من قبل ذلك ومن بعده متوكلين على الله، مسترشدين

بنبيّهم...

" **وكأين من نبي قاتل معه ربّيّون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا، والله يحب الصابرين..**" آل عمران 146

.. ومع هذا فإنّ بعض المؤرخين العلمانيين اعتبر هذا الإنتصار نقمة على اليهود ! فقد كان سبباً في توقع أجيالهم التالية نصراً مشابها، وكان بالتالي ذلك سبباً في إقدامها على مجابهات لقوى عظمى، هي مجابهات أقرب للإنتحار، ولم يكن ليُجرِّؤها عليها إلا أنها توقعت نصراً إلهياً مثل ذلك الذي تمّ لليهود على سنحاريب..

_ لقد كان في حزقيا مثلاً للحكام المصلحين.. وقد تأخر عقاب الله ليهوذا بسببه دهرا من الزمان.. ولو ثبتت يهوذا على طريقته لتفادت البلاء الذي وقع عليها من بعده.

- وما أشبه حال المسلمين اليوم بحال اليهود من قبل.. فإنّ النصر الذي وعد به اليهود وتخلف عنهم في معظم مواجهاتهم كان بسبب تمردّهم على الشريعة كما ذكر ذلك لهم أنبياؤهم، الذين كثيرا ما حذروهم (كما هو ثابت عن ميخا واشعيا وإرميا ويحي وعيسى عليهم السلام وغيرهم)، حذروهم أنّهم لن يُنصروا عسكريا على عدوهم بسبب زيغهم.. ولكنّ غرور اليهود بالله وبحظوتهم التي يظنون لديه تعالى- رغم زيغهم واستمرائهم للمعاصي- غرّهم بالإقدام على حروب تسببت في النهاية في هلاكهم واستئصالهم من الأرض المباركة.. وهذا من مكر الله باليهود وبكثير من عصاته الذين يغترون بنعمة الله عليهم، ويحسبون أن الله عزوجل بما وهبهم من مال أو صحة قد فضلهم على بقية خلقه.. ولعل القاريء يذكر هاهنا مثل صاحب الجنتين الوارد بسورة الكهف الذي ما حسب أنّ الله سينزع عنه نعمه " **ما أظن أن تبيد هذه أبدا.. ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلبا**"

فهل يعي المسلمون هذا الزمان كذلك أسباب تخلُّف نصرالله عنهم بعد أن رفض اليهود أن يلتفتوا إليها فكان في ذلك هلاكهم.. يبدو أننا نكرر نفس التغافل والتعامي عن نداءات المُصلحين..

إن من واجب المسلمين أن يأتمروا بأوامر الله وشريعته حتى يحق لهم أن يتكلوا على نصره، وإلا فما معنى أن نُؤمر بالقرآن (الأنفال 45-47) عند لقاء الأعداء بطاعة الله ورسوله وعدم التنازع وبالثبات والصبر وبالإخلاص والإبتعاد عن الكبر والرياء ثمّ لا نقوم بشيء من

ذلك ونسأل الله مع ذلك نصره المؤزر على أعدائنا.. وكثيرا ما نكون نحن.. نحن في الواقع أعداءُ أنفسنا قبل عدونا!

- إنّ توقع التأييد بالمعجزات عند لقاء الأعداء الذين يتفوقون علينا كثيرا في قوتهم وعدتهم، ولا نمتاز عليهم حتى ولا باتباع الدين حقاً أو بتحكيم شريعتة، إنّ ذلك التوقع لهو بناء على الأوهام وجريٌ وراء السراب.. وبسببه ضاعت أمم في تأريخنا القديم والحديث.. تماماً كما وقع على بني إسرائيل.. وكان الواجب دائما هو التوجه إلى الله بالتوبة، والإنابة، وإصلاح المفاسد الظاهرة بالبلاد بما في ذلك من مظاهر الردة وتعطيل الشريعة.. ثمّ إعداد القوة والإستعانة بالله تعالى.. وبغير ذلك فعلى المسلمين ألا يستغربوا تخلف النصر عنهم...

إن نصراً وُعد به المؤمنون بأُحد قد حُوِّل إلى هزيمة لمّا وقعت المعصية من الصحابة رضوان الله عليهم رغم وجود الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم.. وإنّ الواحد من الصحابة على قوة إيمانهم لم يُعادَل بسورة الأنفال إلا بإثنين من الكفار.. وأجيز لهم – كما فهم الكثير من العلماء– التراجع عن قتال من يزيد على ضعفهم عددا وعدة، بل فهم البعض جواز الفرار لهم من هؤلاء الذين يزيدون على ضعفهم عددا.. فكيف يطمع العصاة بل والمرتدون الذين استهزأوا بالدين وعطّلوا شريعته واقتبسوا عقائد وشرائع الوثنيين من الأمم الأخرى واضطهدوا المؤمنين كيف يطمع هؤلاء بأن يُؤيدوا فيُنصروا على أمم تفوقهم عدةً وقوة بعشرات الأضعاف ؟ أفيطمعون بتأييد لم يُعطَ مثله للأنبياء..!

لا يخفى على القاريء كذلك أنّ الحقيقة الأخرى عن الفريق الآخر الأكثر من حكام المسلمين هي أنّه لا يبدو أنّهم يُحدِّثون أنفسهم بمواجهة أعداء الأمة ولا أنّهم يسعون للإستعداد لمثل تلك المواجهة..

– هاهنا ملاحظة. وهي أن هنالك فارق لطيف بين النبوءة والوعد.. فالنبوءة من الله أو رسله تأتي صادقة تماماً.. لا يرتهن حدوثها بشروط.. بينما يرتهن الوعد الرباني لعباده بالنصر والعلو والتمكن بثبات هؤلاء العباد ووفائهم بما عاهدوا الله عليه وإلا فلا نصر ولا تمكين.. وعلى هذا جاءت الوعود الربانية على مرّ الزمان.. لا تُحصى من كثرتها بتمكين بني إسرائيل ونصرهم على أعدائهم إن أطاعوا الله وحكّموا شرعه.. ولم تتحقق لهم تلك الوعود لمعصيتهم.. ومثل ذلك ما كان بأحُد وبغيرها من بعدها.. يتخلف النصرُ الموعود لخلل بالمؤمنين.. وتظل كلمة الله

صادقة لو صدق العبيد.
ارتداد الملك **ماناسه** (عام 686– 642 ق.م) ابن حزقيا (كان ابنه الوحيد)، وإدخاله عبادة بعل وعشتاروت ومعبودات أخرى إلي داخل بيت الله بأورشليم كما فعل آخاب من قبل.. وقد قدم ابنه اضحية محروقة لهذه الأوثان التي عبد.. وأفسد و" سفك دماء أبرياء كثيرين". **التعليق:** – حكم مناسه أو منسيّ مملكة يهوذا لمدة خمسة وخمسين عاما، قام فيها بنقض كل الإصلاحات الدينية التي قام بها والده، مع إدخال عبادة بعل، وعشيرة (ربة الإخصاب!)، وعبادة عشتاروت وغيرها.. كل ذلك تقرباً للدولة العظمى في زمانه دولة آشور، ومحاولة لإظهار عدم التعصب لدين واحد. – يشير سفر أخبار الأيام الثاني (33: 11–17) إلى أسر ماناسه (أو منسى) وسجنه ببابل، وتوبته وتضرعه لله وهو بالسجن، واستجابة الله تعالى له ورده إلى مملكته التي حصن أسوار مدنها وهدم المذابح والمعابد التي أُقيمت لغير الله بأورشليم.. وأمر الناس بعبادة الله وحده.. وقد أُثبتت تضرعات ودعوات نُسبت إلى ماناسه بإحدى الرسائل القديمة "صلوات ماناسه".. – وأنذر إشعيا عليه السلام قومه من اليهود كذلك بالعقاب الشديد " ها إنّ الربّ يُخرب أرض يهوذا ويُقفرها ويقلب وجهها ويُشتت سكانها.. تدنست الأرض تحت سكانها لأنهم تعدوا على الشريعة، ونقضوا الفرائض ونكثوا العهد الأبدي، لذلك التهمت اللعنةُ الأرضَ، وعُوقب أهلها بإثمهم.." إشعيا 24: 1، و5– 6.. وحذرهم بأنّ الله عزوجلّ لن يسمع دعاءهم ولا استغاثاتهم إذا نزل عليهم البلاء.. " عندما تبسطون نحوي أيديكم أحجب وجهي عنكم، وإن أكثرتم الصلاة لا أستجيب.." إشعيا 1: 15، " .. إنما خطاياكم أضحت تفصل بينكم وبين إلهكم، وآثامكم حجبت وجهه عنكم فلم يسمع، لأن أيديكم تلوثت بالدم وأصابعكم بالإثم، ونطقت شفاهكم بالكذب.." إشعيا 59 :2– 3.. وذكرهم بأنّ ما أصابهم من البلاء والضعة يوشك أن يرقى إلى ما أصاب المكذبين قبلهم لولا رحمة من الله.." لولا أنّ الرب القدير حفظ لنا بقية يسيرة لأصبحنا مثل سدوم وعمورة" إشعيا1 :9 .. " لقد قضيتُ على ممالك وثنية أصنامها أعظم من أصنام أورشليم والسامرة، أفلا أقضي على أورشليم وأصنامها كما قضيت على السامرة وأصنامها؟" إشعيا 10 : 11.

– استشهاد **اشعيا** عليه السلام: جاء وصف استشهاد اشعيا في رسالة " صعود اشعيا TheAscension of Isaiah"، ورسالة استشهاد اشعيا The martyrdom of Isaiah وهما رسالتان يهوديتا الأصل حرفتهما إجماعاً أقلام الكتبة المسيحيين حتى مسختهما.. تذكر الرسالتان أنّ اشعيا كان قد أخبر حزقيا بالفساد الذي سيحدثه ابنه مناسه من بعده، وأنّ ذلك أحزن حزقيا حتى عزم على قتل ابنه الوحيد لولا منع النبي اشعيا له لأنّه لن يقدر عليه، وذلك قدرٌ قد كتب.. وتسببت تلك النبوة في حقد مناسه على اشعيا.. فلما جاءه الملك امتنع في ذاته عن العبادات، ثم امتنع بعده أهل بيته، ثم نشر الردة والسحر والزنا والتطير بالطيور، واضطهاد الصالحين بأورشليم، وصار من اتباع ابليس وعبدته كما تذكر الرسالة.. فهجرهم اشعيا وبعض الصالحين معه إلى بيت لحم ثم إلى جبل بالصحراء.. وهناك أمضوا سنتين على أوراق النباتات.. وظهر خلال هذه الفترة مدع للنبوة اسمه "بلشيرا" ألَّبّ مناسه على اشعيا وحثه لقتله، بحجة أنه شبَّه اورشليم والمدن اليهودية الأخرى بسدوم وعمورية ووعدها بمصيرٍ مشابه، وأنه ادعى رؤية الله عزوجل، فاحضر اشعيا، ووُضع المنشار على رأسه وبشيرا Bechira يسخر منه هو والملك ومن معهم، ولما شرعوا بالنشر أغراه بلشيرا بالعفو عنه إن هو امتدح دين الملك مناسه ودين بلشيرا نفسه.. ولكن اشعيا رد بإدانتهم ولعنهم، هم ومن معهم، وتهددهم بأنهم لا يقدرون منه إلا على جلد لحمه (لعلها اشارة الى موضع الألم الأصلي وتركيزه بالجلد).. وكان خلال نشره يذكر الله حتى فُلق إلى فلقتين..

جاء في شعب الإيمان وفي غيره عن خباب قال شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد ببردة له وهو في ظل الكعبة فقلنا ألا تدعو الله لنا ألا تستنصر الله لنا قال فجلس محمرا وجهه ثم قال: **والله إن كان ممن قبلكم ليؤخذ الرجل فتحفر له الحفرة فيوضع المنشار على رأسه فيشق اثنتين ما يصرفه عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما بين عظمه ولحمه ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب منكم من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله عز وجل أو الذئب على غنمه ولكنكم قوم تعجلون**". أخرجاه كذلك في الصحيح من وجه آخر..

– **عزاء الصالحين أن الدنيا فانية، وأنّ آمالهم وأحلامهم حتى لو تحققت لهم بها فهي كذلك فانية.. فما الفوز الحقيقي في أعينهم إلا أن تأتيهم مناياهم وهم ثابتون.. حينها يوقنون**

بالنجاة فيصرخ الواحد منهم وهو يُطعن فيخسر حياته بالدنيا، يصرخ وهو يُقتل فيقول فزتُ وربّ الكعبة..

- إنّ توبة هذا الملك ماناسه قاتل الأنبياء الذي ارتدّ ونشر الوثنية بين الناس.. إنّ توبته لتُذكّرنا بسعة رحمة الله للناس جميعا بما فيهم رؤوس الكفر والجريمة.. ومن هنا نفهم الأمل بتوبة الكفار الذين نقاتلهم " **قاتلوهم يُعذبهم الله بأيديكم ويُخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين. ويُذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم**" التوبة 14-15.. ونفهم كذلك فتح باب التوبة للذين حَرّقوا المؤمنين من أصحاب الإخدود.. قال تعالى " **إنّ الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثمّ لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق**" البروج 10.. جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة يقاتل هذا في سبيل الله فيُقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيُستشهد" .. فالقاتل يدخل الجنة مع الشهيد الأول الذي قتله وقد يعلو عليه منزلة بها.. إنّ هذا المُلك وهذا الدين ملكٌ لله يَمُنّ بهدايته على مَن يشاء.. ولا يُسأل عن ذلك.. والمؤمن عبدٌ لله ليس له من الأمر شيء، يَرضى بحكم الله تعالى وأمره حتى لو اشتمل ذلك على هداية وإكرام قاتله الذي كان يدعو عليه.. يعلم أنّ الله سيُرضيه بالآخرة وكفى..

وقد حكم بعد ماناسه ابنه **آمون** (642- 640 ق م) وكان مثله قبل توبته شريرا " لم يحد عن طريقه"، وعبد الأصنام التي عبد وسجد للتي سجد.. وقد تآمر عليه رجاله واغتالوه..

ثم جاء بعد آمون ابنُه الملك **يوشيا أو جوشيا** (640-609 ق م) Josiah فقام بإحياء الديانة اليهودية مرة أخرى، وجدّد بيت الله المقدس، و قام بإحراق الأصنام به وتحطيمها وإخراجها من البيت ترابا مهيلا، وقتل الكهنة المرتدين في كل أنحاء البلاد، وأخرج أجساد موتاهم من قبورها وأحرقها، وهدم السواري والتماثيل المنصوبه للبعل وللشمس ولعشتاروت وغيرها من معبودات الوثنيات، وجمع الكهنة وقرأ عليهم أسفار الشريعة كلها، وقطع عهدا على نفسه " أن يتبع الربّ حافظا وصاياه وشهاداته وفرائضه من كل القلب والنفس" ووعده الناس بالوفاء معه بهذا العهد، وأعلن للناس التوحيد وضرورة التمسك بالكتاب، فقامت بالبلاد عودة إلى الله لكنها انتهت باستشهاد صاحبها الملك جوشيا عند قتاله لفرعون مصر، وهو قتال تجاهل فيه الأنبياء الذين عاصروه ولم يستأذن له، ومع هذا فقد أبقى الله له بالتوراة وتأريخ بني إسرائيل

ذكرا حسنا من بعده لا ينسى.

التعليق:

– كانت هذه هي فترة نبوة **حلقيا** Hilkiah: وقد عثر حلقيا على سفر الشريعة في الهيكل أثناء أعمال بناء به، فأعطاه لكاتب جوشيا الذي قرأه على جوشيا، فكان ذلك سببا في صلاحه وتعهده بنصرة الشريعة ومحاربة الأوثان..

– تُعد حركة التطهير والإصلاح هذه إحدى حركات الإصلاح الرئيسية بالتاريخ اليهودي ويرفعها بعض المؤرخون الغربيون إلى مصاف حركات الإصلاح التي قام بها موسى ويوشع وصموئيل وحزقيا عليهم السلام..لكن ثمارها كالعادة لم تعمر إلا برهة قصيرة..!

– جاء في سفر الملوك الأول :13 نبوءةٌ بقيام يوشيا بقتل كهنة المرتفعات الذين يقربون القرابين للأوثان (وأهمها كان عجلي ذهب أقامهما يربعام ببيت إيل وفي دان، وكلتاهما مدينتان بشمال أورشليم، وذلك لتكونا مركزين لمن يريد السفر للعبادة إلى أورشليم الأبعد مسافة والواقعة تحت الخصوم من حكام يهوذا..).. وقد أطاعه بنو إسرائيل في هذا الأمر.. رغم قصة العجل الأولى أيام موسى عليه السلام..

– يلاحظ إقرار الكتاب المقدس لقتل المرتدين.. وشواهد ذلك كثيرة.. وقد أثبتت التوراة قتل موسى للمرتدين من بني إسرائيل، إذ قتل كل الإسرائيليين الذين تعلقوا بعبادة " بعل فغور" الذي كان الموآبيون يعبدونه (العدد 25: 4–5)، وسبق معنا قيام الملك الصالح آسا بأخذ العهد على بني إسرائيل بقتل كل من لا يطلب الرب رجلا كان أو امرأة.. وقيام إيليا النبي عليه السلام بقتل المرتدين ومدّعي النبوة (أنبياء البعل) مع الملكة الخبيثة إيزابل.. وقيام ياهو بغدرعبدة البعل وقتلهم كما رأينا ذلك من قبل.. ونرى هنا بهذا الموضع إقرار الكتاب المقدس لقيام يوشيا بقتل المرتدين من اليهود.. وفي الواقع فقد جاء الأمر صريحاً بالتوراة (التثنية 17: 2– 7، اللاويون 20: 2– 5) بقتل من ارتد وعبد آلهة من غير الله.. وواضح أنّ في ذلك حفظاً للدين، وأنّ أهل الكتاب الذين يعرفون تسامح الإسلام مع مخالفيه ليعلمون أنّ قتل المرتدين قضية أخرى لم ينفرد بها الإسلام..

– من المخزي أن يتفاخر المسلمون هذه العصور بأسماء طغاة كفرة أو بأسماء أوثان حارب عبادتها الأنبياء والصالحون من قبل.. ألا يشاركني القاريء الكريم بأنّ تسمية جامعة ومؤسسات

عربية باسم "جامعة أو مؤسسة عشتاروت" لا يختلف عن تسميتها باسم "جامعة أو مؤسسة هبل" بكل ما يحمله ذلك من إيحاءات بالردة..؟ أم أنّنا سنُعظِّم عشتاروت لأنّ آباءَ اليهود المؤمنين قد حاربوه من قبل، حتى ولو كان هو وثن يُعبد من دون الله عزّوجل؟

جاء بعد جوشيا ابنه الأصغر **يهوأحاز** Jehoiahaz (609– 609 ق م)، وحكم لثلاثة أشهر، وكان شريرا، فاستدعاه " **نخو**" Necho فرعونُ مصر الذي كان قد سيطر على الأراضي غرب الفرات، وأخذه معه إلى مصر، ووضع مكانه أخاه الأكبر: **جيهوياكم** Jehoiakim (أو يهوياقيم أو بحسب اسمه الأصلي الياقيم Eliakim) (609– 598 ق م) وضعه حاكماً، وقد استمر حكم جيهوياكم أحد عشر عاما عادت خلالها عبادة الأصنام ومظاهر الفساد والردة، فأرسل الله إليه **نبوخذنصر** الذي كان قد هزم نخو فرعون مصر هزيمة نكراء قرب الفرات، واستولى من بعده على مستعمراته بما فيها فلسطين، واقتاد نبوخذنصر جيهوياكم مقيدا بالسلاسل إلى بابل عام 598 ق.م (الأيام الثاني 36: 6)، وأخذ معه مجموعة من الأسرى من بينهم النبي دانيال عليه السلام، ويبدو أنّ نبوخدنصر أطلق بعد ذلك جيهوياكم بعد تعهده بالطاعة والوفاء، وأعاده إلى الحكم على اليهود، إلا أنّ جيهوياكم بعد ثلاث سنوات استغل انشغال نبوخذنصر ببعض حروبه وتمرد عليه، فانتقم منه نبوخذنصر وقتله بطريقة مخزية (تنبأ بها النبي إرميا) في ديسمبر عام 598 ق م، ووضع مكانه من بعده **جهوياشن** Jehoiachin (**يهوياكين**) ابن جيهوياكم (598– 597) فأفسد خلال حكمه الذي استمر ثلاثة أشهر وعشرة أيام (الأيام الثاني 36: 9)، فأهلكه الله بنبوخذنصر الذي أسره في مطلع العام التالي مع ثلاثة آلاف من وجهاء اليهود ومعهم خمسة آلاف من الأطفال والنساء من بينهم النبي حزقيال وهو مازال في طفولته، ووضع نبوخذنصر **صدقيا** Zedkiah (597– 586 ق م) مكان يهوياكين ملكا على اليهود، وصدقيا هو عم يهوياكين، وكان شريراً كمَن قبله، فعصى صدقيا النبي إرميا واستهزأ بالرسل، ونكث عهده مع نبوخذنصر (وقد أنَّبَته على ذلك اصحاحات حزقيال)، فكان أن عاد نبوخذنصر ونفذ باليهود العقاب البابلي المشهور عام 586 ق م، وقد امتد حكم صدقيا 11 عاما.

التعليق:

– انتشرت عبادة الأصنام بين اليهود في هذه الفترة حتى نصبوا تماثيل لبعل وعشتاروت على

أبواب بيت الله بأورشليم، واستأنفوا تقديم الأضاحي لهذه الأصنام في نواحي البلاد.. وانتشر بينهم الظلم والعنف والاستبداد..

– تنبأ النبي **ارمياء** Jeremiah ابن حلقيا في هذه الفترة –كما تنبأ من قبله ميخا واشعياء وآخرون– تنبأ بهدم ودمار القدس والهيكل (إرميا 26: 6– 7 و 12)، وأنّ الله لن يحمي اليهود من البابليين بزعامة عبدالله نبوخذنصر " فها أنا أُجنّد جميع قبائل الشمال بقيادة نبوخذناصر عبدي" إرمياء 25: 9.. " ها أنا آتي بعبدي نبوخذناصّر.." إرمياء 43: 10.. مالم يتخلصوا من الأوثان التي أعيدت من بعد عهد جوشيا، ويُحكّموا شريعة الربّ.. وكانت نبوّة إرميا قد بدأت بعد سنتين من حركة جوشيا الإصلاحية، ووشهد بعد جوشيا حركة الردة والكفر السريعة فتصدى لها.. " هذا ما يُعلنه الربّ: إن لم تُطيعوني فتسلكوا في شريعتي التي جعلتها أمامكم، وإن لم تسمعوا لتحذيرات عبيدي الأنبياء.. فإني أجعل هذا الهيكل نظير شبلوه وهذه المدينة لعنةً لجميع أمم الأرض .." إرمياء 26: 4– 6، " ولا تضلوا وراء آلهة أخرى لتعبدوها وتسجدوا لها.." إرمياء 25: 6.. ولكنّ اليهود صدقوا نبوات راقت لهم من أدعياء للنبوة كذبة! وعَدوهم بالنصر وبأنّ الله سينقذهم من البابليين وزعيمهم نبوخذنصر كما أنقذهم من حصار سنحاريب الآشوري من قبل.. وقطّع جيهوياكم بكل جرأة سفراً من الوحي أملاه إرميا على كاتبه باروخ لينذر به اليهود حتى يتوبوا إلى الله.. وأحرق جيهوياكم السفر بعد ذلك رغم تضرع الحاضرين حوله، وأمر باعتقال إرميا وكاتبه.. وقد استمر مع ذلك إرمياء عليه السلام ينذرقومه بالعقاب الشديد من الله وخراب أورشليم والمعبد لمدة ثلاث وعشرين عاما.. وقد حاولوا قتله لولا أنّ الله حماه ببعض العقلاء.. ومع ذلك فقد قتل اليهود أُوريا بن شمعيا نبياً آخر عاصر إرمياء وتوعّدهم بمثل نبوة إرميا من خراب بلادهم، وذلك على ما ذُكر في كتاب إرمياء (26: 20– 24)..

يذكر سفر إرميا معالمَ توبة مبدئية من اليهود لمّا تلا عليهم باروخ كتاب إرميا بالمعبد.. وصام الناس.. ولكنّ حرْقَ الملكِ للكتاب أجهض توبةَ الناس وعادوا إلى ما كانوا عليه.. وهكذا كان الحاكم سبباً في ضلال الأمة.. ويُقابل ذلك أنّ صدقيا الملك همّ بطاعة النبي إرميا الذي نهاه عن مقاومة البابليين حتى لا يهلك هو نفسه على أيديهم ولا تُحرق المدينة.. لكنّ خوف الملك صدقيا من عامّة اليهود أن يسخروا منه.. خاصة أنّهم تنادوا بقتل النبي إرميا بتهمة تثبيطه لعزيمة المحاربين وسائر الشعب.. ذلك الخوف منع صدقيا من طاعة إرميا فهلك الحاكم

والأمة بسبب العامّة..

.. مرة أخرى يقع اليهود (عام 586 ق.م) فريسة سهلة لأعدائهم بسبب غرورهم بحظوة خاصة عند الله عزّوجل..

- استسلمت أورشليم لنبوخذنصر عام 598 ق.م، فاكتفى بنهب ثروات البيت، وأسر نبوخذنصر الملكَ جيهوياكم، ثم أعاده على الحكم فتمرد عليه نبوخذنصر بعد أن كان قد أعطاه الولاء والجزية من بعد انتصاره على نخو ملك مصر، لكنّ فساد جيهوياكم وعصيانه للأنبياء كانا سببا في تمرده هذا على نبوخذنصر، ذلك التمرد الذي جرّ عليه البطش الرباني الموعود، فذُبح هو ورجاله على أيدي نبوخذنصر وأُلقيت جثثهم دون دفنٍ خارج أسوار أورشليم، ولما استولى نبوخذنصر على المدينة مرةً أخرى أسر ابنه يهوياكين ووجهاء البلد معه، وكان النبي ارميا قد استمر يحذر اليهود وملوكهم عواقب ردتهم من بعد جوشيا، وينصحهم بعدم التمرد على بابل فلم يسمعوا، فكان مجيء نبوخذنصر هذا عام 598- 597 ق.م.. وسنرى كيف لم يتعظ اليهود بذلك فكرروا التمرد على الشريعة والأنبياء ثم التمرد على نبوخذنصر، فحلّ عليهم العقاب الشديد في أغسطس 586 ق م..

- غريب أمر هؤلاء الحكام على ماذا يعتمدون وهم يواجهون قوى عظمى حولهم! وكيف يرجون النصر من الله عزوجل وهم يعصون أنبياءه (كإرميا هاهنا) ويضطهدونهم.. فما أحمقهم! يفوقهم أعداؤهم كثيراً في القوة والعتاد.. ولا يتفوقون عليه بطاعة الله ولا معيته.. فهلا رحموا الشعوب التي معهم فلم يعرّضوها لما لا تحتمل من البلاء والعذاب.. وسعوا إلى تجنب مواجهة أعدائهم، وإعداد الأسباب المعنوية والمادية للمواجهة، وعلى رأسها الإنابة إلى الله وتحكيم شريعته، وتطبيق دينه، والمحافظة على هوية الأمة وأصالتها واستقلالها الفكري، فلعل الله أن يُهيء لها سبيلا إلى النصر والعزة.. نرى تحرشا مستمرا من اليهود بمن يحكمهم من الدول الوثنية من البابليين ثم الفرس واليونانيين والرومان، وكان ذلك دائما باباً لإحلال العقاب الإلهي الذي كتبه الله عزوجل على بني إسرائيل أن يقع عليهم بأيدي الأمم من حولهم، قال تعالى " **وإذ تأذَّن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب، إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم**" الأعراف 167.. وكان في ذلك بلاء يفوق الوصف كما سيمر معنا في مواقف متكررة أخرى وبالذات عند الحديث عن الحكم الروماني..

فهل يتعظ المسلمون هذا العصر، من تجارب اليهود مع مستعمريهم، ويُحسنوا المواجهة، ويكفّوا عن التحرش الذي لا يؤدي إلا لإثارة أعدائهم خاصة وهم يعدمون حالياً كل أسباب النصر المعنوية والمادية.. فهل سيكونون أعزّ على الله من نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه وقد كفوا أيديهم بمكة وصبروا على ألوان العذاب، أو من رسوله صلى الله عليه وسلم وهو يسعى لفك حصار غطفان بنصف خيرات المدينة، أو وهو يُقر إنسحاب المسلمين بمؤتة من أمام الروم.. أوَ ليس مؤسفا أن تضيع الخلافة العباسية بسبب اعتداء آثم لملك خوارزم (خوارزم شاه) وأحد أمرائه على قافلة تجارية مغولية، فيتسبب ذلك في هجوم جنكيزخان منتقماً بجيوشه الجرارة من أمم الإسلام، وتقع إحدى أكبر الكوارث على المسلمين.. أوَليس مؤسفا أن تضيع الشيشان بعد انتصارها واستقلالها الأول بسبب التحرش بالروس بداغستان، واحتلال الأراضي والجبال المتاخمة للشيشان، استهانة بروسيا وقوتها وغفلة في الواقع عن ضعف الشيشان روحيا وماديا.. لعل الشهداء في المرتين فائزين، ولكنّ الحكمة كانت في تجنب التحرش مرة أخرى بالمغول والروس، ومثل هذا كثير في تاريخنا القديم والمعاصر.. ولايدلّ إلا على جهل من يدّعي التوكل ويجرّ المسلمين معه على ضعفهم إلى مالا يطيقون من المواجهة والبلاء..

- **إرميا نذيراً بين يدي عذاب شديد:**

ظهر إرميا نبياً نذيراً لقومه لمدة ثلاث وعشرين عاماً في فترات حكم جوشيا ويهوياقيم وصدقيا.. فصدع ينذرهم بالعذاب الوشيك مالم يتوبوا إلى الله عز وجل، ويتخلوا عن الشرك بالله وتعطيل شريعته.. ورغم إيثار الناس اتباع الأنبياء الدجالين الذين جاءوهم بما يروق لمسامعهم من التنبؤ بالنصر وسحق الأعداء، فقد صدع إرمياء بهذا النذير رغم محاربة قومه وزعمائهم له.. ورغم اعتبارهم إياه " عدواً لقومه"! ومخذلاً للمقاومة ضد الأعداء البابليين.. قالوا " فَقَالَ الرُّؤَسَاءُ لِلْمَلِكِ: لِيُقْتَلْ هَذَا الرَّجُلُ (أي إرمياء) لأَنَّهُ بِذَلِكَ يُضْعِفُ أَيَادِيَ رِجَالِ الْحَرْبِ الْبَاقِينَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَأَيَادِيَ كُلِّ الشَّعْبِ إِذْ يُكَلِّمُهُمْ بِمِثْلِ هَذَا الْكَلاَمِ. لأَنَّ هَذَا الرَّجُلَ لاَ يَطْلُبُ السَّلاَمَ لِهَذَا الشَّعْبِ بَلِ الشَّرَّ." إرميا 38: 4.. صدع رغم تهديده بل محاولة سجنه وقتله المتكررة.. والتي انتهت بطرحه بالجبّ الخالي من الماء (والطعام).. وكاد أن يهلك لولا قدر الله عزوجل بتذكير أحد عبيد الملك للملك صدقيا بأنّ النبيّ سيتعرض للموت، فأُخرج من الجبّ إلى السجن.. ولم يطلق سراحه من

السجن إلا جندُ نبوخذنصر.. هذا وقد أثبت كتاب إرميا دعاءه على قومه (كما أثبت المزمور مثل ذلك على لسان داود عليه السلام من قبل): " لِذَلِكَ سَلِّمْ بَنِيهِمْ لِلْجُوعِ وَادْفَعْهُمْ لِيَدِ السَّيْفِ فَتَصِيرَ نِسَاؤُهُمْ ثَكَالَى وَأَرَامِلَ وَتَصِيرَ رِجَالُهُمْ قَتْلَى الْمَوْتِ وَشُبَّانُهُمْ مَضْرُوبِي السَّيْفِ فِي الْحَرْبِ. لِيُسْمَعْ صِيَاحٌ مِنْ بُيُوتِهِمْ إِذْ تَجْلِبُ عَلَيْهِمْ جَيْشاً بَغْتَةً. لأَنَّهُمْ حَفَرُوا حُفْرَةً لِيُمْسِكُونِي وَطَمَرُوا فِخَاخاً لِرِجْلَيَّ. وَأَنْتَ يَا رَبُّ عَرَفْتَ كُلَّ مَشُورَتِهِمْ عَلَيَّ لِلْمَوْتِ. لاَ تَصْفَحْ عَنْ إِثْمِهِمْ وَلاَ تَمْحُ خَطِيَّتَهُمْ مِنْ أَمَامِكَ بَلْ لِيَكُونُوا مُتَعَثِّرِينَ أَمَامَكَ. فِي وَقْتِ غَضَبِكَ عَامِلْهُمْ". إرميا 18: 21– 23.. وتذكر المصادر اليهودية من خارج الكتاب المقدس أنّ وفاة إرميا كانت برميه بالحجارة حتى الموت من قبل مجموعة من يهود مصر رداً على زجره لهم!

التعليق:

– جاء في الكتاب المنسوب لإرميا توضيحاً مُكرراً حول سبب العذاب الشديد المنتظر لليهود: "وَيَكُونُ حِينَ تُخْبِرُ هَذَا الشَّعْبَ بِكُلِّ هَذِهِ الأُمُورِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ لَكَ: لِمَاذَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ عَلَيْنَا بِكُلِّ هَذَا الشَّرِّ الْعَظِيمِ فَمَا هُوَ ذَنْبُنَا وَمَا هِيَ خَطِيَّتُنَا الَّتِي أَخْطَأْنَاهَا إِلَى الرَّبِّ إِلَهِنَا؟ فَتَقُولُ لَهُمْ: مِنْ أَجْلِ أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ تَرَكُونِي يَقُولُ الرَّبُّ، وَذَهَبُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى وَعَبَدُوهَا وَسَجَدُوا لَهَا وَإِيَّايَ تَرَكُوا وَشَرِيعَتِي لَمْ يَحْفَظُوهَا. وَأَنْتُمْ أَسَأْتُمْ فِي عَمَلِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ آبَائِكُمْ. وَهَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ كُلٌّ وَاحِدٍ وَرَاءَ عِنَادِ قَلْبِهِ الشِّرِّيرِ حَتَّى لاَ تَسْمَعُوا لِي. فَأَطْرُدُكُمْ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ لَمْ تَعْرِفُوهَا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ فَتَعْبُدُونَ هُنَاكَ آلِهَةً أُخْرَى نَهَاراً وَلَيْلاً حَيْثُ لاَ أُعْطِيكُمْ نِعْمَةً." إرميا 16: 10– 13، ".. وتفقد بنفسك ميراثك الذي وهبته لك، واجعلك مستعبداً لأعدائك في أرض لا تعرفها.." أرميا 17: 4، " لا تسمعوا لأقوال الأنبياء الذين يتنبأون لكم ويخدعونكم بالأوهام، لأنهم ينطقون برؤى مخيلاتهم.." إرميا 23: 16، " وَتَقُولُ لَهُمْ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: إِنْ لَمْ تَسْمَعُوا لِي لِتَسْلُكُوا فِي شَرِيعَتِي الَّتِي جَعَلْتُهَا أَمَامَكُمْ لِتَسْمَعُوا لِكَلاَمِ عَبِيدِي الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أَرْسَلْتُهُمْ أَنَا إِلَيْكُمْ مُبَكِّراً وَمُرْسِلاً إِيَّاهُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا. أَجْعَلُ هَذَا الْبَيْتَ كَشِيلُوهَ وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ أَجْعَلُهَا لَعْنَةً لِكُلِّ شُعُوبِ الأَرْضِ.".. وحذرهم كثيرا من عبادة الأصنام وتقريب البخور والقرابين لـ" ملكة السماء" ، فأصروا على عبادتهم زاعمين أنها طريقة آبائهم ومصدر خيرهم.. وأنذرهم إرميا أن الله لن يستجيب استغاثاتهم ولا تضرعاتهم برفع العذاب إذا قُضي..

..غنيٌ عن التكرار بعد هذه النصوص القول بأنّ سبب إهلاك اليهود على أيدي البابليين كان هو تعطيل الشريعة وانتشار الشرك بينهم.. يُضاف إلى ذلك كأسباب تفصيلية ما استعرضه إرميا أيضاً (بناءً على كتاب إرميا) من انتشار الظلم والخداع والزور بينهم، وولعهم بالربح الحرام، وأكلهم أموال الأجراء والمساكين واليتامى والأرامل.. وسفكهم دماء الأبرياء.. ويلاحظ القارئ أن كل هذه الآثام تحمل

نقضاً لعهدهم مع الله تعالى الذي نصّ على منع كل تلك الآثام..

..لا يملك المرء إلا الإستعجاب من هؤلاء القوم كيف يقتلون أنبياءهم حتى وهم يؤمنون بنبوتهم، لمجردّ أنهم جاؤهم بما لا تهوى أنفسهم.. قال تعالى: " **أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون**" البقرة 87.. ثم يتعجب الواحد منّا على إصرارهم على الإنسياق وراء الدجالين الذين يُشبعون رغباتهم ويلبون تطلعاتهم.. حتى حين لا يخفى كذبهم..

وسنرى في هذا الكتاب كيف كان هذا السلوك سبب هلاكهم المتكرر.. وكما كان إرميا نذيرا بين يدي عذاب شديد، كان كذلك الأنبياء زكريا ويحي وعيسى نذر بين يدي عذاب شديد.. وإلى قتل كل واحد منهم سعوا.. وآثروا عليهم اتباع الكذبة والدجالين كما سنرى في الأحداث التي سبقت عذلب علم 70 م وعام 135 م..

.. للمرء بعد هذا كله أن يتأمل كيف أعدنا ذنوبهم كلها.. وله أن يدرك أن الذل الذي أصابنا ما زال قليل مما أصاب من قبلنا..

انتهاء عصر الإستقلال وبدء عصور الخضوع للأمم الإستعمارية:

عصر الحكم البابلي (أو عصر السبي البابلي) 586 – 538 ق.م

– تغلب نبوخذ نصر على المملكة الجنوبية يهوذا، فأحرق أورشليم **وهدم المعبد الأول 586 ق م**، بل وهدم كل القصور، وكل بيوت المدينة بيتاً بيتاً، وقتل أولاد الملك صدقيا أمامه ثم فقأ عينيه، وأخذه مع سبعين ألفا من اليهود أسرى إلى بابل. >

التعليق والتفصيل:

" **.. إنّ بني إسرائيل أمة غبية لا بصيرة فيها، لو عقلوا لفطنوا لمآلهم وتأمّلوا في مصيرهم**" التثنية 32: 28

– عقوبة أخرى جديدة لمن تبقى من بني إسرائيل (سكان يهوذا) من بعد إبادة مملكة إسرائيل والأسباط العشرة بها، نتيجة الردة والعصيان كما صرَّح بذلك أنبياؤهم، وأُثبت بالكتب المنسوبة

إليهم فيما لا يكاد أن يُحصى من المواضع.. حتى صرّح بذلك النبي إرميا لنبوخذنصر " وتكلّم مع نبوخذ نصر والكلدانيين ، قائلا لهم : لا تظن ، أنك بقوتك وحدها ، استطعت أن تتغلّب على شعب الرب المُختار ، إنها ذنوبهم الفاجرة، التي ساقتهم إلى هذا العذاب".. قال تعالى: "**ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون**" السجدة : 21.

– إنّ لنا أن نتخيل شدّة الرعب والفزع الذي عاشه الناس بما فيهم من مؤمنين بينهم.. والعدو الكافر قد اجتاح ديارهم.. وهو يقتل أبناءهم، ويعتدي على حرماتهم، ويغتصب ممتلكاتهم، ويهدم بيوتهم بيتاً بيتا.. بل ويدنس حرمة معبدهم الذي يقدسون، ويهدمه ويحرّقه.. معبدهم الذي هو رمز كيانهم.. كم من الأيدي رفعت إلى السماء مستغيثة، وكم من الدموع والعبرات سُكبت.. كم من الأصوات جأرت إلى الله عزوجلّ.. كلّ القلوب قد خلعها الهلع والخوف إلا قلوباً للأنبياء والصالحين كأمثال إرميا وحزقيال ومن معهم ممّن كانوا يُحذِّرون قومهم من هذا العقاب.. وينتظرونه مكرَهين.. يعلمون أنّ أمر الله عزوجلّ غالبٌ وماضٍ، رغم كل الأماني بما فيها أمانٍ للصالحين.. يعلمون أنّه هو القاهر فوق عباده.. وأنّ قضاءه على قومهم هو الحقّ والعدل.. لطالما حذروا قومهم من هذا العقاب ما لم يتوبوا إلى الله ويستغفرونه، وأنّ الدعاء لن يرفع عنهم البلاءَ إذا حلّ بهم.. ويعلمون أنّ الله عزوجل سيلطف بالمؤمنين منهم مع ذلك.. كل القلوب ذابت إلا تلك القلوب المبصرة الراسخة.. فقد لطف الله عزوجل بها.. وصان أصحابها فما مسهم السوء.. كانت لهم أوقات عصيبة لكنّ لطفُ الله بهم قصّرها، وثبتهم، وأخرجهم منها إلى عهد جديد ووضع مختلف ودَورٍ لهم فيه واعد..

..واليوم لا نملك بيننا أنبياء كإرمياء.. ولسنا بحاجة.. فعلماؤنا وكتاب الله وسنة رسوله يُحذروننا على الدوام وقبل كل بلوى حلت بأي قطر فينا، يحذروننا من عقاب الله وتسليط أمم الكفر علينا إن لم نتب.. وما تبنا ولا عدنا، ولا أطعنا الصالحين بيننا ولا اتبعنا سبيلهم.. فالشريعة معطّلة، والكفر بالله على الأكثر مباح، وحانات الخمر مفتوحة علانية في معظم بلاد المسلمين إرضاءً للكفار أو طمعاً في أموالهم، والربا مُعلن، والتبرج والعهر مُشجّع عليه.. ثمّ نستغرب أن يُسلط الله علينا الأعداء.. وأن لا يُستجاب لنا الدعاء.. ولعل القارئ يذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم وغيره) الذي " ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنّى يستجاب

لذلك".. والأمة كالفرد أنّى يستجاب لها إذا فرطت في دينها وصار المعروف لديها منكراً والمنكر لديها معروفا.. إنّه ليس بأمانينا كما لم يكن بأماني أهل الكتاب.. إنها سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا..

.. لقد تكرر هذا البلاء على بني إسرائيل مراراً في تاريخهم كما رأينا فيما سبق وكما سيأتي فيما يلي من أحداث، فما اتعّظ القوم ولا تعلموا.. حتى بعد طردهم من فلسطين على أيدي الرومان ونزع النبوة منهم.. والله عزوجل كما أخبر هو لهم بالمرصاد حتى يوم القيامة..

– مملكة بابل (612– 538 ق.م، خريطة 7) هي الأولى من **الممالك الأربع** التي تنبأ دانيال (نبي مشهور ظهر ببابل أثناء فترة الأسر البابلي) عليه السلام بحكمها للأرض المباركة متتالية منذ عصره حتى توريث الأرض المباركة بعد ذلك للأمة الربانية (مملكة الله).. وهذا هو موضوع الإصحاحين الشهيرين الثاني والسابع من كتاب دانيال.. وكان ذلك تبشيراً ساطعاً من قبل النبي دانيال بوراثة دولة الإسلام للأرض المباركة.. فقد جاءت دولة الإسلام بعد المملكة الرابعة من عصر دانيال (والتي هي اتفاقاُ الإمبراطورية الرومانية).. والممالك الأربع (الخرائط 7–10) التي حكمت الأرض المباركة بدءا من عصر دانيال هي: البابلية والفارسية واليونانية والرومانية.. وسنستعرض أحداثها في هذا الكتاب بهذا الترتيب الذي هو ترتيب ظهورها في مسرح أحداث تاريخ بني إسرائيل كذلك.. واقترح على القاريء مراجعة تفصيل بشارات دانيال وغيرها من كتابي " بشارات الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم"..

هذا وقد جاءت المملكة البابلية (الكلدانية) على إثر هزيمتها للآشوريين، واستيلائها على عاصمتهم نينوى عام 612 ق.م.

– **<u>موقف الأنبياء والصالحين</u>** الذين عاصروا نزول هذا العقاب الشديد على بني إسرائيل:

لم يهبّ الأنبياء لتأليب الجماهير لمقاومة الإحتلال البابلي ولا الفارسي ولا اليوناني ولا حتى الروماني.. ولم ينجرفوا وراء دعوات التحرر القومية كتلك التي قادها الغيوريون ضد الرومان كما سنرى.. وباستثناء ثورة المكابيين (سيتم الحديث عنها لاحقا) فإنّ حركات التحرر عن المحتل الكافر قامت خلال التاريخ اليهودي بدوافع قومية عصبية، ولم تكن غيرةً على الدين، إذ أنّها تجاهلت مواقف الأنبياء ودعواتهم بالصبر والعودة إلى الله أولا، بل إنّ كثيرا من هذه الثورات اتبع الناس فيها دجالين ومدعيين للنبوة، إلا ثورة المكابيين كما سنرى فلم يعاصرها

أنبياء، وقامت غيرةً على الدين فنصرها الله عزوجل، حتى انحرف حكامها وزاغوا.. هذا وإن كان الجهاد في سبيل الله هو بلا شكّ من تعاليم الأنبياء كما يُفهم ذلك من كتابات أصحاب مخطوطات البحر الميت وسيرة بعض الأنبياء.. إلا أنّ الأنبياء الذين ظهروا في فترات فساد بني إسرائيل ووقوعهم تحت الإحتلال، إلا أنّ هؤلاء الأنبياء فيما يبدو ممّا بقي من آثارهم لدى أهل الكتاب قد اختاروا – مهتدين بالوحي – إصلاحَ الأمّة، وإزالةَ مظاهر الخروج على الشريعة أولاً، وقدموا النصيحةَ في ذلك للحكام من بني جنسهم، ولم يتسامحوا معهم حتى في قضاياهم الشخصية كما سنفصّل مثلاً على ذلك في قصة استشهاد يحي عليه السلام، ولكنّ الأنبياء نظروا إلى الاحتلال الوثني لبلادهم في ظلّ معصيتها لله وتعطيلها لشريعته بأنّه جزء من العقوبة الإلهية، وأنّ رفع تلك العقوبة يستلزم الإنابة والتوبة الصادقة إلى الله عزوجلّ، ولا معنى لقتال المتسلطين الأقوياء الوثنيين في ظلّ الإصرار على معصية الله والتنكر لدينه.. وعلى هذا نستطيع فهم المواقف الواردة بالكتاب المقدس عن الأنبياء اشعيا وإرميا وزكريا ويحي وعيسى وغيرهم عليهم السلام تجاه الإحتلال الأجنبي.. وهي مواقف أغضبت كثيراً من الملوك والحكام اليهود الذين كثيرا ما لجأوا إلى أنبياء دجالين يلهبون حماس شعوبهم لقتال أعدائهم المهاجمين.. إلا أنه يجب التنويه بأنّه كان هنالك على الدوام ذكر للدور الرائد الذي قام به الأنبياء في توجيه الحكام، ونصحهم بل والوقوف بقوة تجاه غواياتهم مما تسبب في استشهاد الكثير من الأنبياء والمصلحين، وكانوا على الدوام منذرين محذرين لبني إسرائيل من عواقب زيغهم وضلالهم.. لقد كان الخوف من عقاب الله وبطشه ومطالبة قومهم بعبادته وحده وتحكيم شريعة التوراة هي قضيتهم الأولى التي تقوم عليها حركتهم.. ولكنّ اليهود عموا وصمّوا كعادتهم عبر القرون كما أُثبت ذلك عنهم في الكتاب الذي يقدّسون..

وإنّ لنا في هذا التاريخ لعبرة.. فما أجرأ فريق من زعمائنا ينتظرون النصر من الله عزوجلّ على دول عظمى وهم لا يُطبقون دين الله ولا شريعته.. بل ويُستهزأ بالدين تحت رعايتهم، وتفتح حانات الخمور ويجاهر بالإفطار في نهار رمضان تحت إملاءاتهم، ثمّ إذا داهمهم العدو رفعوا شعار " الله أكبر".. والله هو أكبر، لكنهم لا يستحقون من الله نصره ولا عونه.. أين هؤلاء من فهم أبي بكر رضي الله عنه الذي كان يخاف على المسلمين من ذنوبهم أكثر مما يخاف عليهم من عدوهم! إنّ إصلاح هذه الأمة والتوبة عن مظاهر التحدي لهذا الدين والأخذ بيد الأمة إلى

مراجعة دينها والتمسك بمبادئه لهو الخطوة الصحيحة الأولى في طريق النصر على الأعداء..

– **خاطرة:** .. "**والله غالب على أمره ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون**" يوسف: 21.. لنا أن نتأمل كيف أنّ وجود الصالحين بل الأنبياء بين القوم لم يمنع العذاب الذي جاء شاملاً للجميع.. وكيف أن هؤلاء الصالحين استسلموا لأمر الله في قومهم وأنفسهم ورضوه، فذهبوا في الأسر والتشريد إلى بابل راضين محتسبين، ولم يغرهم بالله الغرور فيتوقعوا تغيير سنن الله من أجلهم مناً على الله بصلاحهم وعبادتهم.. ما أوقح الكثير منا على الله عزوجل في هذا الزمان ونحن لا نصل إلى مرتبة أحذية هؤلاء الأنبياء والصالحين ثمّ نتوقع على الله عزوجل من أجل وجودنا أن تتم النعم ويتنزل على أقوامنا الغارقة في المعاصي والآثام المعطلة لشريعة الله أن يتنزل عليها نصرالله وتمكينه.. إن سنن الله ماضية، ومن صلح فإنما يصلح لنفسه والله الغني عن الجميع..

– كانت فترة نبوة حزقيال معاصرة للأحداث أعلاه.. وقد ختمت حياته بالشهادة على أيدي اليهود كإرميا واشعيا وغيرهم من قبله..

– فترة " **اليهود في الأسر البابلي**"، وظهور الانبياء حزقيال ودانيال واشعيا الثاني (النبي الذي تنسب إليه الإصحاحات الأخيرة من كتاب إشعياء 550 ق م) في بابل.

(يلاحظ أنّ إرمياء توفى عام 585 ق م بمصر).

التفصيل:

– يهود القدس وفلسطين ظلوا رغم ما أصابهم على أيدي البابليين ظلوا على عبادة الأصنام (إصحاحات سفر حزقيال)، بينما صلح أمر كثير من الأسرى وخفف الله عنهم معاناتهم.

– ظهور الأفراد الصالحين بما فيهم الأنبياء في فترات إنحطاط بني إسرائيل، وفترات وقوعهم تحت الإحتلال الأجنبي المباشر كما وقع لهم على أيدي البابليين والفرس واليونانيين والرومان يدلّ على أنّ بإمكان الأفراد أن يرتقوا بتربية أنفسهم حتى يبلغوا أعلى درجات الصلاح بغض النظر عن مدى إنحطاط أو حتى ردّة الأمة التي ينتسبون إليها..

إنّ الفرصة لعبادة الله والقيام بما يرضيه مُيسرة للأفراد في جميع العصور وتحت كل الظروف التي يعيشونها، وإن كانت الأدوار المطلوبة منهم مختلفة، فمنهم من أُمر بالقتال ومنهم من أُمر بكف الأيدي والصبر مع استمرار تذكير الناس بربهم ودينهم.. ومن هنا تحدّى العبد الصالح خصومه بأن نفيه سياحة وسجنه خلوة وقتله شهادة، فدوره في عبادة الله ميسر له تحت

كل الظروف، ومن هنا كذلك فلن يُقبل الإعتذار عن عبادة الله والقيام بدينه بإرهاب السادة والحكام ولا بإغراءاتهم..

دانيال عليه السلام:

عاش نبي الله دانيال ببابل من بعد السبي.. ويُنسبُ إليه أحد أهم كتب العهد القديم.. بل أهمها على الإطلاق في قضايا النبوات.. وبه بشارات صريحة ساطعة بمجيء الإسلام فصّلتُها ضمن كتابي عن بشارات الإنجيل والتوراة وأشرتُ إلى بعضها في مواضع متفرقة من هذا الكتاب.. ويهمني هنا الإشارة إلى تعارف السلف من هذه الأمة على نبوته على الرغم من عدم ورود اسمه بالقرآن الكريم.. فقد جاء في مصنف عبد الرزاق الإشارة إلى إسلام رجلٍ بعد فتح الصحابة رضوان الله عليهم لمدينة تستر حين اطلع على كتاب دانيال الذي وجد ضمن الغنائم.. وجاء في مصنف ابن أبي شيبة أنّ الصحابة وجدوا قبر دانيال بالسوس بعد فتح تستر وأنّ " عمر كتب إلى الأشعري أن تغسلوا دانيال بالسدر وماء الريحان وأن يصلى عليه فإنه نبي" .. ومن قصص دانيال عليه السلام التي وردت الإشارة إليها بكتب الحديث قصة سوسنة ومحاولة نبوخذنصر قتله بالأسود..

قصة سوسنة والشيخين The story of Susanna and the Elders:

جاء في كتاب سنن البيهقي الكبرى رحمه الله تعالى عن إسماعيل بن سالم عن أبي إدريس في قصة سوسن قال كان دانيال عليه السلام أول من فرّق بين الشهود فقال لأحدهما ما الذي رأيت وما الذي شهدته، قال أشهد أنّي رأيت سوسن تزني في البستان برجل شاب قال في أي مكان قال تحت شجرة الكمثرى، ثم دعا بالآخر فقال ما تشهد قال أشهد أني أبصرت سوسن تزني في البستان تحت شجرة التفاح، قال فدعا الله عليهما فجاءت من السماء نار فأحرقتهما وأبرأ الله سوسن".. وقد وردت القصة في فصل مستقل ضمن أجزاء العهد القديم التي حذفها البروتستانت وضموها إلى ما يُعرف حالياً بالأبوكريفا.. وخلاصتها أنّ سوسنة كانت من أبوين صالحين صدِّيقين وامرأة تقية لأحد وجهاء اليهود ببابل، وأنّ شيخين قاضيين جارّين لبيتها – كثيراً ما كانا يجتمعان مع زوجها– اطّلعا عليها في حديقة بيتها مراراً، وشغفا بها، واختبأ لها بالحديقة وهجما عليها في خلوتها بعد أن أوصدا باب الحديقة خلفهما، وعرضا عليها الإثم أو أن يدّعيا عليها مشاهدتها في فاحشة.. فأبت وصرخت، ففتح الشيخان أبواب الحديقة وادّعيا عليها بالإثم أمام مَن جاء من الناس.. وفي الغد شهدا عليها بالفاحشة وأنّ الشاب المتهم هرب منهما، فحُكم عليها بالموت.. فاستغاثت بالله.. فألهَمَ الله دانيال وهو ما يزال شاباً أن يطلب إعادة المحاكمة.. وعندها فرّق بين الشيخين وأثبت للناس أنّهما شهدا زوراً حين اختلف وصفهما لموقع الفاحشة.. فقتلا وأنقذت سوسنة!

قصة نجاة دانيال من الأسود:

وقد نسبت رواية هذه القصة إلى الإمام علي بن أبي طالب أنّه قال: أُتى بختنصر بدانيال النبي عليه السلام فأمر به فحبس وضري أسدين فألقاهما في جب معه وطبق عليه وعلى الأسدين ثم حبسه خمسة أيام مع الأسدين ثم فتح غيبته بعد خمسة أيام فوجد دانيال قائما يصلي والاسدين في ناحية الجبّ لم يعرضا له فقال بختنصر أخبرني ماذا قلت فدفع عنك قال قلتُ الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره الحمد لله الذي لا يخيب من رجاه الحمد لله الذي لا يكل من توكل عليه إلى غيره الحمد لله الذي هو يقينا حين تنقطع عنا الحيل الحمد لله الذي هو رجاؤنا يوم تسوء ظنوننا وأعمالنا الحمد لله الذي يكشف حزننا عن كربنا الحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحسانا الحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاة" عن كتاب الشكر لأبي بكر بن أبي الدنيا.. والقصة في الأصل وردت بكتاب دانيال الإصحاح الخامس، وخلاصتها أنّ دانيال عليه السلام تبوأ الوزارة أثناء حكم داريوس الماديّ وبزّ أقرانه من الوزراء الذين حقدوا عليه واستدرجوا الملك لإصدار أمرٍ بطرح كل مَن يسأل سوى الملك إلى جبّ الأسود.. واستخرجوا أمراً برمي دانيال بهذا الجبّ لتوجهه بحاجاته إلى الله تعالى لا إلى الملك.. وحبس دانيال ليلة مع الأسود.. واطّلع عليه الملك من غده فوجده سليماً فأخرجه، ورمى إلى الجبّ المتآمرين على دانيال مع أولادهم ونسائهم.. وأمر الملك الناس بالإيمان بالله الحي القيوم والخوف منه..

عصر الحكم الفارسي 538 –333 ق م

- سقوط بابل تمّ على أيدي الفرس (بقيادة **سايروس** Cyrus) <u>538 ق</u>.م

- هناك رأي مؤيد بأدلة على أنّ **سايروس أو كورش** كما يسمى بالعربية (546– ؟ 530 ق.م) هو ذو القرنين عليه السلام..

- دولة الفرس (538– 333 ق.م) هي المملكة **الثانية** – اتفاقاً– ضمن الممالك الأربع التي تنبأ بها كتاب دانيال لتحكم الأرض المباركة قبل ظهور مملكة الله، وقد جاءت على إثر هزيمتها للبابليين والميديين (الميديين هم فرس كذلك)، واستيلائها على أرض تلك الدولتين، وقد حكمت أرض كنعان لما يزيد عن مائتي عام، وكان فيها تخفيف على اليهود رغم استمرار انقطاع الملك عنهم منذ عام 586 ق.م.

- جاء المرسوم الفارسي أيام كورش بالسماح لليهود بالعودة إلى فلسطين وببناء الهيكل عام <u>538 ق.م</u>.

- وابتدأ بناءُ الهيكل الثاني عام 536 ق. م (تحت قيادة **زربابل**، وهو يهودي من نسل داود عليه السلام ولكنه كان في نفس الوقت حاكماً لليهود باسم الدولة الفارسية).. ثم عُلّق البناء حتى عام 520 ق.م حيث استئنف البناء ليكتمل عام 515 ق.م. وقد جاء بناءً أبسط كثيراً من الأول.

التعليق:

- فترة نبوة **حجي وزكريا** (هو نبي آخر غير زكريا أبي يحي) عليهم السلام.. وقد استكملا بناء الهيكل بعد انقطاعه لمدة 15 عاماً (من ؟ 535- 520 ق. م) نتيجة استجابة ملك فارس (الملك **ارتحشِشتا**، عزرا 4: 7- 24) لتخويف أعداء اليهود له من فقدان مدينة أورشليم إذا أُعيد بناؤها.. فأمر بتعليق البناء، حتى أذن باستئنافه من بعده الملك **داريوس أو دارا** (521 – 485 ق.م.)

- واجه زربابل ومن معه معارضةً وترهيباً وتآمراً من قبل السامرة والشعوب المتواجدة بالمنطقة في تلك الفترة.. وقد نجح زربابل ومن معه رغم الخوف الذي تملكهم والدسائس عليهم والرشاوي لصدهم نجحوا في مواصلة البناء واستئنافه بعد 15 عاماً من الانقطاع حتى استكملوه عام 515 ق.م..

- جاء بناء المعبد أبسط من ذلك الذي بناه سليمان عليه السلام، وقد أثار افتتاح المعبد الثاني الذي بدا كأنّه لا شيء بجانب الأول (حجي 2: 3) أثار بكاء الكهنة وكبار الرؤساء الذين عرفوا الهيكل الأول، بينما هتف العامة بهتافات البهجة والفرح (عزرا 3: 12).

قصة أستير:

أُفرد أحد أسفار العهد القديم لقصة المرأة اليهودية أستير هذه، التي دفعها مردخاي الرجل الذي تبناها، دفعها لتكون إحدى البنات اللواتي سيعاشرهن الملك أحشويروش ابن داريوس (485 – 466 ق. م)، وكانت تدخل عليه الواحدة لليلة واحدة ولا تعود إلا إذا طلبها الملك ثانية، وقد استطاعت أستير هذه أن تكسب قلب الملك لتكون هي الملكة الرسمية (عام 478 ق.م)، وقامت بتوجيه من مردخاي – الذي قُدّم كرجل صالح- بإنقاذ شعبها من الإبادة الجماعية التي كان هامان وزير الملك قد عمم الأمر بها على كل أرجاء المملكة.. وكان تحقيقها لذلك الهدف يستدعي الكثير من المغامرة والتضحية التي قامت بها بنجاح..مستعينة

بصيام ودعاء قومها..

التعليق:

– بغض النظر عن مدى صحة القصة، ودرجة صلاح أبطالها، لكنّها مثلا يُحتذى لدى اليهود في استغلال النساء للوصول إلى مراكز القوة وأصحاب القرار السياسي.. فمردخاي " الرجل الصالح" هذا قد زرع أستير بقصر الملك طمعا في الإستفادة منها عند الحاجة لذلك.. وهو ماوقع فعلاً.. وما دام تقديم النساء بهذا الشكل ولهذا الغرض هو ممّا أُمتدح بالكتاب المقدس واعتبر تضحيةً قومية عظمى فليس هنالك ما يدعو اليهود للتردد من تكرار عرض النساء هكذا مستقبلاً..

ولا تكاد تُحصر الأمثلة المشابهة في استغلال النساء بالتاريخ اليهودي القديم والمعاصر.. استغلالهن في الرذيلة والفاحشة للإيقاع بالزعماء والقادة وابتزازهم بما يُثبِتون عليهم من ممارسات مع مجنداتهم.. وهو مما يعترف رجال الموساد (المخابرات اليهودية) باستخدامه كذلك في تجنيد العملاء بداخل فلسطين وخارجها..

– عودة **عزرا** كاتب الشريعة (عام 457 ق.م) من بابل إلى إورشليم مؤيداً بالمال والرجال والسلطة والتخويل المطلق من قبل الملك ارتحشثتا (465– 424 ق.م) ابن أحشويروش (زوج استير)، للإطلاع على مدى تطبيق الناس بأورشليم للشريعة، ولتطبيقها..

التعليق:

– جاء عزرا أورشليم فوجد قومه " منغمسين في رجاسات الأمم".. فارتعب لما رأى، ومزق ثيابه.. وجثا على ركبتيه متضرعاً: " اللهم إني أخجل وأخزى من أن أرفع وجهي نحوك لأن آثامنا قد تكاثرت فوق رؤسنا، ومعاصينا قد تعاظمت فبلغت عنان السماء، فإننا منذ عهد آبائنا وإلى هذا اليوم غارقون في إثم عظيم.." ومضى يُعدد آثام بني إسرائيل، وفضائل الله عليهم، ثم عقابه لهم، ثم رحمته ثم تمردهم وتعّديهم.. فبكى الناس معه.. فاستحلف رؤساءهم على إنفاذ عهد الله.. و" الإلتزام بالسير في شريعة الله التي أعلنها على لسان موسى عبده، وبالمحافظة على جميع وصايا الربّ.. وأحكامه وفرائضه" وقرأ لهم سفر شريعة موسى عليه السلام وفسرها .. وأمرهم بالتخلي عن زوجاتهم الوثنيات.. (سفري عزرا 9 و10 ونحميا 10)

– إعادة نحميا عليه السلام لبناء سور المدينة 445 ق.م..

- حلت اللغة الآرامية محل العبرية لغةً للتخاطب في هذه الفترة.

- إعادة جمع التوراة على يد عزرا (بناء على المصادر اليهودية) بعد ضياعها، وتثبيت الشريعة بعد نسيانها.
- من المتعارف عليه أن كثيرا من الأسفار أُلِّفَت بعد عصر عزرا بقرون عديدة.,

الانتهاء من كتابة أسفار موسى الخمسة (وهي أعظم العهد القديم وربّما أصحه) عام399 ق.م.

التعليق:

- أضاع بنو إسرائيل كما هو ثابت لديهم نسخة التوراة الأصلية التي عهد بها لهم موسى عليه السلام وأودعها بالتابوت.. ولم تكن التوراة منتشرة بينهم ولا كانوا يحفظونها.. وكان موسى عليه السلام قد أمرهم بإخراجها من التابوت مرة كلّ اسبوع لتدارسها مع الناس.. ولكنّ ردة الأجيال التالية – كما سبق أن استعرضنا خلال عصر القضاة وعصر مملكتي يهوذا وإسرائيل – انتهت إلى ضياع هذه النسخة الأصيلة.. ثم استيلاء الكفار على التابوت الذي عاد إلى بني إسرائيل مع بداية العصر الملكي بدون نسخة التوراة التي كانت موجودة به.. ثمّ ضياع التابوت نفسه مع الألواح التي كانت ما تزال به بشكل نهائي.. وضياع ما يمكن أن يكون قد كتب من التوراة بعد ذلك.. حتى جاءت محاولة عزرا لإعادة كتابة التوراة من ذاكرته وذاكرة من حوله من الكهنة.. وهي ما ادعى أهل الكتاب أنه قد تمّ بإلهام ربانيّ.. لكن كثرة التناقضات والأخطاء تنفي ذلك على الأقل عن نسخ العصور التالية.. وعلى أي حال فقد أُضيعت كتابات عزرا نفسها بعد ذلك..

- كتابة أسفار العهد القديم بعد قرون طويلة من عصر الأنبياء الذين تنسب إليهم لهو عامل آخر في تفسير وجود الأخطاء الكثيرة بالكتاب المقدس إضافة إلي قضية التحريف المتعمد.. ولعلّ من أهم هذه القضايا خلو الأسفار المنسوبة إلى موسى عن ذكر قضية الإيمان باليوم الآخر.. فالكهنة الغالبون على مواقع القيادات المدنية لفترة طويلة كانوا من طائفة الصدوقيين الذين لا يؤمنون باليوم الآخر، ولم تكتب التوراة الحالية كما يذكر المؤرخون أعلاه إلا بعد موسى عليه السلام بما يزيد على سبعمائة إلى ألف عام.. هذا وقد ورد بعد ذلك ذكرٌ صريح للحياة الآخرة فيما نسب من أسفار إلى إشعيا ودانيال وعيسى وغيرهم عليهم السلام.. وهنالك

كذلك مظاهر تحريف كبير مسّ سيرة الأنبياء والصفات الحسنى لله عزوجل وقضايا أخرى.. .. يقول ابن حزم تعليقاً على أثر ردتهم المتكررة على التوراة: " فقولوا يا معشر السامعين بلدٌ تُعلن فيه عبادة الأوثان وتبنى هياكلها ويقتل من وجد فيه من الأنبياء كيف يجوز أن يبقى فيه كتاب الله سالما أم كيف يمكن هذا؟" من الفصل في الملل.
النسيئة: – تجدر الإشارة هنا إلى اقتباس اليهود للتقويم البابلي (دورات التسع عشرة سنة) على الرغم من تناقضه مع الشريعة الموسوية، وتغييره للأيام ومواعيد الأعياد الدينية.. هذا الاقتباس تمّ في عصور لاحقة من بعد توارث الأمم ومنها الفارسية لهذا النظام.. – يُلاحظ أن شعوب الأرض اعتمدت أصلاً حساب الأشهر بناء على دورة القمر، لكنّ المشكلة التي واجهتها كانت في المحافظة على هذا التقويم (القمري) مثبتاً على فصول المناخ ليخدمها في قضايا تحديد مواسم الزراعة والحصاد.. ومعلومٌ أنّ نقصان السنة القمرية (354 يوماً) هو 11 يوماً عن السنة الشمسية، مما يعني دوران الفصول على كل شهور السنة القمرية كل 32.5 سنة.. فاجتهدت الشعوب بإضافة عدداً من الأيام والشهور من حين لآخر لتثبت الشهور (القمرية) على فصول السنة.. وكانت هذه الإضافات غير منتظمة في البداية، يضاف عدد غير محدد من الأيام لُيعيد الشهور إلى مواقعها الموسمية الأصلية، وكان السومريون Sumerian أول من بدأ هذه الزيادات (النسيئة).. وتطورت هذه النسيئة تدريجياً، وبلغ الأمر أشده أيام المدن الإغريقية المستقلة حين كانت كل مدينة تضيف النسيئة كما تريد، واصبح التقويم في فوضى شاملة، فلا أحد متفق مع غيره في مُسمّى الشهر.. حتى جاء البابليون المتأخرون فوضعوا نظام تقسيم السنوات الى متواليات من 19سنة، سبع سنوات منها سنوات كبيسة محتوية على ثلاثة عشر شهرا بدلا من 12 شهرا.. فحافظ هذا الإجراء (أي إضافة شهر كل 19 \ 7 من السنين أو كل 3 سنوات تقريبا) على تثبيت الشهور القمرية على فصول مناخية ثابتة تقريباً مع اختلاف يسير قدره ساعتان بالعام (بدلاً من 11 يوماً).. وورث الفرس هذا النظام (الشمس قمري LUNISOLAR) من بعدهم واعتمدوه عام 367 ق م.. **وجاء اليهود فيما بعد فتبنوا هذا النظام اجتهاداً من أحبارهم.. رغم مخالفته للشريعة**.. ورفض مجموعات كبيرة من متدينيهم (كأصحاب مخطوطات قمران) لذلك.. وكانت النتيجة أن غيّر

اليهود بتبنيهم لنظام النسيئة هذا مواعيدَ الأعياد الدينية ومواسم العبادة تقليداً للأمم الكافرة..
وحتى يتخيل القارئ المسلم فداحة هذا الأمر، عليه أن يتخيل رئيساً معتوهاً يُقرّر تحسين التقويم الهجري ليغطي حاجات الناس المعيشية (قضايا الفلاحة والفصول) فيتبنى مثل هذا النظام الشمس قمري.. والذي ما زال فيه تحديد بداية كل شهر معتمد على رؤية الهلال، لكن الشهور مثبتة على الفصول المناخية بإضافة 7 أشهر موزعة على سبع سنوات كل 19 سنة.. لو تمّ ذلك، وأطاعه المسلمون كما أطاع اليهود رؤساءهم وأحبارهم، لصاموا في غير رمضانهم ولحجوا في غير ذي حجتهم.. ولجاء بينهم من يخالفهم.. ولاختلفوا بالتالي في مواعيد العبادات أيّما اختلاف..

ويرى القاريء أنّ من حكمة ربط العبادات بالتقويم القمري سهولة متابعتها على الناس أمّيين أو متعلمين، أينما كانوا منقطعين في قراهم أو ترحالهم، وليتم تداول المواسم بين أهل الشمال والجنوب فلا يتمتع أناس بالعبادات في مواسم البرد أو الإعتدال، أو في فترات طول الليل، بينما تكون مواسم العبادات دائما في مواسم القيظ والشدة وطول النهارعلى آخرين.. وليس هناك ما يمنع من اعتماد الناس نظاما شمسياً مستقلاً خاصاً بتنظيم أمور دنياهم المرتبطة بالفصول المناخية..

هذا ولم تقلّد أمتُنا اليهودَ في مثل هذا الإنجراف العظيم إلا جزئياً حين ربطت مناسباتها الوطنية وأعيادها غير الدينية، وأحداثها الماضية والحاضرة، على مستوى الأمة والأفراد، حين ربطت كل ذلك بالتقويم الميلادي (الجلياني الروماني)، وما تركت على التقويم الهجري إلا المناسبات الدينية.. ولا نعلم في تاريخنا الإسلامي محاولات مشابهة في إدخال النسيئة، وإن كنّا نخشى ممَن تجرأ في تاريخنا المعاصر على تغيير بداية التقويم الهجري، وحسابه بالسنوات الشمسية مبتدأً من البعثة النبوية بدلاً من الهجرة، وممَّن تجرأ فحدد للناس أيام أعياد الفطر قبل نهاية شهر صومهم بأيام متجاهلاً للهلال والفلك.. نخشى من مثل هؤلاء أن يَدخلوا على تقويمنا نسيئة لإصلاح جديد يزعمونه..

ونختم هذه الفقرة بالتذكير بتحريم النسيئة (الإدخالات على التقويم القمري) بالقرآن الكريم، قال تعالى: "**إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا.. إنما النسئ زيادةٌ في الكفر، يُضل به الذين كفروا يُحلّونه عاماً، ويُحرمونه عاماً، ليُواطؤا عدة ما حرم الله فيُحلوا ما حرّم الله زُين**

لهم سؤ أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين".. لقد ضيعت هذه الإدخالات على تقاويم الأيام على الأمم مواسم عباداتها التي نزل بها الوحي وأقرّها الدين.. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن اليهود (وكذلك تماماً النصارى) قد اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله وذلك حين أطاعوهم فيما بدلوا من الدّين السماوي وغيّروا..
عصر الحكم اليوناني 333 – 63 ق.م.
تمت سيطرة اليونانيين على فلسطين وسوريا عام 333 ق.م بقيادة الإسكندر الأكبر.   – الإمبراطورية اليونانية (333– 63 ق.م) كانت هي **المملكة الثالثة** التي حكمت الأرض المباركة من بعد البابليين والفرس.
سقوط دولة فارس على يدي الإسكندر الكبير، ثم موت الإسكندر ببابل عام 323 ق.م وانقسام مملكته بين قواده العسكريين، ووقوع فلسطين (عام 301 ق.م) والشام وفينيقيا والساحل تحت سيطرة بطليموس الأول Ptolemy Isoter (سوتير) المتمركز بمصر.   **التعليق:** تمّ في إصحاح دانيال الثامن ذكر الإسكندر الكبير صراحة باسم ملك اليونان الأول، ومن بعده انقسام مملكته إلى أربع ممالك..
تميزت هذه الفترة بظاهرة الانحراف الثقافي المستغرب (أي المقلد للغرب)، والتأثر بالإغريق Hellenism الذي بلغ حدّ اقتباس وتبني أسماء وعادات وأفكار اليونان الوثنيين.. وتسبب ذلك في انتشار ظاهرة الردة عن الشريعة والدين..   **التعليق:**   – انتشار الردة عن تعاليم الأنبياء، وتقليد الغربيين المتفوقين مدنيا .. ما أقرب ذلك الوضع بوضع المسلمين اليوم..   – وقد نُهوا عن تقليد الأمم الوثنية فقلدوها.. ونُهي المسلمون عن تقليد الكفار من أهل الكتاب ومن الوثنيين فخالفوا ، واتبع كثير من أبنائهم عادات وأفكار الكفار فضلوا وأضلوا.. قال تعالى : " **يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أُوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين..**" آل عمران 100..
الحدث: وقوع السامرة وفينيقيا تحت ملك السلوقيين (حكام سوريا اليونانيين) ثم عودتها إلى البطالمة (

تكرر الاحتلال المتبادل للقدس ست مرات على الأقل في هذه الفترة 320– 168 ق.م) – تم تفصيل هذه الأحداث في الإصحاحين الحادي عشر والثاني عشر من كتاب دانيال.. وهو ما جعل أكثر الباحثين لا يُقرون بنسبة الإصحاحات الأخيرة من كتاب دانيال إليه، وينسبونها إلى عصر لاحق أثناء الإحتلال اليوناني.. – تمت ترجمة التوراة الى اليونانية عام 250 ق.م.
امتلاك السلوقيين (يونانيين) لفلسطين وفينيقيا وطرد البطالمة (يونانيين كذلك) عام 203 – 200 ق.م، بمساعدة اليهود المتدينين.
الحدث: – تثبيت انطيوخوس الثالث AntiochusIII الملك اليوناني بسوريا لسيمون الثاني Simon المحافظ المعروف بصلاحه على حكم اليهود عام 200 ق.م، وانتصار دعاة الصلاح والعودة إلى التوراة على دعاة التغريب وتقليد اليونانيين.. ولكن إلى حين، كما سنرى.. – قامت منافسة شديدة بين المحافظين على التوراة ودعاة التغريب.. وتسابق الجميع لكسب تأييد انطيوخوس، وإرضاء اليونان ببناء معالم يونانية بالقدس.. – هزم الرومان الزاحفون على بلاد اليونان والأناضول انطيوخوس الثالث عام 192 ق م، وأبقوه على عرشه مقابل جزية سنوية باهظة.. هذه الجزية التي أذلته وأذلت من بعده، وكانت أحد أسباب محاولاته لاغتصاب أموال المعبد بأورشليم.. وما أشبه الليلة بالبارحة.. فهذه الدولة العظمى عليها إلتزامات لتتمكن من القيام بدورها الذي اختارته، وتستحل لنفسها أن تحتال للحصول على المال اللازم حتى من الصغار الفقراء..
الحدث: – هجوم هيليودورس Heliodorus قائد السلوقيين (مرسلا من أنطاكية من الملك السلوقي سليوكاس الرابع Seleucus IV) على القدس عام 180 ق.م لاغتصاب أموال الهيكل، بدعوى أنّ كاهنها أونياس الثالث يخزّن أموالا وكنوزا ضخمة بداخل المعبد، حينها امتقع لون أُونياس وارتعد، وأُصيب الناس في أورشليم بهلع شديد، ولبس اونياس والناس معه الخيش وتضرعوا إلى الله عزوجل بالإنقاذ، ووقعت المعجزة فأُصيب هيليودوس عند دخوله المعبد بنوبة تشنج أقعدته أرضاً، خاف من بعدها، وظل يقص على الناس أنه رأى إله اليهود بعينيه!! وتمت بذلك

استجابة الله لتضرع المؤمنين تحت زعامة هذا الكاهن Onias أونياس الثالث ابن سيمون الثاني.

التعليق:

- آية أخرى لبني اسرائيل وللمؤمنين من بعدهم.
- لا تنبغي الثقة بالكفار.. فالوثنيون اليونانيون الذين ثبّتوا المتدينين (سيمون الثاني) من اليهود على الحكم، قد عادوا فغدروا بهم.. ويُلاحظ أن اتهام أونياس بكنز الأموال داخل المعبد ينطوي على دعاية من المغتصب الأجنبي بأنه هو الذي سيُخرج الثروات للناس ويُوجهها وجهتها الصحيحة.. فما أشبه الليلة بالبارحة!

الحدث:

اضطر أونياس بعد هذه الحادثة أن يذهب إلى انطاكية ليوضح للملك السلوقي سليوكاس Seleucus أنه لم يكن السبب في مرض القائد هيليودوس، ولكن أخاه يوشع Joshua (الملقب جاسون) كان قد سبقه إلى الملك سليوكاس بهدايا ثمينة رشوة منه للملك ليضعه مكان أخيه أونياس على الكهانة.. واستجاب الملك، وتم التآمر على أونياس وقتله عام 180 ق م، وعاد يوشع إلى أورشليم كاهنا حاكما لها، مُعيناً من قبل الوثنيين.. وقد كان مُستغرِبا (يدعو إلى تقليد اليونانيين في كل شيء وإلى التحرر الكامل من التوراة وشريعتها).

التعليق:

- تعتبر حادثة قتل أونياس من المعالم الرئيسية بالتاريخ اليهودي.. وبرزت هذه الحادثة كإحدى التفسيرات المقدمة لتفسير النبوءات بكتاب دانيال المتعلقة بقتل أحد المختارين مستقبلاً (تم تفصيل ذلك بكتاب تباشير الانجيل والتوراة للمؤلف).. على أي حال فقد فتح قتل أُونياس الباب لحملة تغريق المجتمع اليهودي وسلخه من أصالته الدينية.. وظهر من بعدها مجموعات المؤمنين كالإسينيين وأصحاب مخطوطات البحر الميت الذين يئسوا من مجتمعاتهم فاعتزلوها..
- يبقى هنا السؤال: هل كان أونياس مضطراً للذهاب إلى الملك السلوقي سليوكاس ليعتذر له عن فشل قائده العسكري في سرقة أموال المعبد؟ خاصة أنّ هزيمته قد تمت بتدخل ربّاني خالص وبدون جهد من اونياس وجنده.. قد تكون تلك دبلوماسية ضرورية لتفادي هجمة

انتقامية من الجيش السلوقي.. وإن كان ذلك ليس بالضرورة مع إدراك القادة السلوقيين أنّ ما أصابهم كان بمشيئة إلهية.. لقد جُرِّدت الأمّة أحياناً من مردودات نصر حققته بفضل الله تعالى ثم بجهد أبنائها بالإتضاع طوعاً من جديد لإرادة المحتل، والإرتماء الإختياري في أحضانه تسهيلاً له لينفذ مكره ومكائده..

- محاولة يوشع أو جاسون الكاهن تغريب القدس لتكون حاضرة يونانية، وقبول عامة اليهود لذلك، وتعطيلهم للشريعة والتوراة.. وبنائه لجيمناسيم gymnasion بقرب الهيكل، وقد كان به صالات للرياضة والسباق، ومدرسة لتعليم المصارعة، وإغراء الشباب بتعلم الموسيقى والأدب والفلسفة اليونانية إضافة إلى الرياضة المتعرية.. وقد اجتذب الجيمناسيم الناس من كل الطبقات، وأعجبوا بالإنفتاح على الأفكار اليونانية والعالم من حولهم بدلا من الإنغلاق على المعبد والتوراة !! وتوج التغريب باستقبال جماهيري ضخم للملك اليوناني المستعمر انطيوخوس ابيفانوس الذي جاء بعد أخيه سليوكاس، وطاف به يوشع شوارع أورشليم عام 173 ق م كأنما يطوف شوارع حاضرة يونانية..

التعليق:

- عجباً كيف يعيد المسلمون اليوم أخطاء بني إسرائيل ! ذلك خبر خاتم الأنبياء !! واضح أنّ المدنية الغربية (اليونانية وكذلك الرومانية من بعدها) التي عاصرها اليهود لم تكن بأقل فتنة عليهم من المدنية الغربية المعاصرة علينا نحن المسلمين هذا الزمان.. ولكنّ أجيال المسلمين الأولى استعلت بإيمانها ولم تُفتن بجمال التماثيل والمسارح والقصور والمدن مع أنها جاءت من بادية الصحراء الأمية..

- يُلاحظ مرور القرون الطويلة على البشرية والمؤمنون ومجتمعاتهم أقلية لا تكاد أن تُذكر وسط الشعوب الكافرة المتسلطة.. وقد جاء في الحديث النبوي تشبيه عدد المسلمين إلى أمم الأرض الكافرة بالشعرة البيضاء أو السوداء الوحيدة بالثور الأسود إو الأبيض.. جاء في صحيح ابن حبان (وروى مثله البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى): " انّ مثل المسلمين في الكفار كالبقرة البيضاء فيها الشعرة السوداء أو كالبقرة السوداء فيها الشعرة البيضاء".. فهذه حكمة الله عزوجل وهذا هو الكائن البشري يحكم فيه الله بالعدل (بل وبالرحمة)، ولا يُسأل ربنا عن أمره في خلقه! لكنّ الذي يعنينا هنا أنّ ضعفَ المؤمنين اليوم (رغم أنّه من صنيع أمتهم بمجموعها) إلا أنه

ليس غريباً على المؤمنين في العصور السابقة.. ونرى هاهنا – وفيما سيلي من أحداث تاريخ بني إسرائيل– من هيمنة الأمم الغربية الكافرة على المؤمنين (لتفريط أمتهم) ما يُشبه وضعنا المعاصر إلى أبعد الحدود.. فلعل في ذلك عزاء للمعاصرين..

وفي الواقع فمنذ أن انقضى عصر الوجود البشري المتمثل في أمّة واحدة (وقد كانت مؤمنة وذلك قبيل عصر نوح عليه السلام) فإن الظهور الغالب كان على مرّ القرون الطويلة هو لغير المؤمنين، اللهم إلا ألف عام أو تزيد كان المسلمون خلالها هم الظاهرون.. ويظل من عزائنا كمسلمين رغم هواننا اليوم أنّنا ما زلنا كثيرين ولو عدداً بين أهل الأرض.. وهو ما لم تصل إليه البشرية في مؤمنيها من قبلُ – من بعد عصرها الأول– أبداً.. وتلك ميزة لأمّة الإسلام استحقت التبشير بها عبر القرون..

إزاحة الملك اليوناني Antiochus Epiphanes انطيوخوس ايبيفانوس أو انطيوخوس الرابع ليوشع عام 172 ق.م ووضع مينيلاوس Menelaus مكانه على الكهانة بعد رشوة الأخير للملك اليوناني، وتغيير الكاهن الجديد لاسم أورشليم إلى اسم "أنطاكيه اليهودية" إرضاء لليونانيين حكام انطاكيه (الاسم مشتق من اسم الحاكم نفسه).. ويعتبر مينيلاوس كاهنا متعصبا للتغريب، يفوق جاسون في مشروع تغريب الشعب اليهودي هذا كثيرا..

التعليق:

– من انتقام الله لأونياس الصالح أنّ الله عزوجلّ قدّر أن يُقتل الملك السلوقي سليوكاس على يد أخيه انطيوخوس ايبيفانوس.. وان يخسر يوشع (جاسون) منصبه بطريقة مشابهة، فيُرسل يوشع الكاهن الحاكم أحد رجاله وهو مينيلاوس إلى الملك انطيوخس بمال كان قد وعده به، فيغدر مينيلاوس برئيسه يوشع، ويعطي المال كرشوة خاصة منه للملك ليخلع يوشع ويضعه مكانه على رئاسة الكهانة.. مما اضطر يوشع حليف الإغريق أن يفر خوفاً على حياته (من الإغريق!) الى شرق الأردن..

كم من أحلاف للإستعمار فقدوا مواقعهم أو حياتهم على أيدي أسيادهم الذين كانوا يُقدمون خدمتهم على خدمة دينهم وأمتهم..! ما أهون هؤلاء عند الله عزوجل وعند أسيادهم.. ما أكثر هؤلاء الذين خذلهم الأسياد وتنكّروا لخدماتهم وأسلموهم للثائرين.. وأولئك المرتدون والذين مهدّوا للإنحرافات فقَدَ أكثرهم حياتَه على أيدي رفاقه.. وهم لا يُحصون فعلاً..

ولكنّي هنا أُذكّر القارئ بغدرة هذا الزمان الكبرى التي لم تقع على فرد حليف كيوشع (وأمثاله لا يُحصون كما ذكرت) بلّ على أمّة تحالفت بأكملها.. وذلك حين وقف العرب أيام الحرب العالمية الأولى بقيادة الشريف حسين مع البريطانيين والحلفاء ضد الخلافة الإسلامية (العثمانية) فنصروهم على إخوان العقيدة، فخذلهم الله وأسلم أمرهم لأسيادهم البريطانيين.. وقد علم الشريفُ والعالمُ كله أثناء الحرب بما تُعِدَّه بريطانيا من الغدر.. إذ أخرج البلاشفة أوراقَ معاهدة سايكس- بيكو السرية، وذلك لمّا قاموا بانقلابهم في روسيا القيصرية عام 1917 م، وقد كانت روسيا إحدى الدول الثلاث الموقعة على معاهدة الغدر هذه إلى جانب بريطانيا وفرنسا.. علم الشريف بالغدر، لكنه آثر تصديقَ برقية التبرير والتكذيب البريطاني، التي أُرسلت إليه تعقيباً على ما افتضح من أسرار، آثر الركون إلى تصديق البرقية على القرار الحازم بالبراءة من نصرة أهل الغدر.. وجاء بعد ذلك بقليل وعد بلفور في نوفمبر عام 1917 م ليؤكد الغدر المُبَيت، فآثر الشريف أيضاً قبول التفسير الشفوي المخادع الذي قدمه رسول بريطانيا (البروفسور هوغارت).. وليس هدفي هنا التعريض بالشريف رحمه الله ولا التبرير له، فقد كان في ظروف صعبة وكانت الخلافة مهترئة من الداخل بمكر أعداء الإسلام، لكنّ العبرة من عدم الركون إلى الذين كفروا بيّنة وظاهرة.. وهم بالماضي هم هم أنفسهم بالحاضر.. ألسنةٌ حلوةٌ وقلوب ماكرة.. ولكنّنا لا نتعلم.. ونحن اليوم نركن إلى الدولة العظمى، ونستأمنها على كلِّ شئ! كأنّها خير ناصح، وأفضل مُوجِّه، وأوثق مُؤتَمن.. رمينا إليها بكل بيضنا.. ولم نترك لأنفسنا خيارات إلا خيارها.. أحببنا مَن أحبَّت، وخاصمنا من خاصمت.. وهي تستهين بنا كلّ يوم، وتُعين اليهود علينا في وضح النهار، وتتآمر علانيةً على الأقليات المسلمة في مشارق الأرض ومغاربها (في الفلبين وطاجكستان واوزبكستان والشيشان وكشمير والبوسنة والسودان بشكل مباشر أو غير مباشر)، وتهاجم مجالسُ شيوخها ومؤسساتُها دينَنَا وهويتنا، وتجمّد لديها وتصادر أرصدةَ أفراد ودول.. وتظل لأكثرنا رغم كل ذلك الأمّ الحنون والمعلّم المخلص.. ولا نراجع أنفسنا ولا ندرسُ بدائلَنا المتاحة لنا.. بل نزداد استسلاماً على استسلام.. لقد اخترنا الخيار الاستراتيجي الأوحد.. خيار الاستسلام لما تُمليه علينا الدولة العظمى، وخيار القناعة بما تُلقيه إلينا موائد اليهود من فتات.. وذلك بحق هو خيارنا الأوحد.. وقد سمّيناه اليوم " خيار الشجعان".. وأنّى لنا أن ننتقد الشريفَ رحمه الله تعالى ونحن أسبق منه في صمّ آذاننا وإغلاق عيوننا عمّا يُدبر لنا، وأسرع

منه في الركون إلى الذين كفروا والرضا بما يرضونه لنا.. انني لأكاد اتسآل هل امريكتنا التي نتغنى بصداقتها ونتسابق لارضائها ونمدها بأموالنا وبكل ما تطلب منّا هي نفسها أمريكا الصهاينة التي تتآمر منذ عقود بعيدة على الدعاة والدعوة وتستحل منّا للصهاينة كل شئ حتى دماء الأطفال والنساء، وكلما أجمع العالم على ادانة اسرائيل هبت هي بفيتوها تلغي كل ادانة وتدفع باليهود لكل جريمة، هل يُعقل أنها هي ذاتها! هل فقدنا عقولنا أم فقدنا انسانيتنا! هل ألّهناها فلا حياة لنا بدونها! أين الخلل! إنّنا لأسوأ من أمراء الطوائف بالأندلس بآلاف المرات.. قال تعالى (لو كنّا مؤمنين): " **ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار، ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تُنصرون**" هود 113.. "**يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أُوتوا الكتاب يردّوكم بعد إيمانكم كافرين**" آل عمران 100. – الملك اليوناني انطيوخوس ايبيفانوس هو الطاغية المقصود في دانيال: الإصحاحات الثامن، الحادي عشر والثاني عشر، وكلمة ايبيفانوس تعني ادعاء للألوهية. – شكّل انتقال الكهانة إلى مينيلاوس نهايةً لتوارث اللاويين (أبناء صادوق) للكهانة، وهو ما اعتبر عملا مخالفا للتوراة.. وكان أحد الأسباب المسئولة عن عدم الإستقرار السياسي باليهودية فيما بعد..
روما تسيطر على أرض اليونان عام 168 ق م، لكن الممالك اليونانية بالمشرق ظلت قائمة ومستقلة.
استعانة يوشع (جاسون أو ياسون) بالبطالمة حكام مصر اليونانيين واستعادته معظم القدس بشكل مؤقت عام 170 ق.م، ثم دخول انطوخيوس للقدس وسلبه للهيكل ومحتوياته، ثم هدمه لأسوار المدينة في السنة التالية، ثم إصداره لمرسوم تحريم الطقوس الدينية بالهيكل وتحريم الراحة يوم السبت، وتحريم الختان واتباع الشريعة، وفرض عقوبة الإعدام للمخالفين... وهدم اسوار المعبد والحرم.. الذي هجر تماما.. **التعليق:** – شملت القوانين التي سنها انطوخيوس تحريم العبادة وممارسة الطقوس الدينية اليهودية بما فيها الختان، وراحة السبت، وامور الطهارة مع قتل كل من يخالف هذه القوانين.. يُطاف بالأمهات اللواتي يختن أولادهن، ثم يُعلّقن على أسوار المدينة المطلة على الوديان الخارجية هنّ

وأولادهن.. وتناقل الناس ابتهاج أمّ بقتل أولادها السبعة تباعا ثم قتلها هي نفسها.. وبقصة رجل اسمه اليعازر اختار الموت على مضغ قطعة من الخنزير..

– ليس من السهل تخيل أمر هجر المعبد وتفريغه من المتعبدين لأمة كانت لا ترى في ذلك الزمان العبادة صحيحة إلا داخل المعبد إلا لمن يعيش على مسافات بعيدة.. لقد كان ذلك من الإبتلاء الشديد الذي هُدّدوا به نتيجة تعطيلهم للشريعة وتقليدهم للأمم الكافرة من حولهم.. ومن حكمة الله أن يقع هذا العذاب على يدي الأمة التي كانوا يتسابقون إلى تقليدها واقتباس عاداتها وأفكارها نابذين دين الله خلف ظهورهم.. بل إنّ العذاب قد وقع في الواقع على يد الملك الطاغية انطوخيوس الذي خرجت له الجماهير تعظمه قبل سنوات محدودة من هذا الإضطهاد الديني الذي مارسه على اليهود...

فلكأن ما أصاب المعبد من هجر وهدم لأسواره على يد انطوخيوس كان نذيراً بإزالته ومحوه تماماً مستقبلا إن لم يراجع القوم دينهم ويُحكّموا شريعة ربهم.. فقد جاء الأنبياء بعد استعادة حرية التعبد وبعد عودة العبادة الى المعبد بانتظام، جاءوا ينذرون بني إسرائيل بأن المعبد سيُمحى إلى الأبد إن لم يعود الناس إلى دينهم.. ولم يعودوا..

– تدنيس انطوخيوس Abominationhk للبيت بإقامة نصب من الحجر لآلهة اليونان Olympios Zeus عام 167 ق.م ليشترك الناس يهوداً وغير يهود في عبادة واحدة ، وتأييد اليهود المستغربين (المقلدين للغرب) لذلك!!.. وتغييره لإسم أورشليم إلى إسم إنطيوخيا.

التعليق:

أُشير إلى هذا التدنيس بكتاب دانيال أو هكذا فهمه الغربيون من اليهود والنصارى الصهاينة.. واتخذوه مثلاً لما سيُصيب المعبد (بعد إعادة بنائه !) قبيل مجئ المسيح عليه السلام (أو المسيا المنتظر) آخر الزمان !

لقد كان تدنيس بيت الله (كما يُسمّى بالتوراة) الحرام (لتحريمه على غير المؤمنين) موجعاً ومؤلماً أشد الإيلام للمؤمنين.. ولكنه كان مكان تأييد المنافقين ودعاة التغريب!.. أولئك الذين بموقفهم هذا تخلوا بحق ليس عن دينهم فحسب بل وعن وطنيتهم وقوميتهم..

– هروب يهوديّ اسمه ماتاثياس Mattathias وأولاده الخمسة إلى التلال خارج القدس، وذلك بعد قتله يهودياً قرّب قرباناً لأصنام اليونان وانضمام اليهود الصالحين إليه، في حملة تمرد

وحرب عصابات رأسها فيما بعد ابنه جوداس أو يهودا Judas (الملقب بالمكابي) عام 166ق. م
سُميت هذه الثورة ضد اليونانيين (عام 166/ 164 ق.م) بثورة الحشمونيين أو المكابيين نسبة إلى جوداس ابن ماتاثياس.. وقد قامت غيرةً لله وتوجت بنصر عاجل وعظيم للمؤمنين الضعفاء أمام قوة اليونان الغاشمة.. وهذا النصر اعتبر عظيما لتثبيته الدين ولإبقائه لنوع من الاستقلال لليهود عن اليونان.. إلا أن اليهود لم يخرجوا عن الوصاية والمرجعية اليونانية كما سنرى.
- انتصار جوداس Judas على اليونانيين وأتباعهم من اليهود المستغربين بعد 3 سنوات من الحروب المتتابعة واستعادة القدس في 25 من شهر Kisliv اليهودي (يوافق بما يضيفه اليهود من نسيئة على الشهور القمرية لتثبيتها على الشهور الشمسية يوافق أحد أيام شهر ديسمبر) عام 164 ق.م بعد أن خلت من أهلها وعُطلت عبادة الله عز وجل في بيت الله بها، واحتفال اليهود بذلك اليوم من بعد ذلك كعيد التشانوكا السنوي Chanukkah، وقيام حكم الحشمونيين Hasmonean بعد ذلك (142- 129 ق.م). **التعليق:** - كانت حروبا لفئة قليلة من المؤمنين في وجه أعداد كبيرة من الكفار، ولكنها استعانت عليهم بالدعاء والتوبة والصوم قبل المعارك، فنصرها الله عز وجل على قلتها، وأعادت بيت الله وطهرته من أوثان اليونانيين بعد أن بقي سنوات مهجوراً. - يلاحظ في هذه الحروب شدة اليهود على أعدائهم بذبحهم كل الذكور في عدد كبير من المدن التي سيطروا عليها (لم يكن معهم نبي في هذه الحروب).
استشهاد جوداس (160 ق.م)، وزعامة أخيه جوناثان للقتال حتى قبض اليونانيون عليه غدرًا وقتلوه عام 142 ق.م، ثم توليّ أخيهم سيمون (أو سمعان أو شمعون) لزعامة حروب التحرير حتى اكتمل الاستقلال في عهده ولكنه استقلال غير مستقر وغير تام.. وتعيين سيمون كاهنا أعظم وقائدا أعلى لليهود من قبل المجلس الأعلى بالقدس، وتوارث أبنائه لهذا المنصب من بعده.. واستمرار الخيانة من قبل اليهود المستغربين **التعليق:**

- تميزت هذه الفترة باستمرار القتال والغدر المتبادل والثأر بين ملوك اليونان بمصر وسوريا وقادتهم وأبنائهم، وتنافسهم في بعض الفترات لكسب ودّ اليهود مما أفاد اليهود وثبت حكمهم ولو إلى حين.. ولعل ذلك مما نصر الله به المؤمنين – على ضعفهم- على أعدائهم..

- وفاة الطاغية أنطوخيوس بعد سماعه بانتصارات اليهود، وكانت وفاته بالعراق كسيرا ومهزوما من قبل أعدائه بها.. قال تعالى: " **ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها، أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين، لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم**" البقرة آية 114.

- مقتل سيمون أو سمعان عام 134 ق م على يد بطليموس (حاكم أريحا) زوج ابنته، وملك ابنه يوحنا (جون) هيركانوس John Hyraccanus (134- 104 ق م)، الذي تمكن من توسعة مملكته مستغلا ضعف اليونانيين السلوقيين (نتيجة صراعاتهم مع أنفسهم ومع الفرس البارثيين)، فبسط سيطرته على السامرة حيث قام بتدمير المعبد الذي أقامه السامريون (سترد ترجمتهم) على جبل جرزيم قبلةً لهم بديلة عن المعبد بالقدس، وتوسع هيركانوس جنوبا فأدخل منطقة إيدوم في مملكته وأجبر أهلها على اعتناق اليهودية.. كما عقد معاهدة مع الرومان عام 127 ق م، لتساعد على تثبيت حكمه في مواجهة اليونانيين المتناحرين السلوقيين بسوريا والبطالمة بمصر، الذين ظلوا يحكمون اليهود بشكل متعاقب، مباشرة أو غير مباشرة.. هذا وقد عادت التقاليد والعادات اليونانية في عصر هيركانوس فغزت المجتمع اليهودي بأسره وبالذات في الأوساط المترفة.. وأعطت طابعا إهلينيا (يونانيا) عاما للمجتمع، بالرغم من أن ثورة المكابيين أصلا كانت ضد التغريب..

ثمّ كان بعد هيركانوس أن تتابع قتل الحكام الحشمونيين من أبناء جوناثان على أيدي إخوانهم وأولادهم، وانحرف هؤلاء الحكام عن الإلتزام بالشريعة، ووقعوا تحت تأثير حركة التغريب الإغريقي، هذا رغم تميز هذه الفترة بإجبار غير اليهود مع ذلك على اعتناق اليهودية أو القتل.

التعليق:

تلاحظ هنا سرعة انحراف الحاكم والمحكومين.. وإضاعة هوية المؤمنين إلى حد كبير..

= يُستحسن للقارئ مراجعة الملحق السادس شجرة أنساب الحشمونيين..

- **قضية التهويد وخصوصية الرسالة:**

من الثابت أنّ أكثر اليهود المعاصرين ليسوا من أبناء يعقوب عليه السلام.. ذلك أن بني إسرائيل قد فنوا إلا من سبط بنيامين (وهم قلة) وقليل من أبناء لاوي، وسبط يهوذا (وسُمي من بقي من بني إسرائيل باليهود لأغلبية سبط يهوذا بينهم كما أسلفنا).. لكنّ اليهود من أواسط آسيا ومن اليمن والحبشة وكثيرٌ ممن جاءوا من بقية دول العالم هم من المتهودين الذين دخل آباؤهم في اليهودية ولم يكونوا أصلا من أبناء يعقوب عليه السلام.. فهم غرباء عن فلسطين وليس لهم حق في الدعوى بأنّها أرض آبائهم وأجدادهم..

وتبرز هنا قضية خصوصية الديانة الموسوية واليهودية بأبناء يعقوب.. والذي يبدو هو أنّ أنبياء بني إسرائيل جميعاً أُرسلوا لإصلاح بني إسرائيل خاصة ولم يُكلفوا بدعوة غيرهم.. وإن كان توجيه الدعوة لأمم الأرض ودخولها جميعاً في دين الله تعالى مقتدية بالأمة المصطفاة (وقد كانت أمة بني إسرائيل) هو الأمل الذي تطلع إليه الأنبياء والناس.. كان من الواضح أنّ هذا التكليف سيُطلب من بني إسرائيل لو أصلحوا أنفسهم وأقاموا دينهم.. جاء في إرميا 4: 1-2:" إن رجعت إليّ يا شعب إسرائيل وأزلت أصنامك المقيتة من أمامي وكففت عن الضلال، وإن حلفت بالحق والعدل والبر قائلا: حيٌّ هو الربّ، عندئذٍ تتبارك به الأمم وتفتخر".. لكنّ القرون أثبتت عجزهم عن الوفاء بعهد الله حتى في أنفسهم.. فكيف يُصلحون غيرهم.. وتنازل الجميع عن مهمة إدخال أمم الأرض في دين الله للمصطفى خاتم الأنبياء الذي يسمونه المسيا.. ومن هنا يجد من يقرأ التوراة وكتب الأنبياء الحالية أنّ الخطاب بالتكليف كان موجهاً لبني إسرائيل وحدهم من خلال الأنبياء موسى وداود وعيسى عليهم السلام ومن بعث بينهم.. وظهر التبشير بدخول أمم الأرض بدين الله لإبراهيم عليه السلام من خلال نسله (ولم يتم من خلال بني إسرائيل بل من خلال بني إسماعيل، يُرجى مراجعة كتاب التباشير)، جاء هذا التبشير على ألسنة الأنبياء إرمياء وأشعيا وغيرهم فقط في معرض التبشير بالمصطفى خاتم الأنبياء (يُرجى مراجعة كتاب التباشير).. فهاهنا يظهر بعداً آخر لفشل بني إسرائيل في القيام بواجبات الإصطفاء الرباني في بقاء أمم الأرض عامة على ضلالها..

انقسام اليهود نهاية القرن الثاني قبل الميلاد إلى ثلاث فرق رئيسة: الصدوقيين Sadducees الموالين للحكام، والفريسين Pharisees، والأسينيين Essen's، وخروج الإسينيين إلي الصحاري حنقاً على انتشار مظاهر التغريب وعدم الالتزام بالشريعة. وقد ظهر

بعد ذلك " الغيورون Zealots" وهم الذين آمنوا بقرب قيام مملكة الله عن طريق قتال الرومان، وكانوا هم المسئولون فيما بعد عن الثورات ضد الرومان في الأعوام 70 و132م.

التعليق:

هذه هي المجموعات الدينية الرئيسة في تلك الفترة.. وإلا فقد تمزقت كل مجموعة إلى مجموعات أخرى عديدة.. فتأتي مجموعات هليل ومجموعة شامي ضمن الفريسيين.. وانقسم الغيوريون إلى أربع فرق.. وانقسم الإسينيون والصدوقيون إلى مجموعات عدة.. هذا إضافة إلى وجود المتغرقين (المستغربين Hellenists) والفرق المتعلقة بالرؤى Apocalyptic groups والسامريين والهيروديين والحسيديميين Hasidim والجليليين والناصريين والمعمدانيين والبوذيسيين (لاحقاً) والصوفيين وغيرهم مما تمزق إليه اليهود في تلك الفترة وما يليها.. وقد مزّقت العقائد والتأثيرات الخارجية المجتمع اليهودي كثيرا.. ووصل المدى إلى عدد لا يحصر من العقائد والجماعات، بل وصل المدى أن وجدت مجموعات مرتدة متبنية للفكر والعادات اليونانية – الرومانية إلى جانب مجموعات حريصة ومحافظة على ما بلغها من تعاليم التوراة والشريعة..

يُلاحظ أنّ ظهور الفرق الجديدة استمر بل وزاد حتى العصور الحالية.. وكلها لم تعتمد على وحي جديد من السماء.. بل على اجتهادات فردية تجرأت على تغيير العقائد والعبادات، وتبعها الناس فكأنما هم صاروا يعبدون أئمتهم الذين يُبدّلون الدين و" يُجدّدون" التشريع كما يحلوا لهم.. .. ممّا يؤسف له أنّ ظاهرة تمزيق الدين إلى فرق ومذاهب تكررت بحذافيرها ضمن تاريخ الأمة الإسلامية.. ولو أنّ المسلمين في الواقع لم يبلغوا جرأة أهل الكتاب من يهود ونصارى في تغيير دينهم وتبديله كل حين.. إلا أنّ التمزيق الذي حدث مع ما تبعه من تفرق ومعاداة يمثل مخالفة صريحة وخطيرة عبر التاريخ الإسلامي.. حدث هذا رغم التحذير المتكرر بالقرآن الكريم.. قال تعالى: " **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم**" آل عمران 105 .. وممّا رواه البخاري رحمه الله تعالى " لا تختلفوا فإنّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا" .. يُلاحظ أنّ في هذه الآية وكذلك الحديث إشارات بينة إلى تفرق أهل الكتاب مع التحذير من تكرارما صنعوا..

الفريسيون Pharisees :

طائفةٌ رئيسية آمنت بالشريعة الشفوية Oral Torah كمجموعة تعاليم غير مكتوبة تناقلها الأنبياء والعلماء منذ عهد موسى عليه السلام إلى جانب التوراة المكتوبة، قللت من دور الكهانة الرسمية والمعبد وطقوسه بما فيه تقديم الأضاحي، وشجعت العبادة في المعابد اليهودية الأخرى خارج القدس.. وقد برز الفريسيون تاريخيا منذ أن عارضوا جون هيركانوس وقاوموا شرعية حكمه، بحجة أن المكابيين ليسوا من نسل داود الذي وعد أبناؤه بالملك، ولا من نسل صادوق Zadok الذي كان الكاهن زمن سليمان عليه السلام (فكان صادوق لديهم هو الكاهن الأول للبيت الأول)، كما أنهم لم يوافقوا جون هيركانوس على سياسة التوسع وإدخال الأمم باليهودية.. وقد قويت شوكتهم بعد ذلك، وتسببت معارضتهم وخيانتهم للأسكندر ابن جون هيركانوس بطلبهم من السلوقيين إنهاء حكمه في قيام الأسكندر هذا بمجزرة عظيمة عليهم.. وسنأتي إلى استعراض دورهم خلال استعراض أحداث القرنين الأول قبل الميلاد والأول بعد الميلاد..

وقد قوي سلطانهم بعد موت الإسكندر الحشموني Alexander Jannaeus ابن جون هيركانوس، إذ جاءت زوجته " الإسكندرا" فقربتهم، ومكنت الحكم من بعدها لابنها هيركانوس الذي كان محسوبا عليهم.. ولمّا جاء حكم الهيروديين ازداد الفريسيون قوة إذ التقوا معهم في موالاة الرومان والسعي لتثبيت الحكم الروماني!

التعليق:

– ترى معظم المصادر الغربية أنّ لفظ الفريسيين مشتق أصلا من " الأعتزاليين".. وأنّ هذا الاسم جاء بسبب إعتزالهم لقومهم – عند نشأتهم كفكر وجماعة– بسبب عدم التزام قومهم بالشريعة وأحكامها.. إلا أنّ باحثين آخرين كإيسنمان يرون أن الاسم مشتق من "**هؤلاء الذين يسعون وراء التأقلم مع الأجانب**" أو "**هؤلاء الذين يسعون وراء الأمور الناعمة أو السهلة**" وهو وصف أطلقه عليهم أصحاب مخطوطات البحر الميت كما يتضح من قراءتها.. فقد خان الفريسيون الإسكندر وتعاونوا مع العدو الوثني.. ورغم بشاعة ماصنع بهم الإسكندر فيرى الباحث إيسنمان أن الناس قد أيدوه.. وهم الذين طلبوا من الرومان (من بومبي) إحتلال أورشليم للقضاء على ملك المكابيين، وشاركوا مشاركة كاملة – كما يكتب عنهم المؤرخ جوسيفياس اليهودي الذي اعتبر نفسه فريسيا منهم – شاركوا في المجازر الضخمة التي وقعت مع دخول بومبي الروماني لأورشليم عام 63 ق م، انتقاما من الصدوقيين ومن كان معهم..

ولما رجع هيرود بجيش روماني على رأسه القائد الشهير مارك انطوني Mark Anthony عام 37 ق م لإسترداد الحكم من المكابيين، كما سيمر معنا، أمر الفريسيون وزعماؤهم – الذين ذكر أسماءهم المؤرخ جوسيفياس– الناسَ بفتح أبواب أورشليم والترحيب بهيرود وبالرومان.. رغم أنّ عامة الناس كانوا من مؤيدي الإستقلال والحكم المكابي.. ولمّا قامت الثورة الشاملة في الأعوام 66– 73 م كان الفريسيين هم تقريباً الوحيدون الذين تعاونوا مع الروم.. بل بلغ الأمر بأحد زعمائهم المشهورين المتأخرين وهو يوحنان بن زاكي أن اعتبر فسيبيان الامبراطور الروماني المسئول عن قتل ملايين اليهود أن اعتبره يوحنان هو المصطفى المنتظر، المُبشر به بكتب الأنبياء ليحكم العالم.. هذا على الرغم من وثنية فيسبيان..

إنّ حرص الفريسيين الشديد على اتباع تعاليم التوراة والأنبياء بما فيها من شريعة مكتوبة أو شفوية، وتحريرهم اليهودية من ربط وجودها بالمعبد وتقديم القرابين إلى التزام عقائدي متحرر من الارتباطات المادية، يقابله تفريطٌ شديدٌ في قضايا الولاء والبراء تجاه الحكام الأجانب يونانيين أو رومانيين.. لقد عُرفوا بالتزمت في تطبيق تفاصيل الشريعة، لكنهم اتهموا على ألسنة الصالحين بأنهم تمسكوا بالقشور وتركوا روح الشريعة ومقاصدها.. على أيّ حال فقد نجحت هذه السياسة الموالية للقوى الكبرى المهيمنة في التمكين للفريسيين خلال عصور الاحتلال المباشر أواخر حكم المكابيين وفي عصر الهيروديين، ولعل هذا مما يفسر أنّ الفريسيون هم الجماعة اليهودية الوحيدة التي استمر وجودها بعد مذابح عام 70 م.. وهم اليوم يُعرفون باليهودية الحاخامية أو الربيبة أو الأرثوذكسية ويُشكلون غالبية بين اليهود المعاصرين من غير العلمانيين..

ولا أريد من هذا إلا التنبيه إلى أخطاء بني إسرائيل لأخذ العبرة منها.. وللمرء أن يجول بخاطره عبر التاريخ الإسلامي فلن يعدم أن يجد أفرادا وجماعات مسلمة حرصت على التمسك بالتفاصيل الفقهية الكثيرة، وبالكتاب والسنة (وقد كان منهج الفريسيين هو الحرص على التمسك بالتوراة والتعاليم الشفوية وهي المقابلة للسنة وشروحها وكتابات الفقهاء)، ولكنها غفلت عن قضية الولاء والبراء.. فقست على المسلمين، وهادنت أعداءهم، إنّها القذة بالقذة..

الصدوقيون Sadducees

ليس من الواضح تعليل تسمية هذه الطائفة الغنية الأرستوقراطية بهذا الاسم.. هل كان نسبة إلى صادوق تلميذ انتيجووناس سوكو Antigonus of soko ؟ فقد خرج صادوق على

تعاليم استاذه وأنكر عقيدة البعث والحساب، وأنشأ هذه الجماعة.. أو أنّ الاسم نسبةً إلى صادوق الكاهن الأول للبيت الأول أيام سليمان عليه السلام؟.. أو أنّه اشتقاق من لفظ الصديقين الذي يعني الصالحون أو الأخيار؟.. وعلى أيّ حال فقد ظهرت هذه الجماعة أثناء حكم المكابيين، وكانوا متأثرين بالتغريب وتقليد اليونانيين، كما استأثروا برئاسة الكهانة لفترات طويلة حتى عهد سالومة الإسكندرا (حكمت بعد زوجها الاسكندر) حين أصبح أعداؤهم الفريسيون هم الذين يشكّلون الغالبية في المجلس الحاكم (السنهدرين).. وقد أنكر الصدوقيون الإيمان بالبعث على أساس أنه لم يرد ذكر البعث بالتوراة.. فهم لا يؤمنون إلا بأسفار التوراة وكتاب يوشع.. وقد عاشوا كطبقة ارستوقراطية مساندة للحكام اليهود وقائمة برعاية المعبد (الهيكل) وشئونه.. وتعايش معهم الفريسيين الذين شاركوهم تأييدهم للسلطة أيام الهيروديين، وقد انقرض الصدوقيون مع أحداث عام 70 م..

.. إلا أن هنالك جزء كبير ممن يُحسبون على الصدوقيين قد قاوموا الإحتلال الروماني ورفضوا مهادنته.. ورفضوا هداياه وأضاحيه المقدمة للبيت (الهيكل) واعتبروها نجاسات، ورفضوا الإعتراف بشرعية رؤساء الكهنة الذين اختارهم لمناصبهم الزعماء الهيروديين (سيأتي الحديث عنهم) أو الرومان.. ويُحسب على هذه المجموعة من الصدوقيين جوداس المكابي وأبوه ماتاثياس، وكذلك الإسكندر حناؤس واريستوبولس الثاني وسيأتي الحديث عنهم.. وقد كونت هذه المجموعات فيما بعد جماعة الغيورين الذين تسببوا في الإبادة الرومانية عام 70م.

التعليق:

أولاد الأفاعي (الفريسيون والصدوقيون):

جاء في الأناجيل المعاصرة وملحقاتها تلقيب كلا من الصدوقيين والفريسيين على لسان يحي وعيسى عليهما السلام بأنهم " أولاد الأفاعي" بسبب نفاقهم، وقلة أعمالهم الصالحة، واتكالهم على وعد الله لإبراهيم بوراثة الأرض والنبوة.. وجاءت إشارة غير مباشرة إلى عدم إيمان الصدوقيين بالبعث (أعمال الرسل 4: 3).. وجاء الهجوم على الفريسيين أشد ربما لأنهم أكثر تظاهرا بالإلتزام بالشريعة والدعوة إلى نقائها، فهوجموا لكذبهم حين يقولون ولا يفعلون، وحين يُحمِّلون الناس مالا يطيقون من الأوامر والنواهي التي لا يُكلفون بها أنفسهم.. مُراؤون، يتمسكون بالمظاهر ولا يعملون إلا للفت الأنظار إليهم.. وهم أكلة أموال الأرامل.. الطماعون..

الفسقة.. قتلة الأنبياء المتمسكين بالقشور والمهملين بل المعطلين لمقاصد الشريعة من العدل والرحمة وبر الوالدين (متى 23: 1- 37، متى 15: 3)..

- لا يكاد أن يوجد أحد منا إلا وقد اطلع على أفراد مسلمين – كثيرا ما كانوا ممّن حُسب على العلماء- يحملون صفات الفريسيين.. يأكلون الحرام وينافقون الزعماء، ويحملون الناس بدون هوادة على التمسك بالشريعة ولا يلتزمون هم بها في أنفسهم ولا أهليهم، وهم مع ذلك يتظاهرون بالزهد والتقوى.. ذلك مؤسف.. ولكنّه بشكل عام فيما يبدو لم يصل من الإنتشار بالأمة المسلمة إلى ما وصل إليه ببني إسرائيل.. والله أعلم..

- القرآنيون كما يلقبون أنفسهم الذين طالبوا بالإلتزام بالقرآن وحده ونبذ السنة الشريفة هم نسخة مقاربة للصدوقيين في أمتنا الإسلامية!

- **التفرُّق في الدّين مرةً أخرى:** يعجب المرء كيف حافظ اليهود رغم شدة الخلاف الديني والسياسي والتفرق العقدي بينهم، كيف حافظوا على درجة كبيرة نسبياً من الوحدة الوطنية.. فعلى الرغم من تفسيق وتكفير بعضهم بعضاً فقد ظلوا متعايشين.. تجمعهم نفسُ المعابد والمجالس الإدارية والسياسية.. وهذا السنهدرين الذي هو بمثابة المجلس الحاكم ظلّ على الدوام يجمع الفرقاءَ الذين ما كان لهم أن يجتمعوا .. فهل هنالك كفر أكثر وضوحاً من الكفر بالبعث والدار الآخرة.. ومن الكفر بالكثير من الأنبياء.. بما فيهم من أنبياء سابقين أو معاصرين.. ومع ذلك فقد اجتمعت هذه الطوائف على شدة ما بينها اجتمعت في سلمها وحربها.. واستمر الأنبياءُ وأتباعهم يرتادون نفس المعابد والمجامع مع أقوامهم بما فيهم – فيما بعد- نصارى القدس من أتباع المسيح عليه السلام الحقيقيين (ستأتي الإشارة إليهم عند الحديث عن يعقوب إمامهم الأول من بعد المسيح عليه السلام).. وكان كيد بعض هذه الفرق لبعض محدوداً نسبياً .. ولعلي لا أستثني إلا فريقاً من المؤمنين ممّن لم يصدعوا بالدعوة بين قومهم قد قاطعوا عامّة المجتمع اليهودي إلى الصحارئ والكهوف.. أما الآخرون فقد تعايشوا داخل نفس المجتمع رغم الخلافات الكبرى بينهم.. ولمّا قامت الثورة الكبرى على الرومان انخرط في أتونها في النهاية طواعيةً كلّ المجتمع اليهودي بما فيهم مَن كان قد عارضها أصلاً.. ولم يُقاطعها سوى المؤمنين من أتباع المسيح عيسى عليه السلام اتباعاً لوصاياه (كما سنفصل فيما بعد)..

إنّ لهذا الأمر بُعدين.. فعدم مقاطعة المؤمنين للمجاهرين بالمعاصي وعدم التصدي لهم، وتقبلهم لمنكري البعث (الصدوقيين) وتعايشهم معهم، كانت من المآخذ الرئيسية التي أُخذت على بني إسرائيل بالقرآن الكريم والسنة المطهرة.. وقد أُثبت عليهم نفاق بعضهم لبعض (إلا قليلاً منهم) في كتبهم

المقدسة وآثار صالحيهم.. إلا أنّ هؤلاء الفسقة والمنحرفين لم يُكوِّنوا بشكل عام طوائف حزبية محددة.. بل كانوا أفراداً لعبت بهم أهواؤهم.. بدليل أنّهم كانوا يُنصحون.. ولكنّ الناصحين تنازلوا عن نصحهم وعاشروا الفسقة رغم إصرار الفسقة على فسقهم.. وفي ذلك تراخٍ وتنازلٌ خطير ومذموم.. جاء في سنن البيهقي الكبرى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله "إنّ أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحلُّ لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال: " **لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون**"، ثم قال كلا واللهِ لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا".. فكانت القضية قضية التهاون في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم الثبات عليه وذلك بالتنازل عمّا يستدعيه من مواقف، مجاملةً ومهادنةً بل ومداهنةً أو طلباً لمصلحة من الأفراد الخاطئين محكومين كانوا أم حكاما..

لكنّ البعد الآخر هو في قضية التفرق في الدين رغم اجتماعنا على كتاب الله والقبلة وأركان الإسلام ومعظم تفاصيل التشريع وهو مالم يتأتى لا لليهود ولا للنصارى.. ومع ذلك فكثيراً (وخاصة في هذا الزمان) ما كان تعايشهم فيما بينهم أفضل مما نتعايش نحن المسلمون فيما بيننا..

إنّه الإصرار على استحداث قضايا والخوض في أمور لم تكن يوماً من الأيام من هذا الدين، مع الإصرار على تبني رأي محدّد (ولو كان هو الأصوب) وتكفير المخالفين وتمزيق الدّين الواحد إلى أديان متفرقة.. ويدخل في هذه القضايا اعتبارُ ما جرى بين الصحابة رضوان الله عليهم ديناً نُمزِّق الأمة على أساسه.. إنّ التصلب في هذه القضايا وعدم ترك مساحة للتسامح والتغاضي لا يمكن أن يأمر به الدين وهو الذي يأمر بالوحدة وعدم التمزق إلى شيع وطوائف.. وينهانا عن الوقوع فيما وقع فيه الأولون (ومنهم بنو إسرائيل) من تمزيق الأمّة والدّين.. إنّ الجريمة الأكبر هي جريمة التمزيق.. كيف وهذا الدين قد نهى عن كثرة السؤال وعن الخوض في مسائل سكت عنها.. ثم نأتي – بعد كل ذلك النهي– نخوض فيها ونضع لها قواعد ما أنزل الله بها من سلطان حتى لو كانت من وضع أئمة كبار، فتتعصب لها الأجيال كأنّها أسس هذا الدين.. وتزداد الأمة تمزقاً.. أفلا يتبنى المسلمون موقف الحسن رضي الله عنه – وكل المسلمين يُجِلّونه– حين لم يعتبر الخلاف الذي وقع بين الصحابة ديناً.. وتنازل عن الخلافة بعد المبايعة له بها جمعاً لكلمة المسلمين.. وما كان الحسن رضي الله عنه ليجعلها ديناً يتفرق عليه المسلمون حتى لو اطّلع على أحداث قتل الحسين رضي الله عنه وأئمة أهل البيت من

بعده.. فإنّ تلك دماء ذهبت في سبيل الله ضمن محاولات إصلاح الحكم السياسي لهذه الأمة.. وأجرُها على الله.. وقد ألمّت اليوم بالأمّة أحداث سياسية معاصرة لا يُفيدها الإستمرار في اجترار الماضي وتمزيق الناس عليه..

إنّنا لا نختلف على تكفير ومقاطعة طائفة أو أفراد نقضوا الشهادتين أو كفروا بشئ من أركان الإيمان، مع أنّ بني إسرائيل كما رأينا قد استوعب بعضهم بعضاً، رغم كفر البعض بأركان الإيمان وتبني البعض الآخر لمذاهب الأمم المستعمرة.. بل إنّهم مدنياً (على الأقل) قد استوعبوا السامرة ضمن مجتمعاتهم مع أنّ السامرة كفروا بكل الأنبياء من بعد موسى عليه السلام واتخذوا لأنفسهم بجبل جرزيم قرب نابلس قبلة ومعبداً بدلا من المعبد بأورشليم.. إننا لا نختلف حول تكفير أصحاب الكفر البواح.. إنّما ننتقد المسارعة إلى تكفير جماعات كبيرة من المسلمين لتبنيها أفهاماً وآراء (تقبلها العربية) في قضايا لم تُطرق أصلاً في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم أو لتبنيها مواقف ممّا حدث بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وهي في صلبها لم تكن إلا اجتهادات "سياسية" لاحقة.. ليست من التشريع ولم يكن الصحابة رضوان الله عليهم ليكفروا أحداً في زمنهم بسببها..

ومع ذلك فيبقى هنا أنّ نحمد الله عزوجل أنّ أمتنا قد استطاعت أن تتجاوز إلى حدٍ جيد الخلافات الفقهية التي كانت إلى أجيال قريبة تُمزّقها كذلك إلى جماعات متناكرة.. والمطلوب اليوم سعةٌ للصدر أوسع تجاه المسلمين، وتسامحٌ أكبر فلعل ذلك أجدى للإصلاح والتقريب.. وهو من الرِّفق ومن الحكمة المأمورين بالأخذ بها.. والله تعالى أعلم..

قال تعالى : " **إنّ الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شئ، إنّما أمرهم إلى الله ثم يُنبئهم بما كانوا يفعلون**" الأنعام 159، وقال تعالى: " .. **ولا تكونوا من المشركين. من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، كلّ حزبٍ بما لديهم فرحون**" الروم 31– 32، وقال تعالى: "**والذين آمنوا بالله ورسله ولم يُفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجرهم، وكان الله غفورا رحيما**" النساء 152، وقال تعالى: " **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات، وأولئك لهم عذاب عظيم**" آل عمران 105، وقال تعالى: " .. **أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**" الشورى 13.. وجاء في صحيح البخاري عن بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رجلا قرأ آية، وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ خلافها فجئت به النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرتُه فعرفت في وجهه الكراهية وقال: " كلاكما محسن، ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا"

طائفة السامرة Samaritans

يُفصِّل الكتاب المقدس منشأ هذه الطائفة (الملوك الثاني سفر 17: 24– 41) بأنّه كان

من أبناء الأقوام (من غير بني إسرائيل) التي نقلها الآشوريون في أواخر القرن السابع قبل الميلاد من "بابل وكوث وعوّا وحماة وسفروايم" وأسكنوهم بمدن السامرة محل بني إسرائيل الذين هَجَّروهم، وفنوا بعد ذلك.. وقد يكون من بين السامريين بقيةٌ محدودة من أبناء سبطي افرايم ومناسه وربما لاوي كما يزعم السامريون انفسهم، وقد تعرض هؤلاء القوم الجدد إلى مصاعب حملتهم على تبني أحد الكهنة الإسرائيليين لتعليمهم دين أهل المنطقة الأصلي.. ومن ثمّ فقد تعلموا ديانة بني إسرائيل لكنهم كما يذكر السفر أعلاه لم يتخلصوا تماما من وثنياتهم القديمة.. وعلى أي حال فقد آمنوا بالتوراة (الأسفار المنسوبة إلى موسى عليه السلام) فقط، وكان لهم معبد خاص بهم على جبل جرزيم قرب شكيم Shechem (ويطل على مدينة نابلس الحالية)، شُيّد في عصر النبي نحميا بالقرن الخامس قبل الميلاد، وظل قائما حتى هدمه الكاهن الحشموني جون هيركانوس John Hyrcanus عام 129 ق م كما سبق معنا، ثم لم يبن مكانه إلا معابد وثنية ثم كنيسة ثم مسجدا (قاموس اكسفورد للإديان)، وإن كان السامريون قد ظلوا يجتمعون به في نيسان من كل عام .. وكان السامريون قد قاوموا إعادة بناء المعبد بالقدس بعد أن هدمه البابليون.. هذا وقد تعرضوا لإضطهاد متلاحق منذ عصر الإسكندر المقدوني الذي هدم مدينتهم السامرة عام 331 ق م، ولم يبق منهم بالعصر الحالي سوى 430 فردا أعطوا حق المواطنة الإسرائيلية.. وبنوا لأنفسهم معبدا خاص بهم.. ولا يؤمن السامريون إلا بموسى ويوشع ويكفرون بمن بعدهم من الأنبياء..
حكم اريستوابولس الأول (104– 103 ق م) بعد موت والده جون هيركانوس لفترة قصيرة سَجَن خلالها والدته حتى ماتت في سجنها، وسجن معها ثلاثة من اخوته، واغتال أخاه انتيجونيس.. وقد استولى على منطقة الجليل وأدخل أهلها باليهودية..
حكم الاسكندر حناؤوس الحشموني Alexander Jannaeus (105 ق.م – 76 ق. م) بعد أخيه اريستوابولس الأول، وواصل توسيع مملكته فاستولى على مواقع إضافية بسوريا وشرق الأردن وغزة.. وأجبر الناس على اعتناق اليهودية.. وقد كره عامة اليهود اهتماماته الحربية، وإهماله لشئون الكهانة، ولما تزوج سالومة زوجة أخيه المتوفى اريستوابولس ثار عليه الناس، وقذفوه وضربوه بالبرتقال أو الليمون، وسعف النخيل يوم عيد المظال أو السكوت Sukkoth ،

وكان الفريسيون خلف هذه الثورة، وخلف استعانة اليهود بالقائد السلوقي يوكاريوس الذي كاد أن يقضي على الأسكندر، فقام الاسكندر مباشرة بقتل ستة آلاف من اليهود، وعلق على الأسوار ثمانمائة وهم أحياء، ثم ذبح أمام أعينهم نساءهم وأطفالهم، وهم ينظرون، وهو يتفرج كذلك محتفلا مع نسائه وخمرته.

التعليق:

- انحراف لا يعقل عن طريق الأجداد الذين أنشأوها دولة دينية.. وابتلاء أو عقوبة عظيمة للناس (على أيدي حكامهم).. ولكن الحركة الفريسية خانت كذلك حُكماً كان صالحا على الأقل إلى فترة أبي الإسكندر جون هيركانوس.. واستعانت عليه بالأعداء اليونانيين الوثنيين..

- يلاحظ هنا اقتباس اليهود للأسماء اليونانية (كاسم الإسكندر الحاكم) وتسمّيهم بها.. كجزء من موجة التغريب وتقليد اليونانيين الوثنيين التي شملتهم.. رغم أنّ هؤلاء القادة ما زالوا محتفظين بمواقعهم الدينية كرؤساء للكهانة، وهم من أبناء المجاهدين الذين انتفضوا ضد الوثنية اليونانية!

وللمقارنة فإنّ أسماء القادة المسلمين مازالت عربية أو وطنية! ولكنّ التسمّي باسماء غربية قد وقع في كثير من الشعوب الإسلامية وبشكل لا يكاد يُتخيل ضمن عملية التغريب والتقليد مصداقا للحديث الشريف ".. حذو القذة بالقذة.."! وكثيراً ما رأينا أبناء مجاهدين وشهداء أخذوا مواقع آبائهم ولكن كأذناب وخدم للمستعمر ومؤسساته..

- سيرة هؤلاء الكهنة الملوك انحدرت كثيرا حتى فضّل الناس عليهم حكم اليونانيين الوثنيين.. وهذا الموقف من العامة في مناهضة الإسكندر قد سَبَق في الواقع هذه الأحداث، وكان بسبب نشاط الفريسيين في إثارة الناس على حكم المكابيين لإسباب من أهمها قضية عدم أحقيتهم لرئاسة الكهانة من حيث أنسابهم.. ومع هذا فبشاعة صنيع الإسكندر وقتله للأطفال والنساء (على ما رواه المؤرخ جوسيفياس) أمر فاق كل وصف.. وهو شاهد على شدة خبث أبناء الجلدة الواحدة على بعضهم بما يفوق خبث الأعداء عليهم.. وللأسف فلهذا شواهد عديدة بالتاريخ العربي والإسلامي وإن كانت ربما لا تصل إلى قتل الأبرياء.. لكنّ تعذيب أبناء الصالحين وزوجاتهم كجزء من تعذيب الصالحين المسجونين قد تواتر الشهودُ على ممارسته من قبل الحكام أو الحكومات ببعض بلاد المسلمين في الوقت المعاصر.. وهو ما لا يستطيع المسلم

تخيله خاصة عندما يعلم أو يطلع على أنّ أمر التعذيب النفسي للمؤمنين قد بلغ حدّ الإعتداء على الأعراض.. وفي الواقع فقد أُبيدت هذا الزمان عدة مدن وقرى إسلامية على أيدي حكامها أُبيدت بسكانها من أطفال ونساء.. إنها خُطا من سبقونا ونحن نخطوها خطوةً خطوة.. وإنّا لله وإنّا إليه راجعون..

عصر الحكم الروماني 63 – 638 ق م

عند موت الإسكندر أوصى بالحكم لزوجته سالومه الإسكندرا Alexandra Salome (76– 67 ق.م)، وأوصاها بمهادنة الفريسيين الذين كان قد اقترف فيهم المجازر.. فتقوّى بذلك الفريسيون في عهدها حتى أصبحوا القوة الرئيسية خلف الحكم، وأقاموا السنهدريم وهو مجلس القضاء الديني والمدني الأعلى وشكلوا الأغلبية بين أعضائه.. وسعوا للإنتقام ممّن وشى بهم أثناء حكم الإسكندرا، فأعدموا ثلاثة ممن وشى بهم من الصدوقيين، مما اضطر الملكة لحماية الصدوقيين وتسليمهم عددا من القلاع للإحتماء بها عند الحاجة.. ولما ماتت الكسندرا عام 67 ق م، بدأ الصراع بين أبنيها: الأكبر وهو هيراكانوس الثاني Hyrcanus II وقد كان مع الفريسيين، وقد كانت أمه تؤيده أصلا، فتقاتل على الملك ورئاسة الكهانة (احتفظ الحكام المكابيون بكلا المنصبين) مع أخيه اريستبولاس الثاني AristobulusII الذي كان مع الصدوقيين ، وانهزم هيركانوس واضطر للتنازل عن الملك والكهانة لأخيه الأصغر.. لكنه استعان بوالي أدومية (كان تحت حكم والده الإسكندر أصلا) واسمه انتيبارتر Antiparter الذي كان على صلة بملك النبط (ببتراء) أريتاس Aretas، فهجما بجيش من النبطيين (اعتبرهم المؤرخون عربا، من أبناء نبايوت ابن اسماعيل عليه السلام) على اريستبولاس وهزموه، وحاصروه بأورشليم.. وفي هذه الأثناء احتل بومبي Pompey الروماني آسيا الصغرى، ووصل انطاكية في عام 64 ق م، فأرسل قائده سكاروس Scaurus الذي انحاز لاريستبولاس وفك عنه الحصار وفرّق أعداءه.. ولمّا وصل بومبي إلى دمشق عام 64 ق م، حاول كل من هيركانوس واريستبولاس الإستعانة به، وأرسل إليه الفريسيون كذلك رسلهم ليحثّوا بومبي على استئصال مملكة المكابيين بحجة أنها مملكة غريبة على ديانتهم.. فانحاز بومبي أمام هذا إلى هيركانوس، وحاصر اريستبولاس بأورشليم عام 63 ق.م ثم دخلها بعد ثلاثة أشهر، وتقدم حتى دخل المنطقة المحرمة بالمعبد (قدس الأقداس) مدنساً حرمتها وقدسيتها، وقام بذبح

12 الف من اليهود وهدم أسوار أورشليم.. وقد تبعه في دخول أورشليم جيش هيركانوس..

– عيَّن بومبي هيراكانوس الثاني كاهنا، ولكنه نزع منه الملك.. وأسَر اريستبولاس الثاني وأرسله الى روما، وتمّ اختيار انتيبارتر (من المتهّودين الإيدوميين) الذي ساعد في نصرة هيراكانوس والروم، تم اختياره رئيساً للجيش و مستشاراً لهيراكانوس.. واصبح هيركانوس بعد ذلك تابعا للوالي الروماني بسوريا.. وفي خلال تلك الفترة قام اريستبولاس الثاني الذي فرّ من آسريه بمهاجمة هيركانوس عدة مرات.. وهزم مرارا ولكنه كان يفرّ أو يُفرج عنه بتدخل أمّه مرَةً أو بإفراج يوليوس قيصر عنه، ليعود ليقاوم بومبي خصم يوليوس قيصر السياسي.. حتى قُتل (أي اريستبولاس الثاني) على يد بومبي 48 ق م..

– ولما مات بومبي توجه عون وولاء انتيبارتر مباشرة لقيصر Julius Caesar، وأعانه بإمدادات مكنت قيصر من الأنتصار على خصومه الرومان بمصر.. وقد تسبب ذلك في تثبيت حكم هيركانوس وأنتيبارتر (الحاكم الفعلي) أمام أطماع أنتيجونيس ابن اريستبولاس الثاني.. كما سمح ذلك بإعطاء حكم ذاتي لليهود، وسمح بإعادة بناء أسوار أورشليم التي كان قد هدمها بومبي.. وقد أعطى قيصر الجنسية الرومانية لأنتبارتر وأبنائه امتنانا منه لولائهم للرومان..

التعليق:

– بدخول القائد الروماني بومبي أورشليم تمّ انتهاء فترة شبه الاستقلال (تحت مرجعية يونانية)، **وانتقال اليهود من الحكم اليوناني (المملكة الثالثة) إلي الحكم الروماني (المملكة الرابعة)**.. واضح دور فساد الحكام.. فمصيبة اليهود بالروم (الذين سموهم بالكتيم) كانت قطعا أشدّ عليهم من أي حكم أجنبي سابق..

وهذه هي الفترة التي اعتقد الباحثون أن أصحاب مخطوطات البحر الميت كانوا يعنونها عند الحديث عن قتل المعلم الصالح ووقوع عذاب الاستئصال على بني إسرائيل، وقد بينت في كتاب التباشير بشكل قاطع خطأ هذا الاعتقاد..

– قتالُ الإخوة واستعانتهم بالرومان انتهت إلى نهاية ملكهم تماما، ودخولهم جميعا تحت الحكم الروماني.. أما استعانتهم بانتيبارتر وهو الذي كان تابعا لهم فقد مهدت إلى انتقال الملك من الحكام الأصليين المكابيين إلى انتيبارتر وأبنائه مستقبلا كما سنرى..

ويمتلىء التاريخ الأسلامي بأمثلة كثيرة مشابهة.. فقد أصبح من المعتاد أن القائد المستعان به

على الأعداء هو الحاكم بالمستقبل.. فيوسف بن تاشفين مثلاً حكم الأندلس بعد أن جاء أصلاً لنصرة أهلها، والأيوبيين حكموا مصر من بعد الفاطميين بعد أن كانوا قد جأوا لنصرتهم.. ومن قبل ذلك حكم الفرس اليمن لما جاءوا لإعانة أهلها ضد الأحباش.. هذا على أي حال لا يعني بالضرورة أن الحكام الأصليين كانوا أفضل ممن نزع عنهم الحكم فقد كان تاشفين والأيوبيون أفضل من سابقيهم... لكنها ذكرى عند الإستعانة بالآخرين.. وفيها عبرة لبعض حِكَم تحريم استعانة المسلمين بالكفار على المسلمين..

– دخل الروم فلسطين بدعوة من كل الفرقاء المتناحرين، كما هو مُبين، وكذلك بدعوة الفريسيين الذين دعوهم ليزيلوا الحكم الملكي (الحشموني) الذي لم يعتبروه شرعيا لأنه ليس في سلالة أبناء صادوق.. فكانت نتيجة هذا التطاحن والتعصب للقشور أن أضاعوا في النهاية كل شيء.. بل كان من تعصبهم أن فضّل الفريسيون علانية وجهارا حكم اليونانيين ومن بعدهم الرومان الوثنيين على حكم المكابيين الذي كان حكما دينيا، وأرسلوا يحرضون هذه الحكومات الوثنية لتقوم باستئصال دولة المكابيين اليهودية الوطنية!

– الفريسيون الذين قاموا أصلا غيرةً على الشريعة، وقياما بواجباتها آثروا حكم الرومان الوثنيين على حكم ملكي يهودي (حكم الحشمونيين) قام أصلاً على الثورة والجهاد للدين، لمجرد أن حكام المكابيين خلاله ليسوا من سلالة مُوصَى لها بالحكم (ليسو من أبناء صادوق).. لايهمهم كما يذكر ذلك المؤرخون إلا أن يكون رؤساء الكهنة من أبناء صادوق زعما منهم أنهم يتمسكون بعد ذلك بتوصيات عزرا ونحميا، وأن يُعطوا بعد ذلك المكانة المرموقة بالمجتمع ليتصرفوا به كما يريدوا (7).. ولا يعنيهم بعد ذلك أن يحكمهم الأجنبي الوثني، وأن يكون هو الذي يختار لهم رؤساء كهنتهم.. هذا الموقف الذي يُقدَّم فيه التمسك بالقشور على الأصول ليس غريبا للأسف على التاريخ الإسلامي.. فكثيرا ما تفرق المسلمون وأضاعوا أنفسهم ودينهم بسبب اختلافهم على أمور اجتهادية وقضايا كثيرا ما تكون ثانوية.. ونسوا قول الله تعالى " **ولا تكونوا من المشركين، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا، كل حزب بما لديهم فرحون**" الروم: 21–22.

ومـوقف الفريسيين هذا يذكرنا بتمسك بعض المسلمين بأهل البيت سلمهم الله كحكام بغض النظر عن صلاح من سيحكمهم من أفرادهم.. حتى لكأنّ حكم الطالح من أهل البيت أولى من حكم الصالح من غيرهم!! إنّه تفكير الفريسيين تماما.. وإنّا لله وإنّا إليه راجعون..

– هاهنا يمكن تنبيه القاريء الى أنّ بعض الرّيبيين المعاصرين وهم امتداد معاصر لمجموعة الفريسيين قد اتخذوا موقفاً مشابهاً من قيام إسرائيل المعاصر، واعتبروها كياناً غير شرعي، وغير منسجم مع الإرادة الإلهية في معاقبة بني إسرائيل.. وهذا في الواقع منطق منسجم مع التوراة والكتب المنسوبة للأنبياء خاصة إذا لاحظنا أنّ هذا كياناً علمانياً، لم يمرّ على اليهود في عصورهم كيانٌ أبعد عن التوراة وتحكيم شريعتها منه.. فكيف يكون طردهم من فلسطين عقوبة لجرائمهم في حق دينهم وأنبيائهم، ثم يُكافأوا بالعودة وهم اليوم في حقّ دينهم أجرم منهم بالأمس!

نعلم كمسلمين أن عودتهم اليوم لم تكن لصلاحهم بل لقصور المسلمين، فعوقبت أمة الإسلام باليهود كما عوقب اليهود من قبل بالوثنيين.. وتلك سنة الله فيمن حُمّلوا الأمانة ثم قصّروا في أدائها..

الحدث:

– وبمعونة قيصر ودعمه سيطر انتبارتر على الأمور بفلسطين، وإن كان هيركانوس ما زال هو الحاكم الرسمي..

– اغتيل قيصر عام 44 ق م.. واغتيل تسميما انتيبارتر عام 43/44 ق م.. فقام هيرود أو هيرودس Herod ابنه بقتل مالخوس قاتل ابيه مباشرة.. وقد كان نائبا لهركانوس ومنافسا لانتبارتر..

ووُرث هيرود مع أخيه فاسائيل Phasael الحكم (مازال الحاكم الاسمي وقتها هركانوس) عام 44 ق. م من بعد اغتيال والدهما انتبارتر..

– فقدان هيرود وأخيه للحكم لفترة عاد خلالها الحشمونيون (عام 44 – 37 ق م) بقيادة انتيجونيس ابن اريستبولاس الثاني تحت دعم البارثيين أو الفرثيين الفرس، قتل أو انتحر خلالها فاسائيل، وأُسر هركانوس وأُرسل إلى بابل، وفرّ هيرود الى الروم الذين أستعان بهم لإستعادة ملكه..

<u>فدخل هيرود أورشليم</u> عام 37 ق م بمعونة مارك انطونيو، الذي قَتل – أخيراً– الملك الحاشموني انتيجوناس (ابن أخي هيركانوس) بطلب من هيرود! فقد كان انتيجوناس هذا كأبيه مؤيداً من قبل الكثير من اليهود الذين لم يقتنعوا بحكم آل انتيبارتر الآدوميين أصلاً (عُرفوا

بالهيروديين فيما بعد، وهم من المتهودين) والذين كانوا عملاء للرومان، وكان انتيجوناس كأبيه كابوسا على آل انتيبارتر ودائم السعي للحصول على الملك.. ووقعت مع عودة الروم مجزرة عظيمة قتل بها الآلاف من اليهود على أيدي الرومان..

– بعد أن استتبت الأمور لهيرودس استعاد هركانوس من منفاه بفارس، وأشركه معه في الحكم تكرماً منه، وتحببا لليهود الموالين للحشونيين..

التعليق:

– بأسهم بينهم شديد.. لكنّ التاريخ الإسلامي بمجمله للأسف قد أمتلأ كذلك بالصراع على الملك منذ انقضاء الخلافة الراشدة..

– أسس أنتيبارتر حكم الهيروديين الذي انتزع الحكم من المكابيين بشكل نهائي فيما بعد على الرغم من حمل أنتيبارتر هو وأبناؤه الجنسية الرومانية.. وها قد جاء الزمان حاليا الذي يحمل فيه حكام ووزراء مسلمون جنسيات غربية (أمريكية أو فرنسية أو غيرها).. بينما مضى زمان لا يدخل فيه الجيش مَن تزوج بأجنبية أو ولد أو عاش بأرض أجنبية! فعلى سبيل المثال نشرت الصحف أنّ ستة عشر وزيرا في أول حكومة أفغانية بعد سقوط طالبان إضافة إلى رئيس الحكومة نفسه يحملون الجنسية الأمريكية.. وسمعنا اليوم من الفضائيات أنّ ثمانية عشر وزيراً من وزراء الحكومة العراقية الإنتقالية من بعد صدام (تحت الإحتلال الأمريكي) يحملون الجنسية الأمريكية.. كلهم أقسم (عند حصوله على الجنسية الامريكية) على الولاء لأمريكا دون غيرها، وعلى التخلي عن أي تبعية لأمة أو رئيس دون أمريكا ورئيسها.. وأنّ ثمانين بالمائة من موظفي وزارة الخارجية الجزائرية ومسئوليها يحملون الجنسية الفرنسية.. وسمعنا اليوم الشهادات الذاتية بأنّ بنات زعماء النضال يسبحن ويلعبن مع صاحباتهن اليهوديات بنات السفاحين.. ولِمَ لا! إنّها علاقات شخصية لعلها تفيد النضال كما أفادت أبناء هيرودس علاقاتهم بأبناء أباطرة روما!

– مارك انطونيو هو القائد الروماني الشهير الذي وقع في غرام كليوباترا بمصر.. فانشغل بها مما أدى إلى سقوط فلسطين بأيدي البارثيين.. لكنه عاد إلى فلسطين كما هو موضح أدناه فطردهم عنها وأعاد حكم الرومان إليها..

– كان ولاء انتبارتر مُوجهاً لبومبي، ولكنه حوّل ولاءَه بسرعة لخصمه يوليوس قيصر لما

أحسّ بانتصار الأخير على بومبي .. وكانت النتيجة أن جعله يوليوس قيصر الحاكم المطلق على اليهود.. – وحافظ هيرود ابن انتبارتر على المُلك باتباع هذه السياسة.. فوالى قتلة يوليوس قيصر (44 ق م)، ولما أحس بهزيمتهم على يد مارك انطونيو وأوكتافيان حول ولاءه للأخيرين.. – ولما تقاتل فيما بعد مارك أنطونيو وأوكتافيان، حوّل هيرود ولاءه من مارك انطونيو إلى أوكتافيان المنتصر، وسارع بنصب معبد له في ساماريا لعبادته لمَّا ادعى أوكتافيان لنفسه الألوهية! بل وسمّى ساماريا بلقب أوكتافيان الجديد وهو سيباست Sebaste وهو اللفظ اليوناني للقب أغسطس Augustus ثم بنى له قيصرية عام 22 ق م.
– بناء هيرودس معابد لأصنام الإغريق والرومان بالمدن غير اليهودية، وبنائه معبداً للإمبراطور Octavian (الملقب بأغسطس) عند ادعائه الألوهية، وبناء مدينة قيصرية لشرف الإمبراطور المتأله! وبها بنى أيضا معابد رومانية.. – قيام نهضة عمرانية ضخمة بأورشليم وإعادة بناء المعبد (الهيكل) عام 19 ق.م في مشروع ضخم بدأه هيرودس (انتهى العمران عام 59 م، وقيل بل عام 66 م أي أربع سنوات قبل هدمه النهائي).. وعلى هذا فالرومان عام 70 م هدموا عمرانيا المعبد الثالث وليس الثاني، وإنما أُعتبر بناء هيرود ضمن فترة المعبد الثاني مع أنه المعبد الثالث بناءً لأنّ العبادة لم تنقطع أثناء بنائه! ومن المدن الأخرى الكثيرة التي بناها إضافة إلى مدينة قيسرية التي أصبحت عاصمته فيما بعد مدينة ساماريا أو السامرة التي سماها سباستيه نسبة الى اللفظ اليوناني للقب الإمبراطور، ومدينتي أنتيبارتريز Antipatris وفاصاليسPhasaelis نسبة الى أسماء أبيه وأخيه، ومدينة طبرية Tiberias، وقلاع مكاريوس Machaerus، ومسعدة Masada ، وجابا Gaba، وايسبون Esbon.. وتوضح الخريطة 5 مناطق حكم هيرودس **التعليق:** – استطاع هيرود أن يحقق نهضة عمرانية ومدنية سريعة تحت ظل الإحتلال الروماني.. فقد أرضى الرومان باعتداله وبتخليه عن سياسة الحشمونيين في إرغام الناس على اعتناق اليهودية، بل تجاوز ذلك الى إرضائهم ببناء المعابد لأوثان اليونان والرومان بالمدن غير اليهودية بمملكته.. وبناء القلاع والمدن بألقاب ملوكهم.. فأصبحت له لديهم مكانة عالية حتى مكنوا له

بفلسطين (باليستيا كما سماها الرومان) وكرّموه بتعيينه رئيساً للألعاب الأوليمبية! وتمكّن بذلك من النهوض بالحياة المدنية لليهود.. فأنشأ قلعة ضخمة سماها أنطونيا نسبة الى مارك انطونيو قبل أن يُهزم، وبنى خزانا للمياه، وقصوراً له ولآخرين، وكان قصره آية في الجمال، وأصلح الطرق، وأقام بالمدينة مسرحا ومدرجاً وحلبة لسباق الخيل، وأعاد بناء أسوار المدينة التي هدمها بومبي، هذا إضافة الى إعادة بناء المعبد عام 19 ق م على أسس وقواعد المعبد الثاني الذي بناه العائدون من الأسر البابلي، من دون أن تنقطع العبادة خلال مدة البناء التي استمرت 18 شهرا، وتقديساً للمكان فقد جعل هيرودس البناء على أيدي ألف كاهن دربهم على أعمال البناء والنجارة ! ولم يزد في حجم البنيان الأصلي لكنّه زيّنه بالرخام والذهب حتى أصبح آية في الجمال، حتى قال الرّيبيون بعد ذلك " بأن من لم يشاهد معبد هيرود لم يشاهد مبنى جميلا في حياته.."، ثمّ أنشأ صرحاً هائلا للمعبد بمساحة 35 فداناً.. لم تنتهي أعمال بنائه إلا بعد ثمانين عاما بعد ذلك.. أي بعد وفاة هيرود..

- سعة الصرح الهائلة هي التي سمحت بالتجمع الضخم لليهود بمئات الآلاف من المدن المختلفة بأورشليم وبالمعبد للإحتفال بيوم العبور عام 70 م، فكان العقاب الأليم على أورشليم شاملا لليهود من كل مكان وهم مجتمعون للإحتفال.. وقد وضعتُ بالملحق الثاني تفاصيلَ للمذبحة التي وقعت على اليهود عام 70م على ما روى تفاصيلها شاهد عيان ومؤرخ يهودي..

- لم يواكب النهضة العمرانية والمدنية الضخمة التي قام بها هيرودس أي بناء وإعداد عسكري ليتم به تحرير البلاد من الإحتلال.. ذلك أنّ هيرودس وعائلته كانوا راضين بالإحتلال.. ولم يُشاركوا أمتَهم ولا شعبهم في التطلع للتحرر من الإحتلال الروماني.. ذلك التطلع الذي ملأ حياة اليهود واستملك عقولهم كما هو ثابت تاريخيا.. ولِمَ لا يتطلع لذلك هيرودس وأبناؤه فالمحتل يُكرِّمهم في أنفسهم كأفراد، ولا يتهدد ملكهم.. وقد منحهم جميعاً جنسيته " الجنسية الرومانية" بكل ما تحمله من حصانات..! ثمّ إنّهم قد ارتبطوا بصداقات حميمة ربطتهم بقادة الإحتلال منذ الطفولة حين تربى الكثير منهم بروما مختلطين بعلية القوم هنالك.. تلك الصداقات التي تجاوزت اختلافات اليهود مع الرومان وأفادتهم – أي أفراد أسرة هيرودس شخصياً– في كثير من المواقف..

إنّ موقف هيرودس وعائلته من قبله ومن بعده ليُذكرنا بواقع أمتنا الإسلامية اليوم.. فالأمّة

تتطلع وتحلم بالسيادة في الأرض واستعادة عزتها المسلوبة.. وتتطلع إلى اليوم الذي ترجع إليها هيبتها التي تُرهب بها أعداءها وتكفهم عن الإعتداء على أبنائها بكل مكان.. فمَن يردع إسرائيل هذه التي تعتدي وتقتل كل يوم؟.. ولا نملك سلاحا في مواجهتها سوى التسول والترجّي.. هذا التطلُّع من الأمّة كاملة لا يُقابله تطلع موازٍ من قبل الحكام والقادة.. ولا يُقابله في أولوياتهم بناء ولا إعداد عسكري موازٍ لتحقيق هذه الغاية.. مع أنّ الإعداد والأخذ بأسباب القوة هو من الواجبات المنصوص عليها في كتاب الله تعالى.. هل ذلك لواقعية الحكام وإدراكهم لاستحالة تحقيق هذه الأحلام بواقعنا المعاصر؟.. أم أنّه لحمل كثير منهم مفاهيم غربية ربّاها عليهم الاستعمار في مدارسه ومؤسساته تماماً كما صنع الرومان بملوك اليهود وأبنائهم.. فانحصرت أولوياتهم بأقطارهم وكراسي حكمهم.. وانسلخ كثيرٌ منهم عن الإنتماء لدينهم الذي تجرأوا على حربه علانية.. ذلك الإنسلاخ عن الماضي الذي يُخطط الإستعمار والهيمنة الغربية الأمريكية اليومَ لتعميمه أيضاً على كل أبناء الأمة من خلال تغيير مناهجها التعليمية لتنسلخ من عراقتها وانتمائها إلى أمجادها الماضية، فلا تتطلع الأجيال إلى استعاد هذه الأمجاد ففي ذلك إرهاب وإزعاج مستمر للمستعمر والمستثمر الغربي..

يُلاحظ أنّ واقعية هيرودس وتخليه عن تطرف الحشمونيين في إرغام الناس على التهّود كانت سببا مُمهداً لرضى الإمبراطورية العظمى (الرومانية) عنه ولتثبيتها لحكمه.. ولا شك بأن التطرف خطأ كبير ممن سبقه.. لكنّ سعيه في إرضاء الرومان الوثنيين ببناء معابدهم داخل الأرض المباركة وتنصيب شعارهم كما سنذكر فوق المعبد المقدس هو انحراف كبير كذلك..

الأحداث التي تلت زمان هيرودس أثبتت صحة واقعيته في الرضا بالإستعمار الروماني، وصرف الجهود للتعمير المدني.. والسبب في ذلك واضح بالنسبة لنا.. فاليهود كانوا أقلية مشتتة متناثرة في زمانه.. وإمكانياتهم بفلسطين مهما استُثمرت لا تستطيع مواجهة الإمبراطورية الرومانية.. وفوق كلّ ذلك فقد كانوا على ألسنة أنبيائهم (يُراجع شواهد ذلك بكتاب التباشير) موعودين في تلك الفترة تحديداً بالعقاب الشديد ولم يكونوا موعودين بالنصر.. وهذا أمر ثابت تماماً، وبه أخذ المؤمنون من الأسينيين واليهود النصارى.. بل إنّ أنبياءهم قد نهوهم عن المواجهة.. ثم إنّ ثورتهم على المحتل تمّت – حين حدثت فيما بعد– كإنفجارٍ لغليان شعبي لم يتم التخطيط لتوجيهه والإعداد له، وتمّت فوق كل ذلك تحت قيادة كاذبة منتحلة للنبوة.. فمن

الطبيعي جداً ان تفشل عمليات التحرر تلك التي قام بها اليهود للتحرر من الاستعمار.. وأن تكون واقعية هيرودس وأبنائه استراتيجيةً أصحّ وأنفع لقومهم!

لكنّ أمتنا اليوم تملك بمجموعها إمكانات هائلة.. ولها امتداد واسع بالأرض لم يملك بني إسرائيل بالماضي شيئاً منه.. وهي موعودة اليوم صراحةً بالنصر عكس ما كان اليهود به موعودين.. ومنهاج النبوة من كتاب وسنة محفوظ لنا بما لم يمتلك مثله بني إسرائيل.. وواقعنا اليوم لا يدع لنا فرصة إلا اختيار طريق العزة والهيبة.. فمَن يُوقف سيلَ الدماء المباحة في كل مكان.. ومَن يردع إسرائيل المعاصرة عن إمعانها في الكذب والجريمة إلا امتلاك سلاح الردع الموازي ليُحقّق على الأقل ردعا متبادلا متوازياً.. والناس يذكرون عجرفة الهند بعد تفجيرها قنابلها النووية وإفصاحها عن نواياها تجاه باكستان فما ردعها إلا تفجير باكستاني مماثل خلال اسبوع من تفجيرها.. وما قامت بينهم حربا نووية.. فهل من بديل لاسترداد كرامتنا إلا الإعداد.. الإعداد لتحصيل القوة العسكرية الرادعة.. وليس الإعداد ببناء المدن الجميلة ومباني الزجاج! التي يسهل على العدو رجمها ويستذلنا بها لنحافظ عليها.. ولا الإعداد بجمع وشراء السلاح القديم المُقلَّمةُ أظافره ليُصدِّي في مخازننا بعد أن نصرف عليه أموالنا بدلا من أن يُصدّي في مخازن صانعيه، فتنتحر به صناعاتهم العسكرية وتهون هممهم وهم يرون أنفسهم لا يصنعون إلا حطاماً يرمونه بعد سنوات "للسكراب".. إنّ صناعة وحيازة السلاح الرادع ضرورةٌ لهذه الأمة.. ولا مجال لذلك في ظل الهيمنة التي تُجرِّم هذه الحيازة على الأمة إلا بوحدتها.. ففي ظل وحدتها يمكن اختراق الحصار التكنولوجي الآثم المفروض عليها، وبه لن يجد المحاصر وسيلةً لهدم ما يُبنى.. فهل يعي المسلمون وقادتهم ذلك ويتجاوزون اختلافاتهم وخلافاتهم.. هلا عممنا التكنولوجيا العسكرية التي نجحت باكستان في امتلاكها على دول الاسلام الاخرى تشتيتاً لمؤامرة تجريد باكستان ومن ثم أمة الاسلام من هذه التكنولوجيا ليجد المتآمرين أنفسهم أمام عشرين باكستان واستقواء بهذه التكنولوجيا لكسر غطرسة اسرائيل وكبرها.. أم نخاف فنظل في خوف الى الأبد.. ونركن ونستسلم لما تريده منا الهيمنة الغربية ونعيش بالطريقة التي تُرضيها.. فنتقلب في ظلمات ذلها الى الأبد.. ولن تقف مطالبها! فعي خطوات متتالية ولن يُرضيهم في النهاية إلا الإنسلاخ التام عن هذا الدين.." **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**" البقرة 120.. "**ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا**" البقرة 217

- يفتخر اليهود بحكم هيرود ويعتزون به!! إلا أنّ المؤمنين قاوموه واعتزلوه.. وقليل ما كانوا.. .. لا شكّ بأنّ حكم هيرود والرضا عن التغريب الذي قام به كان من ضمن ذنوب كثيرة لا يحصيها إلا الله عزوجلّ تسببت في النهاية بعقاب الله العظيم على اليهود عام 70 م..
الأسينيين.. وجماعة قمران الأسينيون جماعة اتصفت بالزهد والتقوى واعتزال المجتمع اليهودي يأساً من صلاحه، وخوفاً من العقاب الألهي المنتظر وقوعه على المجتمع اليهودي في زمانهم.. وقد ذكرهم المؤرخون بعباداتهم اليومية، والتزامهم بالتعاليم بما في ذلك من قضايا الدعاء قبل وبعد الطعام، وقضايا الطهارة هذا إضافة إلى التزامهم بتنظيم داخلي دقيق واشتراكهم في مأكلهم ومشربهم، وايمانهم بالتوراة وكتب الأنبياء وقضايا الإيمان بالبعث والقدر.. ولم يُسمِّ الأسينيون أنفسهم بهذا الاسم إنما أُطلق عليهم من غيرهم، ولعله يعني " الرجال الأتقياء" أو " المداوون أو المعالجون" لإشتغال بعضهم بمداواة المرضى.. ويرى البعض أنّه اشتقاق من اسم الحسيديم Hasidim الذين هجروا أورشليم بسبب مفاسدها في الفترة بين عامي 187 إلى 152 ق م.. ويسميهم أحمد عثمان في كتابه "تاريخ اليهود ج 2" بالعيسويين كترجمة أصح للفظ الأسينيين، وإن كانت حتى هذه التسمية غير مفسرة.. أمّا الأسينيون أنفسهم فسمّوا أنفسهم بـ"المساكين the Poor " وبـ "أبناء النور the Sons of Light" وبـ "مَن دخلوا العهد" أو "المعاهدين the Covenanters" .. وهي أسماء لها دلالتها.. ولم تتوفر كتابات تفصيلية عن الأسينيين إلا أن اكتشاف "مخطوطات البحر الميت في منطقة خربة قمران والكهوف المحيطة بها قرب البحر الميت منذ عام 1947م سمح بمعرفة تفصيلية عن إحدى الجماعات الأسينية وهي تلك التي عاشت بقمران.. وقد اندثرت جماعة الاسينيين مع الهجمة الرومانية عام 70م.. بل الأصح مع دخول أبنائها بالنصرانية.. - ظهور جماعات دينية مختلفة أخرى.. منها ما يدعو إلى المفاصلة مع الكفار (جماعة شامي)، ومنها ما يدعوا إلى تطهير البيت وإلى التآخي (جماعة هيلل Hillel)، أو إلى هجر المجتمع الفاسق (جماعة قمران)، هذا إضافة إلى الفرق الأخرى من الفريسيين والصدوقيين والأسينيين وغيرهم.. **التعليق:**

- عاشت **جماعة قمران** في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد، ويعتقد أنها إمتداد للأسينيين، وقد انتهت على أيدي الروم عام 70 م، إلا أنّ الأصح أن إختفاءها الفكري والعقدي هو لإعتناق أتباعها للنصرانية وانضمامهم للنصارى الناصريين (نصارى أورشليم).. وهو الأمر نفسه الذي ذكره بعض الباحثين لتفسير اختفاء النصارى الناصريين من أتباع مدرسة يعقوب خليفة المسيح عليهما السلام عند ظهور الإسلام..

- تستحق جماعة قمران أن تُعدّ – والله أعلم – من أهل الكتاب المتمسكين بالكتاب.. مِن أولئك الذين قيل عن أمثالهم بالقرآن الكريم " **ليسوا سواء، من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين**" آل عمران 113- 114..

- تدلّ كتاباتهم الكثيرة على اعتزالهم لقومهم لعدم رضاهم عن كثرة معاصي قومهم، وتعطيل قومهم للشريعة وأحكامها، وتُظهر الدراسات حرصهم الشديد على التمسك بالتوراة وتعاليمها على مستوى الأفراد بما في ذلك قضايا الطهارة وأحكام العبادة، وعلى مستوى الجماعة.. بما في ذلك من شغفٍ بالجهاد في سبيل الله وحلمٍ بدخول المعارك ضد الكفار.. ويعتقد كثير من الباحثين أن النبيين يحي وعيسى عليهما السلام كانا على صلة بهذه الجماعة، ومن المؤرخين من يرى أن أتباعهما هم أصلا من أعضاء هذه الجماعة.. بل إنّ بعض الباحثين كإيسنمان (7) ومؤلفي كتاب مفتاح حيرام وغيرهم يرون أنّ أصحاب المخطوطات هم أنفسهم النصارى اليهود Nazoreans .. ويبدو أنّ مخطوطاتهم كانت قد كتبت قبيل ظهور المسيح عيسى عليه السلام كما تدلّ على ذلك الدراسات الأثرية بما فيها تلك المعتمدة على الكربون المشع، فلما ظهر المسيح انشغلوا بدعوته.. وهو ما قد يُفسّر خلو المخطوطات من الذكر الصريح لكلا النبيين يحي وعيسى عليهما السلام.. وقد بينتُ في كتابي عن " تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام" مجموعة ممّا كان يتناقله أصحاب المخطوطات من النبوءات البينة بحقّ عيسى عليه السلام.. وهو ممّا يؤكد اتباعهم له عند ظهوره، ويفسر اختفاء ذكرهم بعد ذلك..

- تَسَمِّي أصحاب قمران بـ " المساكين" أمرٌ ملفت لأنّ هذا هو الاسم الذي تبناه النصارى اليهود، الذين هم " أتباع عيسى عليه السلام الحقيقيون" كما أطلق ذلك عليهم بعض الباحثين.. فهم الذين عرفوه واتبعوا من بعده الصّديق يعقوب، وكوّنوا ما عرف بالنصارى أو الناصريين..

وقد كانوا موحدين، متبعين لأحكام التوراة، محاربين لأفكار بولس الذي لقبوه بالعدو وبمدعي النبوة الكذاب وبالمرتد عن الشريعة.. وبإمكان القارئ أن يطلع على تفصيل لهذه القضية من كتاب التباشير أو من كتاب هيام ماكوبي Hyam Maccoby بعنوان " صانع الأساطير: بولس واختراع المسيحية":

.. " The Myth Maker: Paul and the invention of chrestianity"

إنَ هذه التسمية **بالمساكين** لتذكرنا بمكانة هذا الاسم لدينا فلا نكاد نحصي الأحاديث التي توصي بحبّ المساكين بل بالدعوة بحبّهم والحشر في زمرتهم.. ففي الحديث الصحيح أنهم عامة أهل الجنة، وجاء كذلك " .. قلت يا رسول الله زدني قال **أحبَّ المساكين وجالسهم**" (صحيح ابن حبان) ودعا الرسول عليه الصلاة والسلام اللهَ لنفسه أن يُحبَّهم، وأمر المسلمين بهذه الدعوة: " **اللهم إني أسألك الطيبات وترك المنكرات وحبّ المساكين وأن تتوب علي وتغفر لي**"، وكان عليه الصلاة والسلام يقول في دعائه: " **اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين**".. فنحن المسلمون كذلك " مساكين" مثل هؤلاء الصالحين من قبلنا..

هذا وقد ظلّ " المساكين" يُذكرون بالتاريخ حتى ظهور الإسلام حيث يعتقد أن أكثرهم دخلوا وانصهروا بالأمة الإسلامية..

الغيورون أو الأحامسة Zealots

جماعة تشبه الفريسيين في معتقداتها وحرصها على الشريعة والإلتزم بها إلا أنّها متحمسة كذلك للتحرر من الإحتلال الأجنبي بقوة واندفاع.. وكثير من أفرادها في الواقع حُسبوا تاريخيا على أنّهم من الصدوقيين.. وقد تطور فكر الغيوريين كما سنرى خلال العقود اللاحقة إلى ما يعرف بالمسيائيين أو الحركة المسيائية.. وهي تلك الحركة التي توقعت ظهور المصطفى (المسيا/المسيح/المختار) خلال حكم الدولة الرومانية (المملكة الرابعة) ليقيم مملكة الله التي تنضوي تحتها الشعوب، تلك المملكة التي بشر بقدومها الأنبياء لتنهي حكم المملكة الرابعة (الرومان)، والتي أبى اليهود إلا أنّ يُصّروا بأنها قادمة من أنفسهم رغم تصريح عيسى عليه السلام لهم بأنها من غيرهم (يراجع كتاب التباشير).. وقد نشأ الغيورون بالجليل بقيادة جوداس وفريسي اسمه زادوك بعد وفاة هيرودس مباشرة.. وقاموا بمقاومة الرومان ومعاونيهم حتى تسببوا

في كارثة عام 70م التي فصّلتها بالملحق الثاني بهذاالكتاب.

التعليق:

- كتب المؤرخ جوسيفياس في كتابه " الحرب اليهودية الكبرى" (التي عاصرها كما سنذكر ذلك):

" **أنّ أهم ما دفع الناس للثورة ضد الرومان هو نبوءة غامضة بكتابهم المقدس بأنّ واحدا من رجالهم سيحكم العالم كاملا**".. إنها النبوءات بمملكة الله القادمة التي حرّف فهمها اليهود، وجعلها الغيوريون مادة لدفع الناس وتحميسهم، واستغلها الدجالون عامي 66- 70 و132- 135 م فتسببوا في هلاك قومهم كما سنفصل لاحقا..

- رغم الفوارق، ومع الإعتذار.. ألا يُشاركني القراء في أنّ حماس بعض الشباب المسلم هذا الزمان وغيرتهم ضد أعداء الأمة إلى درجة التجاوز في الأمور الشرعية.. واعتماد عدد من هؤلاء الشباب على تأويلات لأحاديث بعضها ضعيف، وبعضها تمّ تأويله من خلال نظرة خاصة لتأكيد ودعم نظرية أو نظريات معينة.. واعتمادهم أحياناً على الرؤى والأحلام (لعلّ القراء يتذكرون من الأمثلة على ذلك قضية ظهور "المهدي" بالحرم عام 1400 هـ.. وقضية السفياني الذي سيمهد للمهدي!!) بل واعتمادهم أحيانا على كتابات غير المسلمين.. فأُلفت بذلك نظرياتٌ تَصَرَّف على أساسها الشباب وكأنها حقائق ثابتة.. تركوا بسببها التفكير الواقعي والأخذ بالأسباب، وتصرفوا وكأنّ الوحي قد نزل عليهم مؤكدا نصرهم وانهزام أعدائهم.. وهو مالم نلحظه حتى في سيرة الأنبياء الذين كانوا واقعيين في قراراتهم ففاوضوا واستشاروا وأخذوا وردّوا.. وهم أصدق توكلاً من غيرهم.. ألا ترون رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء غزوة الأحزاب يهمّ أن يُفاوض غطفان على نصف محاصيل المدينة حتى يُمزِّق وحدة المهاجمين، رغم علمه القاطع بأنّ الله عزوجلّ سينصره.. لكنها حكمة الأخذ بالأسباب ومراعاة الواقع مع التوكل على الله.. ألا يشترك معي القراءُ في أنّ الغيورين من اليهود الذين غاروا على قومهم ضد الإحتلال الوثني، وأشعلوا حربا غير حكيمة ضد الإمبراطورية الرومانية فقاموا يُقتلوا جنودها رغم أنّها حافظت على وضع خاص لليهود وراعت بشكل عام حرماتِهم.. وكلّ ذلك صنعوه كان اعتماداً على النبوءات والبشارات الثابتة بكتبهم، لكنّهم أوّلوها لتعنيهم وتعني زمانهم، في اصرارٍ تام وتجاهل كامل لتأويل الأنبياء لها، بأنّها تخصّ أمة (أمة الإسلام) قادمة برسالة ومملكة

ربانية.. ألا يشترك معي القراء أنّ هؤلاء الغيورين بتهورهم وإصرارهم على فهمهم قد تسببوا كما سنرى في إفناء قومهم وإهلاكهم.. وأنّ لنا أن ندعوا الشباب المسلم لأخذ العبرة والتعقل والأناة، والتعامل مع الواقع، آخذاً بالأسباب ومتوكلاً على الله عزوجل قبل وبعد كل ذلك..

الحدث:

قتْلُ هيرودس لزوجته التي كان يحبها مريمن الأولى Mariamne مع أمها الكسندرا بنت هركانوس (الأم الكسندرا هذه كانت زوجة الاسكندر ابن اريستوبولاس الثاني، الذي كان قد شارك أباه في حربه ضد انتبارتر وهركانوس، وقُتل على يد بومبي عام 48 ق م) وقتله – أي هيرودس– لعمه ولثلاثة من أولاده في فترات مختلفة خوفا على ملكه منهم..

زوجته مريمن هي من سلالة الأسرة الحشمونية المالكة السابقة كما هو موضح أعلاه، وكان قد تزوجها لما كان انتيجونيس الحشموني يتهدد حكمه، فسعى بالزواج من حشمونية تثبيتا لحكمه..ولكنها تآمرت مع أمها وأخوها اريستوبولاس (الثالث) مستعينين بكليوباترا عدوة هيرودس بمصر، وعشيقة القائد الروماني مارك انطوني الذي صادقه هيرودس كذلك وخضع له كممثل للرومان.. فقام هيرودس بإغراق اريستوبولاس الذي كانوا يُعدّونه لاستعادة ملك الحشمونيين، والذي كان هيرودس نفسه قد وضعه رئيسا للكهنة بناء على طلب زوجته مريمن وأمها، رغم ما أثاره ذلك عليه من سخط الناس، إذ كانت رئاسة الكهانة قد أُعيدت أخيرا (مؤقتا) لنسل صادوق (وهو النسل الشرعي لتولي الكهانة) .. فقتل هيرودس زوجته وأمّها بعد سلسلة من المؤامرات، قتل خلالها هيركانوس (الحاكم الاسمي سابقاً) لتآمره معهما، وقتل كذلك خلالها عمه يوسف بتهمة الخيانة في الأمانة الزوجية والسياسية.. حين تآمر مع مريمن وأمها في إحدي حلقات التآمر على هيرودس (13)..

وأما أولاده فقد قتل عام 7 ق م اثنين من أبناء زوجته مريمن، بعد محاكمتهم وبإذن من أغسطس باعتبارهم حاملين للجنسية الرومانية.. وقتل الثالث وهو على فراش موته كما سيمر معنا.. ومع هذا فيعتبر عصر هيرودس ذهبيا من حيث الإزدهار المدني والإستقرار والأمان قياسا للعصور قبله!

التعليق:

– نموذج تكرر كثيرا للأسف بالتاريخ الإسلامي، فتقاتل الإخوان والأبناء والآباء طمعاً في

الملك واستباقاً له! والأمثلة أكثر من أن تُعد أو تُحصى.. فهؤلاء الأخوان الأمين والمأمون تقاتلا، وهذا سليمان القانوني قتل أكبر أولاده بوشاية من زوجته الروسية.. وهذا أحد حكام الأغالبة يقتل أبناءه وأهله.. ويتقاتل إخوان أو أبناء عم آخرون ضمن تاريخ أكثر الممالك الإسلامية حتى عصور متأخرة.. – تزوج هيرودس عشر زوجات.. وكان ارسطوبولس من أبنائه من مريمن زوجته الحشمونية، وقد أُعدم معها عام 7 ق.م، وهو والد كلٍ من أقريباس الأول (41– 44 م) وهيروديا التي طلبت رأس يحي عليه السلام.. ومن أولاد هيرودس: أنتياس الذي تزوج هيروديا (بنت أخيه ارسطوبولس !)، وأراكيلوس Archelaus، وفيليبس Philip or Philippos وفيليب Philip الذي كان الزوج الأول لهيروديا.. وكل المذكورين إلا الأخير صاروا أمراء ربع Tetrarch (لقب لأمير منطقة) أو ولاة على مناطق من فلسطين تقاسموها فيما بينهم من بعد موت أبيهم هيرودس.. – يُستحسن للقارئ مراجعة الملحق السادس شجرة أنساب الهيروديين..
الحدث: رفع هيرودس شعار النسر الذهبي (شعار الحكم الروماني) على بوابة المعبد عام 4 ق م، وكان محرماً – حسب تعاليم التوراة التي علمها المعلمون– نصب تماثيل لمخلوقات حية (أي لغير الجمادات) (Antiquities, book 17)، فلما سمع الناس بأنه في فترة احتضار هبّ عدد من التلاميذ بتحريض معلميهم جوداس وماتاثياس Judas and Matthias وقد كانت لهما مكانة عالية بين الناس، وكان الأخير هو رئيس الكهنة، هبّ التلاميذ وسط النهار فأنزلوا النسر وحطموه بالفؤوس.. فجاء القائد بجنده فقبض على أربعين ممن شاركوا في تحطيم الشعار " الذي رفعه هيرودس تقربا إلى الله!"، واستجوبهم الملك وهو في مرضه الأخير، فذكّروه بحكم التوراة واستعدادهم للموت من أجل تطبيق شريعتها.. بينما تخلى عنهم وعن صنيعهم وجهاء اليهود الذين جُمعوا لهيرودس في اجتماع آخر حيث ذكرهم وامتن عليهم بما حققه من إنجازات " لم يستطع الحشمونيين قبله عبر مائة وخمسة وعشرون عاما تحقيق شئ" منها! وامتنّ عليهم بما قدمه لله من نذور وبناء للبيت وهدايا كثيرة، حتى لو استطاع لجعل نفسه هو نذرا لله.. لقد أهانه هؤلاء الشرذمة وتحدوه بما صنعوا حين أنزلوا إلى الأرض ما قربه نذرا لله.. وفي الواقع

أنهم لم يسيئوا إليه بل أساءوا إلى الله فما رفع إلا نصباً نذره لله.. وبناء على هذا المنطق أمر هيرودس بإحراق المعلمين وتلاميذهم أحياء..

ولم يعش بعد ذلك سوى أياماً محدودة ذاق بها أشدّ أنواع العذاب، وحاول خلالها الإنتحار، فمنعه أبناؤه على ما كتب المؤرخ جوسيفس، وخلال تلك الأيام ذبح هيرودس ابنه انتيبارتر الذي كان مسجونا لتآمره على أبيه لمّا وشى السجّان به إلى هيرودس حول استمرار تآمره حتى وهو بسجنه.. وكان هذا هو ابنه الذي وشى باخوته الإثنين (أبناء بريمن المكابية) وتسبب في قتلهما عام 7 ق م..

فلما مات هيرودس خرج الناس في أول يوم عيد فصح بعد موت هيرودس متظاهرين، محتجين وساخطين على صنيع هيرودس، مطالبين ابنه اراكيلوس (أو اراخيلاوس) Arachelaus بعقاب من أكرمهم هيرودس وبعزل رئيس الكهنة الذي نصّبه هيرودس مؤخرا مع حادثة النسر الذهبي، ووضع من هو أصلح منه مكانه، وقد حاول اراكيلوس أن يفاوضهم من خلال رسل كثيرين ووعدهم بتنفيذ مطالبهم بعد عودته من روما وتثبيته من قِبل القيصر على الملك، فلم يدع الناس له فرصة.. فأرسل جنوده لحصر الفتنة فاعتدى الناس عليهم وجرحوا كثيرا منهم.. فقام الجيش كله بأمر اراكيلوس بقتل ثلاثة آلاف يهودي من المحتجين، وسيطر بذلك على الثورة (Antiquities, book 17)، ثم خلال خمسة أسابيع أخرى في عيد العنصرة، تمّ شنق ألفين آخرين على يد سابينوس Sabinus حاكم سوريا الروماني خلال سفر أراكيلوس واخوته إلى روما ليتم توزيع الملك بين الإخوة..

– تقسيم مملكة هيرودس بين أبنائه الثلاثة أراكيلوس وأنتيباس وفيليبوس (تلقب كل منهم بأمير ربع).. بعد دراسة أغسطس للوضع من بعد موت هيرودس الذي لم يترك وصية واضحة..

التعليق:

– نموذج لم يتكرر لدى المسلمين أبدا ! رفع شعار غربي فوق أماكن العبادة..أو إدخال تماثيل وشعارات وثنية إلى المساجد..

..لكن يظلُ جديراً بالتعليق أنّ كثيرا من البلاد العربية قد اتخذت النسر علامة وشعارا.. ورفعته فوق معالم البلاد وفوق الجباه (على القبعات العسكرية)، مع أنّه شعار الإمبراطورية

الرومانيـة ولـم يتبنـاه الغربيـون (كالولايـات المتحـدة) اليـوم إلا لنظـرتهم لأنفسـهم كورثـة للتـراث الروماني.. لقد ثار اليهود على النسر حين وضع فوق باب المعبد لما يمثله ذلك ويعنيه من بسط هيمنة الإحتلال الروماني حتى على المعبد والشريعة..

وثار الناس ضد رفع نصب أو تمثال لمخلوق حي (ولم يكن ذلك في الأصل محرما لديهم بـدليل تماثيـل سـليمان عليـه السـلام) لحرمـة ذلـك لـديهم – وقـت الحادثـة– كمـا يقـص المـؤرخ اليهودي، بينما تمتلئ المدن المسلمة بتماثيل الزعماء الأحياء والأموات ولا نسمع من معترض رغم اتفـاق الأمـة وعلمائهـا علـى تحريمهـا.. وذلـك علـى بسـاطته لا يخلـوا مـن تجاهـل للشـريعة وتهميش لما يجب أن يكون لها من هيمنة على حياة الأمة المسلمة..

هل نرضى أن يثور اليهود في عصر انحطاطهم على هذه التماثيل والنصب! ثمّ لا نسمع بمن يُنكرها في بلادنا الإسلامية؟.. اللهم إلا بمن يدافع عنها لمّا تعرض بعضها للهدم..

– منطـق هيـرودس ليُبـرِّر وليُمهِّـد لمـن حولـه مـا ينـوي أن يصـنعه بـالمؤمنين يشـبه منطـق فرعون.." **قـال فرعـون مـا أُريكـم إلا مـا أرى ومـا أهـديكم إلا سـبيل الرشـاد**" غـافر : 29.. "**إنّ هؤلاء لشرذمة قليلون، وإنهم لنا لغائظون**" الصافات 54–55.. فما يراه صاحب العظمة هو الحقّ ولو كان في ذلك تجاوزاً لكل قواعد الدين ومبادئه، البركةُ في علماء السلطة، فسيهزون رؤسـهم يبـاركون كـل مـا يطرحـه أصـحاب الفخامـة! فمـا أوقـح هـذه الشـرذمة التـي أغاظـت هـذا الحاكم العظيم الذي بالفعل ملأت مشاريعه البلاد ! أوَليس الناس يتمتعون بمآثره وهو صاحب الفضـل علـيهم؟ وكيـف تتجـرأ هـذه الحثالـة علـى إغاظـة "صـاحب الفضـائل والـنعم"! إنهـا لتسـتحق الإعدام من الوجود!! وعلى ذلك يوافق العلماء والوجهاء! وهل يملكون إلا الموافقة! .. هذا هو مَنطق فرعون ومَن تبع خُطاه على مرّ الزمن..

وما أكثر ما تكرر هذا المنطق في تاريخنا كذلك ! سمعنا كثيراً عن الذين يُفصّلون الفتاوى للمسـئولين حسـب الطلـب.. وقـد تخلـوا عـن بصـائرهم وضـمائرهم واسـتقلالهم .. وخـافوا نصـحَ الأئمة، وقد كان نصح الأئمة أمانةٌ برقابهم..

– منصـب رئـيس الكهنـة هـو أعلـى منصـب دينـي.. كثيـراً مـا شـغله أنبيـاء.. وكـان فـي عهـد الحشـمونيين منصـب يجمـع بـين الحـاكم المـدني والمنصـب الـديني الأعلـى.. وهـا نحـن نـرى الاحـتلال الاجنبـي أيـام اليونـانيين والرومـانيين يُعـين الكهنـة ويُقصـيهم.. ونـرى فـي هـذا المقـام

الحاكم السياسي (هيرودس) يختار من يهوى ويعزل من يهوى ممن يُخالفه الرأي والفتوى.. بليةٌ أخرى لم تسلم منها كذلك أمتنا الإسلامية على مرّ الزمان.. - من الواضح أنّ الحكمة واللين في التعامل مع الحكام هي أنجح وأجدى للمصلحين طالما لديهم سعة لذلك في دينهم، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.. أذكر هذا تعليقا على تجاوب اراكيلوس مع مطالب الجموع التي لم ترض بحلول وسطية.. ولم تدع له فرصة لحفظ ماء الوجه لنفسه ووالده.. - ينبغي أن نلاحظ أنّ تسجيل هذه الأحداث تم على أيدي مؤرخين يهود أهمهم بالذات جوسيفس الذي أعلن في كتابه الرئيسي اعتزازه بالقومية والتاريخ (العريق!) لليهود رغم عمالته للرومان وحمله للجنسية الرومانية وقت كتابة مذكراته.. وأنه لا يستبعد أن يكون لهذا الإنتماء أثره في المبالغة في تصوير البطولات ومواقف الفداء الشعبية من قبل اليهود.. للتفاخر أمام الرومان في الوقت الذي يعتذر فيه للرومان عن المذابح التي قاموا بها..
- حكم هيرودس أراكيلوس Archelaos (ابن هيرودس الأب أو العظيم) المنطقة المسماة باليهودية (تشمل القدس) والسامرة وإيدوم (4 ق م – 6 م).. (يُرجى هنا مراجعة خريطة **6**) وقد أحبّ الرفاهية والقوة، واضطر إلى البطش في سنة حكمه الأولى للسيطرة على الثورة التي قامت بعد موت أبيه مباشرة كما أشرت أعلاه.. وقد تسببت سيرته الشخصية وتعيينه لأشخاص الكاهن الأول وبطشه، في تقدُّم اليهود إلى الإمبراطور أغسطس بالشكوى ضده مما تسبب في عزله ونفيه.. ونقل الحكم في هذه المنطقة إلى تحت الحكم الروماني المباشر.. **التعليق:** - فضّل اليهود حكم المستعمر الوثني الروماني على الحكم الذاتي اليهودي بسبب بطش الحاكم وفسقه.. وقد ظهر المسيح عيسى عليه السلام وهذه المنطقة من فلسطين تحت حكم الولاة الرومانيين المباشر.. وكان بيلاطس Pontius Pilate المشهورهو الحاكم الروماني الذي عاصر محاولة صلب المسيح عليه السلام..
- تعاقب الولاة الرومانيون على حكم المناطق التي كانت تابعة لأراكيلوس، وقد تدخلوا في شئون اليهود وتعيين كهنتهم.. وحكم بيلاطسPontius Pilate المنطقة منذ عام 26– 36 م، وبدأ حكمه برفع رايات على قلعة انطونيا المطلة على الهيكل، عليها صورة قيصر مما سبب

احتجاج اليهود، فقد ذكرهم ذلك بالنسر الذي رفعه هيرودس على المعبد، فتجمعوا حول منزله بالقيسرية، ولما جمعتهم ساحةُ المدرج الهائلة أخرج عليهم جنوده شاهرين سيوفهم، فكشف الناس عن رقابهم مرحبين بالموت من أجل بقاء الهيكل طاهرا من مظاهر الوثنية.. ولم يملك بيلاطس إلا الإستسلام لرغبة اليهود وأزال الرايات..

التعليق:

- لم تُغنِ هذه المواقف البطولية عن اليهود شيئا باعترافهم هم بأنفسهم، وواضح أنه كان بينهم أمّة قائمة بالحقّ وبه يعدلون.. وللواحد منّا أن يتسآءل كيف لم تمنع هذه التضحيات غضب الله عنهم.. لكنّ هؤلاء كانوا أقلية.. بين أكثرية عاصية أو مستغربة.. وحتى هؤلاء الذين يستشيطون غضباً للدين أكثرهم يعمل ذلك حماساً لقوميته وتراثه واستقلال بني قومه.. بدليل أنّ معظم هؤلاء ظلّ متبعاً لكهنته عاصياً للأنبياء الأولين والآخِرين كعيسى ويحي عليهما السلام الذين أعلنوا لهم بأن النبوة منتزعة عن بني إسرائيل إلى أمة جديدة من بعدهم، وأنّ عليهم الصبر حتى ظهور هذه الأمة المصطفاة مع عدم مقاتلة الروم.. لكنّ الغيوريين أصروا على القتال للإستقلال مخالفين الوصايا ومتبعين الأدعياء.. فوقع عليهم العذاب الموعود عام 70 م، وما كان ذلك إلا مكرا من الله بهم من بعد أن مكروا بأنبيائه.. قال تعالى عنهم " فلمّا أحسّ عيسى منهم الكفر.. ومكروا ومكر الله، والله خير الماكرين" آل عمران 52– 54.. وتمّ لعن وطرد من بقي منهم عن الأرض المباركة.. ولعلّ ذلك يعود لفداحة جرمهم ولكفرهم بالأنبياء وحرصهم على بقاء النبوة فيهم ولو بقتل من يُبشر بالمصطفى من غير اليهود.. كما يُفهم من كتابات العهد الجديد (أعمال الرسل).. فلا يُقبل منهم دين ولو أخلصوا له ماداموا يأبون على الله ورسله نزع النبوة عنهم.. وقد فصّلتُ هذا المعنى في رفضهم نزع النبوة عنهم بأدلته من كتبهم في كتابي عن التباشير بالإسلام..

حكم هيرودس انتيباسHerod Antipas (4 ق م – 39 م، أمير الربع المذكور بانجيل مرقص 6: 14) على منطقة الجليل والبيره (يُرجى هنا مراجعة خريطة 6)، وقد اشتهر بلقب ملك أو بإسم والده هيرودس، وكان هو الوارث الشرعي لملك أبيه في الوصية الثانية لأبيه، لكنه في الوصية الأخيرة لأبيه وضع أمير ربع للجليل والبيرة، وكانت تربيته مع أخيه أراكيلوس وأخيه لأبيه فيليب بروما، واشتهر بمكره (لقبه المسيح على ما روي في

انجيل لوقا13 : 32 بالثعلب) وبذكائه وطموحه وبكفائته، كما عرف بحبه للرفاهية وعاش مع كل ذلك كيهودي متمسك بالشريعة ! ويُحافظ على حضور البيت بالمناسبات (لوقا 23: 7)، وامتنع عن طبع صور على عملته إحتراما للشريعة، وعادى بيلاطس الحاكم الروماني للمناطق المجاورة لحكمه بسبب أفعاله المعادية لليهودية، وبنى عددا من المدن منها مدينة طبرية Tiberias وأسكن بها الفقراء والمساكين مجانا كجزء من أعمال الخير الكثيرة التي قام بها..!

التعليق:

– يمثل هيرودس أنتيباس وأبوه وكذلك بقية الحكام الهيروديين نموذجاً من الحكم اليهودي الذي أراد الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه.. وأطاع الوثنيين الروم في كل ما أرادوه.. وهو ما هاجمه أنبياءُ بني إسرائيل عليهم السلام والصالحون الذين عاصروا هؤلاء الحكام (تنصّر هؤلاء الصالحون بعد ذلك، وكان معظمهم يُعرفون بالاسينيين قبل عيسى عليه السلام.. وظلوا كطائفة من يهود فلسطين، ثم اختفوا من المسرح اليهودي من بعد عصر المسيح عليه السلام وتشتت بني إسرائيل وذلك لتنصرهم)..

.. والقضية إذا كان قد تمّ لعن بني إسرائيل ونبذهم من الله تعالى لإحتيالهم على الدين والشريعة، رغم أنهم هم وملوكهم كانوا يؤمنون بأحقيتها، فكيف الحال بأمة الإسلام اليوم وعامّة حكامها يعلنون رفضهم لتحكيم الشريعة، بل ومنهم من يعادي أحكامها علانية، ويُحل للناس إعلان كبائر السكر والربا والفحش وغيرها..

.. لقد دعا اليهودُ الله عزوجل كلّ حين بالنصر على أعدائه وأعدائهم، بل بدأوا بثورتهم ضد الروم الوثنيين باسم الدين منتظرين نزول معجزات النصر الرباني عليهم.. ولكنه الدين وكذلك القادة الذين اختاروهم هم.. وليس دين الله ورسله الحقّ الذين اختارهم الله عزوجل واصطفاهم لهم، فما كان إلا العقاب الشديد عليهم..

..ما ننتظر نحن كمسلمين من الله عزوجلّ وقد أعلنا الحرب على الدين، واحتلنا على الشريعة، وآذينا الدعاة والصالحين.. ماننتظر، وأحسننا هم الذين يأخذون ببعض من الشريعة ويدعون بعضا.. ما ننتظر إلا ذلاً وهزائماً لا تُرفع حتى نراجع ديننا.. وذلك هو ما جاء بالحديث الصحيح.. ومع هذا فالأمل أنّه ما يزال الخير باق بهذه الأمة حتى يوم القيامة..

- لا يخفى على القارئ أثر حمل الحُكّام اليهود للجنسية الرومانية بل وتربيتهم في طفولتهم وشبابهم بروما، وارتباطهم بصداقات شخصية مع الكثير من النافذين بروما.. لا يخفى أثر كلّ ذلك على عقلية الحكام ونظرتهم للأمور وترتيبات أولوياتها! وللقارئ أن يتأمل أمم الإسلام العديدة اليوم وحكامها لا يتربون ولا يتعلمون إلا على أيدي المربين والمربيات الغربية، ولا يعيشون إلا على العادات الغربية بل ومنهم مَن يحمل الجنسية الرومية المعاصرة! للقارئ أن يتأمل.. فإنّها خُطا الأولين نتبعها حذو القذة بالقذة..
الحدث: دعوة يحي عليه السلام عام 26-30 م، وإنذاره اليهود بقرب عقاب الله لهم واستئصالهم، ودعوتهم للتوبة والإنابة إلى الله، ثم مقتل يحي عليه السلام وقطع رأسه عليه السلام على يد هيرودس انتيباس وتقديم رأسه في طبق إرضاء لزوجته العاهر هيروديا Herodias امرأة أخيه لأبيه فيلبس Herod Philip من قبله (وأبنة أخيهما ارستوبولس، وأخت أقريبا الذي صار ملكا بعد ذلك) وكان قد أحبها في أثناء رحلة إلى روما، وهي مازالت بعصمة أخيه فيلبُّس، واشترطت من أنتيباس طلاق زوجته السابقة ابنة ملك بترا، مما تسبب في نشوب حرب مع أبيها ملك بترا الذي شعر بالإهانة وتمكن من الإستيلاء على بعض أراضي أنتيباس، ودُمِّر جيش أنتيباس تماماً في هذه الحروب التي لم يشترك هو بشخصه فيها، ولم يُنقذه إلا لجوءه إلى الإمبراطور الروماني تيبرياس Tiberius الذي أمر قائده على سوريا بالقبض على ملك البتراء أريتاس وإرساله مقيدا إلىروما أو قتله.. وهجرت هيروديا زوجها الشرعي فيليبس، وانتقلت مع ابنتها سالوم للعيش مع أنتيباس، وسجن أنتيباس من أجلها نبي الله يحي عليه السلام، حين هاجم زواجهما غير الشرعي.. وحدث أن رقصت ابنتها سالوم بعيد ميلاد هيرودس أنتيباس، فابتهج لها أنتيباس (يُسمّى في زمانه هيرودس أو هنا أنتيباس اختصاراً)، ووعدها بأن يُحقق لها أي طلب تريد، فهمست هيروديا لإبنتها أن تطلب رأس يحي عليه السلام.. فحزن هيرودس أنتيباس ولبّى طلبها رغم تقديره الشديد قبل ذلك ليحي عليه السلام! (متى 14: 1- 12). - هيرودس أنتيباس هو الذي أُرسل إليه شبيه المسيح (الذي صُلب بدلاً عن المسيح) من قبل بيلاطس، فأهانه وأمر بجلده.. وهو موقف آخر يدل على أنّه كغالبية الحكام والكهنة اليهود كفار بالأنبياء الحق..

- انتهى حكم هيرودس انتيباس بنفيه هو وزوجته هيروديا إلى منطقة جول بفرنسا بعد تجريدهما من أملاكهما وأموالهما، وضمها إلى اقريباس الأول منافس أنتيباس وأخي هيروديا، وكان ذلك من قبل الإمبراطور كاليجولا Caligula لمّا طلب منه أنتيباس إضافة لقب ملك له كما صنع ذلك بأقريباس، ولكن الإمبراطور كان صديقاً شخصيا لأقريباس وقد استمع لوشايته على أنتيباس بأنه يتآمر على الروم.. ومن ثمَ نفاه.

التعليق:

" **من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنّما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنّما أحيا الناس جميعا، ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثمّ إنّ كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون**" المائدة 32

- حُرّم بالتوراة بسفر لاوي 18: 12 الزواج بالعمة والخالة وابنة الأخ والأخت، وأُحل الزواج بين أبناء العم والخال عكس إدعاء النصارى تحريمه، فقد عُدِّدت المحارم بالتفصيل ولم يُذكر بها بنات العم أو العمة أو بنات الخال والخالة مما يعني قطعا الإباحة، هذا إضافة إلى ثبات التزاوج بين أبناء العم والخال كما تمّ بين أبناء الأسباط الإثنا عشر بعد انتقالهم إلى مصر.. وكما ثبت في التاريخ اليهودي، ومن يقرأ كتاب Antiquities, book2 للمؤرخ اليهودي جوسيفس يجد مثلا أنّ معظم الزيجات ضمن أسرة الهيروديين المالكة كانت بين أبناء عم أو خال من الدرجة الأولى.. ولم يُعترض منها إلا على الزواج بالخالة أو العمة أو بنت الأخ أو بنت الأخت.. وفي الواقع فإن التوراة المعاصرة تنص على عقوبة القتل لمن يتزوج بأي من محارمه كالأخت والعمة والخالة وزوجة الأب وابنة الزوجة بل وامرأة الأخ والعم (اللاويين 20: 11، 17- 21).

جاء في المستدرك على الصحيحين ما يُفهم منه أن العذاب الذي وقع على اليهود فيما بعد (على أيدي الروم) إنما كان بسبب قتلهم يحي عليه السلام.. وهو ما يتفق مع آثار أهل الكتاب التي أوعزته كذلك إلى محاولة قتل المسيح عليه السلام أو قتل يعقوب ابن خالة عيسى عليهما السلام، عن بن عباس رضي الله عنهما قال: " بُعث عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا في اثني عشر ألفا من الحواريين يعلمون الناس قال وكان فيما ينهونهم عنه نكاح ابنة الأخ قال وكانت لملكهم ابنة أخ تعجبه يريد أن يتزوجها فكانت لها كل يوم حاجة

يقضيها فلما بلغ ذلك أمها قالت لها إذا دخلتِ على الملك فسألك حاجتك فقولي حاجتي أن تذبح لي يحيى بن زكريا فلما دخلت عليه سألها حاجتها فقالت حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا فقال سليني غير هذا فقالت ما أسألك إلا هذا فقال فلما أبت عليه دعا يحيى بن زكريا ودعي بطشت فذبحه فدرت قطرة من دمه على الأرض فلم تزل تغلي حتى بعث الله بخت نصر (خطأ من الرواة إذ هو فيسبيان وابنه تيطس الرومانيان) عليهم فجاءته عجوز من بني إسرائيل فدلته على ذلك الدم فألقى الله في قلبه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن فقتل سبعين ألفا منهم من سن واحدة حتى سكن" قال الحاكم: هذا حديث صحيح إسناده على شرط الشيخين ولم يخرجاه..

– لو تبنى يحيى عليه السلام تفكيرنا "الدبلوماسي" المعاصر لضنّ بنفسه أن تُقتل بسبب عاهر وقومُه بأشد الحاجة إليه، ولو داهن الحاكم المعاصر له في فساده كما صنعت الكهانة الرسمية في زمانه لكان الصمت على فجور الحكام ديناً، ولكنّ الصدع بالحقّ هو ما اختاره نبي الله يحي عليه السلام.. ولا بأس هنا بإيراد ما ذكره المؤرخون من أنّه كان بوسع يحي عليه السلام التصدي لأنتيباس من خارج منطقة حكمه (إذ كان أنتيباس حاكم ربع فقط)، لكنّه لم يخفْ ولم يعبأ بما قد يُدبره له هذا الحاكم الفاسق، كما أنّه لم يداهنه وهو – أي أنتيباس الحاكم– الذي كان يُظهر له (أي ليحي عليه السلام) التبجيل والتوقير.. وهو الحاكم الذي كان يُظهر حرصاً على تحكيم الشريعة وتطبيقها.. ولو كان غير يحي عليه السلام لداهنه أو تلطف له بالنصح تقديراً لإحترام الحاكم له ومحافظة على العلاقة معه ولسكت عنه بعد ذلك! ظناً منه أنه قد أخلى جانب مسئوليته كما يصنع أفاضُلنا..! ولكنّه من الذين لا يخافون في الله لومة لائم، وقليلٌ ماهم..

– إنّ في وقفة يحي عليه السلام عبرةً وقدوة لأولي العزائم من الدعاة.. إنّه لم يُغمض عينه عمّا صنعه الحاكم في نفسه – وذلك أهون وأدعى لغض النظرعنه– عمّا صنعه حاكم فاجر لمقاطعةٍ لم يكن هو من سكانها.. إنّه لم يصنع ما نصنعه اليوم حين ندسُّ رؤسنا بالتراب كأننا لا نُرَى ولا نَرَى ولا نسمع ولا نُسمَّع.. ويقف علماؤنا اليوم غاضّين الطرف عن كلّ أو بعض المنكرات المُجاهر بها كأنهم لا يرونها.. وتُقتَطع من ديارنا (في أكثر بلاد المسلمين) مواقعَ تُستحلّ بها للمسلمين (ولغيرهم) الكبائرُ من الخمور إلى العُرِي أو ما

يقرب منه أو يزيد، ولا نسمع إنكار المنكرين ولا اعتراضهم.. إنّ الإنكار والإعتراض الحازم ضد المجاهرة بالكبائر لا يعني التخلي عن الحكمة والأسلوب الحسن في إنكار المنكرات وعظة أُولي الأمر.. إنّها ضرورة بقائنا كخير أمة، وإن التخلي عنها قد أُعلنت عقوبته على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بدءاً من الإذلال إلى اللعن وإحلال العقاب على أمتنا.. عقاباً كذلك الذي وقع على اليهود ونقُصُّ هاهنا تفاصيل وقوعه عليهم ، إننا نشهد اليوم صمتاً من الأمة تجاه كبائر يُجاهر بها بكل المواقع أو تُقتطع لها مساحات على الشواطيء وبالفنادق والنوادي، ولا تُقصَر على غير المسلمين، بل جُلّ روادها من المسلمين.. ولا نسمع ما اعتدناه بالماضي من إنكار هذه المصائب التي تغرق اليوم بسببها وبأمثالها الأمةُ كلها.. إنّ توخي الحكمة لا يعني الصمت الكامل الذي نعيشه اليوم – تحت ظل إرهاب العاملين بتهمة الإرهاب– في أكثر الديار المسلمة..

– إنّ نبيَ الله يحي عليه السلام لم يهمس في الخفاء بإذن أنتياس يعاتبه على ما صنع، ويراعي مكانته، ليُسقط عن نفسه بذلك إثم السكوت والمداهنة.. الذي يبدو ممّا تناقله أهل الكتاب هو أنّه جاهر بمهاجمته وتوبيخه (لمجاهرته بفاحشته وإثمه).. ولا شك بأنّ اللين وتوخي الحكمة مطلوب عند نصح أولي الأمر.. إلا أنّ مجاهرة أنتيباس بزواج المحارم وزواج المحصنة (دون تنازل زوجها الأول وطلاقها) استدعت المجاهرة للناس في توضيح بطلان وحرمة هذا الصنيع.. الذي قد يقتدي به الناس لولا مهاجمته..

– ظلّ وما زال حادث قطع رأس نبي الله العظيم يحي عليه السلام عزاء لكل مصائب المؤمنين بعد ذلك.. وبه عزّى الصحابة والتابعون أنفسهم في حوادث قتل الحسين وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.. جاء في يقظة أولي الاعتبار: عن سفيان بن عيينة عن منصور بن صفية عن أمه أنه دخل ابن عمر المسجد بعد قتل ابن الزبير وهو مصلوب فأتى أسماء يعزيها فقال لها: عليك بتقوى الله والصبر فان هذه الجثث ليست بشيء وإنّما الأرواح عند الله فقالت **وما يمنعني من الصبر وقد أهدى رأس يحيى ابن زكريا إلى بغى من بغايا بنى إسرائيل**"..

إنّ قتل العلماء على أيدي حكام المسلمين على مر العصور لهو المظهر المقابل في التاريخ الإسلامي لقتل الأنبياء على أيدي بني إسرائيل.. وقد جاء تهديد الله عزوجل لقتلة

الأنبياء وقتلة المصلحين والدعاة على حد سواء في آية واحدة :" **إنّ الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم، أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين**" آل عمران 21.

إنّ الدنيا هيّنة عند الله عز وجلّ.. أقرب إلى حلم عابرٍ وتمثيلية سريعاً إنتهاؤها، واللهُ عزوجلّ كثيراً ما يبتلي أحباءه بفقدانها، وهم إذ يفقدونها لله إنّما يفقدون مالا يزن عند الله جناح البعوضة كما ذكر ذلك رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، ويكسبون عزاً ونصراً لا يمكن حصره أو تقديره..

ويعزّ علينا أن نتخيل الأنجاس من الكفرة يلعبون بالأجساد الطاهرة لعباد الله الصالحين بل وللأنبياء، فيُقطّعون الرؤوس ويُشوّهون الأجساد أو يصلبونها عارية أو يُصوِّرونها في زماننا هذا عارية، يصعب علينا تخيل إسلام الله عزّوجل لهذه الأجساد الطاهرة للكفار يعبثون بها.. ولكنّ الحقيقة هي أنّ هذه الأجساد هي من المادة الفانية بهذه الدنيا، تلك المادة التي خلقها الله، وأفسدها الأشرار وعبثوا بها، وهي لا تمثل أولئك الصالحين، ولا هم سيُسألون عنها، بل هي ممّا خلق الله بهذه الدنيا.. " فإنّ هذه الجثث ليست بشيء".. إنها لا تتجاوز كونها سوءة كل فرد.. وقديماً بعث الله الغراب ليعلم قابيل " **كيف يُواري سوءة أخيه**" المائدة 31، إنه لم يوارِ أخاه الذي قتله بل وارى سوءته فقط.. إما أخاه الذي تخلى عن قوقعته البشريه ففي عليين.. وما تُمثّل هذه الأجساد الصالحين ولا هم يُسألون إلا عن أرواحهم وأنفسهم.. وما للمجرمين إليها من سبيل.. وفي هذا يتذكر القاريء كلمة الإمام المجاهد ابن تيمية " ما يفعل أعدائي بي، إن نفيي سياحة وسجني خلوة وقتلي شهادة..".. فهم لا يصلون إليه فيما يغلو لديه.. وما يغلوا لديه إلا روحه وقلبه.. إنها فلسفة " فزتُ وربّ الكعبة" التي صرخ بها الصحابي وهو يتلقى طعنة الموت.. فليكسبوا منا أجساداً فانية كأجسادهم.. ولنكسب أرواحنا وقلوبنا بفضل الله ومنته.. ثمّ إنّ كل لحظات زهو المجرمين هذه إنما هي لحظات عابرة سريعا ما ستنطوي وتبقى لهم جرائمهم محفوظة..

إنّ فلسفة " فزتُ وربّ الكعبة" يجب أن تُعمّق من جديد في أمتنا.. إنّ الذي صرخ بدون تفكير صرخةً سبقت إلى لسانه صرخةَ التأوه بالألم، حين طُعن وأحسّ أنّها طعنة، وأنّها قاتلته، فصرخ بالفرح بالفوز مباشرة .. إنّه كان يعيش من قبل مترقباً لتلك اللحظة متلهفاً عليها.. يعلم أنّ

الحياة قصيرة فانية وأنّ عليه أن يُنهيها ويختمها بفوز.. ذلك كل همّه.. وبالطعنة التي تلقّاها وأتلفت جسده الفاني تحققت بُغيته واكتملت أُمنيته وتمّ له الفوز.. وليس عدوه الذي قتله هو مَن أنهى حياته.. لكنّه الله عزوجلّ قد أذن له بالشهادة.. وأذن له بأن تُختم حياته – المنتهية أصلاً– بشهادة على يد عدوه.. ولن يسعد مِن بعده العدوّ مهما طال به الأمد.. فإنّه إلى حين..

تُلقي هذه الحادثة – حادثة استشهاد يحي عليه السلام– بعضَ الضوء على فتنة النساء في بني إسرائيل، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: "..**واتقوا النساء فإنّ أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**" من رواية البخاري وابن حبان في صحيحيهما .. فقد أرضى انتيباس زوجته العاهر رغم إيمانه بنبوة يحي عليه السلام (كما يفهم من انجيل متى 14: 2) أرضاها بما أضاع ملكه ودنياه ودينه..

– وحين نتخيل رأس نبي الله العظيم يُقدّم بكل بساطة على الطبق هديةً لهذه البغيّ فتتحقق لها أمنيتها الخبيثة، نتذكر كبدَ أسد الله حمزة بن عبدالمطلب عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهند بنت عتبة ابنة عدوّ الله حينها تلوكه مُحقِّقة أمنيتها، منشوةً بالظفر من حمزة رضي الله عنه قاتل أباها الكافر.. نتذكر حينها هوان الدنيا عند خالقها.. " **إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس..**" آل عمران 140.. إنّها ليست حتى ساعة وساعة.. بل هي ببعدها الأخروي ساعة بعد ساعة للمؤمنين " **إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون، وترجون من الله ما لا يرجون**" النساء 104.. فرح الكفار وحزن بلا شك المؤمنون لهذه الأحداث.. وليس في ذلك تخلٍ عن المؤمنين.. ولكنّ تلك هي سنة الابتلاء.. الشهداء فازوا وفرحوا والمؤمنون من بعدهم صبروا واحتسبوا.. والكل يعلم أنّ فرحة الكفار بأمانيهم وبالنيل من المؤمنين عابرة، ولولا جهلهم ما فرحوا.. ولا نشك في حزن هند ووحشي قتلة حمزة على قتله رضي الله عنه من بعد إسلامهم..

– ومن الخواطر التي تقفز هنا ونحن نتخيل <u>رأس نبي الله العظيم يُقدّم على الطبق هديةً لهذه البغيّ</u> أنّ من الواضح أنّ الصالحين لم يُؤَمَّنوا ضد أيٍّ من أسباب المرض والوفاة المألوفة.. وهم أناسٌ كبقية الناس في خلق أجسادهم من الولادة إلى الوفاة.. ليسوا مُحصَّنين ولا مُؤَمَّنين من حوادث الغرق والحرق والإختناق والقتل وحوادث السيارات ولا هم مُؤَمَّنون من الأورام الخبيثة والفشل العضوي بما في ذلك من الاغماء الكبدي أو الفشل القلبي أو الكلوي أو غيرها مما

يُصاب به الناس ويتسبب في وفاتهم.. ولقد رأينا أو سمعنا بالكثير من الصالحين ماتوا اختناقاً بغاز أو قتلاً بالرصاص أو بحادث طريق أو ماتوا غرقاً أو ماتوا مغمىً عليهم من فشل كبدي أو غيره.. أصيب كلّ منهم بشيء مما ذكرتُ أعلاه، فما كان لذلك دلالة على تخلِّي الله عنهم ولا على سؤ خاتمتهم.. إنّما كان ذلك تمام الإبتلاء والتطهير لهم.. وكان ذلك هو الإستثمار الأخير الذي كسبوه من أجسادهم الفانية على أي حال.. ولعل القارئ يذكر في الحديث الصحيح قصة الرجل الذي دهسته دابته في حجة الوداع فمات، فبشر الرسول صلى الله عليه وسلم قومه بأنه يُبعث يوم القيامة ملبيا (19).. وما تشائم أحد حينها لموتته بهذه الطريقة مدهوسا..

ولا أعلم إلا باستعاذة رسول الله صلى الله عليه وسلم من موت الفجاءة (الوفاة المفاجئة) التي قد لا تدع لصاحبها فرصة لتهيئة أموره للرحيل المحتوم.. والمهم كان هو دائماً الصبر على قضاء الله على عبده المؤمن أياً كان.. وليس المهم طبيعة ما يختاره الله لعبده من ابتلاء.. ويظلّ عزاءُ المؤمنين بل واعتصامهم في مواجهة ما ينتظرهم من أقدارٍ خفيّة على أيدي أعدائهم أو على أيّ أسباب أُخرى يُقدّرها الله عليهم، يظلّ عزاؤهم بل وسكونهم في ترديد تلك المناجاة الراضية: " **قل لن يُصيبنا إلا ما كتب الله لنا، هو مولانا، وعلى الله فليتوكل المؤمنون. قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحُسنَيين، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذابٍ من عنده أو بإيدينا، فتربصوا إنا معكم متربصون**" التوبة 51–52.

– هذا يحي عليه السلام دعوةُ أبيه زكريا عليه السلام ألا يكون فرداً وحيداً يغادر الدنيا كما يُفهم من مصادر أهل الكتاب قبل أبيه زكريا.. فأنّى هذا؟

الواقع أنّ الدعوة استجيبت، وأنّ زكريا تمتع بيحي ابناً "رضياً",و"وليا" وارثاً للدعوة صادعاً بها ما يزيد على ثلاثين سنة من بعد هرمه.. ثم لمّا اقترب أجله عليه السلام كان استشهاد يحي عليه السلام له خاتمة مسك لحياته بصبره واحتسابه على فقدان ابنه.. واستشهد هو (أي زكريا) عليه السلام على أيدي اليهود مباشرة بعد يحي وتحقق له بيحي أنّه لم يُترك في آخر عمره وحيدا.. والشاهد هنا هو أنّ الدنيا كلها بحلوها ومرها عرضٌ ومتاع زائل، وما ينبغي لمرارةٍ عابرة أن تُنسينا حلاوة سابقة طالما تمتعنا بها.. ولا يصحّ أن نتمثّل هنا بالقول بأن الأمور بعواقبها، فيخشى أن يكون نكران النعم السابقة التي طالما تمتعنا بها والاستسلام للجحود واليأس والقنوط

لمرارة عابرة مما يتنافى مع شكر الله والرضا بقدره.. بل انّ في المرارة العابرة حتى لو كانت بها الخاتمة خيراً كثيرا: ولعل في تكفير الذنوب ببلوى أو شهادة بعد التمتع بعمر طويل من نعم الله وفضله، تتمة وتكملة لهذه النعم لت استثمار لجسد قرب موعد دفنه إنّ عمرنا بهذه الدنيا مقسمٌ إلى محطات، وما ينبغي أن نسمح لليأس أن يسيطر علينا إذا أصابتنا شدة ولو كانت تلك الشدة قد أصابت محطتنا الأخيرة في هذه الحياة.. إنّ النعم الأولى لا تُنسى وأنّ ما يبدوا محطةً أخيرة حتى لو تبين بموتنا أنّها فعلا كانت الأخيرة في دنيانا فما كانت هي بالأخيرة في وجودنا الطويل الخالد.. وفي الواقع فهذه كذلك هي سنة الله عزوجل في كل خلقه: هباتٌ متتالية وزيادة في القوة والحواس والمال ثم نزعٌ تدريجي لكل ذلك.. ليُفسح المجال لآخرين ليتمكنوا كما تمكنا وليتمتعوا كما تمتعنا وليُبتلوا بالسراء والضراء كما ابتلينا.. ولا يعني نزع تلك العطايا المتأخر أنّها لم تؤدي دورها لنا في وجودنا.. فلنتذكّر لقد استجيب لزكريا دعاءه بيحي، وورث يحي أباه، وكان قدومه للدنيا رحمةً من الله وحناناً بأبيه، وكان ذهابه منها ختامَ مسك لأبيه، وقد أدى يحي دوره المنتظر كاملاً مع أنه استشهد قبل أبيه.. قال تعالى: "**وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ. وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ. إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**"

– ينبغي هنا ألا تفوتنا الإشارة إلى علوّ منزلة يحي عليه السلام بين الأنبياء.. جاء في المستدرك على الصحيحين عن بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما من آدمي إلا وقد أخطأ أو همّ بخطيئة أو عملها إلا أن يكون يحيى بن زكريا لم يهمّ بخطيئة ولم يعملها"، وفي المستدرك على الصحيحين كذلك عن كعب رضي الله عنه، قال: " كان يحيى بن زكريا سيداً وحصوراً وكان لا يقرب النساء ولا يشتهيهن وكان شاباً حسن الوجه والصورة ليّن الجناح قليل الشعر قصير الأصابع طويل الأنف أقرن الحاجبين دقيق الصوت كثير العبادة قوياً في طاعة الله".. وفي الإنجيل ما يُفهم منه أنّ يحي عليه السلام يفضل على من قبله من الأنبياء وإن كان المصطفى (المنتظر من بعد عيسى عليه السلام) أعلا منه منزلة..

– تمتع أنتيباس وزوجته بالملك قرابة عشر سنوات من بعد جريمتهم بقتل نبي الله يحي عليه السلام.. قال **تعالى** "**أفرأيت إن متعناهم سنين. ثم جاءهم ماكانوا يُوعدون. ما أغنى عنهم ما كانوا يُمتعون**" الشعراء 205– 207.. ومع ذلك فقد لحقه خزي الدنيا، وموعود بالعذاب الأليم

لقتله الأنبياء، قال تعالى: " **إنّ الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم، أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين**" آل عمران 21.

– لا يخفى أنّ تسابق الحكام اليهود (كتنافس أنتيباس هنا مع أقريباس الأول في إرضاء الرومان) لإرضاء المستعمر الغربي الروماني أو اليوناني، ووشايتهم بعضهم ببعض لديه.. كما سبق معنا من قبل وكما هو الحال في عصر الهيروديين هذا.. قد تكرر مثله بالتاريخ الإسلامي مرارا رغم موقف الشريعة الشديد في تحريم تولي غير المسلمين على المسلمين.. وهو اليوم واقع المسلمين كما عبر عنه صراحة أحد وزراء الخارجية العرب في مقابلة تلفزيونية فضائية مؤخراً، فذكر أنّ أمريكا هي " المُعزِّب" أي السيد الذي نتسابق لإرضائه، والوشاية بالآخرين منّا لديه، كلٌ يعطيها بما يرى أنه يفوق غيره وقال " هم يأخذون أحسن ما عند كل طرف"، ولها أن تختار أفضل العروض.. إدراك هذا الوضع خطوة أولى لابد أن تُتبع بمحاولات الاصلاح والتصحيح، وإلا فإنها ذلة وامتهان لهذه الأمة كتلك التي انتهى إليها بنو إسرائيل.. ولا يرضى ذلك المؤمنون!

– هناك رأي انفرد به المؤرخ اليهودي جوسيفس (37– 96 م) في كتابه Antiquities of the Jews - الجزء الثامن عشر بأنّ يحي عليه السلام قُتل لخوف الحاكم أنتيباس منه نتيجة انتشار دعوته وكثرة أتباعه (12)، وخشيته أن يثير الناس عليه في تمرد شامل، خاصة أن الجموع كما يقول جوسيفياس كانت مستعدة أن تقوم بعمل أي شيء يأمرها به يحي عليه السلام.. وهو رأي في الواقع لا يتنافى مع الرأي الأول بأن اعتراض يحي عليه السلام زواج المحارم الذي قام به انتيباس من قبل يحي عليه السلام كان هو السبب المباشر.. إذ أخذ هذا الإعتراض وزنه نتيجة قدرة يحي عليه السلام على تحريك الجماهير ضد الحاكم لو أراد.. فسارع الحاكم أنتيباس إلى سجنه أولاً، ثم كان بعد ذلك أن قتله تحقيقا لطلب سالوم ابنة هيروديا..

.. هذا ويترك الرأي الأخير لهذا المؤرخ اليهودي ظلالاً للتأمل حول مصير الجماهير الغفيرة التي اتبعت يحي ثمّ عيسى من بعده عليهما السلام، ثم تفرقت عنهما مباشرة بعد ثورة الحاكم أو الكهانة الرسمية عليهما، بحيث أصبح أتباعهما من بعدهما مباشرةً أقلية – كما هو معروف– وسط المجتمع اليهودي.. وإن كان أمر النصارى ظهر بعد ذلك بفترة.. والسؤال هو أين كانت

تلك الجموع الهائلة لحظة القبض على يحي عليه السلام؟ ولِمَ لم نسمع لها دوراً ولا حتى مطالبة باطلاق سراحه من السجن، وقد مرت بين سجنه وقتله عليه السلام فترة ليست بالقصيرة ؟ ولِمَ لم يكن لهذه الجموع دورٌ عند قتله؟ ولا عند حادثة الصلب – التي قامت بها الكهانة اليهودية الرسمية– والجموع كالقتلة تعتقد أنّ المصلوب هو المسيح عليه السلام؟ ولا عند قتل الصدّيق يعقوب الذي اتبعته كذلك الجماهير وتعلقت به في حياته؟ كيف والتهديد بقتل الصالحين والأنبياء قد ملأ الكتب الأولى وكرره هؤلاء الأنبياء أنفسهم (يحي وعيسى عليهما السلام على ما روي عنهما).. وجاءت الآثار اليهودية التي سبقت هذه الفترة بأنّ العقاب والطرد الشامل سيتبع مثل هذه الأعمال.. لقد ترك الناسُ سفهاءَهم يخرقون السفينة فغرقوا هم فيها جميعاً..

لقد دفع هذا المجتمع الثمن فادحا كما سنرى نتيجة تخليه عن هؤلاء الأنبياء واتّباعه المؤسسةَ الدينية الرسمية المُداهِنة والمعروفة بالفساد..

وعلى القارئ ألا يستغرب ذلك.. فذنب قتل الأنبياء لم يُلام عليه حكامُ بني إسرائيل لا في العهد القديم ولا بالعهد الجديد ولا حتى بالقرآن الكريم.. إنّما وُجِّهَ اللوم على الدوام وعلى مرّ العصور إلى بني إسرائيل جميعاً.. كنهج اتبعوه مع المُرسلين إليهم.. مع أنّ القتلة والمتآمرين على القتل لم يكونوا في كل مرة إلا أقلية سفيهة.. لقد حملت الأمة لصمتها وتخليتها لسفهائها ليصنعوا ما يريدوا، حملت هذا الذنب العظيم وما ترتب عليه من العقوبات الإلهية الشديدة بالدنيا إضافة إلى ما ينتظر أكثرها من عذاب الآخرة..

..هذا أمر الله وحكمته التي بيّنها لنا في كتابه في أكثر من موضع.. وإن كان الناس سيُحشرون على نياتهم ويُحاسبون كلٌ على إمكانياته.. إلا أنّ الأمة اليهودية بخذلانها المتكرر لأنبيائها وصالحيها خسرت الاصطفاء الذي مُنحته في بادئ أمرها..

دعوة المسيح عيسى عليه السلام في الأعوام 30–33 م..

.. لقد كان عيسى كارميا ويحي عليهم السلام كلهم نُذُراً لأقوامهم بين يدي عذاب شديد..

– بناء على الأناجيل الحالية رغم ثبات التحريف بها فقد أعلن عيسى عليه السلام أنّه آخر الأنبياء إلى بني إسرائيل، وأنّ مملكة الله (نفس المصطلح الذي استخدمه دانيال عليه السلام من قبل لتحديد موعد ظهور دولة الإسلام) ستظهر من بعده من غير بني إسرائيل.. وضرب لذلك الأمثلة.. فاليهود كمثل مستأجرين سفهاء لبستان انتهبوا حق المالك فيه، وقتلوا رسل المالك

(أي الخالق) إليهم بما فيهم آخر رسله إليهم (والمقصود هنا محاولتهم قتل المسيح عليه السلام بعد ذلك) فحقّ له أن يعاقبهم ويستبدلهم بأجراء جدد يؤدون للمالك حقوقه.. وعلق بأن تلك هي مملكة الله القادمة آتية من بعده من غير اليهود.. وشبه الأمر في قيام مملكة الله من بعده بوليمة أقامها الملك ودعا إليها جماعة خاصة من الناس فأبوا، فغضب عليهم، فحوّل الدعوة إلى عامة الناس فاستجابوا.. فكأنّ النبوة التي اختُص بها بنو إسرائيل ولم يرعوا واجباتها ستعطى لعامة أمم الأرض من غيرهم.. وأشار إلى غيرة اليهود واستنكارهم على خالقهم أن يتفضل بنعمة النبوة على غيرهم في مَثَله عن الأجراء الذين بدأوا عملهم من أوقات مختلفة خلال النهار، فلما قُسم الأجر أُعطي الآخرون أجرهم أولاً وبأجرٍ مساوٍ لمن عمل طول النهار.. إذ لم يُظلم الأولون فقد أُعطوا الأجر الذي وُعدوه.. وفضْلُ الله يؤتيه الله من يشاء.. وكان أجراءُ أول النّهار (اليهود) قد أنكروا على مالك العمل (أي على الخالق) أن يُكرم أجراء آخر النهار (أمة الإسلام).. وحذّر من مدّعي النبوة والكذابين من بعده.. وأخبر بأنّ المعبد سيهدم حتى لا يبقى منه حجرٌ على حجر.. وأنّ على الناس أن يصبروا حتى يأتي المُصطَفَون (المختارون) فيقيموا مملكة الله.. وأخبر عن نفسه أنه أُرسل إلى اليهود خاصة، وأن هناك من سيأتي بعده فيصحح عقيدة الناس عن عيسى عليه السلام نفسه وعن الله تعالى ويظلّ (أي وتظل رسالته) مع الناس للأبد.. وقد أغاظ ذلك اليهود عليه فلقبوه بلقب "**بلعام الثاني**" بدعوى أنّه كان يتنبأ لمصلحة غير اليهود.. كما فعل بلعام الأول الذي أوتي علما من الكتاب فأراد به شيئا من الدنيا لمصلحة الوثنيين، ولم يُوفّق.. وبإمكان القاريء أن يراجع هذه الأمثلة وغيرها مُفصّلة بكتابي عن التباشير بالإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم.. فسعى لذلك اليهود كعادتهم لقتله، إذ قد اعتادوا مَن قبله على قتل الأنبياء عند التبشير بالمصطفى خاتم الأنبياء.. وذلك ما أشار إليه كتاب أعمال الرسل (إحدى الرسائل المسيحية المقدسة) 7: 51 مِن قتلِهم الأنبياء عند تبشيرهم بمجيء المصطفى (**فأي نبي نجا من اضطهادهم وقد قتلوا الذين أنبأوا بمجيء البار**..).. والمقصود بالبار هنا المصطفى خاتم الأنبياء، لا عيسى عليه السلام، وإلا فلمَ يقتل اليهودُ أنبياءهم الذين يبشرونهم بالمصطفى نبياً من بني إسرائيل كعيسى عليه السلام.. فكلما جاءَهم الأنبياءُ بما لايهوون من توضيح انتقال النبوة عنهم بظهور المصطفى قتلوهم أو سعوا لذلك.. قال تعالى : **(أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون)**

البقرة 87.

– ملاحظـة: يلاحظ أن حرف J ينطق باللغات اللاتينية عدا الأنجليزية ياءً، فاسم جوسيفس (مؤرخ يهودي سيرد الحديث عنه) هو في الواقع يوسيفس.. وإذا أزلنا حرف س الملحق بالكلمة (علامة الرفع باليونانية) فإن اسم المؤرخ هو في الواقع يوسف.. ومثل ذلك لو أزيل حرف س من آخر اسم Jesus فسينطق إيسى أو عيسى وهو الإسم المعرّب لعيسى عليه السلام..

– تآمر الكاهن الأكبر قيافا Caiaphas على عيسى عليه السلام، ومحاولة صلبه بإذن من الحاكم الروماني بيلاطس Pontius Pilate عام 33م.

التعليق:

– ذلك هو الكاهن المتنبأ به بمخطوطات البحر الميت الذي سيتآمر على المعلم الفريد (يتنبأون بعيسى عليه السلام)، ويُعاقب اليهود بعذاب الإستئصال بعد هذه المؤامرة بأربعين عاما كما ورد بالمخطوطات، وكما وقع فعلا عام 70 م.

جاء في مخطوطات البحر الميت رقعة ضمن تفسير أصحاب المخطوطات لنبوة الزبور (**مزمور 37: 22، 9–12، 29**) بطرد الأمة الملعونة من الأرض المباركة وتوريثها بعد ذلك للأمة المباركة:

" .. *(وبعد قليل فإن الشرير سينتهي، سأنظر إلى موضعه فلا أجده..)* وفُسِّرت أنها تعني كل الأشرار فبعد أربعين سنة سيُدمرون ويُفنون فلا يبقى رجلٌ (شرير) في الأرض بعدها.. ", نقلا عن:

Dead Sea Scrolls, 3rd edition, by G.Vermes, p. 290-1.

..وجاء بالمخطوطات أيضاً تعليقاً لأصحابها على بشارة الزبور : "***" ففيائ جغجك مىقه م مئق نجك سفيذ" لمطنك و لقئمنغلإةجخ."*** هذا يعني كل الأشرار عند نهاية (مدة) الأربعين سنة (وقد ذكروا أنّها من عصر المسيح أو المختار)، فعند انتهائها لن يكون هناك أي شخص شرير بالأرض.." نقلا عن:

The Dead Sea Scrolls, ed. 1996, by Michael Wise et al

.. وجاء كذلك بالمخطوطات مانصه: " وسيكون من يوم الاجتماع بالمعلم الفريد إلى تدمير جميع رجال الحرب الذين أعرضوا مع رجل الكذب حوالي أربعين سنة وعندها سيصب غضب الله الشديد على اسرائيل كما قد ذكر (أي كما قد ذكر في هوشع3:4):

فلا يبقى لهم ملك ولا أمير ولا قاض" نقلا عن:

Dead Sea Scrolls Translated, 2nd edition , by Florentino G. Martinez, p. 46-7

. ولعل القارئ يعلم أن هذه النصوص كتبت وحُفظت قبل عذاب الإستئصال الذي وقع على اليهود عام 70 م، أي بعد أربعين عاما من محاولة صلب المسيح عليه السلام.. وهي واضحة الدلالة في أن طرد اليهود سيتم بعد أربعين عاما من عصر المسيح عليه السلام.. وتوريث فلسطين بعد ذلك للمسلمين..

واضح من هذه النصوص كذلك أن محاولة صلب المسيح عليه السلام كانت سبباً مباشراً في طرد بني إسرائيل واستئصالهم من الأرض المباركة.. قال تعالى: "

– بروز يعقوب (33– 62 م)James ابن خالة المسيح، وقيادة يعقوب للنصارى من بعد المسيح عليه السلام، وقد عرف بالصدّيق Zaddik وبالرجل الصالح، بل استعمل لفظ الصديق للدلالة عليه بدلا عن اسمه (7)، واشتهر بالتقوى والصلاح والالتزام التام بكل حرف من التوراة، وكانت إمامته شاملة لعامة اليهود.. وقد اختص بشرف دخول قدس الأقداس بالبيت (مرة كل عام) من بين كل الكهنة والعلماء اليهود.. وتكرر بالمراجع التاريخية الإشارة إلى طول سجوده "حتي صارت ركبه كركب جمل"...

التعليق:

– تسمّى النصارى أتباع يعقوب باسم المساكين (نفس التسمية التي تبناها أصحاب مخطوطات البحر الميت لأنفسهم).. وقد قاوموا تعاليم بولس واعتبروه في القليل الذي نقل عنهم بـ" العدو" وبـ" الكذاب" أو مدعي النبوة الكذاب.. وحذروا من الانسياق وراء ائمة الضلال..

وليعقوب رسالة تُنسب إليه ضُمت إلى كتب العهد الجديد التي يؤمن بها المسيحيون لم تسلم من التحريف والإدخالات المسيحية إلا أنها تسطع بفكر مناقض تماما لفكر بولس..بما فيها من تشديد على أهمية العمل الصالح " هل ينفع أحداً أن يدّعي أنه مؤمن، وليس له أعمال تثبت ذلك؟ .." (رسالة يعقوب 2: 14) وعلى وجوب اتباع جميع الوصايا الواردة في شريعة موسى.. " وأنّ مَن يُخالف واحدة منها فقط يصير مذنبا تماماً كالذي يُخالف الوصايا كلها" (يعقوب 2: 11).. قال تعالى عن اليهود "..**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض**.." البقرة:85.. مع تشديد يعقوب رحمه الله على التمسك بروح الدّين من الإخلاص لله والصدق ومحبة الآخرين

والصبر على الإبتلاء والتوكل على الربّ والإكثار من الصلاة والخوف بل والبكاء من خشية الله وحده والتناصح والتواضع والحث على مقاومة ابليس والحذر من الغش والحسد وابتغاء غير وجه الله وزلات اللسان والفوضى والنزاع والتحزّب وظلم العمال في أجورهم.. وكلها وصايا منسجمة مع تعاليم التوراة والأنبياء وتعاليم المؤمنين كما جاءت في مخطوطات البحر الميت وإنجيل برنابا ومع روح الإسلام وتعاليمه.. إنّها أمة واحدة.. ودين واحد.. أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره.. هذا وقد نقل الباحث إيسنمان (7) تشكيك إيسوبيوس في أصالة رسالة يعقوب (واضح ان ذلك بسبب شذوذها عن تعاليم بولس)، وإيسوبيوس هو مؤرخ الكنيسة وكاهنها بالقيسرية وصديق الإمبراطور قسطنطين والمسئول الأول عن دوره في نصرة المسيحية المنتسبة إلى بولس على تلك المنتسبة لأتباع المسيح (عليه السلام) اليهود، ولاشك بأن رسالة يعقوب ظلت مشكلة لدي المسيحية المعاصرة فقد نقل إيسنمان كذلك تصريح المجدد الديني! مارتن لوثر بعد أكثر من ألف عام بأنّ المفروض كان عدم الاعتراف برسالة يعقوب وضمها إلى العهد الجديد.. يذكر مؤرخ الكنيسة إيسوبيوس المعاصر لقسطنطين (12) أنّ العشرة الرؤساء لنصارى القدس المتتابعين من بعد يعقوب كانوا يهوداً مختونين يلتزمون بالتوراة وبالسبت وليس لهم مواسم احتفالات إلا تلك المواسم اليهودية، ويتعبدون ويصلون يوميا الصلوات اليهودية.. أولئك هم أتباع عيسى عليه السلام الحقيقيون.. - تدلّ المكانة التي بلغها يعقوب وسط المجتمع اليهودي بمجمله على ظهور أمر النصارى وسط ذلك المجتمع..
- بروز الانحراف العقائدي بين اليهود المستغربين Hellenized Jews الذين تنصروا بعد عيسى عليه السلام وهم من الأهالي اليهود بالمناطق والبلاد خارج القدس الذين امتدت إليهم الدعوة المسيحية بالمهجر، ونشط بينهم بولس، فظهر ستيفن ورُجم بالقدس بالحجارة حتى الموت نتيجة تجاوزاته العقائدية، ثم تمّ التضييق على أتباعه من اليهود المتنصرين المستغربين الذين كانوا ما يزالون بالقدس، مما اضطرهم إلى الهروب من القدس. - تلك بداية ضلال النصارى عن تعاليم المسيح التي جاء بها..
إنشاء الكنائس بمدن فينيقيا وقبرص وانطاكيه التي فرّ إليها اليهود المستغربون المتنصرون،

وانضمام بولس إليهم عام 40 م.
دعوة بولس (46–64 م) لإلغاء التوراة، وشريعة التوراة، والاعتقاد بالمسيح كمخلص، بل كإله أو ابن الإله، واعتبار الإيمان بذلك كاف للنجاة بالآخرة مع إسقاط قيمة العمل الصالح، وإسقاط اختصاص دعوة المسيح عليه السلام باليهود، واقتباس عقائد الأمم الوثنية حول الفداء والصلب والقربان المقدس وجعلها محور الديانة رغم مخالفتها لتعاليم المسيح عليه السلام وتعاليم أتباعه الحقيقيين.. وانتشار دعوة بولس خارج فلسطين لاتفاقها مع روح العقائد الاغريقية الرومانية في ذلك الحين كما يذكر المؤرخون. ثم الانفصام عن النصارى اليهود من اتباع يعقوب.. يُلاحظ خلو رسائل بولس التي تشكل أساس العهد الجديد خلوها التام من الاستشهاد بأقوال المسيح عليه السلام وأمثلته ومواعظه بل ومن الإشارة إلى معجزاته وتفاصيل حياته.. واكتفت بترديد فكر الأمم السابقة حول ابن الله والفداء والصلب ممثلاً هذه المرة في شخصية عيسى عليه السلام بغض النظر عن تعاليمه ورسالته.. يرى مؤرخون أن الاسم الصحيح للمسيحية المعاصرة هو البوليسية Paulinity نسبة إلى بولس المؤسس الحقيقي لها، فهي دعوة غريبة عن عيسى عليه السلام وهو لم يعرفها! ننصح بمراجعة ما كتب عن دور بولس.. ومن ذلك الملحق الخاص الذي كتبته عنه ضمن كتاب التباشير. **التعليق:** – يشبّه الباحث إيسنمان (7) مواقف بولس بمواقف الفريسيين أو الريبيين بقيادة يوحنان بن زاكي من حيث أسلوب المداهنة للأجنبي المحتل.. وأسلوب التأقلم لما يريد المحتل.. وقد كانا متعاصرين.. فالمتتبع لمدرسة بولس يرى كيف تبنت هذا النهج المتلوّن منذ زمن بولس نفسه الذي أعلن ذلك صراحة وتكراراً (على القارئ مراجعة الملحق عن بولس بكتاب التباشير أو ماكتبه الآخرون عنه).. فقد تفاخر كثيرا بجنسيته الرومانية، وأمر الناس بالخضوع للسلطة المحتلة من داخل أنفسهم لا لمجرد الخوف منها، وأنّ السلطة هي خادمة الله، وأنّ من يقاوم السلطة إنما يقاوم ترتيب الله، وقال بأن السلطة لا تحمل السيف عبثا!! وأمر أن يؤدي لها الناس الجزية والضريبة والاحترام والاكرام (الرسالة لأهل روما اصحاح 13: 1– 7).. إنّ هذه

المدرسة المسيحية هي نفسها التي اعتبرت قسطنطين وهو على وثنيته (على الأصح) أنّه هو المسيا أو المصطفى المنتظر الذي بشّر به الأنبياء، تماما كما فعل الفريسيون اليهود مع فيسبيان كما سيأتي معنا، بل فاقت على الفريسيين بأن ألّهت قسطنطين وبأن سمحت له أن يُغيّر العقيدة والدين (دين قديسي العليّ أو دين عباد الله آنذاك على المصطلح الوارد في البشارة الواردة بكتاب دانيال وتحدثت عن قسطنطين (8)) ويُغير الأعياد.. حتى قال مؤرخون معاصرون: " **أنّ مسيحية اليوم مدينة لقسطنطين أكثر مما تدين لعيسى**" عليه السلام (أرجو مراجعة شرح بشارة دانيال بالإصحاح السابع من كتاب التباشير).. إنّ بولس قد تجاوز المداهنة السياسية إلى المداهنة العقدية.. وذلك معلوم من خلال تبنيه هو ومَن جاء بعده لكثير من المعتقدات الوثنية التي أدخلوها بالمسيحية.. وتكفي هنا الإشارة إلى أنّ هنالك العديد من البحوث والكتب قد فصّلت في هذه القضية وأثبتتها، ولا يتسع المجال هنا لسرد شئ منها..

وقد اعتبر النصارى اليهود (أتباع المسيح الحقيقيون) بولس مرتداً، ولقبوه بـ" العدو" وبـ" النبي الكذاب" لإدعائه بتلقي وحي تعاليمه من المسيح عليه السلام مباشرة (وذلك من بعد رفع المسيح)، وهو الذي لم يكن في حياة المسيح عليه السلام من أتباعه..

– أذكر هنا تعليقاً على دور بولس في تغيير دين المسيح عليه السلام بأنّ التاريخ الإسلامي لم يخلو من يهودٍ وغيرهم يتلبسون بالإسلام لتشتيت ابنائه والتشويش عليهم، وإدخال أفكار وعقائد أجنبية إليه.. قال تعالى عن خطّة بلبلة المسلمين هذه أيام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : "**وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أُنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون، ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم..**" آل عمران 72–73.. كتب الزمخشري بتفسيره " الكشاف" حول تواصي اليهود فيما بينهم لبلبلة المؤمنين: " والمعنى أظهروا الايمان بما أُنزل على المسلمين في اول النهار واكفروا به في آخره لعلهم – أي المسلمون– يشكون في دينهم ويقولون ما رجعوا وهم اهل كتاب وعلم إلا لأمر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم" .. وهكذا ظهرت على سبيل المثال أسماء كعبدالله بن سبأ وميمون بن قداح اليهوديان بالماضي، وزعماء القاديانية والبهائية وأعضاء جمعية الإتحاد والترقي اليهود المتخفين بالإسلام الذين أطاحوا بالخلافة الإسلامية بالعصور المتأخرة.. ومازلنا نطّلع كل حين على محاولات تحريف القرآن ونشر إسلام مشوه كل ذلك لبلبلة المسلمين وصدّ غيرهم عنه..

- أمر الإمبراطور الروماني جايس كاليقولا (37-41 م) عام 41 م بنصب تمثال له بالمدن اليهودية وببيت الله (المعبد بالقدس)، وخروج عشرات الآلاف من اليهود لمنع هذا الأمر، وكتابة القائد الروماني بيترونيس له باستحالة إجراء أمره هذا إلا على أعناق اليهود، وإصراره على هذا الأمر بأي ثمن، ولكنّ الله عزوجلّ أفشل مشروع الامبراطور باغتياله بروما، وبلوغ خبر إغتياله قبل خبر إصراره على إقامة تمثاله وسط الهيكل بالقدس.

كان كاليقولا قد وضع اقريباس Herod Agrippa1 ملكا على ما كان يسمى باليهودية، ولكن اقريباس ترك ملكه وسافر إلى روما ليقنع الإمبراطور بالتخلي عن فكرة بناء معبد له بالمدن اليهودية، وهي الفكرة التي تطورت إلى بناء نصب له ببيت الله بأورشليم .. ومع اغتيال كاليقولا انتهى المشروع، وانتقل الحكم إلى الامبراطور كلوديوس Claudius الذي ربطته كذلك باقريباس صداقة قديمة، فثبته على ملكه بل وضم إلى مملكته مناطق جديدة، وقد توجه بعدها أقريباس لتطبيق الشريعة، وحكم الناس بعطف وتواضع، وخفف عنهم الضرائب، والتزم في نفسه بالشعائر الدينية في الأعياد والمناسبات، وأحبه الكثير خاصة أنّه من نسل الحشمونيين من جهة الأم، وسعى لعزل مناطقه عن الرومان الغلاظ، مما أثار غيرة وتخوف الرومان منه، وقام بتقوية سور أورشليم وحصونها الأمر الذي أوقفه عنه الرومان، ولكنه إرضاءً لليهود اضطهد النصارى، ولعل له في بعض الروايات دور رئيس في قتل زعيمهم يعقوب الرجل الصالح.. وكانت وفاة أقريباس بالقيصرية عام 44 م مفاجئةً وغير متوقعة وأحزنت قومه لكنها أفرحت النصارى.

التعليق:

.. ما أغنى عن إقريباس ولا عن قومه اليهود تطبيقهم للشريعة وحرصهم عليها مع الكفر بأنبياء الله المتأخرين إليهم كيحي وعيسى عليهما السلام.. بل وقتل أتباعهم من بعدهم بما فيهم إمامهم يعقوب الصدِّيق الذي قُتل زمن أقريباس نفسه.. فأنّى تمنع هذه العودة المنقوصة للدين من وقوع عقاب الله الموعود الذي وقع بعد ذلك في عام 70م..

ولو أنّ يهود اليومَ صلحوا لدرجة تطبيقهم لشريعة التوراة بإخلاص كإخلاصهم في عصر أقريباس لما أغنى عنهم ذلك من الله شيئاً ماداموا يكفرون بنبييه عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام..

إنّ تطبيق شريعة التوراة والمحافظة عليها مع الكفر بأنبياء الله أصبح - والله أعلم- جزءا

من المحافظة على العادات والتقاليد، محافظةً بذلك على الهوية القومية والإرتباط الوطني.. وشتان بين من يتمسك بالكتاب والشريعة إرضاء لله وبين من يتمسك بها حرصا على الماضي والتاريخ..

– إن القيام ببعض الإصلاح في النفس (للفرد) أو المجتمع (على مستوى الأمة) والإصرار على عصيان الله بأمور قد أُعلن على القيام بها عذابُ الله تعالى (تم تفصيل هذا الوعد في مواضع متفرقة من هذا الكتاب وملاحقه وفي كتابي عن التباشير).. إنّ هذا الإصلاح منقوصٌ ولا يردّ عذاب الله الموعود.. ذلك ما وقع على بني إسرائيل رغم ظهور ملوكٍ كأقريباس هذا أعادوا الناس إلى شريعة الآباء والأجداد! .. ورغم مواقفهم البطولية المتأخرة في مقاومة الرومان.. يريدون أن يُغيروا وعد الله وعذابه الذي أنذرهم به الأنبياء عليهم السلام فما صرفه عنهم العودة إلى الدين على غير الطريق الذي اختاره لهم أنبياؤهم..

.. إنّ مما يستحق التعليق عليه في أمتنا هو التساؤل بـ : كم ياتُرى في تاريخنا وواقعنا من محاولات إصلاح منقوصة إو قائمة على مخالفات شرعية كتفريق الدين والأمة.. كم من هذه المحاولات الاصلاحية ينتهي إلى التبخر أو الهلاك بسبب هذه المخالفات..؟ نسأل الله عزوجل رحمته وعفوه..

وكذلك أمر تمييع الدين وطمأنة الأفراد من غيرهم ومن أنفسهم لأنفسهم أنّه طالما كانت أنفسهم محبة للخير وبها إيمان بالله فهم إلى خير.. أوَ ليس الله عزوجلّ هو الغفور الرحيم.. إنّهم على ثقة بأنّ الله راض عنهم.. ومنهم من يتخيل أحاديث النفس وحياً من الله إليه.. ويزعم أنّ الله أوحى إليه.. وقد وجدتُ أكثر هؤلاء المخرِّفين مسيحيين.. بل منهم دعاةً وزعماء .. ولعل القراء يذكرون دعوى الوحي من قبل سواجارت التي عرّض بها ديدات في مناظرة مشهورة بينهما.. وقد سمعنا هذه الدعوى كذلك من كثير من المسلمين..

يرى هؤلاء لأنفسهم الحقّ أن يُكوِّنوا أو يُؤلفوا لأنفسهم العقيدة التي يستحسنونها، ولو كانت خاصة بهم لايشاركهم بها أحد.. وأن يعبدوا الله بالطريقة التي يختارونها.. أوَليس الله واسع الرحمة..؟

لم يعلم هؤلاء أنّ هذه هي نفسها دعوى اليهود التي أهلكتهم.. وهي كذلك دعوى الكفار على مرّ الزمان.. أوَ لم يزعم الكافر صاحب الجنتين بسورة الكهف أنّه حتى لو كانت هناك قيامة

وبعث فإن الله سيُكرمه في الآخرة كما أكرمه في الدنيا..   إننا نرى هاهنا بالتاريخ اليهودي محاولات لعبادة الله وتطبيق شريعة كان قد أنزلها.. لم تُقبل ولم تُنقِذ أصحابها من عقاب الله لأنّها حملت في طياتها الكفر بالأنبياء المتأخرين مع رفض الإرادة الإلهية باصطفاء أمّة بديلة معروض عليهم أن يكونوا جزءاً منها.. فكيف يطمع هؤلاء المخرِّفون من كفار هذا الزمان ممّن يفتري على الله في نفسه أو بين الناس فيخرج بخلط جديد وبدين ما أنزل الله به من سلطان.. كيف يطمع مثل هؤلاء بالنجاة.. وهم قد رفضوا اتباع الأنبياء والخضوع لإرادة الله عزوجلّ.. أوَ ليس الله شديد العقاب لمن يستهزئ بدينه ورسله..
- ظهور أنبياء كذبة كثيوداس وآخرين في الفترة بين 35- 59 م   حذر منهم المسيح عليه السلام فيما روته الأناجيل المعاصرة..
محاكمة بولس من قبل نصارى القدس عام 58 م، وانتهاء الأمر باعتقال بولس الذي احتمى بجنسيته الرومانية مما استدعى إرساله إلى روما.   بولس كان النبي الكذاب في نظر نصارى القدس كما ثبت ذلك عنهم في الكتابات البسيطة التي نقلت عنهم أو تحدثت عنهم.
قتل " الرجل الصالح" الصديق يعقوب برميه من عل، بأمر من الكاهن الأكبر رغم معارضة عدد كبير من الفريسيين واستشهاد ثمانين فريسيا معه عام 62 م   - تذكر مراجع تاريخية مسيحية خوف مجموعة من اليهود وكهنة البيت (من الفريسيين والكتبة) من انتشار الإيمان بين اليهود بعيسى عليه السلام بأنه المسيح المنتظر، إذ جاءوا يعقوب يتضرعون إليه ويترجونه قائلين:" كل النّاس يطيعونك، لأننّا وكل الناس نشهد بأنّك الصدّيق .. ونحن والناس نثق بك ونطيعك، فاصعدْ على الجناح (مكان مرتفع داخل المعبد)، حتى يراكَ الناس.." (7) فلما صعد دفعوه، وأصيب بكسور، ثم يُقال بعد ذلك (وربما في مناسبة أخرى) أنّه رُجم واستشهد معه ثمانون..   **التعليق:**   - انفرد يعقوب عليه السلام في زمانه بدخول أقدس بقعة وسط بيت الله (الهيكل) والمسماة بقدس الأقداس Holy of Holies وهو المكان الذي كان يوضع به التابوت، ولا يُدخل إليه للصلاة والدعاء إلا مرة واحدة بالسنة (بيوم كيبر Yom Kippur).. وفي هذا دلالة على

ظهور أمر النصارى بين عامة اليهود، وأن النصارى من أتباع عيسى ويعقوب عليهما السلام المعروفون تاريخياً باسم النصارى أو الناصريين أو الأيبيونيت Ebionite or Nasorean الذين أشرنا إليهم من قبل لم يكونوا متميزين عن اليهود في معابدهم أو أعيادهم بالقرن الأول بعد المسيح عليه السلام..

هذه القصة تُلقي ظلالا على ظهور أتباع المسيح عيسى عليه السلام بين اليهود، وهو ما تحدثت عنه المصادر التاريخية المتعددة، قال تعالى: " .. **فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين**" الصف: 14.. وتؤكد قصة يعقوب رحمه الله هذا الظهور بما تُوضحه من سيادة يعقوب على كل المجتمع اليهودي ثم للواحد منّا أن يعجب بعد ذلك كيف يُقتل مع تلك المكانة بهذه السهولة! ومن قبلها كانت حادثة قتل يحي عليه السلام رغم كثرة أتباعه حتى خشيه هيرودس على حكمه، و كذلك عملية صلب مَن ظنّوه عيسى عليه السلام رغم التفاف الناس حول عيسى عليه السلام.. كل هذه الحوادث تدل على هوان الرعاع والعامّة.. وأنّ من الخطأ ركون الدعاة إلى نصرتهم.. فهم كغثاء السيل يذوب أمام هيبة السلطان، ويتبخر إذا زاد عليه الحرّ.. وتَحمَّل المجتمع اليهودي كلّه ذنب قتل الأنبياء، ودفع ثمن هذا التخلي السريع عن الأنبياء كأبهظ ما يكون الثمن.. لقد جاءت الآثار بالرسائل وبمخطوطات البحر الميت (التي سبقت ظهور المسيح عليه السلام) لتنص على أنّ عقوبة استئصال اليهود من فلسطين عام 70 ثم 135 م كانت بسبب قتل يعقوب أو عيسى أو كلاهما أو لقتلهم يحي عليهم السلام جميعاً (استعرضت بعض هذه الآثار بكتابي عن التباشير).. وقد جاء بالحديث النبوي ما يؤيد هذا المعنى..

دفع اليهود ثمن قتل أنبيائهم مع أنّ القتلة كانوا على الدوام هم فقط الحكام والمؤسسة الكهنوتية الرسمية.. وتلك حكمة الله عزوجل إذا أراد لقرية الهلاك (حين تستحقه) أمّر مترفيها ففسدوا فيها، وتخاذل الناس عن ردعهم عن إفسادهم، فحقّ على أهل القرى كلهم العذاب.. نسأل الله اللطف والعفو والعافية..

– قتلَ اليهودُ يعقوبَ رغم مكانته العظمى بينهم، قتلوه زمن حاكمهم المتدين أقريباس (تماماً كما قتلوا نبي الله يحي عليه السلام زمن حاكمهم الحريص على الشريعة أنتيباس!) وهم كذلك على مرّ العصور ولو كان يعقوب نبياً لما امتنعوا عن قتله! وها نحن نشهد بأنّهم بقتلهم يعقوب

أثبتوا أنهم ما تابوا بعد ما صنعوا بآخر ثلاثة أنبياء إليهم: زكريا ويحي وعيسى..
- يُلاحظ في أحداث قتل الأنبياء بما فيها محاولة قتل المسيح عليه السلام، أنّ الكهانة الرسمية والقتلة المتسلطين لم يُحاولوا قتل أحدٍ من أتباع هؤلاء الأنبياء ولا مطاردتهم.. وحتى أتباع المسيح عليه السلام لم يثبت حدوث مطاردةٍ لهم مباشرةً بعد عملية الصلب.. والذي قتلوه (ستيفن) بعد الصلب بفترة، قتلوه لمجاهرته بأفكار بولس المرفوضه من قبل المجتمع الموحد.. وموقف الكهانة الرسمية هذا من أتباع الأنبياء غريب.. لكنّها فيما يبدو ركنت - وكانت على حق!- إلى غثائية الأتباع وذوبانهم التلقائي بالمجتمع الإسرائيلي من بعد ذهاب المرسلين.. وهو ما تكرر عبر القرون.. وعلى القارئ ألا يستغرب وقوع البلاء بعد ذلك شاملاً للجميع في كثير من الأحيان..

انتقال زعامة النصارى اليهود لسيمون ابن خالة المسيح عليه السلام، وخروجه بهم إلى الصحراء الأردنية تحسبا لقرب هلاك اليهود بالقدس، امتثالاً لأوامر المسيح بالهروب من المدينة.

وبذلك أنقذ اللهُ المؤمنين بطاعتهم لأنبيائه، كما أُنقذ الأنبياءُ كهود ولوط وشعيب وإرميا (حسب مخطوطة مراثي إرميا) عليهم السلام وأتباعهم من قبلُ بأمرهم بالخروج من المدن التي سينزل عليها البلاء الشديد قبيل وقوعه، ليتمّ بعد إنقاذ المؤمنين استئصال الأشرار من الأرض المباركة (وهم هنا بقية اليهود الذين كفروا بعيسى عليه السلام كما تمّ تسميتهم كذلك بالزبور والكتب الأولى، أنصح بمراجعة تفاصيل ذلك في بشارة الزبور من كتابي عن البشارات).. قال تعالى: " **ثمّ نُنجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا نُنجِ المؤمنين**" يونس: 103.

سيرد الأمر بمغادرة القدس قبيل حصارها على ما روته الأناجيل بالملحق الخاص بـ" العذاب الشديد".

_ يلاحظ أنّه لم يكن هنالك على ظهر الأرض مَن هم أصلح ولا أصوب من النصارى أتباع عيسى عليه السلام الحقيقيين.. وقد كانوا فئةً لا بأس بها عددا.. ولم يتأثروا بضلالات بولس.. بل حاربوه واعتبروه - كما هو ثابت- دجالاً وعدواً للمسيح.. ومع هذا فلم يُوعدوا بالنصر على الرومان الوثنيين، بل لم يُؤذن لهم بقتالهم، وإنما أُمروا بالهرب من وجه الروم.. ولو خالف ذلك أتباع المسيح هؤلاء وتحمسوا مع بقية قومهم اليهود لقتال الرومان الكفار، واغتروا ببشائر

النصـر التـي نسـجتها رؤى وأحـلام الكهنـة لمـا نصـرهم الله.. بـل لأسـلمهم كبقيـة اليهـود للـروم يُقتلونـهم..

والسؤال: لماذا لم يُعطَ أتباع المسيح الأوائل (وهم مِن أهل الجنة بنصِّ القرآن الكريم) خيارَ القتال والوعد بالنصر؟ ولعلّ الإجابة كامنة في تقدير العقوبة المسبق على بني إسرائيل.. ذلك التقدير الذي لم يكن ليردّه سوى إيمانهم (عامّة) بعيسى عليه السلام لو آمنوا.. فقد أُرسل كآخر فرصة لهم لتفادي العذاب.. فما آمن به إلا طائفةٌ، وما كان ليرد قدرَ الله على بني إسرائيل بالعذاب إيمانُ طائفة محدودة منهم.. والله أعلم..

..ومن جانب آخر فأنّ نصر النصارى (لو أُذن لهم بالقتال) وهم جزء لم يتميّز عن الأمة اليهودية كان سيكون نصراً لليهود.. وما كان اليهود ليستحقوا نصرالله وهم قتلة أنبيائه والمعطلين لشريعته.. فكانت الحكمة بأمر أتباع المسيح بتفادي المواجهة والصبر حتى يأتي المصطَفون (وهم قطعاً المسلمون) كما نصت على ذلك الأناجيل المعاصرة (يُراجع كتاب البشارات).. وكما وقع بعد ذلك تاريخيا..

..ومن هنا فما علينا أنّ نستغرب في تاريخنا غياب النصر أحياناً عن فئاتٍ مؤمنة مخلصة اختارت قتال الكفار.. لكنّها لا تكاد تُذكر في تعدادها قياساً إلى بقية الأمة المفرّطة بدينها والتي لا تستحق من الله إلا إذلالها.. إنّ تلك الفئات كثيراً ما تُصطفى للشهادة والابتلاء، ولا تُنصر على عدوّها بسبب عصيان الأمة وتفريطها.. إنّها تُهزم بالدنيا (لكنّها تفوز بالآخرة على أي حال) بسبب عصيان عامة الأمة.. ذلك قدر بعض الفئات المؤمنة عبر عصور انحطاط الأمة وهو يشبه قدر أتباع المسيح عليه السلام من بعده بسبب قومهم.. هذا مع افتراض غياب الأسباب الأخرى لفقدان نصر الله تعالى للمؤمنين من وجود الاختلاف والتشتت بين المجاهدين إلى حبّ الدنيا والطمع بها إلى عصيان الله ورسوله.. وفي كل ذلك فللّه الحكمة البالغة..

الحدث:

"**..فأمّا الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة**" آل عمران: 56

.. ثار اليهود على القائد الروماني Gessius Florus وعلى الحُكم الروماني في الفترة بين عامي 64 – 66 م توقعاً منهم بقرب زوال وانهيار الحكم الروماني.. وذلك فهم له جذوره من النبوات المتعلقه بقيام مملكة الله من بعد دولة الروم.. ورداً على هذا التمرد قامت القيادة

الرومانية عام 67 م بتعيين فسبيان Vespian الذي قضى على مجموعة من جيوب المقاومة حتى عام 70 م، حين عُيِّن هو نفسه امبراطوراً، فاستخلف ابنه تيطس Titus الذي ضرب الحصار على أورشليم في فبراير عام 70م بشكل مفاجيء في وقت اجتمع بالقدس أثناءه عدة ملايين من اليهود جاءوا للاحتفال بعيد العبور Passover، وضرب الروم الحصار على القدس وهي مكتظة بالملايين التي قدمتها للإحتفال بالعيد1).. وامتد الحصار وطال.. وجاع الناس.. وهلكوا.. وتساقطوا أمواتاً.. حتى عجزوا عن دفن بعضهم البعض.. فقد بلغ الوهن بهم أن يتساقطوا موتى اثناء الدفن.. وملئت البيوت بالجثث.. وأخرج الكثير منها من ابواب المدينة.. وقد ذكر جوسيفس Josephus (يوسف بن هارون) في كتابه: الثورة اليهودية الكبرى: (وهو مؤرخٌ يهودي عاش أحداث الحصار) أنّ الوديان المحيطة بأورشليم امتلأت بالجثث، وأنّ تيطس – على حد ما كتبه المؤرخ جوسيفياس وقد كان عميلاً للرومان وقت الكتابة– لمّا رآها في إحدى جولاته حول المدينة رفع يديه الى السماء يعلن أنّه لم يكن يخطط لمثل هذا، وأنّ عدد جثث الموتى التي أحصاها أحدُ الجنود الرومان أُخرجت من الباب الذي كان يراقبه – بأمر القائد الروماني – أن عدد هذه الجثث بلغ مائة وخمسة عشر ألفاً وثمانمائة وثمانون جثة أخرجت من المدينة من باب هذا الجندي في الفترة من نيسان الى تموز عام 70م... وأحصى الرومان ما يزيد على ستمائة ألف جثة أخرجت من أبواب المدينة مجتمعة.. كلهم ماتوا جوعاً، وهم غير من هلك جوعاً داخل المدينة ولم تُخرج جثثهم.. وامتلأت بهم البيوت.. فقد كانوا يكوِّمون الجثث داخل البيوت الكبيرة حتى تمتلئ فيغلقون عليها الأبواب.. ويكوِّمونها في أكوام بل وجبال من الجثث داخل المدينة وأمام أبوابها..

واشتد الضعف والهلاك بالناس حتى كانوا يتساقطون موتى وهم يحاولون دفن موتاهم.. بل منهم من لبس أكفانه قبل موته استعدادا للموت المشاهد كما يذكر جوسيفس، وانقطع عن الناس النحيب على الأموات أو الحداد عليهم، إنهم كانوا ينظرون إلى موتاهم بعيون جافة وأفواه فاغرة يرونهم ارتاحوا قبلهم كما وصفهم جوسيفاس، وأشتد الوضع على الناس حتى أكلوا من الزبائل والمجاري وفضلات الحيوانات.. بل أكلوا الأموات .. واستمرت الحرب ودخل الروم أخيراً المدينة والهيكل.. وقذفوا الهيكل ودمّروه بالحجارة وكرات النار حتى اشتعل البيت المقدس في حريق شامل كبير، شمل الجبل الذي عليه الهيكل كله، حتى حسبه كل من رأه حريقاً شاملاً للمدينة

كلها.. وأصيب اليهود باليأس والخذلان لما رأوا البيت محترقاً.. وذبح الروم كل من وقعت أيديهم عليه، دون تمييز لأطفال أو مسنين أو نساء كما نقل جوسيفاس، حتى تغطت الأرض تماماً بالجثث، ومشى الناس والجنود على أكوام الجثث، وكان المذبوحين أكثر عدداً ممّن ذبحهم .. وقتل الروم –كما يحصي الكاتب اليهودي– مليوناً ومائة ألف (من غير الذين ماتوا جوعا وحرقاً)، وأسروا سبعة وتسعين ألفا أكثرهم من غير أهل القدس كانوا قد قدموها للإحتفال بالعيد بها.. وأخذوا كل من تجاوز السابعة عشر عبداً للعمل بالمناجم أو ليتسلى عليه الروم في مسارحهم وهو يصارع بشراً أو وحوشاً حتى الموت (8).. لقد أُهلك الآلاف قُدّموا للأسود في احتفالات النصر التي تمت بقيسرية وبيروت وروما.. وأحرق الروم الهيكل ودمّروه تماماً حتى ما ترك منه "حجر على حجر " غير جانب من جدار.. ودمرت المدينة تماماً غير بيوت محدودة في أحد جوانبها..

التعليق والتفصيل:

" .. **إنّ بني إسرائيل أمة غبية لا بصيرة فيها، لو عقلوا لفطنوا لمآلهم وتأمّلوا في مصيرهم**" التثنية 32: 28

– استمرت الثورة اليهودية بين عامي 66– 73 م، وتمّ هدم المعبد ومدينة القدس في منتصف تلك الفترة (أي عام 70 م)، وتم القضاء على آخر معقل لليهود في مسعدة Masada عام 73 م (فهي فترة سبع سنوات كان هدم البيت وانقطاع العبادة به بمنتصفها كما جاءت بذلك نبؤات الكتاب المقدس، وقد فصلتها بكتاب التباشير).

_ ورد التحذير المتكرر لليهود من عقاب الله الشديد في مواضع كثيرة بالتوراة، وبتفصيل عجيب لما وقع بالفعل من مجاعات وقتل شامل عامي 70 و135 م.. أوردت نماذج منها بالملحق الأول والثاني بعد هذا الإستعراض التاريخي.. إنه في الواقع كعذاب عام 586 ق م الذي وقع على أيدي البابليين كان مسبوقاً بالنذر (إرميا ويحي وعيسى وأتباعهم) الذين وصفوه بشكل دقيق، لكنّ القوم آثروا الاتكال على أكاذيب الدجالين ومدعي النبوة فهلكوا معهم..

وجاء بالقرآن الكريم الخبر والوعد لعيسى عليه السلام بأنّ الله عزوجلّ سيُعذّب الذين كفروا به من قومه.. وسيجعل أتباعه فوقهم إلى يوم القيامة.. قال تعالى: "..**إذ قال الله ياعيسى إني مُتوفيك ورافعك إليّ ومُطهرك من الذين كفروا إلى يوم القيامة، ثمّ إلي مرجعكم فأحكم بينكم**

فيما كنتم فيه تختلفون. <u>فأمّا الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة، وما لهم من ناصرين</u>. وأمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيُوفيهم أجورهم، والله لا يُحبّ الظالمين.."آل عمران: 55– 57.. وفي الواقع فإنّ التحذير من العذاب الشديد قد ورد بالقرآن والتوراة على لسان موسى عليه السلام منذ ولادة المجتمع الإسرائيلي.. وقد سبق إيراد شواهد على ذلك من التوراة عند الحديث على التهديد بلعن بني إسرائيل وطردهم وعند الحديث عن أخذ العهد المغلظ عليهم.. قال تعالى عن بني إسرائيل بعد أن ذكّرهم موسى عليه السلام بنعم الله عليهم : " **وإذ تأذّن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم، ولئن كفرتم إنّ <u>عذابي لشديد</u>، وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإنّ الله لغني حميد**" إبراهيم: 8،7..

.. ذلك (عذاب عام 70 م) هو بلا شك العذاب الشديد الذي توعّد الله به بني إسرائيل على ألسنة أنبيائهم على مرّ العصور.. وقد وقع تماماً كما أخبرهم به أنبياؤهم، وما كان لهم من ناصرين..

– العبرة من تاريخ بني اسرائيل المليء بالمعاصي المتكررة والانابة المتكررة المنقوصة ورحمة الله عزوجل المتتابعة ثمّ عقابه الشديد.. <u>تتجاوز الأمم وتاريخها إلى الأفراد وحياتهم الشخصية</u>، فإنّ الله عزوجل قد كتب آجالا للأمم والأفراد **(لكل أمة أجل، إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)** يونس: 49، وحياة الأمم كحياة الأفراد كما يرى ذلك باحثون كابن خلدون وغيره.. ومن هنا فكلنا كأفراد قد غُمرنا بفضل الله ورعايته، واستجاباته عزّ وجلّ المتكررة لدعاء كلّ واحد منّا وتلبيته تعالى لإلحاحاته وحاجاته، وكلنا قصّر بعد ذلك على درجات متفاوته.. والذين بلغوا حد الجحود قد يأتيهم من عذاب الدنيا والآخرة ما يفوق ذلك الذي أصاب بني اسرائيل.. ولا تنفع التوبة عند بلوغ الآجال..

.. وأحرق الروم الهيكل ودمّروه تماماً حتى ما تُرك منه "حجر على حجر ".. وذلك ما حذّر من وقوعه الأنبياءُ.. ولم يحمِ الهيكل وهو بيت الله الذي بناه الأنبياء وصلّوا فيه عبر القرون لم ينفع اللاجئون إليه والمحتمون بأركانه ولم يحميهم من القتل والذبح (18).. ذلك ما حذّر تماماً من وقوعه الأنبياءُ عقاباً ربانياً شاملاً لا يردُّه شئ..

– ذكر المؤرخ اليهودي قصة أمٍّ طبخت ابنها وأكلت نصفه وقدمت نصفه لغيرها.. وذكر جوسيفس مثلاً آخر من شدة البلاء الذي وقع على اليهود أن الذين تمكنوا من الهرب، كانوا

يأتون الأعرابَ والسوريين (يقصد من غير الجيش الروماني) متضرعين فيُبقروا هؤلاء الأعراب بطونَهم بحثاً عن الذهب، فقد اكتشف هؤلاء أنّ اليهود كانوا يبلعون قطع ذهبهم قبل هروبهم ليهربوها معهم، وذكر الكاتب أنّ ألفين من هؤلاء الهاربين بُقرت بطونهم في ليلة واحدة بحثاًعن الذهب.. ويعلّق جوسيفاس أنّ الأمر في الواقع – أو في حقيقته – إنما هو أنّ الله قد مقت هذه الأمة كلها، وقلب كل صنيع وحيلة تقوم بها لإنقاذ نفسها هلاكاً ووبالاً عليها كما هو الحال في محاولة تهريب الذهب هذه..

– وقد حُرم على اليهود في البداية الاقامة بأورشليم.. والتمس المسيحيون غيرُ اليهود الإذن، فأُذن لهم.. ولم يكون الرومان حينها يُميزونهم عن اليهود، ثم سمح لعدد متزايد من الأسر اليهودية بالعودة إلى القدس.. ولكنّ اليهود افتقدوا المعبد ودوره الديني والإجتماعي الى الأبد.. وعدّلوا في دينهم ليتعايشوا مع دنيا جديدة ليس بها أضاحٍ ولا رئيس كهنة ولا معبدٍ جامع..

قد لا يتخيل القاريء شدة هذه العقوبة والمصيبة على اليهود.. إلا إذا أدرك أنّه إضافة إلى إنقطاع الوحي والنبوة عنهم انقطاعاً تاماً من بعد هدم المعبد بأورشليم، وإحلال اللعنة والغضب والذلة والمسكنة الموعودين بها كما جاء بالتوراة وكتب الأنبياء والقرآن، بحيث لا يُتقبل منهم دين إلا بالإيمان بالأنبياء عيسى ومحمد عليهما السلام واتباعهما. وهو ما يُدركه علماؤهم مهما جادلوا. فإنّ الحدث عام 70 م قد اشتمل على المحو الأبدي لمعبدهم الوحيد الذي كان يدور عليه دينهم ووجودهم، واشتمل على الابادة المباشرة بقتل ما قد يصل إلى نصف تعدادهم.. إنّ الذي يُقابل ذلك لدى المسلمين هو نسخ الإسلام بدين رباني جديد، ومحو الكعبة والحرم، وإبادة نصف المسلمين وتهجير الباقين رعايا أذلة بين الأمم، وإعلان اللعنة والغضب الإلهي – معاذ الله– من خلال وحي سابق مُنذِر بالقرآن (كما تمّ لليهود من خلال التوراة وملحقاتها) ثمّ يُؤكَّد ذلك من خلال وحي لاحقٍ من بعد عذاب الإستئصال هذا.. إنّها كانت ستكون عقوبة استئصال بحقٍ لو وقعت.. عقوبة فوق كل خيال، لكنّ تلك التي وقعت فعلا على اليهود كانت أشد حتى من هذه المفترضة على المسلمين.. فإنّ هذا الدين قام ليُطبق بأي مكان، وانتشرت المساجد في كل مكان، ولا يُشكل الحرم بمكة من شعائر الإسلام وحياة المسلم إلا نزرا يسيرا جدا ممّا كان يشكله المعبد بأورشليم لليهود.. إنّها في الواقع هي عقوبة الاستئصال كما اعتبرها الكتاب المقدس في مواضع كثيرة مهدداً بها اليهود لعلهم يتوبوا وينوبوا إلى الله عزوجل..

وبهذا التخيل الافتراضي يُدرك المرء المسلم هوان وضآلة ما أصاب المسلمين من بلايا ومصائب نتيجة تعطيلهم لدينهم وشريعة ربّهم ومجاهرة الكثير بينهم بالردّة والكفر.. إنّ من رحمة الله على هذه الأمة أنها قد أُمّنت من زمن نبيها عليه الصلاة والسلام من عقوبة الاستئصال، ولم تُهدَّد بنزع النبوة منها إلى أمة أخرى من بعدها كما هُدّد بذلك بني إسرائيل.. على المسلمين أن يستشعروا فضل الله عليهم، وإنّما يصيبهم ليس إلا نزراً يسيراً ممّا أصاب من قبلهم لعلهم يرجعون.. والأمة موعودة بالفتح والنصر من بعد عصور الهوان الحالية..

ومع هذا فالتهديد بعقاب الله تعالى للأمة على أيدي أعدائها عند تعطيلها لشريعة ربّها وتماديها في المعاصي هو كذلك ثابتٌ في حق الأمة المسلمة.. وهو ما نعايشه اليوم.. ولقد أصابَ المسلمين بالأندلس ما أصاب اليهودَ من قبلهم بفلسطين وأشدّ.. فلما عَطّل المسلمون الشريعة، وانغمسوا في الترف واللهو، واختلفوا فتقاتلوا بينهم مخالفين أمر ربّهم، وركنوا إلى الكفار فاستعانوا بهم على بعضهم، ذبحهم أعداؤهم ذبح النعاج، وطُردوا من ديارهم كما طُرد بنوإسرائيل من ديارهم.. بل وقع عليهم وعلى مَن بقي مِن أبنائهم مِن بعدهم بالأندلس من العذاب مالم يقع مثلُه على بني إسرائيل بفلسطين.. يا أسفاه! ويا حسرة المسلمين على الأندلس ومجدها.. ما زلنا نكررها بمرارةٍ عبر القرون مع أننا لم نعش لا مجد الأندلس ولا آلامها.. "يأسفاه على الأندلس" كم قالتها أجيال المسلمين التي نجت من الذبح ولم تستطع الفرار.. كم قالتها وهي تصلى العذاب والاضطهاد.. كم قالتها وهي تسمع كل يوم بالإخوان والأخوات يختفون بلا رجعة في غياهب "محاكم التفتيش".. وهي ترى أبناءها يُعلّمون النصرانية ولا تجرؤ أن تدعوهم إلى الإسلام.. واحسرتاه على أيامٍ كنا نعلوا بأصواتنا مؤذنين ومسبِّحين.. فلا نسمع اليوم إلا نواقيس الضلال.. إنّه الذنب استحقه الآباء الذين لم يزدجروا بالكتاب ولا بالسنة.. إنّه العمى والانحطاط الذي أصروا على البقاء فيه ولم يأخذوا عبرةً بما وقع على مدن المسلمين التي ذبحها الصليبيون قبلهم بالأندلس متتاليةً.. لقد دُفع الثمن غالياً.. دفعه الأولون واللاحقون من بعدهم حتى لم يعد بالأندلس لاحقون.. ما أشبه الأندلس علينا بفلسطين على بني إسرائيل.. تحسرت عليها أجيالُهم وبكتها عبر مئات بل آلاف السنين الماضية.. ذلك لانحطاط الآباء وإصرارهم الغبي والغريب (كما رأينا) على العصيان.. ودفع المسلمون بالأندلس (وغير الأندلس) ثمناً مشابها لانحطاط مشابه.. ولولا رحمةٌ من الله بأجيال بني إسرائيل اللاحقة بظهور الإسلام (مملكة الله).. تلك

الرحمة التي زفّ بُشراها وأعلنها لهم أنبياؤهم المتأخرون بالذات وكان التبشير بها غاية بعثتهم وهدف إرسالهم (يُراجع الحديث عن عيسى عليه السلام أعلاه)، ومزجوا بها خبرَهم الأليم لأقوامهم من بني إسرائيل بأنّ غضب الله تعالى واقع لا محالة على قومهم، وأنّ هدم المعبد والطرد والتشريد خارج الأرض المباركة أصبح أمراً محتوماً وعقوبة نازلة لا تُردّ.. لولا هذه الرحمة من الله تعالى بالأجيال اللاحقة من بني إسرائيل لانسدت أمامها السبل وما بقي لها من طريق إلى رضا الله عزوجل والجنة.. ولولا رحمة الله لأجيال الأندلسيين ببقاء ديار المسلمين حولهم يهاجرون إليها فارين بدينهم لما كان لأحدٍ منهم من مخرج.. إن الله للطيف بعباده وله الحكمة العليا..

جاء في سنن أبي داود (وعلى نحوه روى كذلك البيهقي وأبي يعلي ومسند الشاميين والمعجم الكبير) عن بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم".. وجاء في سنن أبي داود كذلك عن ثوبان رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفنّ الله في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت" وقد روي الحديث كذلك في مسند أحمد والطيالسي وعدد آخر من كتب الحديث.. وهناك عدد غير محدود من الأحاديث الواعدة بعقاب الله إذا انتشرت المعاصي وإذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلك من المعاصي التي انتشرت بين المسلمين.. فمن هذه الأحاديث على سبيل المثال ما جاء في مسند أبي يعلى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لعن الله آكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه وقال ما ظهر في قوم الزنى والربا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله" وفي صحيح ابن حبان عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: " ..ألا وإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنّ الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أو قال المنكر فلم يغيروه عمّهم الله بعقابه".. وجاء بمسند الإمام أحمد بن حنبل عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتَ أمتي تهاب الظالم أن تقول له أنت ظالم فقد تُودِّع منهم".. وجاء

بالمعجم الكبير عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا **أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض وليلعننكم كما لعنهم**" أي كما لعن اليهود وضرب على قلوبهم.. ولعل من المناسب هنا ختم هذه الفقرة بهذا الحديث الصحيح الوارد في المستدرك على الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة جعل الله عذابها في الدنيا القتل والزلازل والفتن** "..

– ينبغي هنا التذكير بأنّ الإنذار الدائم بالعذاب والطرد واللعن الذي تكرر التذكير به على مدى القرون الطويلة على ألسنة أنبياء بني إسرائيل لقومهم كان كذلك مصحوباً على الدوام ومنذ عصر موسى عليه السلام بالترغيب بالنعم العظيمة للطاعة وتحكيم الشريعة.. " .. فاعملوا بفرائضي وراعوا أحكامي ومارسوها، لتسكنوا في الأرض آمنين، عندئذ تغلُّ الأرض ثمرها، فتأكلون وتشبعون وتسكنون عليها آمنين.." اللاويون (من أسفار التوراة نفسها)18– 19، " إن سلكتم في فرائضي وأطعتم وصاياي وعملتم بها، فإني أسكبُ عليكم المطر في أوانه، وتعطي الأرض غلتَها، وتثمر أشجار الحقل.. وأُشيع سلاما في الأرض.. ولا يجتاز سيف في دياركم.. وأنتم تكونون لي شعباً..إني أنا الربّ إلهكم أخرجتكم من مصر، وحطمت أغلال قيودكم ورفعت شأنكم، لمي لا تظلوا عبيداً للمصريين في ما بعدُ" اللاويون 26: 3– 13.. " استمعوا إلى صوتي واعملوا بمقتضى ما أمرتكم به، فتكونوا لي شعبا وأنا أكون لكم إلهاً، فأفي بالقسم الذي أقسمت به لآبائكم أن أهبهم أرضاً تفيض لبناً وعسلا.." إرمياء 11: 4– 5.. قال تعالى في كتابه العزيز: " **ولو أنّهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم**.." المائدة: 66 .. لقد خسر بنو إسرائيل كلَّ شيء بكفرهم وإصرارهم على الكفر.. لقد تردُّوا من درجة الإصطفاء والمصلحين بالأرض إلى درجة العبيد الأذلة المشتتين بين أمم الأرض.. ولمّا أُعطوا هذا الزمان فرصاً من المال والقوة لعلهم أن يُصلِحوا في الأرض فأصرّوا أن ينحدروا كذلك ويكونوا هم المفسدون بالأرض.. لَكَم هَووا ولَكَم انحدروا!.. وإنّهم اليومّ مع ذلك ما زالوا مُخاطبون من خلال القرآن الكريم وبغير لسانهم كما وُعدوا بذلك في كتبهم.. وهم مدعوون مرة أخرى للوفاء بعهدهم مع الله عزوجلّ لعله أن يتوب عليهم.. ومُنذَرون اليوم بأنّ العذاب قادم عليهم لا محالة إن أفسدوا بالأرض مرة أخرى " **وإن عدتم عدنا**" الإسراء: 8..

إنّه إنذارٌ بعد إنذار لعذابٍ بعد عذاب.. لكنّهم صمٌ بكم كما قال ذلك عنهم أنبياؤهم وقالوا أنّهم لن يسمعوا..

..لم ينتفع اليهود بتوراتهم ولا بكتب وتحذيرات أنبيائهم عليهم السلام.. وأخشى أنّنا اليوم بما نحن عليه وبرغم تحذيرات الكتاب والسنة أننا في أوان تكرار تجربتهم، جاء في المستدرك على الصحيحين عن زياد بن لبيد الأنصاري رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه وهو يقول قد ذهب أوانُ العلم قلت بأبي وأمي وكيف يذهب أوان العلم ونحن نقرأ القرآن ونعلمه أبناءنا ويعلمه أبناؤنا أبناءهم إلى أن تقوم الساعة فقال ثكلتك أمك يا بن لبيد إن كنت لأراك من أفقه أهل المدينة، **أو ليس اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل ولا ينتفعون منهما بشيء**" قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

- المورخ جوسيفس (37- 96 م) اعتبر القائد فسبيان Vespian هو المسيا (المصطفى والمخلص المنتظر) المنتظر.. وهو كما يذكر أحد الباحثين (إيسنمان) نفاق بالغ إذ جعل مُدّمر القدس هو منقذها.. وذلك أنّ هذا المؤرخ لما رأى هزيمة قومه لا محالة واقعة انضم إلى معسكر الرومان حفاظاً على حياته.. ثم نافقهم..

يُذكر أنّ كتابات هذا المؤرخ هي أهم المراجع التاريخية لتلك الفترة.. وقد اعتمدها الكثير من المؤرخين القدامى والمعاصرين بما فيهم ابن خلدون الذي سماه بيوسف بن كريون.. ويُذكر هنا كذلك أنّ جوسيفس هذا كان- كما كتب عن نفسه- هو رئيس المجموعة التي كانت تتولى الدفاع عن الجليل في مواجهة جيوش الرومان التي بدأت باكتساح مدن فلسطين في طريقها نحو أورشليم.. وأمام وضوح الهزيمة، خان جوسيفس أصحابه بالجبهة في اتفاقهم بالإنتحار حال الهزيمة، ويبدو أن الإنتحار لم يكن محرماً لدى اليهود، فقد أُمروا به للتكفير عن ذنوبهم أثناء عصر موسى عليه السلام، وحمد الله الصحابة أن لم يُؤمروا بقتل أنفسهم كما أُمر بذلك بني إسرائيل " **ولو أنّا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم**" النساء 65، كما يعتقد أكثر الباحثون أنّ نهاية المجموعة الصالحة التي عمّرت منطقة قمران (أصحاب مخطوطات البحر الميت) كانت بانتحار جماعي أمام هجمة الرومان في الفترة 66- 73 م، فبدلا من مواصلة المقاومة أو الانتحار، ترك جوسيفياس مهامه وسلّم نفسه مع أحد

مرافقيه للرومان.. هذا ما يذكره هو عن نفسه فيما كتب هو بكل جرأة كما يذكر ذلك عنه إيسنمان (7).. وأصبحت مهمة جوسيفس من بعد ذلك الترجمة للرومان ومحاولة اقناع المحاصرين باورشليم بالإستسلام.. " هذا هو المؤرخ اليهودي العظيم" الذي زعم لفسبيان أنه هو المسيا المنتظر، وكافأه الرومان بتبنيه ضمن العائلة الملكية..

– لعل الإطلاع على التاريخ اليهودي الذي نقصه هنا وعقوبة الله عليهم بالعذاب الشديد وباللعن والطرد من فلسطين يوضح لنا مدى فداحة وضخامة جُرم هؤلاء المناهضون بيننا لتحكيم الشريعة، الداعون للخروج على تعاليمها في كل مناحي الحياة.. أولئك الذين يأمرون بالمنكر والمجاهرة به وينهون عن المعروف وتشمئز له نفوسهم.. أُولئك الذين يدعون جهاراً الى الكبائر ببلاد المسلمين، وينفقون لترويج الرذيلة بين شباب المسلمين كل جهد وحيلة.. ويتجاوزون كل موانع الدين والعرف والأخلاق.. انظر إليهم في ثلاث فضائيات يجمعون الشابات (بدون محارمهن) والشباب ليعيشوا معاً في بيت واحد لأشهرٍ عديدة، وياليتهم يدعونهم وشأنهم، بل إنّهم يُذيعون ويصِّورون على الملأ يومياً ولساعات لا تُحصى كلّ خصوصياتهم وأحاديثهم، لا يترفعون إلا عن تصويرهم داخل دورات المياه، وغداً سينتهكون هذا الستار الأخير كما انتهكه المبدعون الأصليون لهذه البرامج بالغرب.. وما هذا إلا مثال فقط لإبداعات شياطين الإنس الذين يعيشون بيننا، ويسعون إلى إغراقنا جميعاً إلا مَن تصدى لهم، فعسى أن يُنقذ من البلاء.. نسأل الله العافية.. لا أدري كيف يسكت المسلمون والمربون اليوم على هؤلاء ينتهكون كل الثوابت، ولايُمنعون..

جاء في صحيح البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا"..

..إنّ الذي وقع على اليهود قد كان عقاباً موعوداً على ألسنة الأنبياء.. ممكن أن يصيب هذه الأمة إذا كررت أخطاء بني إسرلئيل.. وعلى أي حال فقد جاء الوعد النبوي بلعن وخسف ومسخ في هذه الأمة كلعن ومسخ وخسف بني إسرائيل.. وأخشى أنّ أعمالاً ستصل يوماً إلى

كسر كل الحواجز حتى على ما تتخفى عليه الحيوانات عند قضاء حاجاتها، فيُذاع على الهواء ويُجاهر به على الأمة ليتربى على مثل هذه الجرأة الأبناء والبنات، ويُنفق على ذلك من أموال الحكومات والمؤسسات، والأمة ساكتة على ذلك وصامتة.. أخشى أنّ تكون مثل هذه الأعمال والعياذ بالله من ذلك هي مما يُخسف عليها.. نسأل الله السلامة..

– من المناسب هنا الإشارة إلى المذبحة التي قام بها الصليبيون وقتلوا بالقدس وحدها مايزيد على سبعين ألفا من المسلمين.. وتكومت الجثث في أكوام، رقص عليها الصليبيون يرددون عبارة المزمور 118: 24 "هذا هو اليوم الذي أعده الربّ، فيه نفرح ونبتهج".. وتعرّض المسلمون بفلسطين إلى بقر بطونهم على أيدي الهمج الأوروبيين بحثا عن الذهب المزعوم أنه مخبأ بالبطون (10).. إضافة إلى شوي وأكل أجسادهم عقوبة هي تماما كتلك التي وقعت على بني إسرائيل.. حذو القذة بالقذة! وإنا لله وإنا إليه راجعون.. هذا ما وقع على المسلمين من بلاء بنفس الأرض التي عُذّب عليها بنو إسرائيل، وإلا فإنّ الابتلاء يجري اليوم على المسلمين على أشدّه ببلاد كثيرة.. نتيجة هوان هذه الأمة وتمزقها وبعدها عن الشريعة والدين..

خيانة الكهنة المتأخرين لأقوامهم.. واتباع الناس لعلماء السلطان هؤلاء الذين نافقوا الوثنيين وأعداء المؤمنين ، وذلك من بعد أن هجر الناس تعاليم الأنبياء كيحي وعيسى عليهما السلام وتعاليم أتباعهم الصالحين كيعقوب وأتباعه..

– **الفساد المالي بين الكهنة والأحبار والقساوسة**

وبمثل هذا القول الذي سطّره جوسيفس، صرّح الربّي **يوحنان (بن زكي)** Rabbi Yohanan الذي كان له الدور الأول في صياغة أصول التلمود، صرح بأنّ فسبيان Vespian الامبراطور الروماني الذي دمَّر القدس وأهلك اليهود أنّه هو " نجم النبوءة" Star Prophecy المنتظر.. وذلك اللقب هو اللقب المعطى للمسيا أو المصطفى المخلص المنتظر.. وهو اللقب الذي أطلق فيما بعد على باركوشبا وقت انتصاراته واعتقاد اليهود أنه المسيا المنتظر حين قاموا معه بثورة عام 130 م.. وكان هذا العالم الكبير اليهودي يوحنان قد فرّ من داخل أورشليم المحاصرة داخل كفن، وكانت تلك الوسيلة الوحيدة للفرار وإنقاذ حياته، ولكن خيانته لقومه تتضح بأنه تقرّب للقادة القتلة تيتوس وأبيه فسيبيان، وداهنهم حتى زعم بأنّ فسبيان هو المصطفى أو المسيا المنتظر الذي تنبأ به الأنبياء ليأتي من فلسطين ويحكم

العالم!.. وبمقابل ذلك فقد منحه الرومان الأكاديمية بمدينة Yavneh التي أنشأت ما عرف فيما بعد باليهودية الربيبة Rabbinic Judaism.. وهكذا يجد المحتل المعتدي مَن يُغطي على جرائمه حتى لو كانت مما لا يمكن تغطيته ولا تبريره، ومَن يُحسِّن صورته ويُجمّلها حتى يرفع قتلة الملايين كالوثنيان تيتوس وفسبيان إلى مقام المُصطفين والأنبياء.. والأدهى أن تصدر مثل هذه الخيانات الوقحة من علماء الأمة ومفكريها.. إنّ هؤلاء كثيرون.. ومن المؤسف أن لهم أمثلة لا تُحصى بالتاريخ الإسلامي الماضي والمعاصر..

وفي الواقع فما أشبه مَثَل يوحنان بن زكي هذا ببابا روما ايسوبيوس Eusebius الذي إمعاناً في نفاق قسطنطين، أقر له والكنيسة معه بأنه – أي قسطنطين– هو المسيح (المسيا) المنتظر.. والمخلّص بآخر الزمان، ووصل الأمر بايسوبيوس إلى تأليه قسطنطين وأنّ الخالق قد تجسّد فيه.. وجاراه مع الكنيسة في تغيير معالم المسيحية (يراجع كتاب التباشير: بشارة رؤيا دانيال)، حتى رأى كثير من الباحثين أنّ مسيحية اليوم تنتسب لقسطنطين أكثر ممّا تنتسب للمسيح عليه السلام أو لأي شخص آخر.. وبالمقابل فقد ثبت قسطنطين إيسوبيوس وأصحابه ونصرهم على مخالفيهم، وأوكل إليهم حق اختيار الأناجيل والرسائل المقدسة وإفناء كل ما سواها من الكتب.. وتمّ ذلك.. فلا توجد بالعالم اليوم كما يذكر الباحثون رسالة واحدة مكتملة سابقة على عصر قسطنطين.. فصاغ الدينَ علماءُ السلاطين.. وتم كما يذكر الباحثون إنشاء دين جديد دُمجت فيه تعاليم عبادة الشمس والوثنية مع النصرانية (يُراجع مثلاً كتاب The Holy Blood and the Holy Grail, by Michael Baigent, Richard Leigh & Henry Lincoln) .. واتبعهم الناس بعد أن تخلوا عن الأنبياء وأتباعهم الحقّ..

وقد سبقت معنا مواقف الفريسيين والصدوقيين من الحكام والمحتل الاجنبي.. وكذلك مواقف بولس من الحكم الروماني..

ينبغي هنا ملاحظة أنّ نفاق علماء السلطان بالتاريخ الإسلامي لم يتسبب في تغيير الدين أو تغيير نصوصه كما تم ذلك بتاريخ النصرانية واليهودية..

– تكرر مراراً في التاريخ اليهودي (سبقت معنا بعض الأمثلة على ذلك) أن يحصل الكاهن على منصبه لرئاسة الكهنة، وهو أعلى منصب ديني واجتماعي، أن يحصل عليه الكاهن عن طريق رشوة يقدمها للحاكم الأجنبي.. وعرف عن كثير من الكهنة الأحتيال لجمع المال

واكتنازه.. وقد سبقت الاشارة إلى دور النبي عاموس و ميخا في التصدي للفساد المالي الذي غلب على اليهود منذ فترة مبكرة من تاريخهم، وأورد هنا استشهادات أخرى على هذا الانحراف.. جاء في كتاب ميخا (من كتب العهد القديم) 1:2- 2 عن هؤلاء رؤساء وقضاة اليهود: " .. يشتهون حقولا ويغتصبونها، وبيوتاً فيستولون عليها، يجورون على الرجل وعلى بيته والإنسان وميراثه" وقال عنهم في ثلاثة مواضع أخرى من نفس السفر: ".. وتسلخون جلود شعبي وتُجرّدون لحومهم عن عظامهم.. إذ يحكم رؤساؤها بالرشوة وكهنتها يُعلِّمون بالأجرة، ويتعاطى أنبياؤها – أي مدعي النبوة- العرافة لقاء المال.. ويسعى الرئيس والقاضي وراء الرشوة، ويُملي العظيم عليهم أهواء نفسه، فيتآمرون جميعاً على الحق أفضلهم مثل العوسج ، وأكثرهم استقامة مثل سياج الشوك ".. وقال عنهم في إرميا 5: 26 " ففي وسط شعبي قوم أشرار يكمنون كما يكمن القناصون للطيور، ويُنصبون الفخَّ لإقتناص الناس: بيوتهم تكتظُّ بالخديعة كقفص مملؤ طيوراً، لذلك عظُمُوا وأثروا، وازدادوا سِمناً ونعومةً، وارتكبوا الشرّ متجاوزين كلّ حدّ، لم يحكموا بعدل في دعوى اليتيم حتى تنجح ولم يُدافعوا عن حقوق المساكين. أفلا أعاقبهم على هذه الأمور؟ يقول الربّ. ألا أنتقم لنفسي من أمة كهذه؟" وفي إرميا 6: 13 " لأنهم جميعاً صغارهم وكبارهم مولعون بالربح الحرام.."

.. وجاءت المسيحية كذلك خلال عصورها بأسوأ الأمثلة في هذا الأمر.. وما زال القساوسة يجمعون المال بالبلايين من الدولارات سنوياً ويتهافتون عليه حتى اليوم، وتتابع فضائحهم المالية والخلقية ولا يتعظ أتباعهم ولا الناس.. قال تعالى: " **يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم..**" التوبة 34، وقال تعالى: " **ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثمّ إنّ كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون**" المائدة 32، وقال تعالى : " **وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت، لبئس ما كانوا يعملون**" المائدة 62.

" **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أُمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عمّا يُشركون**" التوبة 31.. وقال تعالى "**فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أُحلت لهم، وبصدهم عن سبيل الله كثيراً. وأخذهم الربا وقد نُهوا عنه،**

وأكلهم أموال الناس بالباطل، وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً" النساء 160- 161 .. جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية ".. والمقصود التحذير من علماء السوء وعباد الضلال كما قال سفيان بن عيينة: " مَن فسد من علمائنا كان فيه شبهٌ من اليهود ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى" وفي الحديث الصحيح لتركبنّ سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة قالوا اليهود والنصارى قال فمن"..

.. إنّها طامّة ومصيبة عظيمة ألمّت كذلك بهذه الأمة في هذا العصر بالذات.. تلك طامّة الفساد الاداري التي لم تكد تدع بلداً إسلامياً دون أن تخربه وتفسد شئونه.. كيف نرجو بناءً واللصوص ينهبون ثروات الأمة بالليل والنهار.. كيف يتم لنا ازدهار والفساد المالي والإداري لا يدع مشروعاً إلا التهمه أو طوَّقه بالمفسدين.. أولئك الأعداء الحقيقيون الذين لا يريدون لهذه الأمة إلا بقاؤها فريسة مهينة بين مخالبهم.. أنّى تصلح الأمور ولا يختار لها الأكفاء! وأنّى تُحفظ الحقوق والأوغاد يتهددون الناس بجبروت الدولة.. فلا يسمحون إلا بما يملأ جيوبهم أو يُدعم وجاهاتهم أو مناصبهم أياً كان.. أولست ترى فينا شعوباً لا يتجاوز متوسط دخل الفرد بها المائة دولار بينما يملك ضباطها - الذين هم من أسرٍ فقيرة أصلا- البلايين من الدولارات.. وإذا مات أحدهم ورث ماله الغربيون (كالسويسريون) أواقتسم ابناؤه المال مع محامي يسترد لهم بعض الفتات..

استطاع يوحنان بن زاكي Yohanan أن يلغي مجموعة كبيرة من العبادات والطقوس التي لم تكن تُؤدى إلا في المعبد بأورشليم مما ساعد اليهود على التكيف على الحياة بدون المعبد بأورشليم.. واشتمل ذلك على تعليق عبادة تقديم الأضاحي وتعديل الصلوات.. وقد كان اليهود يظنون ألا توبة لهم بعد زوال المعبد والأضاحي فذكرهم بما جاء في كتاب هوشع (6: 6):" إني أطلب رحمة لا ذبيحة، ومعرفتي أكثر من المُحرَّقات".. وبها تذكير لليهود بهدف الأضاحي الأصلي من التقوى ومعرفة الله.. والمحرقات هي الأضاحي التي تُحرق أو تنزل عليها نار من السماء تحرقها.. واستطاع يوحنان بذلك أن يُهيء قومه لعصر جديد، ولكن بعيدا عن الله ووحيه.. وهو الذي بدأ كتابة المشناة (وتعني المثنى لأنها تشرح التوراة وتكرر عباراتها. وهي أصل التلمود) عام 73م، ثم تمت بعده كتابة بقية المشناة، ثم شروحها التي سميت بـ" الجيمارة"، ومن المشناة والجيمارة يتكون التلمود.. إلا أنّ هنالك تلمودان أحدهما اعتمد الشروح

التي كتبت بفلسطين بالقرون الثاني حتى الخامس الميلادي، والثاني اعتمد ما كتب ببابل بالفترة بين القرن الرابع والسادس الميلادي (12).

وقد أعطيت لهذه الكتب أهمية موازية أو تزيد على أهمية التوراة والكتب المنسوبة للأنبياء .. ومع أن التحريف الشامل والشديد قد أصاب التوراة وملحقاتها كلها، كما تشهد به هذه الكتب نفسها.. إلا أنّ التلمود قد احتوى على افتراءات على الله عزوجل وإساءات، وشطط وهمجية وتخريف فوق كل تخيل، زاد اليهود بعداً عن الله وعن رسالاته، خاصة وأنّ عامة اليهود ظلت أمّية لا تعلم شيئاً عن االتوراة وملحقاتها، واصبح التلمود هو كتابهم المُقدم والميسر ..

ولا خلاف حول ثبات التحريف للكتب المنسوبة للوحي.. وفي كتاب الله آيات كثيرة حول ثبات هذه القضية.. ومن الحديث الثابت عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ما يوضح هذا التحريف ومنه (رواية البخاري) قوله عليه الصلاة والسلام: " **إن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيّروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا**".. وروي كذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: " **إنّ بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم اخترعوا كتاباً من عند أنفسهم استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون**" عن شعب الإيمان.. لقد كان تحريف الوحي أحد أهم أسباب إحلال لعنة الله والناس على بني إسرائيل.. تلك اللعنة التي أثبتنا من التوراة والكتب الملحقة بها وقوعها على بني إسرائيل (على القارئ مراجعة الملحق الأول).. روى الطبري في تفسيره للعن اللاعنين عن عبد الوهاب بن عطاء في قول الله عز وجل: " **ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون**" البقرة 159، قال سمعت الكلبي يقول هم اليهود قال ومن لعن شيئاً ليس هو بأهل رجعت اللعنة على يهودي فذلك قوله تعالى: " **ويلعنهم اللاعنون**".. فبئس ما صنع اليهودُ بأنفسهم وقومهم أن أحلّوا على أنفسهم لعنة الله والبشر عبر الأجيال إلا من تاب منهم وآمن..

همجية تعاليم التلمود:

لا بد هاهنا من الاشارة إلى الفكر اليهودي بالمهجر الذي نشأ بعد زوال المعبد بالقدس وطردِ بني إسرائيل من فلسطين، وهو ذلك الفكر المُمثَّل بالتلمود.. فبدلاً من أخذ الناس إلى الله

ورسله، والتراجع عن الكفر بعيسى عليه السلام خاصةً وأنّ الأحداث قد جاءت من بعده مصدقة لتحذيراته، وإعداد الناس للإيمان بالرسالة الخاتمة التي بشّر بها عيسى عليه السلام لتأتي من بعده.. فبدلاً من ذلك كله قام علماء بني إسرائيل بتكريس العنصرية والتمرد على الله عزوجل والإساءة إليه تعالى بين قومهم، وقاموا بالتعديل في دينهم والخروج على نصوصه كما يشأون كما لو أنّ الوحي ما زال يُنزّل عليهم.. واعتبروا تعاليمهم أعظم شأناً من التوراة نفسها، فكتبوا في التلمود " إنّ تعاليم اللاهوتيين في التلمود لهي أطيب من كلام الشريعة" وكتبوا كذلك " فإنّ الخطايا ضد التلمود أعظم من المقترفة ضد التوراة"، واعتبروا أنّ الله عزوجل هو مصدر كل ما يكتبه علماؤهم، رغم تناقضهم (12).. وأسأوا إلى الخالق عزوجل، فنسبوا إليه بالتلمود نقائص اللهو والتعب والكذب والندم بل البكاء! على أفعاله التي من ضمنها عقاب بني إسرائيل.. <u>لُعنوا بما قالوا</u>.. وقالوا أنّ لله أفعالاً لا وزن لها ولا قيمة.. ولا يتسع المجال هنا لاستعراض شواهد هذه الضلالات من النصوص التلمودية.. لكننا نعلم أنّ الله عزوجل قد لعنهم بالقرآن الكريم بما قالوا عنه عزوجل.. " **غُلّت إيديهم ولعنوا بما قالوا**" المائدة: 64.. وقام الكهنة بتكريس العنصرية " الفارغة" والانتهازية لدى أتباعهم بتعاليم تنطوي على تعالٍ مزيف على شعوب الأرض التي اعتبرها التلمود في مقام الكلاب والحيوانات، ما خُلقت إلا لتكون مُسخرّة وخادمة لليهود، فهم أحباب الله، وما كان في أيدي الناس من أملاك فهو في حقيقته ملك لليهود، يحلّ لأيّ يهودي استعادته بأي طريقة حتى ولو كانت من طرق الغش والخداع والرياء والربا واستحلال اليمين الغموس الكاذبة طالما أمِن عدم افتضاح أمر كذبه.. وأعادوا تفسير التوراة (من بعد أن حرّفوها) ليحصروا الحُرُمات فيما بينهم ويحلونها في تعاملهم مع غيرهم رغم تعميمها بالتوراة على غيرهم.. فافتروا بذلك على الشريعة والتوراة.. وقد ذكرتُ من قبل تصريح التوراة باحترام حقوق وعهود غير اليهود وعدم الإعتداء عليها.. جاء بالتوراة بعد الأمر بالقصاص في القتل ووقوع الضرر كسراً بكسر وعيناً بعين وسناً بسن، وبعد الأمر بتعويض البهائم المقتولة والأضرار الموقوعة، ختم ذلك بعبارة (اللاويون 24: 22): "<u>**حكمٌ واحد يُطبق عليكم، الغريب كالإسرائيلي، إني أنا الربّ إلهكم**</u>"، وجاء بالتوراة كذلك عن مراعاة غير الإسرائيليين: "وليكن لكم الغريب المقيم عندكم كالمواطن، تحبه نما تحب نفسك" اللاويون 19: 34 .. قال تعالى تعليقاً على استحلالهم أموال غيرهم وعدم ردّهم للديون إلا إذا فُرض عليهم ذلك، بأنّ ذلك من كذبهم

وافترائهم على الله تعالى وهم يعلمون ذلك.. " **ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون، بلى من أوفى بعهده واتقى فإنّ الله يُحب المتقين**" آل عمران 75–76.. أحلّ الكهنة لليهود كل حرمات غيرهم بما فيها من نساء وأموال وحقوق.. بل حثوهم على انتزاعها ما استطاعوا، ومنعوهم من إعانة غيرهم ما استطاعوا.. فجاء في التلمود: " من يرفع وثنياً – أي غير يهودي– من حفرة وقع فيها فإنه يُبقي على رجلٍ من عباد الأوثان لذلك إذا سقط وثني في حفرة فاسددها عليه بحجر كبير".. " واليهودي يتعدى الشريعة في كل مرة يقدر على قتل واحد من هؤلاء ولا يفعله" (12)..

وبهذا نجح هؤلاء من – حيث لم يُخططوا– في أن يصنعوا لدى شعوب الأرض الصورة المعروفة عن اليهود بالجشع والخداع والمكر وإخلاف المواعيد.. قال تعالى عن أجيال اليهود التي جاءت من بعد عيسى عليه السلام ومن بعد هدم المعبد " **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا**" مريم 59.. لقد مكرَ علماؤهم، ولكنهم ما مكروا إلا بأنفسهم وأقوامهم.. حيث أسأوا إليها.. وأبعدوها عن الله واستحقاق الاصطفاء لتظل في اندحار تتوارث الأجيال الإلتزام به..

يلاحظ أن التلمود قد ناقش لليهود كل تفاصيل حياتهم بما فيها الكثير من التفاصيل الصغيرة، والافتراضات السخيفة.. ومما ناقشه التلمود قضية جريمة فرك البرغوث يوم السبت! وهل يجوز الاكتفاء بقطع أطرافه أو فركه بحذرعلى فتوى بعض حاخاماتهم! وهل "يجب على الحاخام أن يرتدي أولا القميص أم السروال؟" وكيفية الاعدام بالخنق حتى ينفتح الفم فيُصبُّ به الرصاص؟ وافتاء المتساهلين منهم باستعمال ملاقط لفتح الفم حتى لا يختنق المحكوم عليه قبل وصول الرصاص الى أعماقه (الجدل حول صهيون لدوغلاس ريد فصل 15)..! كأنما هي ذبيحة من النعم يحرصون على تذكيتها!

أرجو كذلك ملاحظة أنّ هذه التعاليم العنصرية العدائية ظلت "للاستعمال الداخلي" خفية بشكل عام عن غير اليهود، وقد جُرِّدت طبعات التلمود العامة منذ القرن السابع عشر من كل المقاطع المشوّهة لهم، وشاركت الموسوعات الحديثة في اخفاء الصورة الحقيقية للتلمود (دوغلاس ريد)..

نختم هنا تعليقاً على كتابة التلمود الذي اعتبره علماء اليهودية تسجيلاً وشروحاً للشريعة الشفوية التي توارثتها أجيالهم ولم تدخل ضمن الكتاب المقدس.. فاستبدلوا دراسة التوراة والكتب

الملحقة بها – على تحريفها– بدراسة هذه الشروح التي تراكم بها مع السنين اجتهادات وآراء مخالفة للدين.. فزادتهم بعداً عن الله وشريعته.. نُعلِّق على ذلك بأنّ الأمة المسلمة أنشأت في قرون عزّتها رصيداً ضخما من المتون الفقهية وعلوم الكلام وشروحها، روعي فيها عامةً – قدر المستطاع– موافقة الكتاب والسنة.. فتميزت بذلك عما كتبه بنو إسرائيل كثيرا.. ولولا التعصب اللاحق الذي أصاب أجيالاً تالية.. ولولا أنّها كثيراً ما توسعت في تفصيلات افتراضية نُهينا عن الخوض فيها، بعضها عجيب وغير واقعي، وبعضها يبدو مما ضيق واسعا.. أوكان سبباً للتنافر والتشاحن، لولا ذلك لكانت في عامتها خيراً خالصا.. إلا أنّ كثيراً من المسلمين خاصةً في العصور السابقة قدّموها على الكتاب والسنة (مثلما قُدِّم التلمود على التوراة).. وآثروا ما كتبته المتون ولو كان الحديث الصحيح على خلافه.. وأدركنا إلى زمن قريب العالمَ يُفتي في القضية ذاتها برأيين متناقضين حسب مذهب السائل.. فالضم بالصلاة سنة للبعض، ولكنه يُبطل صلاة البعض الآخر! ..كأنّما الدين أصبح أديانا..! لا ندري بأي عقلية تجرأ المُفتُون ليُبطلوا صلاة من قام بسنة ثابتة.. مراعاةً لقول واجتهاد إمام وعدم تسامح.. فأمتنا حتى في مُدارستها للدين لم تتجنب تماماً أخطاء بني إسرائيل.. فقد استحدثت مواضيع ووضعت قواعد ومسائل كثيرة مُزقت بسببها الأمّة، ووقع منّا التعصب لآراء الآئمة وتقديمها على السنة الثابتة..

ولا شك بأن قارئ السطور أعلاه عن ورع كتبة التلمود الكاذب قد تذكّر ردَّ عبدالله بن عمر للعراقي الذي سأله عن حكم دم البرغوث إذا أصاب الثياب.. أَنَجسٌ هو؟ فقال له عبدالله بن عمر رضى الله عنه (تسألون عن دم البرغوث وقد قتلتم الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) رواه الترمذى وصححه، وروى البخارى قريبًا منه.. فهؤلاء وأباؤهم قتلوا الأنبياء والرسل وقذفوهم بكل سبّ وفحش وحرّفوا الكتاب وافتروا على الله تعالى ونهبوا الثروات ثم جاءوا يحذرون الناس من "الذنب العظيم بفرك البرغوث يوم السبت" أو لبس القميص قبل السروال!

وكم في أمتنا بدءاً من اولئك الخوارج أيام الإمام علي رضي الله عنه الذين بلغوا القمم في العبادة والذِكر ولكنّهم سفكوا الدماء واستحلوا الأعراض؟ الى أيامنا هذه بما فيها من الورع عن اطالة الثياب من قبل البعض ثم استحلال هذا البعض بعد ذلك لحرمات المسلمين ووحدتهم ودمائهم أو اولئك الذين يحافظون على المندوبات ثم لا يتورعون عن أكل الحرام وشهادة الزور ونصرة الظالم.. فما أعجب هذه العقول على مر الزمان تتورع عن المكروهات ثم تستحل

الكبائر بل منها ما يستحل الشرك والكفر!
ثورة اليهود على الروم بقبرص، وقضاء الروم على اليهود بقبرص وتحريمها عليهم (114– 117 م).. وقيام ثورة يهودية متزامنة معها (114– 117 م) بمصر كذلك والقضاء عليها.
تغيير اسم أورشليم إلي إيليا كابيتولينا عام 130 م على يد الإمبراطور هادريان.
الحدث: ثورة باركوشبا Bar Koseba(مدعي للنبوة) عام (132–135 م) في عهد الإمبراطور هادريان Hadrian، وفشلها الذريع وقتل خمسمائة وثمانين ألفا من اليهود من غير الذين قتلهم الجوع والمرض، وتشريد البقية الباقية من اليهود، وتحريم الأرض المباركة عليهم، وتغيير أهلها بعد تغيير اسمها، (تم هذا القمع عام 138 م) – لو أطاع اليهود عيسى عليه السلام آخر أنبيائهم ما اتبعوا باركوشبا، تماماً كما كان زمن ما قبل السبي البابلي لو أطاعوا إرميا ما اتبعوا الأنبياء الكذبة الذين أغروهم بقتال البابليين والانتصار عليهم، ولكنه الغرور بأنّهم أحباء الله وأبناؤه "**وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه**" المائدة 18، والثقة الباطلة بأنّ الله لن يدعهم تحت رحمة الأمم الوثنية، ولم يتعلموا من كل الأحداث والرزايا التي وقعت عليهم من قبل، ولم يسمعوا لنصح أنبيائهم لهم على مرّ القرون، واتبعوا في كلّ مرة أمر الدجالين الذين يُرضون غرورهم، وفضّلوا اتباع الكذبة الذين يُرضون أهواءهم ويُشبعون تطلعاتهم على اتباع الأنبياء الحقّ الذين سيهيئون لأمتهم سبل الخلاص والرحمة الإلهية.. وقديماً قال لهم إرمياء : " لا تسمعوا لأقوال الأنبياء الذين يتنبأون لكم ويخدعونكم بالأوهام، لأنهم ينطقون برؤى مخيلاتهم ولا يتكلمون بما أوحى به فمي، قائلين بإصرار لمن يحتقرونني قد أعلن الربُّ أن السلام يسودكم.." إرميا 23: 16– 17.. وأخبرهم المسيح عليه السلام أنّهم رفضوا اتباعه وهو رسول الله الحقّ وأنّهم سيتبعون من بعده كذبة منتحلون للنبوة من ذوات أنفسهم: "أَنَا قَدْ أَتَيْتُ بِاسْمِ أَبِي وَلَسْتُمْ تَقْبَلُونَنِي. إِنْ أَتَى آخَرُ بِاسْمِ نَفْسِهِ فَذَلِكَ تَقْبَلُونَهُ. كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْداً بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ؟ وَالْمَجْدُ الَّذِي مِنَ الإِلَهِ الْوَاحِدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ؟: يوحنا 5: 43– 44 وقد حذرهم هو عليه السلام – كما تقص عنه الأناجيل الحالية على تحريفها– كثيراً من اتباع أدعياء النبوة الكذبة. لكن ذلك ديدنهم على مرّ الزمن سماعون للكذب والكذابين، يهلكون بذلك أنفسهم من حيث لا

يشعرون.. قال تعالى: " **ومن الذين هادوا سماعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين لم يأتوك..**" المائدة 41.. وقد حذرهم هاهنا الأنبياء المتأخرون كيحي وعيسى عليهما السلام من الثورة على الروم، ونصحوهم بأنّ عليهم الصبر حتى يأتي الفرج على أيدي المختارين (المصطفَين) الذين سيُقيمون مملكة الله وينتزعون الأرض المباركة من الرومان المخرِّبين (الذين سيخربون الهيكل، وهو ما وقع عام 70 م، من بعد عصر آخر الأنبياء عليهم السلام).. ولكنّ اليهود كعادة آبائهم من قبلُ اتبعوا وعوداً زائفة من الدجالين عام 70م ثم عام 135- 138 م وكلّ ذلك تمهيداً لإكتمال الوعد الحقّ بطردهم حتى لا يبق منهم بفلسطين أحد.. (يُرجى مراجعة الملحق الثاني).

- لنا أن نتأمل كم من زفراتٍ واستغاثاتٍ رُفعت إلى السماء فما حققت نصراً ولا فرجا! وكم من عبراتٍ ودموع سُكبت! وأنين دوى عبر شهور بل عبر سنين المعاناة، فما غيّر في الأحداث شيئاً ولا خفّف من وقع المصائب ولا من تواليها.. لنا أن نجزم بأنّ الناس قد فُتنوا فتنة أخرى لمّا امتنع الفرج عنهم.. وازدادوا مصيبة على مصيبة.. كيف لا يتوقعون النصر وهم أمة الأنبياء المصطفاة وأعداؤهم كفرة وثنيون! كيف وهم وإن عصوا فما زالوا أفضل من الوثنيين.. فكيف لا يُستجاب لهم دعاء ولا يُحقّق لهم نداء.. لكنّ الراسخون في العلم منهم علموا أنّ الأمر لله، وأن الله غالب على أمره، وأنه لا يُسأل عما يفعل.. وأنّ ما يحلّ بأقوامهم من مصائب إنما هي عقوبات سنّها الله عليهم، وقد حذرهم من وقوعها وتوعدهم بها أنبياؤهم من قبل.. وكان من تحذيرهم للناس أن الله عزوجل لن يستجيب لهم دعاء ولن يحقق لهم نداء.. ومازالت الكتابات التي نسبت إلى الأنبياء ممتلئة بهذا الوعيد وبأنّ الدعاء لن يُجاب..

مَن يقرأ التوراة والكتب المنسوبة للأنبياء - رغم تحريفها ورغم أنّ الذين تناقلوها هم المقصودون بالهجوم من قبل الأنبياء- ليعجب من النصح العام المتواصل الدؤوب الذي قدّمه الأنبياءُ لقومهم بالتوبة واتباع الشريعة وعدم تقليد الأمم الكافرة إضافة إلى تقديمهم لهم النصيحة في مواقف عديدة لهم عند مواجهاتهم لأعدائهم من الكنعانيين والآشوريين والكلدانيين والرومان وتهديدهم بالعذاب على أيدي الوثنيين وبعدم الاستجابة لاستغاثاتهم ودعواتهم، ما زال كل ذلك مثبتاً، ومثبت معه عصيان اليهود لأنبيائهم.. لكأنّهم لا يسمعون كما ذُكر ذلك في كتبهم على ألسنة أنبيائهم.. " اسمع هذا أيها الشعب الأحمق الغبي، يامن له عيونٌ ولكنه لا يُبصر، وله آذانٌ ولكنه لا يسمع، ألا تخشونني يقول الربّ؟ ألا ترتعدون في حضرتي؟" اشعيا 5: 21-

23.. وقال تعالى عنهم:
" **لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسولٌ بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون. وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا و صمّوا كثير منهم، والله بصير بما يعملون**" المائدة آية 71... وقال عن أبائهم: " **وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا، قالوا سمعنا وعصينا، وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم..**" البقرة 93 ..

وقال عز وجلّ محذراً المسلمين من مثل هذا الصمم عن سماع الرسول عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: "**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون. ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون. إنّ شرّ الدواب عند الله الصمّ البكم الذين لا يعقلون. ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون**" الأنفال 20–23.
.. لكم وقعت وتقع على أمتنا المسلمة من مصائب وابتلاءات عظيمة لم يُجب فيها الدعاء ولمُ يحقق فيها الرجاء.. والأمر به واضح.. سنة الله في الذين خلوا من قبل، تمضي علينا بسبب ذنوبنا كما مضت عليهم بسبب ذنوبهم .. قال تعالى : " **واتقوا فتنةً لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة، وأعلموا أن الله شديد العقاب**" الأنفال 25.

وبتحريم الأرض المباركة على مَن بقي من بني إسرائيل (اليهود) عام 135 يتم إسدال الستار نهائياً على اصطفائهم الذي خسروه مختارين.. بل قد تم إسدال الستار ذلك منذ تكذيبهم بعيسى عليه السلام وإعلانه الصريح لهم ألا نبوة من بعده إليهم، وأنّ النبوة والاصطفاء ستظهر بعد حينٍ من بعده في غيرهم (يُراجع كتاب التباشير)..
ما أجمل آيات الأعراف بعد استعراضها لتاريخ موسى عليه السلام وقومه من بعده تسدلُ الستار على انحدارهم من بعد الاصطفاء بقوله تعالى: " **وإذ تأذّنَ ربك ليبعثنّ عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب، إنّ ربك لسريع العقاب وإنه لغفورٌ رحيم. وقطعناهم في الأرض أُمَما، منهم الصالحون ومنهم دون ذلك، وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون. فخلف من بعدهم خلفٌ ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيُغفر لنا وإن يأتهم عرضٌ مثله يأخذوه، ألم يُؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحقّ ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خيرٌ للذين يتقون أفلا تعقلون. والذين يُمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنّا لا**

نُضيع أجر المُصلحين" الأعراف 167– 170.. إنّه العدل الإلهي.. وتلك هي النهاية التي اختاروها بأنفسهم رغم التحذيرات والتنبيهات التي لا تُحصى ولا تُعد عبر القرون الطويلة.. ورغم العقاب الشديد المتكرر الذي انتهى باستئصال أغلبهم منذ قرون طويلة، ثم أتبع بسلسلة متتابعة من البطش الرباني على من بقي من بني إسرائيل على أيدي الأمم الوثنية.. ذلك عدل الله عزوجل الذي جرى على الأمم الأولى من قبل يمهل ولا يهمل.. وهو عدل الله عزوجل الذي سيحفظ للمُصلِحين (وهم غير الصالحين المتقوقعين في أنفسهم) والحريصين على الكتاب والشريعة (في الفترة التي سبقت نسخها) أجرهم في الدنيا والآخرة..

توالي الأباطرة الرومان على حكم فلسطين، وتحريمها على اليهود، واشتهار عشرة منهم باضطهاد النصارى.

الأباطرة العشرة (نيرون, ودوميشان, وتراجان, واوريلياس, وسيبتيمياس سويسرس، ومكسيمن، وديسيوس، وفالريان، وأوريليان، وديوكليتيان) الذين قاموا باضطهاد النصارى في الفترة الأولى من تاريخ الإمبراطورية الرومانية هم بلا شك العشرة قرون المذكورة ضمن فترة حكم المملكة الرابعة (الرومانية) الواردة في بشارة دانيال (موضوع الإصحاح السابع من سفر دانيال بأكمله) عن الممالك الأربع التي ستسبق قيام مملكة الله (وتحققت بقيام دولة الإسلام)، بما فيها من تفصيل حول المملكة الرابعة، وظهور ملك (قسطنطين) يغير الدين والأعياد ويغلب ثلاثة ملوك ويكون مسبوقا بحكم عشرة ملوك.. ويستمر الحكم الذي يؤسسه لمدة ثلاث فترات زمنية ونصف حتى قيام مملكة الله.. وقد كان ذلك فورث المسلمون الأرض المباركة من الروم بعد ثلاثة قرون ونصف تماماً..

- فترة حياة المؤرخ المسيحي أوريجن Origen 200– 254م.

الحدث:

- تقسيم ديوكلتيان Diocletian الإمبراطورية إلى شرقية وغربية عام 285 م، مع اختيار إمبراطور لكل ناحية ونائب له عام 305 م، وتمرد النواب بحيث أصبح للإمبراطورية أربعة أباطرة.
- وراثة قسطنطين للحكم في نصف الإمبراطورية الغربي عام 305 م (أو 288–337 م) بعد وفاة والده، ثم توحيده للإمبراطورية تحت حكمه بعد تغلبه على الأباطرة الثلاثة الآخرين

المنافسين

التعليق:

- أصبحت بذلك الإمبراطورية الرومانية للمرة الأولى بتاريخها تحت حكم أربعة أباطرة.. كل منهم على جزء مستقل.. وكان ذلك بعهد والد قسطنطين الذي أصبح أمبراطورا على قسم من الجزء الغربي.. وجاء قسطنطين إلى الحكم عام 305 م ليجد أمامه ثلاثة أباطرة آخرين، هم فاليريوس ليسنيوس Valarius Licinius، وماكسيمن داناMaximin Dana في الجزء الشرقي من الإمبراطورية، وماكسنتيوس **Maxentius** بجانبه في الجزء الغربي من الإمبراطورية..

اتفق قسطنطين مع ليسنيوس Licinius الذي صاهره وزوّجه أخته قسطنطيه Constantia، وارتبط معه بحلف في ميلانوعام 313 م (قبل معركة الأخير مع خصمه ومنافسه بالشرق ماكسيمن دانا Maximin Dana)، فقضى قسطنطين على ماكسنتيوس الذي ينازعه حكم الجزء الغربي في معركة جسر ميلفيان (Milvian Bridge) عام 312 م . ثم ساعد صهره ليسنيوس (Licinius) في التخلص من خصمه ماكسيمن دانا في السنة التالية، ثم تواجه مع ليسنيوس نفسه بعد ذلك في حروب من عام 313 حتى غلبه وقتله عام 324 م.. فقضى بذلك على ثلاثة أباطرة..

وقد أصدر قسطنطين عام 321 م أمراً بإغلاق المحاكم في يوم الشمس Sun-day (يوم الأحد) واعتبره يوم الراحة الإسبوعية وتبعته في ذلك الكنيسة النصرانية، وقامت الكنيسة فاتخذت من يوم ولادة الشمس (يوم التحول عن الشتاء بالجزء الشمالي من الكرة الأرضية، أو بدء تطاول النهار بعد بلوغ تقاصره منتهاه) وهو يوم 25 ديسمبر اتخذته يوماً وعيداً لميلاد للمسيح.. ومعلوم أنّ قسطنطين كان من كهنة عبادة الشمس، وأنه أراد أن يُوحد الأديان (بإدخال تعاليم بعضها ببعض، حتى قال المؤرخون أنّه رمّن النصرانية أكثر مما نصر الرومان) ليُساعد ذلك كله في تثبيت حكمه.. وقد فصلت هذه القضية بشواهدها في كتابي عن البشارات.

هذا وكان قد تنبأ الفصل السابع من كتاب دانيال المشار إليه أعلاه بقدوم الإسلام من بعد دولة الروم، وتحدث عن معالم تاريخية تالية كان أهمها مجيء قسطنطين قبل ظهور مملكة الله بثلاثة أحقاب زمنية ونصف (أي ثلاثة قرون ونصف القرن)، وذكر كتاب دانيال عشر صفات

تكفي كل واحدة منها لتمييز قسطنطين عن بقية أباطرة الروم.. وتعد هذه البشارة من أهم البشارت البينة بالإسلام (يرجى مراجعتها من كتاب التباشير).

- مجمع نيقية Nicaea عام 325 م تحت زعامة قسطنطين الوثني حينها، وكتابته بنفسه للنص العقائدي ! ثم إعادة كتابة النصوص الدينية (الأناجيل والرسائل المقدسة لدى المسيحيين)، من بعد إتلاف جميع الرسائل والأناجيل على يدي الإمبراطور ديوكليتيان من قبله، بحيث لم يحفظ التأريخ أي رسالة مكتملة (ولا واحدة) من قبل قسطنطين إلا ما سمح هو بكتابته على أيدي المجموعة المسيحية التي تبناها.

التعليق:

يرى باحثون أن النصرانية المعاصرة تنتسب إلي قسطنطين أكثر مما هي إلى عيسى عليه السلام.. فقد اختار قسطنطين المجتمعين، وجلس بهيلمانه في وسطهم، لكأنه كما يقول بعض الباحثون (12) المسيح وسط حوارييه، ونزلت عليه كما زعم المسيحيون فيما بعد روح القدس.. فوفّق بين المجتمعين (وهو ما زال وثنيا من عباد الشمس) برأيه بأنّ الإله الأب والإله الإبن هما مظهرين لنفس الذات (حتى لا يناقض التوحيد!) وهما من نفس المادة.. تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا..

- كما يذكر الباحثون: فقد اصبح تعريف الهرطقة عملياً بأنّه القول بما يخالف رأي قسطنطين!

- مع أنّ قسطنطين لم يعتنق المسيحية في حياته وإنما عُمّد على مرض موته استغلالا لضعف مقاومته عند مرضه.. إلا أنّ هيلينا أمه كانت مسيحية فعلاً.. وإلى وقتها (إي عصر قسطنطين) فإنّ الديانة المسيحية كانت ما تزال متوارثة لموقف الابتعاد عن اليهود وعن القدس التي كانت موطن النصارى اليهود، وهو الموقف الموروث عن بولس.. ولم تكن للمسيحية معالم أو مواطن مقدسة فجاءت هيلينا أم قسطنطين بعد ثلاثة قرون من الأحداث وبعد مائتين وخمسين عاما من طمس معالم أورشليم لتحدد من خلال رجالها الذين سعوا لإرضائها، جاءت لتحدد موضع الصلب والصعود المزعوم وموضع الولادة ببيت لحم وحتى موضع كلام الله لموسى بسيناء.. واعتبرتها مواضع مقدسة للحج والزيارة.. إضافة محدودة جديدة للدين الجديد الذي تبنته الإمبراطورية الرومانية! ليكون كغيره من الأديان صاحب لأراض مقدسة ومزارات!

- **فترة عيش المؤرخ المسيحي إيسوبيوس (263- 339 م).**

- انقسام الإمبراطورية مرة أخرى ولكن إلى امبراطوريتين فقط شرقية وغربية عام 340 م، وتحديد حدودهما عام 364 م، وقيام الحروب بينهما، مع توحيدهما عددا من المرات آخرها تحت حكم ثيودسياس (392- 395 م)، وتفوق القسطنطينية على روما سكانا وثراء، مع إرثها لكل عادات وامتيازات روما وسكانها.
- فترة عيش المؤرخ جيروم Jerome: 325- 420 م.

- الذوبان التدريجي للعاصمة الغربية روما تحت غزو القوط الألمان، وتغلغلهم في الجيش ومراكز النفوذ بالدولة الغربية، بمساعدة من حكام القسطنطينية في بعض الأحيان، والسقوط الرسمي لروما كعاصمة غربية للإمبراطورية الرومانية عام 476 م، ونقل الألمان لشعار الإمبراطورية للإمبراطور بالقسطنطينية توحيداً للإمبراطورية، وبقائهم رسمياً كجزء من الدولة الرومانية، وإن لم تقم للإمبراطور بالقسطنطينية سلطة عليهم بروما.
- الصياغة النهائية للتلمود البابلي 499، إلا أن التلمود لم يأخذ شكله النهائي إلا بعد ذلك بقرون طويلة.

لا يصح إطلاقا اعتبار سقوط روما تحت حكم الألمان نهاية للإمبراطورية الرومانية، وكيف وعاصمتها بالقسطنطينية كانت وظلت قائمة منذ أن بنيت عام 324 م، وظل حكامها هم أنفسهم قائمون بالجزء الشرقي منها، وظلت سيادتها على الجزء الغربي باقية نظرياً، ثم استعيدت تماماً فيما بعد.

- اضطهاد اليهود بإسبانيا (612 م) وتحريم اليهودية (694 م)

وقع الاذلال لليهود على مرّ القرون وفي كل الأرض.. ولم يسلم اليهود الذين عاشوا خارج العالم الإسلامي من الإضطهاد والإعتداءات بل والمذابح .. وهو ما يُقرّ به اليهود في كتبهم.. وكل ذلك مصداقاً للوعد الإلهي بالتوراة والإنجيل والقرآن بالانتقام من اليهود على مرّ القرون طالما لم يتوبوا الى الله ويؤمنوا بأنبيائه..

قيام دولة الإسلام الربانية ووراثتها للأرض المباركة:

638 م- حتى هذا العصر

- مولد الرسول **محمد صلى الله عليه وآله وسلم** عام 571 م بمكة.
- استيلاء الفرس على القدس عام 614 م، وهو ما أُشير إليه في قوله تعالى: " **غلبت الروم**

في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون".. وتمت غلبة الروم على الفرس بعد ذلك خلال بضع سنين كما أخبرت بذلك الآيات القرآنية، واستعادوا القدس بعد ذلك عام 629 م، واضطهد الروم (النصارى) اليهودَ وأبادوهم لتعاونهم من قبل مع الفرس ومساهمتهم في هدم المعالم المسيحية..

– بين مولدي عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام إذن حوالي 571 سنة شمسية، أو 588 سنة بالحساب القمري الإسلامي واليهودي، ولأنّ رسول الله محمدا بُعث وهو بالأربعين بينما بعث عيسى عليه السلام وهو بأواخر العشرينات (بين 28–30 م) فإن بين بعثتي النبيين ستمائة عام تامّة مصداقا لما رُوي عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم (16).

– هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم سنة 622 م إلى المدينة المنورة (يثرب) وتشييد أمّة الإسلام ودولته..

قيام دولة الإسلام كان تحقيقاً لوعد قديم وُعد به المؤمنون.. الذين هم أمة واحدة عبر التاريخ.. وفرح بتحققه العارفون منهم وابتهجوا.. " والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أُنزل إليك.." الرعد:36، " وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحقّ.." المائدة:83

" ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون. إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين. وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" الأنبياء 105–107.. وقال تعالى: **" وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات <u>ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم</u> وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يُشركون بي شيئا، ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون"** النور 55

– دخول عمر بن الخطاب أورشليم فاتحا عادلا ومنتصرا متواضعاً، راكباً على حماره في فبراير عام <u>638 م</u>، وبناء المسجد الأقصى.

– تحقُّق نبوة (بشارة) زكريا

– وتحقق نبوات قيام مملكة الله (بكتاب دانيال، والأناجيل).

– وتحقق نبوات وراثة الأرض المباركة:

" <u>ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا</u> فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم

سابق بالخيرات بإذن الله، <u>ذلك هو الفضل الكبير</u>" فاطر 32 <u>" **ولقد أهلكنا القرون من قبلكم**</u>
<u>لمّا ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وماكانوا ليؤمنوا، كذلك نجزي القوم المجرمين. ثمّ جعلناكم</u>
<u>خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون</u>" يونس13 –14

النداء الخالد لبني إسرائيل بالتوبة والإنابة:

" .. **إنّ بني إسرائيل أمة غبية لا بصيرة فيها، لو عقلوا لفطنوا لمآلهم وتأمّلوا في مصيرهم**" التثنية 32: 28

هذا مثال من خطاب الله تعالى بالعربية لبني إسرائيل بغير لغتهم كما وعدوا بذلك في كتبهم:

قال تعالى : *" [illegible]:*

***8**.. ورد بالتوراة مثل هذا النداء كذلك.. دعوة ونداء لبني إسرائيل بالتوبة إلى الله (بما يعنيه ذلك من اتباع أنبيائه الحق..) ووعد لهم بأنّ الله سيرحمهم عند توبتهم الصادقة.. هذا النداء الذي أعلن منذ عهد موسى عليه السلام قد جدّده الأنبياء على ما جاء في الكتب المنسوبة إليهم.. وجدّدَه من بعدهم الوحي الرباني الذي جاء به* محمد صلى الله عليه وسلم. .

" **يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون. وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولاتشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون. ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون. وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين. أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**" البقرة 40– 44.

" **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين. يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم**.."

تلك هي الدعوة الربانية المفتوحة لليهود على مرّ الأزمنة.. ولكن مأساتهم أنهم لا يسمعون وإذا سمعوا لا يطيعون..

وقال تعالى في خطاب مباشر أيضاً لليهود مفصلا لأحداث عامة بتاريخ بني إسرائيل ستقع لا محالة نتيجة لإفسادهم المتكرر بالأرض..

" **وقضينآ إلى بني إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً فإذا جآء**

وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنآ أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددنـاكم بأموال وبنين وجعلنـاكم أكثر نفيراً، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليُتبروا ما علوا تتبيراً، عسى ربّكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا" الإسراء 4–7

واضح أنّ اليهود لم يستجيبوا، ولم يسمعوا للنداء الإلهي الموجه إليهم بلسان جديد، وذلك ما صرّح به دانيال عليه السلام حين أشار إلى فتح باب التوبة لهم مستقبلاً على يد خاتم الأنبياء ثم هم لن يتوبوا.. إنّهم صمّ بكم عمي.. إنّ الله قد ختم وطبع على آذان وقلوب أكثرهم فهم لا يسمعون ولا يستطيعون سمعا.. جاء في إرميا كذلك 5: 21 : "اسمع هذا أيها الشعب الأحمق الغبي، يا من له عيون ولكنه لا يبصر، وله آذان ولكنه لا يسمع، ألا تخشونني يقول الربّ؟ ألا ترتعدون في حضرتي؟".. وجاء في حزقيال 12: 2 عن آبائهم: " يا ابن آدم أنت مقيم في وسط شعب متمرد، لهم أعينٌ ليروا ولكن لا يُبصرون، ولهم آذانٌ ليسمعوا ولكن لا يُصغون.." لقد قالوا " لن نسمع" إرميا 6: 17، أوهم سمعوا فعصوا، فكأنّهم لم يسمعوا.. قال تعالى مُحذراً المسلمين من تكرار صمم بني إسرائيل: " **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولّوا عنه وأنتم تسمعون. ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا <u>وهم لا يسمعون. إنّ شرّ الدوابّ عند الله الصمّ البكم الذين لا يعقلون. ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم</u> ولو أسمعهم لتولو وهم معرضون**" الأنفال 20– 23، قال تعالى عن آبائهم ".. **خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا**.."

إنهم لن يسمعوا وإذا سمعو فلن يطيعوا.. ذلك هو حال اليهود كما قيل عنهم مراراً في كتبهم على مرّ العصور إلا المؤمنين منهم والصالحين.. ليس ذلك بغريب على اليهود وقد كفروا بآيات الله وبدلوها وهم يرون آيات الله ومعجزات الأنبياء أمامهم، ورفضوا التوبة التي عرضها على مر الزمن عليهم أنبياؤهم الكرام.. قال تعالى : " **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يسمعون**" البقرة 75..

ومع هذا فواجب التبليغ يُحتمّ على هذه الأمّة توجيه إعلام دعوةٍ لليهود، وتبليغهم الخطابَ الإلهي بالقرآن الكريم المُوجّه أصلاً إليهم، ومثل هذا التبليغ إن لم يهتدِ به أحد منهم فقد ينجح

في بلبلة صفوفهم وهزِّ مرتكزاتهم..

بقاء الأمة الإسلامية بفلسطين منذ أن فتحها عمر عام 638 م حتى يومنا هذا، وكانت هي الحاكمة في كل هذه الفترة عدا سنوات الحكم الصليبي وعدا السنوات الأخيرة من بعد 1948 أو 1967 فقد صارت محكومة، لكنها ثبتت بالأرض المباركة كأحقّ الناس بها.. وهي اليوم تملك قلب فلسطين (الضفة الغربية) ومواطن الوحي والتاريخ منها رغم جبروت إسرائيل ومكرها..

قارن هذا بسكن اليهود لفلسطين مدة 1300 إلى 1500 عام كانوا دائما هم المحكومين عدا فترة محدودة من القرون كانوا بها مستقلين وحاكمين.. ومع ذلك فقد اعتبروا فلسطين من حقهم مع أنّ غيرهم من الأمم التي تشكل منها أبناء فلسطين المعاصرة شاركهم في سكن فلسطين وقت وجود اليهود بأجزاء منها، ثمّ انفرد المسلمون بحكمها لفترة أطول من حكم اليهود لأجزاء منها..

احتلال الصليبيين للقدس وأجزاء من فلسطين لفترة محدودة نسبيا تحت حكمهم..

أقاموا مجازر هائلة بالمسلمين من سكان فلسطين.. وكذلك كان دخول كل أمة لفلسطين عبر التاريخ إلا دخول المسلمين على يد عمر وصلاح الدين..

قيام الصهيونية المعاصرة بانشاء الكيان المسمى "**إسرائيل**" عام 1948 م على أساس علماني لا يحتكم إلى شريعة التوراة ولا يتبعها، ولا يعرف منها إلا ما يستشهد به لتبرير احتلال الأرض المباركة واستباحة أملاك أهلها، وقتلهم وإبادتهم كما صنع اليهود عند إعلان دولتهم، وكما يزعمون أن آبائهم صنعوا عند دخولهم أرض كنعان، وليت ذلك من الوحي الحق، ولو كان فليس ذلك لهم اليوم من الله بعد كفرهم بالأنبياء وإعلان الله غضبه عليهم مالم يتبعوا أنبياءه..

التعليق:

اعتبر بعض الكتاب أن تَسَمِّي الدولة العبرية المعاصرة باسم اسرائيل هو اغتصاب لاسم الغير (دوغلاس ريد)، ذلك أن اسرائيل الأصلية – كما سبق تفصيله– قد انقرضت بسكانها منذ القدم، وأن اليهود المعاصرين اما متهودين (من الخزر والعرب وغيرهم) أو من أبناء "يهوذا" التي ما كانت علاقتها باسرائيل الا العداء والتآمر، وكان الأصح أن يتسمى الكيان المعاصر بـ "يهوذا".. على أي حال فليس لإسرائيل العلمانية المعاصرة حقٌ بفلسطين على أساس توراتي وهي بحكم

التوراة نفسها كما أسلفنا من قبل لكفرها لا تستحق أرض فلسطين.. ولو آمنت لفرّت من فلسطين لأن من يدرس التوراة يعلم أن سنة الله عزوجل الأولى في بني إسرائيل لن تتبدل.. ومن الثابت معارضة يهود فلسطين للصهيونية ولقيام اسرائيل على أيدي "الوثنيين الكفار" ولكن رأيهم لم يؤبه له..

هل هذه عودة إلى الله.. وقد قيل لهم في التوراة والقرآن: "**وإن عدتم عدنا**".. أم هي بلا شك عودة إلى الأرض لا إلى الله (2).. بل هي بلا شكّ – كما فصّلت بالملحق الرابع– عودة إلى الإفساد في الأرض في ظل الردّة والكفر، لن تكون نهايتها إلا أسوأ من ذي قبلها كما يعلمون ! وسيعود عليهم اللهُ بعذاب شديد تحقيقا للوعد "**وإن عدتم عدنا**".. وهو ما يجزم به كذلك من قرأ التوراة وكتب الأنبياء وآمن بها.. وهذه التوراة تربط عودتهم إلى فلسطين وجمعهم من الشتات بعودتهم إلى الله عزوجلّ.. جاء في نحميا1: 7– 9: "..**إن خنتم عهدي فإني أُشتت شملكم بين الشعوب، وإن رجعتم إلي وأطعتم وصاياي ومارستموها فإني أجمع المنفيين حتى من أقاصي السماوات، وآتي بهم إلى المكان الذي اخترته**.." فكيف يحسبون أنّ هذا الجمع من الشتات والعودة إلى فلسطين هو جمع مبارك، وقد تمّ في ظلّ الإفساد في الأرض وظلِّ العلمانية والكفر بالأنبياء وتعاليمهم بما فيهم أنبياء بني إسرائيل أنفسهم وتوراتهم نفسها..

ويؤيد عامة النصارى اليوم عودة اليهود المعاصرين إلى فلسطين بدعوى أنها أرض آبائهم وأجدادهم.. كيف واليهود لم يكونوا عبر الزمن إلا أقلية ضمن سكان فلسطين.. كيف وهم يعلمون أنّ معظم اليهود المعاصرين ليسو إلا من جماعات متهوِّدة لم يعرف أجدادها أرض فلسطين.. فكيف يقرّ نصارى اليوم لأهل اليمن والحبشة ووسط آسيا وغيرهم ممن نعرف تاريخياً تهودهم عقديا كيف يقرون لهم بحقّ امتلاك فلسطين وطرد أهلها منها .. فهل هم مستعدون أن يعطوا المسلمين من شتى البقاع حقّ استعادة اسبانيا وطرد أهلها المعاصرين منها بدعوى أن اسبانيا أرض الآباء والأجداد ولنا نحن المسلمون إليها حنين.. وفي الواقع فليسوا هم من يُعطي هذا الحقّ.. بل هو الله عزوجل وقد رأينا الكتب المقدسة تُورّث فلسطين بشكل صريح للأمة المسلمة الوارثة (يراجع لذلك كتابي عن بشارات الإنجيل والتوراة).. والحق أنّها ملك للمسلمين.. وأن اليهود موعودون بالفناء وعذاب الاستئصال لا بالنصر..

ألا فلا يظن يهود اليوم أنّ الله قد رفع عنهم اللعنة التي ثبت وقوعها عليهم وهم اليوم على

كفر أشد من كفر آبائهم الذين استحقوا لعنة الله والناس أجمعين! ألا فلا يظنوا أنّ الله معهم على كفرهم به وبأنبيائه وكتبه وعلى إجرامهم وإفسادهم اليوم بالأرض!.. ألا فلا يظن المتدينون منهم كذلك أنّ العودة إلى الله عز وجل يمكن أن تتم بإتباع توراةٍ منسوخة ومحرفة وكفرٍ بأنبيائه عيسى ومحمد المبشر بهما في كتبهم كما هو ثابت، وأنّ الله عزوجل سيأذن لهم أن يختاروا لأنفسهم من الأنبياء مَن يتبعوا وبمن يكفروا.. فلقد أهلكهم الله من قبل وهم يظنون أنهم متوكلين عليه في مواجهتهم لنبوخذنصر ولتيطس وهادريان وغيرهم، كما رأينا في هذا الكتاب، وما أُهلكوا إلا لأنّهم اتبعوا الأنبياء الكذبة ممّن يُرضُون أهواءَهم.. أفهل يتعظون !! ويتوبون إلى الله ويستغفرونه ويتبعون أنبياءه الحقّ !! إنّهم كما قالوا عن أنفسهم " أمة غبية" تُهلك نفسها بنفسها، وتمعنُ اليومَ في الأرض إفساداً وكبراً لن يكون جزاؤه من الله إلا عذاباً أشد مما سبقه.. وهو قريب وهم لن يتراجعوا ولن يحيدوا إلى الجادّة.. وأنّى لهم وهم كما سطروا عن أنفسهم بأنفسهم لا يسمعون، والأرض المباركة بفلسطين هي ملك المسلمين قد وُرِّثوها بنص التوراة والقرآن، فلن يطول عمرهم بها إن شاء الله أكثر مما طال ذلك للصليبيين..

هوامش شريط الأحداث الزمني

(1) الحديث في هذا الكتاب مركز على عصر الإستخلاف لبني إسرائيل حتى طردهم من فلسطين وإعلان نزع الإستخلاف الرباني عنهم.. ومع هذا فلم يكن كل اليهود في تلك الفترة من أبناء الأسباط الاثناعشر، فإضافة إلى فناء عشرة أسباط يهودية سيرد الحديث عنها، فقد دخل باليهودية كثير من سكان المنطقة المحليين.. وأما يهود اليوم فالأغلب أنّ أكثرهم من المتهودين.. وتُشكّل المجموعات التي تنتمي إلى شعب الخزر المتهود الذي كان قد أقام كيانا يهوديا له بشرق أوروبا، ثم تفرّق في أوروبا بعد انهيار دولته في القرن الثالث عشر تشكل هذه المجموعات أغلبية ضمن يهود أوروبا والعالم.. ويهود فلسطين المعاصرين.

(2) بمناسبة الحديث عن هجرة إبراهيم عليه السلام إلى أرض كنعان، فإنّه يُفهم من مخطوطات البحر الميت – وهي الصحائف التي اكتشفت بخربة قمران وما حولها بقرب البحر الميت، كتبتها طائفة من اليهود الأسينيين– يفهم منها أنّ أبا إبراهيم بلغ عمره 205 عاما، وأنّ ابراهيم لم يهجره إلى أرض كنعان إلا وعمره 145عاما وعمر ابراهيم 75 عاما، وقد عاش والده بعد ذلك ستين عاما.. فاجتمع لإبراهيم مجيء الأبناء على الكبر (وقد رُزق بهم بعد هجرته إلى كنعان كما هو معلوم) وهو ما زال يدعو لوالده بالهداية بعد أن وعده بالدعاء له عندما قرر اعتزاله (مريم 47– 49) وكان ذلك وهو في السابعة والخمسين.. ومن هنا اجتمع في دعاء ابراهيم حمد الله على اسماعيل واسحاق عليهم السلام والدعاء لوالده (سورة ابراهيم 39– 41).. ولم يرد ذكر يعقوب ضمن أبناء إبراهيم الذين منّ الله بهم عليه في حياته إلا مستقلا عن الدعاء لوالديه (انظر مثلا الأنبياء 72).. إذ كان قد امتنع عن الدعاء لوالديه في الفترة بين ولادة اسحاق وابنه يعقوب.. وقد كانت ضمن فترة الستين عاما التي عاشها والده من بعد اعتزال ابراهيم له.. وإنّما فصلت في هذا السرد ليسهل فهم الآيات المتعلقه بهذا الموضوع من حياة ابراهيم عليه السلام.. والله أعلم.

(3) جاء في اصحاح التكوين 22 : 15 : " ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء وقال بذاتي أقسمت يقول الرب أني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تُمسك ابنك وحيدك أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر ، ويرث نسلك باب

أعدائـه ويتبـارك فـي نسبك جميـع أمـم الأرض" .. والوعد هنـا فـي هذا الموضـع مـن سفر التكوين جاء قبل مولد إسحاق، وهو برسالة عالمية من أبناء إبراهيم تتبارك بها أمم الأرض.. وواضـح أنّـه لـم يكن بين أبنـاء إبراهيم نبيا أعلن نفسه نبيا لأمم الأرض إلا محمد صلى الله عليه وسلم.

(4) أورد الإمام الطبري في تفسيره عدداً من الروايات عن الآيات المتتابعة على فرعون وقومه.. نذكر منها هذه الرواية التي كان صاحب الظلال رحمه الله تعالى قد اختارها كذلك من بين ما أورده الطبري: حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب القُمي, عن جعفر بن المغيرة, عن سعيد بن جبير, قال: لما أتى موسى فرعون, قال له: أرسل معي بني إسرائيل فأبى عليه, فأرسل الله عليهم الطوفان, وهو المطر, فصبّ عليهم منه شيئا, فخافوا أن يكون عذابا, فقالوا لموسى: ادع لنا ربك, لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك, ولنرسلنّ معك بني إسرائيل فدعا ربه, فلم يؤمنوا, ولم يرسلوا معه بني إسرائيل. فأنبت لهم في تلك السنة شيئا لم ينبته قبل ذلك من الزرع والثمر والكلإ, فقالوا: هذا ما كنا نتمنى فأرسل الله عليهم الجراد, فسلّطه على الكلإ. فلما رأوا أثره في الكلإ عرفوا أنه لا يبقى الزرع, فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك فيكشف عنا الجراد, فنؤمن لك, ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه, فكشف عنهم الجراد, فلم يؤمنوا, ولم يرسلوا معه بني إسرائيل, فداسوا وأحرزوا في البيوت, فقالوا: قد أحرزنا. فأرسل الله عليهم القمل, وهو السوس الذي يخرج منه, فكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحى, فلا يردّ منها ثلاثة أقفزة, فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا القمل, فنؤمَن لك, ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه, فكشف عنهم, فأبوا أن يرسلوا معه بني إسرائيل. فبينا هو جالس عند فرعون إذ سمع نقيق ضفدع, فقال لفرعون: ما تلقى أنت وقومك من هذا؟ فقال: وما عسى أن يكون كيد هذا؟ فما أمسوا حتى كان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع, ويهمّ أن يتكلم فتثب الضفادع في فيه, فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع, فنؤمن لك, ونرسل معك بني إسرائيل فكشف عنهم فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم الدم, فكان ما استقوا من الأنهار والآَبار, أو ما كان في أوعيتهم وجدوه دما عبيطا, فشكوا إلى فرعون فقالوا: إنا قد ابتلينا بالدم, وليس لنا شراب. فقال: إنه قد سحركم. فقالوا: من أين سحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئا من الماء إلاّ وجدناه دما عبيطا؟ فأتوه فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم, فنؤمن لك, ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه, فكشِف عنهم, فلم يؤمنوا, ولم يرسلوا معه بني إسرائيل.

(5) جاء في سفر نحميا 1: 8– 10:" **إن خنتم عهدي فإني أشتت شملكم بين الشعوب، وإن رجعتم إلي وأطعتم وصاياي ومارستموها، فإني أجمع المنفيين حتى من أقاصي السماوات،**

وآتـي بهـم إلـى المكـان الـذي اخترتـه لأُسكن اسمي فيـه"، فالعودة الأولى بعد الأسر البابلي تمت بعد توبة وإنابة وتضرع، وبقيادة أنبياء، وأما هذه العودة فقد تمت بمكر الليل والنهار من قبل العلمانيين من النصارى واليهود، بعيدا عن التوبة والإنابة فهي عودة تبدو ليجمعوا وليتكدسوا لاستقبال العذاب، كما تم مثل ذلك من قبل، وكما جاء في سفر صفنيا (2: 1-3): " تكدّسي تكدّسي أيتها الأمة التي لا حياء لها، قبل أن تطردوا كالعصافة العابرة في يوم واحد، قبل أن يحل بكم اضطراب غضب الرب.."

(6) The Dead Sea Scrolls, ed. 1996, by Michael Wise, Martin, Abegg, J R. & Edward Cook.

(7) نص الحديث الآخر الذي رواه البخاري كما يلي: عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال قلت يلرسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قلت ثم أي، قال المسجد الأقصى، قلت كم بينهما؟ قال أربعون سنة، ثم أينما أدركت الصلاة بعد فصله، فإن الفضل فيه".

(8) Eisenman, in James the brother of Jesus, p.24, 210.

(9) فصلتُ هذه البشارة بشكل كامل ومُوثَق في الفصل الثاني من كتابي: " بشارات الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم".

(10) أخذت تفاصيل حصار القدس مما كتبه المؤرخ اليهودي مباشرة، في كتابه:
Josephus, Great Jewish Revolt: Siege And Destruction Of Jerusalem (70 AD).

(11) The Hiram Key by Christopher Knight & Robert Lomas, 1997, p.35.

(12) Above reference , p.83-84.

(13) Above reference , p.85.

(14) همجية التعاليم الصهيونية لبولس حنا مسعد، ومقدمتها التي كتبها مترجم الكتاب محمد خليفة التونسي، طبعة 1969.

(15) Josephus, Antiquities of Jews, book18.

(16) تاريخ إسرائيل لدير القديس للأب متى المسكين

(17) جاء في مستدرك الحاكم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " كان عمر آدم ألف سنة قال ابن عباس : و بين آدم و نوح ألف سنة ، و بين نوح و إبراهيم ألف سنة ، و بين إبراهيم و موسى سبع مائة سنة ، و بين موسى وعيسى (داود؟) خمس مائة سنة ، و بين عيسى و محمد صلى الله عليه و سلم ست مائة سنة. قال الحاكم: وقد قدمت الرواية الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه ليس بينه و بين عيسى نبي"، وجاء في المستدرك أخبرنا أبو سعيد الأخمسي، ثنا الحسين بن حميد، ثنا ابن نمير، ثنا يونس بن بكير، ثنا محمد بن إسحاق قال : " و بين موسى إلى داود خمسمائة سنة و تسعة و ستون سنة"

(18) ولم يحم الحرم المكي الحجاج من ذبح القرامطة لهم وذلك في فترات ضعف الأمة وتفرقها وتقريطها.. ولا أعلم إلا المسجد المشهور بإتشه الذي ظلّ قائماً سليماً وكل ما حوله أنقاض من بعد زلزال تسونامي، ربما لصلاح بانيه.. والمسجدين الحرام والنبوي أمام الدجال..

(19) جاء في سنن البيهقي الكبرى عن سعيد بن جبير عن بن عباس قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم برجل وقصته راحلته فمات وهو محرم فقال كفنوه في ثوبيه واغسلوه بماء وسدر ولا تخمروا رأسه فإن الله يبعثه يوم القيامة يلبي، وقد رواه مسلم في الصحيح عن أبي كريب، كما روى الحديث آخرون كابي داود وابن ماجة رحمهم الله تعالى.

ملاحق البحث

الملحق الأول:

ثبات وقوع اللعن الرباني على بني إسرائيل

جاء الحديث عن وراثة الأرض (المباركة) في مواضع عديدة من الكتاب المقدس والقرآن.. ولاشكّ بأن الأمة الوارثة للأرض المباركة (فلسطين) هي تلك الأمة التي بشر بها الأنبياء بأنّها ستكون من غير اليهود وبأنها ستقيم مملكة الله.. أو حكمه على الأرض.. كيف وقد حدّد الأنبياء زمن ظهورها بشكل دقيق ومذهل، كما جاء في البشارات الواردة بالإصحاح الثاني والسابع والتاسع من كتاب دانيال وفي رؤيا الأسابيع ووصية لاوي من كتاب إينوخ، بل وذكروا تفاصيل كثيرة ظاهرة عن هذه الأمة، وأقترح على القاريء العودة إلى كتاب التباشير الذي جمعت فيه هذه البشارات وفصلتها فسيرى الحقّ ساطعا ويعلم أن الإستخلاف قد نُزع من بني إسرائيل فعلاً وواقعا، وأُعطي لأمة الإسلام من بعدهم.. أمة وارثة للأرض المباركة التي طرد عنها بنو إسرائيل وللرسالة الخالدة التي أعلن على لسان آخر أنبياء بني إسرائيل نزعها إلى أمة تالية.. وأسدل على بني إسرائيل الغضب واللعن، كما ثبت ذلك من العهد القديم والجديد بنسخها المعاصرة، ومن القرآن الكريم كذلك، وبقيت لبني إسرائيل دعوة دائمة بالتوبة وتصديق الأنبياء والإنضواء ضمن مملكة الله الوارثة.. وسأورد فيما يلي نصوصاً تزيد القارئ يقيناً بأن الملعونين الّذين سيُطردون من فلسطين وسيُشردون في الأرض هم اليهود..

فمن التوراة وكتب الأنبياء:

- **التثنية 28 : 15- 68** (الخطاب موجه إلى بني إسرائيل عند نزول التوراة على موسى عليه السلام):

" ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك.. تأتي عليك جميع هذه اللعنات، وتدركك ملعوناً تكون في المدينة وملعوناً تكون في الحقل.. ثمر أرضك وكل تعبك يأكله شعب لا تعرفه فلا تكون إلا مظلوماً ومسحوقاً كل الأيام.. يذهب بك الرب وبملكك الذي تقيمه عليك إلى أمة لم تعرفها أنت ولا آباؤك.. وتكون دهشاً ومثلاً وهزأةً في جميع الشعوب الذين يسوقك الرب

إليهم.. وتأتي عليك جميع هذه اللعنات وتتبعك وتدركك حتى تهلك لأنك لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحفظ وصاياه وفرائضه التي أوصاك بها.. ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقصى الأرض إلى أقصاها.. وفي تلك الأمم لا تطمئن ولا يكون قرارٌ لقدمك بل يعطيك الرب قلباً مرتجفاً وكلال العينين وذبول النفس.. "

.. الّذين رأوا اليهود في مهاجرهم قبل عصر استكبارهم الحالي يعجبون كيف تحقق هذا الوعيد بحذافيره كاملةً..

- **التثنية 11 : 26 ..**

" انظر أنا واضع أمامكم اليوم بركة ولعنة، البركة إذا سمعتم لوصايا الرب.. **واللعنة** إذا لم تسمعوا بوصايا الرب إلهكم وزغتم عن الطريق.. " .

- **دانيال 9 : 11 ..**

" وكل إسرائيل قد تعدى على شريعتك وحادوا لئلا يسمعوا صوتك فسكبت علينا اللعنة والحلف (القسم) المكتوب في شريعة موسى عبد الله لأننا أخطانا إليه ".

- **إرميا 23 : 40 ..**

" لذلك ها أنذا أنساكم نسياناً وأرفضكم من أمام وجهي أنتم والمدينة التي أعطيتكم وآباءكم إياها، وأجعل عليكم عاراً أبدياً وخزياً أبدياً لا يُنسى "

- **ملاخي 2 : 2 – 6 ..**

" قال رب الجنود فإني أرسل عليكم اللعن ، وألعن بركاتكم ، **بل قد لعنتها لأنكم لستم جاعلين في القلب** "، والخطاب هنا هو لبني إسرائيل.

.. “In fact, I have already put a curse in them, because you don’t take my commands seriously” .

- **هوشع 9 : 15–17**

" إني هناك ابغضهم من أجل سوء أعمالهم أطردهم من بيتي لا أعود أحبهم .. يرفضهم إلهي لأنهم لم يسمعوا له فيكونون تائهين بين الأمم ” .

- **هوشع 13 :14**

“ I will no longer have pity for this people . ”

أي لن تكون لي (مستقبلاً) رحمةً عليهم .

- إشعيا 24: 5–6: " تدنست الأرض تحت سكانها، لأنهم تعدوا على الشريعة، ونقضوا الفرائض، ونكثوا العهد الأبد. لذلك التهمت اللعنةُ الأرضَ، وعوقب أهلها بإثمهم.." وكان قبل ذلك قد قال في نفس الإصحاح:1 :" ها إنّ الربّ يُخرب أرض يهوذا ويقفرها، ويَقلبُ وجهها ويُشتت سكانها"
- **إشعيا 43: 28:** " ودفعت يعقوب (أي إسرائيل) إلى اللعن وإسرائيل إلى الشتائم"
- **إرميا 11 : 3 ..**

" قال الرب إله إسرائيل ملعونٌ الإنسان الذي لا يسمع كلام هذا العهد الذي أمرت به آباءكم يوم أخرجتهم من أرض مصر.. اسمعوا كلام هذا العهد واعملوا به لأني أشهدت على آبائكم إشهاداً.. فلم يسمعوا.. **فجلبت عليهم كل كلام هذا العهد الذي أمرتهم أن يصنعوه ولم يصنعوه "** .

I have placed a curse on every one who doesn’t obey .. ” Then said“ listen or obey But they didn't't” .

- **ملاخي 3 : 9..**

" من أيام آبائكم حدتم عن فرائضي ولم تحفظوها، إرجعوا إليّ أرجع إليكم قال ربّ الجنود، فقلتم بماذا نرجع، أيسلب الإنسان اللهَ، فإنكم سلبتموني، فقلتم بما سلبناك، في العشور والتقدمة، قد لعنتم لعناً وإيايّ أنتم سالبون هذه الأمة كلها ".

- **إشعيا 30 : 13 – 14** .. في إشارة إلى تشريد وتمزيق بني إسرائيل بين الأمم نتيجة إثمهم..

" لذلك يكون لكم هذا الإثم كصدعٍ منقضٍ ناتئٍ في جدارٍ مرتفعٍ يأتي هدُّه بغتةً في لحظة، **ويكسر ككسر إناء الخزّافين مسحوقاً بلا شفقة** حتى لا يوجد في مسحوقه شقفةٌ لأخذ نار من الموقدة أو لغرف ماءٍ من الجب " تهديد قديم ووعد بتمزيق اليهود وتشتيتهم بين أمم الأرض نتيجة إثمهم.

- **إرميا 19 : 12 ..**

" هكذا قال رب الجنود. هكذا أكسر هذا الشعب وهذه المدينة كما يكسر وعاء الفَخّاريّ".

- **إرميا 11: 3**

" .. ملعون الذي لا يسمع كلمات هذا العهد .." ومن الثابت أنّ اليهود لم يسمعوا ولم يطيعوا..

- **إرميا 13 : 10**

" هذا الشعب الشرير الذي يأبى أن يسمع كلامي .."

..فالأشرار المقصود بهم هنا وبنصوص الزبور أعلاه، بل وبمناداة المسيح عليه السلام لهم كما بالإنجيل، هم كفار اليهود الذين كفروا بالأنبياء.. وهو فهم واضح كذلك من تفسير أهل مخطوطات البحر الميت لنصوص الزبور المذكورة لبشارة وراثة الأرض، وهو بيّن مما نسب إلى المسيح عليه السلام من نصوص ومما حدث بعد ذلك على الواقع ..

- **إرميا 44: 8** ، والخطاب موجه إلى بني إسرائيل:

" ..لكي تتقرضوا ولكي تصيروا لعنة وعارا بين كل أمم الأرض.. ويصيرون حلفا ودهشا ولعنة وعارا " 44 : 11

- **إرميا 23 : 10**

.. في حديث عن انحراف بني إسرائيل :" لأن الأرض امتلأت من الفسّاق، وناحت بسبب اللعنة، ويبست مراعي البرية، وصارت مساعيهم شريرة وبسالتهم ظالمة"

- **أخبار الأيام 34: 24..**

" ها أنا جالب على هذا الموضع وعلى أهله كل اللعنات الواردة في السفر.."، وكذلك 7:19–22 وفيه وعد بالتشريد وهدم الهيكل عند نكثهم لعهد الله.

- **اشعيا 24: 5– 6**

" والأرض تدنست تحت سكانها لأنهم تعدوا الشرائع، غيّروا الفريضة، نكثوا العهد الأبدي، لذلك لعنةٌ أكلت الأرض وعوقب الساكنون فيها" .. بيّنٌ ان الأرض المقصودة هي الأرض المباركة بفلسطين.

- **حزقيال 33: 23– 27**

" فكان إلي كلام الرب قائلا: يابن آدم إن الساكنين في هذه الخرب **في أرض إسرائيل يتكلمون قائلين إنّ إبراهيم** كان واحدا وقد ورث الأرض، ونحن كثيرون لنا أعطيت الأرض

ميراثا، لذلك قل لهم هكذا قال السيد الرب تأكلون بالدم، وترفعون أعينكم إلى أصنامكم وتسفكون الدم، **أفترثون الأرض**، وَقَفتم على سيوفكم، فعلتم الرجس وكل منكم نجس امرأة صاحبه، **أفترثون الأرض**.." وقد جاء بالأناجيل مثل هذا الإنكار عليهم والنفي بأن يكونوا هم ورثة إبراهيم، جاء على لسان يحي عليه السلام إنّه " **قال لهم يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي ، فاصنعوا ثماراً تليق بالتوبة، ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أباً، لأني أقول لكم أنّ الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم، والآن قد وضُعت الفأس على أصل الشجرة**.." *متى: 7 – 11*

.. يُلاحظ أن صورة الغلاف مستوحاة من هذا التشبيه المنسوب ليحي عليه السلام..

- **إرميا 24 : 8–9 ..**

" هكذا أجعل صدقيا ملك يهوذا ورؤساءه وبقية أورشليم الباقية في هذه الأرض والساكنة في أرض مصر، وأسلمهم للقلق والشر في جميع ممالك الأرض عاراً ومثلاً وهزأة ولعنة في جميع المواضع التي أطردهم إليها، وأرسل عليهم السيف والجوع والوباء حتى يفنوا عن وجه الأرض التي أعطيتهم وآباءهم إياها".. والشاهد هنا أن اليهود هم الأمة التي لعنت..

قد يُفهم من موضع ورود النص الأخير أعلاه (إرميا 24 : 8–9)، أنه يعني بقية اليهود الّذين لم يسبوا إلى بابل.. والواقع أن التهديد بالتشريد، والتمزيق بين أمم الأرض، وفرض المذلة والمسكنة عليهم، إضافة إلى إسلامهم إلى الأخرين يضطهدونهم.. الواقع أن هذا التهديد قد أُطلق من زمن موسى عليه السلام لليهود جميعاً، وتمّ تطبيقه كعقوبة شاملة عليهم جميعاً كما هو معلوم من التاريخ، رغم وجود بعض الصالحين بينهم كما يفهم من وصية المسيح عيسى عليه السلام عن مجيء الجيوش وحصارها للقدس، وأمره للصالحين بانتظار الفرج على أيدي المختارين (المُصطَفَين)، الذين سيتأخر قدومهم من بعد عقاب الله لليهود وطردهم بفترة من الزمن تطول حتى تتعاقب عليها أمم، تمّ تحديدها _ أي تلك الفترة_ في كتاب إينوخ بما دون السبعمائة سنة، ودعا المسيح عيسى عليه السلام أتباعه بالدعاء لتقصير تلك الفترة حتى قيام مملكة الله.. بل وجعل الدعاء بقدوم المملكة جزءاً من الصلاة اليومية للأتباع.. وهذا البلاء المُتوعد به اليهود قد وقع عليهم فعلا عبر القرون..

وقد ورد ذكره بالقرآن الكريم في أكثر من موضع، منها قوله تعالى بالكتاب العزيز : " **وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم. وقطعناهم في الأرض أمماً منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون**"..

وقد أراد بعض أهل الكتاب أن يفهم أنّ الأمة الوارثة هي بقية اليهود العائدين من بابل بعد الأسر.. وهذا فهمٌ منشأَهُ في الغالب – والله أعلم – تحريفات اليهود، وإلا فالتاريخ لا يثبت للذين عادوا من بابل مثل هذه الوراثة وهم قد ظلوا من بعد أسر البابليين أسرى لدى الفرس ثمّ الإغريق ثمّ الروم ثمّ أصابهم بعد ذلك العقاب الموعود والاستئصال الكامل من الأرض المباركة "حتى لا تجد بها أحداً منهم"، ولا يسمح كذلك العقل بهذا التفسير وقد ظلّ الأنبياء من بعد العودة من بابل يبشرون بمجيء المختارين الوارثين، حتى جاء عيسى عليه السلام مبشراً بالمختارين من بعده من غير اليهود.. فكيف يكون (العائدون من بابل) هم الوارثون والمختارون وقد كانوا سابقين في وجودهم لمن جاء يبشر بمجيء الوارثين من الأنبياء مثل عيسى عليه السلام..

وقد يفهم من بعض نصوص التوراة أنّ الله عز وجل من بعد غضبه على اليهود قد عفا ورضي عنهم، وهذا قد حدث بالتأكيد مراراً منذ عهد موسى عليه السلام، وله شواهد بالقرآن كذلك... منها قوله عز وجل " **لقد آخذنا ميثاق بني إسرائيل.. فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا و صموا كثير منهم، والله بصير بما يعملون**" المائدة آية 71... إلا أنّ آخر عهدهم بالوحي من خلال عيسى عليه السلام كان إعلان نزع النبوة منهم، وإعلان مجيء العقاب الإلهي عليهم لا محالة، مع فتح باب الأمل لهم بمجيء مملكة الله من أمة أخرى من بعد عيسى عليه السلام.. [illegible]

<u>ونقرأ بالإنجيل</u>.. خطاب يحيى (يوحنّا) عليه السلام لهم: " **يا أولاد الأفاعي، من أراكم سبيل الهرب من الغضب الآتي**.." متى 3: 7 ، وخاطبهم بذلك المسيح عليه السلام كما تروي الأناجيل، فقال " **يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار**.." متى 12 : 34، .. **فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء**

قتلة الأنبياء، فاملأوا أنتم مكيال آبائكم، أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم.. أيا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين.." متى 24: 30– 37، وهددهم بأنه ما جاءهم إلا بالسيف والإبادة.. وهي التي أنذر بحدوثها عليهم من بعده عقوبةً عليهم من الله عزّ وجلّ، وورد في رسالة بولس إلى أهل رومية اقتباس دعوة داوُد عليه السلام على عصاة بني إسرائيل " وقال داود: لتكن مائدتهم فخا لهم وشركاً وحجر عثار وجزاء. لتظلم عيونهم فلا تبصر، واجعل ظهورهم منحنية أبداً " وينبغي هنا ملاحظة أنّ كل اليهود الذين لم يتنصروا من بعد المسيح ويؤمنوا به كلهم كفرةً، استحقوا العقاب الموعود والله أعلم، وكفرة مثلهم كذلك كلّ اليهود والنصارى الذين لم يسلموا من بعد محمّد صلى الله عليه وسلم.

... ومن القرآن كتاب الله المصون عن التحريف، نقرأ قوله تعالى:

" **لُعِنَ الّذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوُد وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون..** " المائدة 78، وقوله تعالى مبيناً نقض اليهود لميثاقهم الغليظ مع ربّهم واستحقاقهم اللعنة منه عز ّوجلّ: " **فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسيةً، يحرّفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكِّروا به..** " المائدة 13، وقوله عز ّوجلّ :".. وقلنا لهم لا تعدوا في السبت **وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً. فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حقٍ..** " النساء 155، وقوله تعالى عن اليهود الّذين يؤثرون الوثنيين على المسلمين " **أُولئك الذين لعنهم الله، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا...**" النساء 52، وقوله تعالى عنهم كذلك " .. **ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا..**" النساء :46، وقوله تعالى " .. **أو نلعنهم كما لعنّا أصحاب السبت، وكان أمر الله مفعولا..**" النساء 47، وقوله عزّ من قائل " **وضربت عليهم المسكنة، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**" آل عمران 112، وقوله عزّ وجلّ مبيناً تعذيبهم وتشريدهم في الأرض عقاباً لفسقهم : " **وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم . وقطعناهم في الأرض أمماً منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون**" الأعراف 167، 168

ولا يشكّ المسلمون في أنّ المراد بالصالحين Righteous في بشارات المزمور بوراثة الأرض هو الجيل الأول من المسلمين، ولا يشكّون في أنّ الوارثين للأرض المباركة هم المسلمون في جيلهم الأول بالذات.. فإنّ وعد الله لرسوله محمّد صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بالاستخلاف على الأرض وهزيمة أعدائهم والتمكين لهم قد جاءهم وهم كانوا ما يزالون ضعفاء بمكة وبالمدينة، وقد ثبت ذلك من مواضع عديدة من كتاب الله العزيز.. ويأتي الاستشهاد هنا ببشارة الزبور أو المزمور ("**الصّديقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد** " مزمور 37: 29) لداود عليه السلام يأتي الاستشهاد بها في سورة الأنبياء بالقرآن الكريم الذي نزل بمكة منسجماً مع تبشير القرآن للمؤمنين بالنصر والتمكين في الأرض.. مع ملاحظة أن هذا الإستشهاد جاء بنفس نص عبارة الزبور تماماً.. كما هي عليه بالزبور حتى العصر الحالي، قال الله عزّ وجل في الكتاب العزيز في إشارة بيّنة ومفسِّرةٍ لبشارة الزبور أعلاه: " **ولقد كتبنا <u>في الزبور</u> من بعد الذكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون**" الأنبياء (وهي مكية) آية 105..

وبهذا يتضح من التوراة والانجيل أنّ الملعونين الموعودين بالتمزيق والتشريد في الأرض هم بنو اسرائيل المكذبون بأنبياء الله ورسله، الموعودون بالتشريد أذلةً بين الأمم والطرد من فلسطين، وقد وقع ذلك عليهم تماماً كما أخبر الأنبياء.. فدلّ ذلك يقيناً على أنّ نصوص المزمور أو الزبور– أعلاه– إنّما تعني بوضوح طرد بني اسرائيل من فلسطين، وتوريث الأرض المباركة للأمة البديلة التي تحدّث الأنبياء عن مجيئها من بعد هدم القدس على أيدي الروم، وهي الأمة التي ستقيم مملكة الله الأخيرة على الأرض.. ولا يملك المرء إلاّ الانبهار بتمام التناسق في هذه القضية بين التوراة وكتب الأنبياء (الملحقة بالتوراة) والإنجيل والقرآن.. في نظرة واحدة إلى اليهود – الذين عصوا الأنبياء – كأمة ملعونة مطرودة بالدنيا والآخرة مستبدلة بأمةٍ اخرى هي أيضا من أبناء إبراهيم (كما سيرد ذكره)، ولا خلاص للأمة اليهودية إلاّ بالعودة إلى الله واتباع الأنبياء (3)..

وإذاً فقد استحق اليهود غضب الله عليهم ولعنته لهم وانتزاع النبوّة والأرض المباركة (التي وُعِد بها أبناء إبراهيم) منهم إضافة إلى انتزاع نعمة الله السابقة بتفضيلهم على الأمم،

ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون.. وكان بعد ذلك توريث الأرض والنبوّة لأمّة نبيها من أبناء إبراهيم عليه السلام.. تحقيقاً لوعد الأنبياء الكثيرين من قبل..

إن ميراث المسلمين لفلسطين (4) وللنبوّة من بعد اليهود لهو تصديق كامل لوعود الأنبياء بقيام الأمّة الصالحة ومملكة الله القادمة التي ترث الأرض والنبوة من بعد اليهود.

الملحق الثاني:

تفاصيل وقوع العذاب الشديد الموعود

وتتواصل الأحداث كما أخبر المسيح فيظهر نبيان كاذبان بين اليهود يزعم كل منهما أنه المسيا المنتظر... ويتبعهما الناس.. وتتأجج الثورة ضد الروم في الأعوام 63 – 70م .. وينتظر الناس الفرج الموعود بقيام مملكة الله على يد المسيا وهلاك الروم.. ولم لا فهذه هي المملكة الرابعة (مملكة الروم) ليس بعدها إلا مملكة الله كما أخبر النبي دانيال عليه السلام.. وتتأجج العواطف.. ويلتهب الحماس فإن وعد الله قد أصبح وشيك التحقق ويتحمس الناس (اليهود) لقتال الروم.. ولكن ليكن في ذلك هلاكهم.. فانهم عصوا رسل الله اللذين أخبروهم (كيحي وعيسى وغيرهم من قبلهم) بهلاك اورشليم المحقق.. وبأن مملكة الله القادمة بعد الروم ليست قادمة إلا من أمة أخرى.. وأن عليهم عدم مواجهة الروم بل الفرار منهم.. وفي هذا السياق أستشهدُ بالعبارة الواردة التي استشهد بها ايسنمان (الباحث المشهور في مخطوطات البحر الميت) عند التعليق على المحاولات المسيانية (أي المحاولات لإقامة دولة المسيا المنتظر) المتكررة من أن الكاهن سيمون تنبأ لليهود في كتاب المكابيين الأول 14: 41 وهو من ضمن الكتب المسماة بابوكريفا ويقدسها الكاثوليك، تنبأ لهم بأنه " **ولن يتوقف رجال العنف من محاولة أخذ مملكة السماء (أي مملكة الله) بالقوة**" طمعاً أن يأتيهم نبي.. فتلك في الواقع كانت مشكلتهم إصرارهم أن مملكة الله القادمة هي فيهم، وتكذيبهم لمن خالفهم من الأنبياء في ذلك.. ويلاحظ هنا أنّ أهل مخطوطات البحر الميت تواصوا على عدم مشاركة الأشرار (وهو اصطلاح يقصدون به بقية اليهود) في أي مقاومة حتى يأتي يوم العقاب (الرقعة 1Q S 10: 117-119).. وهو يوم عقاب استئصال الأشرار من الأرض المباركة الذي تحدثت عنه المزامير وكتب الأنبياء ..

فهلك اليهود رغم استبسالهم في قتال الروم الوثنيين , هلكوا لأنهم عصوا الله وكفروا برسله لمّا أخبروهم بأن المسيا ومملكة الله سيكونا من أمة أخرى.. وما ذلك إلا لتعطيلهم الشريعة وتمردهم على الأنبياء.. هلكوا لأنهم اتبعوا أنبياء كذبة أرضوا طموحهم بالقول ببقاء النبوة ومملكة الله فيهم.. فكأنهم كأهل اليمامة من اتباع مسيلمة الكذاب اللذين قاتلوا عن مسيلمة قتال الأبطال وقالوا " نبي كاذب منَا خير من نبي صادق من غيرنا " فأهلكهم الله جميعاُ..

.. لقد وقع على اليهود عذاباً لا يتخيله أحد .. وذلك أنهم ثاروا على القائد الروماني Gessius Florus وعلى الحُكم الروماني في الفترة بين عامي 64 – 66 م توقعاً منهم بقرب زوال وانهيار الحكم الروماني وهو فهم له جذوره من النبوات المتعلقه بقيام مملكة الله.. فقامت القيادة الرومانية عام 67م بتعيين فسبيان Vespian الذي قضى على مجموعة من جيوب المقاومة حتى عام 70م، حين عُيِّن هو نفسه امبراطورا، فاستخلف ابنه تيطس Titus الذي ضرب الحصار على أورشليم في فبراير عام 70م بشكل مفاجيء في وقت اجتمع بالقدس أثناءه عدة ملايين من اليهود جاءوا للاحتفال بعيد العبور Passover .. وكان قد فر منها المؤمنون النصارى من اليهود (النصارى) بقيادة سمعان Simeon ابن خالة المسيح عليه السلام، وبقي بها عامة اليهود ومن تحمس لقتال الروم متوقعا قرب قيام مملكة الله وانهيار دولة الروم.. وضرب الروم الحصار على القدس وهي مكتظة بالملايين التي قدمتها للإحتفال بالعيد.. وامتد الحصار وطال.. وجاع الناس.. وهلكوا.. وتساقطوا أمواتاً.. حتى عجزوا عن دفن بعضهم البعض.. فقد بلغ الوهن بهم أن يتساقطوا موتى اثناء الدفن.. وملئت البيوت بالجثث.. وأخرج الكثير منها من ابواب المدينة.. وقد ذكر جوسيفس Josephus في كتابه: الثورة اليهودية الكبرى: حصار وتدمير القدس وهو مؤرخ يهودي عاش أحداث الحصار أن الوديان المحيطة بأورشليم امتلأت بالجثث، وأن تيطس لما رأها في إحدى جولاته حول المدينة رفع يديه الى السماء يعلن أنه لم يكن يخطط لمثل هذا، وأن عدد جثث الموتى التي أحصاها أحد الجنود الرومان أخرجت من الباب الذي كان يراقبه – بأمر القائد الروماني – أن عدد هذه الجثث بلغ مائة وخمسة عشر ألفا وثمانمائة وثمانون جثة أخرجت من المدينة من باب هذا الجندي في الفترة من نيسان الى تموز عام 70م... وأحصى الروم ما يزيد على ستمائة ألف جثة أخرجت من أبواب المدينة مجتمعة.. كلهم ماتوا جوعاً، وهم غير من هلك جوعاً داخل المدينة ولم تخرج جثثهم.. وامتلأت بهم البيوت.. فقد كانوا يكوِّمون الجثث داخل البيوت الكبيرة حتى تمتليء فيغلقون عليها الأبواب.. ويكوِّمونها في أكوام بل وجبال من الجثث داخل المدينة وأمام أبوابها.. واشتد الضعف والهلاك بالناس حتى كانوا يتساقطون موتى وهم يحاولون دفن موتاهم.. بل منهم من لبس أكفانه قبل موته استعدادا للموت المشاهد كما يذكر جوسيفس، وانقطع عن الناس

النحيب على الأموات أو الحداد عليهم، إنهم كانوا ينظرون إلى موتاهم بعيون جافة وأفواه فاغرة يرونهم ارتاحوا قبلهم كما وصفهم جوسيفس، واشتد الوضع على الناس حتى أكلوا من الزبائل والمجاري وفضلات الحيوانات.. بل أكلوا الأموات.. وذكر المؤرخ اليهودي قصة أم طبخت ابنها وأكلت نصفه وقدمت نصفه لغيرها.. وذكر جوسيفاس مثلا آخر من شدة البلاء الذي وقع على اليهود أن الذين تمكنوا من الهرب، كانوا يأتون الأعراب والسوريين (يقصد من غير الجيش الروماني) متضرعين فيبقروا هؤلاء الأعراب بطونهم بحثا عن الذهب، فقد اكتشف هؤلاء أن اليهود كانوا يبلعون قطع ذهبهم قبل هروبهم ليهربوها معهم، وذكر الكاتب أنّ الفين من هؤلاء الهاربين بقرت بطونهم في ليلة واحدة بحثاًعن الذهب.. ويعلّق جوسيفاس أن الأمر في الواقع – أو في حقيقته – إنما هو أنّ الله قد مقت هذه الأمة كلها، وقلب كل صنيع وحيلة تقوم بها لإنقاذ نفسها هلاكاً ووبالاً عليها كما هو الحال في محاولة تهريب الذهب.. واستمرت الحرب ودخل الروم أخيراً المدينة والهيكل.. وقذفوا الهيكل ودمروه بالحجارة وكرات النار حتى اشتعل البيت المقدس في حريق شامل كبير، شمل الجبل الذي عليه الهيكل كله، حتى حسبه كل من رأه حريقا شاملا للمدينة كلها .. وأصيب اليهود باليأس والخذلان لما رأوا البيت محترقا.. وذبح الروم كل من وقعت أيديهم عليه، دون تمييز لأطفال أو مسنين أو نساء كما نقل جوسيفاس، حتى تغطت الأرض تماما بالجثث، ومشى الناس والجنود على أكوام الجثث، وكان المذبوحين أكثر عددا ممن ذبحهم .. وقتل الروم – كما يحصي الكاتب اليهودي– مليوناّ ومائة ألف، وأسروا سبعة وتسعين ألفا أكثرهم من غير أهل القدس كانوا قد قدموها للإحتفال بالعيد بها.. وأخذوا كل من تجاوز السابعة عشر عبداً للعمل بالمناجم أو ليتسلى عليه الروم في مسارحهم وهو يصارع بشراً أو وحوشاً حتى الموت.. وأحرق الروم الهيكل ودمّروه تماماً حتى ما ترك منه "حجر على حجر " غير جانب من جدار.. ودمرت المدينة تماماً غير بيوت محدودة في أحد جوانبها.. ووقع العذاب على اليهود بأشد ما يمكن أن يصله عذاب.. عذاب لم يحدث من قبله مثله، تماماً كما أنذرهم الأنبياء الكرام كالمسيح ويحي واشعياء وغيرهم....وبنفس تفاصيله الدقيقة التي بيّنوها..

ولم يتعلم اليهود ولم يتوبوا.. فها قد تحقق فيهم وعد الله بالعذاب والطرد والتشريد بين الأمم.. لم يتوبوا فيتبعوا الأنبياء الحق.. بل ظلوا كافرين برسل الله كالمسيح ويحي.. بل قتلوا

بعدهما –عام 62م– ابن خالة المسيح عليه السلام وخليفته الأول يعقوب، الرجل المشهور بلقب العادل والصديق، الرجل الذي كتب عن تقواه وصلاحه من غير المصادر المسيحية ما لم يكتب مثله عن المسيح عليه السلام نفسه، الرجل الإمام في حياته لكل اليهود ! ألقوه من عل أو ضربوه بعصى على رأسه، ثم رموه بالحجارة – وهو يدعو لهم بالمغفرة والهداية وهم يقتلونه رميا بالحجارة– حتى استشهد رحمه الله.. ولو جاءهم أنبياء من بعد المسيح لصنعوا بهم ما أرادوه بالمسيح عليه السلام.. واتبع اليهود كلَّ نبي كاذب يشبع غرورهم، وأطماعهم بأحقيتهم بمملكة الله وبأن المسيا سيكون منهم من ابناء داوود.. وذلك من تحريفهم للتوراة وكتب الأنبياء.. وهو التحريف الذي فضحه المسيح وإرمياء وغيرهم عليهم السلام.. وهو التحريف الذي دفعت الأمة اليهودية ثمنه ثمناً باهظاً.. فأصرت على مخالفة الأنبياء والإحتجاج على الله عز وجلّ أن يختار لدينه أمة غيرها.. ومكرت أمة اليهود فمكر الله بها والله خير الماكرين .. " يا حسرة على العباد " لو اتبعوا أنبياءهم لكانوا ضمن مملكة الله والأمة المختارة ..

لم يتعلم اليهود ولم يتوبوا، فرغم العذاب الذي وقع عليهم عام 70 م، بعد أربعين سنة من مغادرة المسيح للأرض عام 30 م، أعاد اليهود الخطأ نفسه، وثاروا على الروم يشجعهم نبي كاذب ادّعى أنه المسيا (المصطفى) المنتظر.. اتبعوه، وقد أنذرهم المسيح ألا يتبعوا مثله، وأن ليس لهم نبي منهم من بعده.. اتبعوا سمعان باركوخبا Simon Barcochebas الذي عينه حاخامهم الأكبر أكيبا يوسف ملكا مسياً عليهم، ولقبه بابن النجم نسبة الى البشارة في سفر العدد 24:17– 18 بالمسيا المنتظر كأنه نجم أو كوكب منير في آخر الزمان، وذلك هو معنى اسمه Bar Kochba وإن كان البعض يعتقد أن اسمه الأصلي غير ذلك،وهو Bar Kosiba.. وقام هذا الأخير بحرب عصابات أجبرت الفيلق العاشر الروماني على ترك القدس.. وطرَدَ غير اليهود من المدينة.. ورتب الصفوف وقسم الكتائب، وأحكم الترتيب، ثم ثار على الروم.. وثار معه اليهود يتوقعون النصر والمدد الإلهي.. ولم لا فها قد ظهر المصطفى (المسيا) المنتظر بينهم.. وجاء الروم بقائدهم جوليوس سيكتوس Sextus Julius فاستأصلوا اليهود حيثما وجدوهم، فهدموا خمسين حصنا وأبادوا 985 قرية وقتلوا خمسمائة وثمانين ألفاً من جنود اليهود المقاتلين، ولا يستطيع أحد أن يحصي الذين

ماتوا جوعا أو حرقا أو مرضا من كثرتهم كما يروي ذلك المؤرخ ديو كاسيس Dio Cassiusوقُتل المسيا الكذاب.. وظهر لهم بذلك كذبه حتى سموه بابن الكذاب، وأكتمل بذلك الوعد بالطرد والتشريد.. فحرّم على من بقي من اليهود دخول أورشليم.. وجعل الإعدام عقوبة للمخالفين.. بل وحرمت عليهم فلسطين، وشردوا أذلة بين الأمم .. وأعطيت أورشليم اسما جديداً، فسميت أيليا كابيتولينا Aelia Capitolina بدلا من اسمها اليهودي أورشليم، وأعطيت سكانا غير سكانها اليهود.. وأسدل الستار على تأريخ اليهود بفلسطين إلا من العودة – غير الربانية – وهي العودة المعاصرة التي سنتحدث عنها فيما بعد.. وتمّ بذلك ما أخبر به المسيح عيسى وداود والأنبياء عليهم السلام تماما كما روي في انجيل متى وكتب الأنبياء.. ووقع خراب القدس والهيكل، ذلك الخراب الذي تنبأ دانيال بوقوعه في نهاية السبعين اسبوعا من السنين التي بقيت لبني اسرائيل من بعد عمارة القدس وأسوارها عام 445 قبل الميلاد، وهو الخراب الذي تحدث اصحاب مخطوطات البحر الميت بوقوعه أربعين سنة بعد قطع المعلم الفريد (وقد كان بعد عيسى عليه السلام بأربعين سنة)، تم ذلك الهلاك باتباع اليهود لأنبياء كذبة وإهلاك الله لهم نتيجة ذلك.. وهو تماما ما توعّد به الأنبياءُ بني إسرائيل بوقوعه إذا استمروا في انحرافهم.. ففي إرميا 19 : 7–9 ورد ما يعدّ وصفاً دقيقا لما حدث لليهود على أيدي الرومان (**وأجعل تدبير يهوذا وأورشليم في هذا المكان باطلاً، وأسقطهم بالسيف أمام أعدائهم وبأيدي طالبي نفوسهم، وأسلم جثثهم طعاماً لطيور السماء ولبهائم الأرض. وأجعل هذه المدينة خراباً وصفيراً، فكل من يمر بها يدهش ويصفر على جميع ضرباتها. وأطعمهم لحم بنيهم ولحم بناتهم، وكلّ منهم يأكل لحم صاحبه في الشدة والضيق التي يضايقهم بها أعداؤهم وطالبو نفوسهم)**.. تماماً كما ثبت في شهادة المعاينة مؤرخهم جوسيفاسJosephus.. وفي عاموس 8:2–3: " **قد أتت النهاية لشعبي اسرائيل، فلا أعود أعفوا عنه، فتصير أغاني القصر ولوالاً، في ذلك اليوم يقول السيد الرب وتكثر الجثث، وتلقى في كل مكان بصمت**".. وفي إرميا 9 : 14–15 الوعد بالشتات والتعذيب والإذلال، وهو ما حدث فعلاً بعد ذلك.. (**لذلك هكذا قال رب القوات، إله إسرائيل: هأنذا أطعم هذا الشعب مرارة وأسقيهم ماء سم، وأشتتهم في الأمم التي لم يعرفوها هم ولا آباؤهم، وأطلق في إثرهم السيف حتى أفنيهم)**.. وفي لاوي 26: 29 "

وأضاعف عذابي سبع مرات أخرى وفقا لخطاياكم، فتأكلون لحم أبنائكم وبناتكم، وأدكّ مذابح مرتفعاتكم، وأحطّم أنصاب شموسكم، وأكوم جثثكم فوق بقايا أصنامكم وتنبذكم نفسي، وأحول مدنكم الى خرائب.."، وفي سفرمراثي إرميا 4: 9 – 10 "**كان مصير ضحايا السيف أفضل من مصير ضحايا الجوع.. طهت أيدي الأمهات الحنايا أولادهن ليكونوا طعاما لهن في أثناء دمار ابنة شعبي..**" .. وفي مراثي إرميا 2: 19– 20 :".. **أطفالك المغشي عليهم من الجوع عند ناصية كل شارع.. أعلى النساء أن يأكلن ثمرة بطونهن، وأطفال حضانتهن**"

... وتم طرد اليهود من الأرض (المباركة) تماما كما كتب بالمزامير – سنستعرضه فيما بعد– وغيرها من كتب الأنبياء وأصبحت الأرض المباركة كما أشار المزمور تنتظر الأمة البديلة المباركة ..

وكانت الفترة التاليه لخراب القدس هذا فترة عصيبة من الحروب واضطهاد المؤمنين على أيدي الروم الوثنيين في البداية.. ثم على أيدي الروم الذين تنصروا بمسيحية بولس.. فطارد هؤلاء المتنصرون من الروم طاردوا النصارى اليهود والموحدين.. ومضت أيام وأيام.. قصّرها الله كما روى متى عن المسيح عليه السلام.. وجاءت مملكة الله الوارثة للأرض المقدسة كما وعد الله عزوجلّ بالمزامير وكما بشّر بها الأنبياء الكرام.. فكانت رحمة للمؤمنين من بعد صبرهم وثباتهم، بل رحمةً للعالمين جميعا.. واختفى من حينها خبر النصارى من أتباع كنيسة القدس ..اختفى خبرهم كنصارى لإنضمامهم كمسلمين لمملكة لله التي كانوا ينتظرون.. فلما عرفوها ذرفت لذلك دموعهم مما عرفوا من الحق.. وصدق فيهم وأمثالهم قول الله عز وجل بالقرآن الكريم "**الذين آتيناهم الكتاب من قبله – أي اليهود والنصارى – هم به يؤمنون، وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنّه الحقّ من ربنا، إنّا كنا من قبله مسلمين، أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ..**" وقوله عزّ وجلّ: "**..مما عرفوا من الحق..**" لقد ظهرت مملكة الله على يد المصطفى (المسيا) الخاتم للنبوة .. الذي ذكره دانيال، وتم به ختم النبوة واختيار أفضل بقعة على الأرض (بطبيعة الحال غير القدس التي كانت معلومة حينها) تماما كما تنبأ دانيال.. ظهرت المملكة ضعيفة ممثلة في فرد واحد مطارد.. أعلن نبوته للعالمين جميعا وهو لايكاد يستطيع أن

يحمي نفسه.. فأقام دولة الإسلام من أضعف أمة، فأعطيت نصراً على الأمم، وأورثت الأرض من حولها توريثا من الله، وما كان لها أن تنتصر على الأمم لا بقوتها ولا بعتادها.. ولكن الله حقق وعده للمؤمنين.. وأتمّ للناس رحمته.. وحقق في دولة الاسلام بشارات المرسلين من قبل.. وأعطى الكتاب والدين لمختارين أو مصطفين، هم من كل الأجناس تماما كما بشر المسيح عليه السلام.. قال الله عزّ وجل في كتابه العزيز عن المسلمين :" **ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد منهم سابق بالخيرات بإذن الله، ذلك هو الفضل الكبير**"

الملحق الثالث

إفساد بني إسرائيل المتكرر بالأرض
والوعد بعقابهم مع كل إفساد

" **وقضينآ إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فإذا جآء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنآ أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا كم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليُتبروا ما علوا تتبيرا، عسى ربّكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا**" الإسراء 4-7

إنها مرتان يُهدم فيها البيت ثمّ يُبنى! فهل من ثالثة؟

ذكر الله عزوجل هنا أنّ إفساد بني إسرائيل واستكبارهم وعلوهم المتكرر بالأرض لمرتين علىالأقل قد ذكر لهم بالتوراة، وكذلك ذُكر لهم عقاب الله عزوجل الرادع لهم ببعث أقوام ذوي بأس شديد فيُخربوا ديارهم ومدنهم ويهدموا معبدهم ببيت المقدس، وذكر عزوجل أنّهم من بعد عقابهم الأول قد أُعطوا الفرصة من جديد ومُكّنوا بالأرض (المقدسة) مرةً أخرى ابتلاءً لهم وامتحانا.. ولكنّ العقاب عاجلهم (أو سيعاجلهم) مرة أخرى على يد قوم ذوي بأس شديد فيخربون الديار والمعبد كما خرّبوه أولَ مرة عقاباً على بني إسرائيل بما أفسدوا في الأرض وطغوا.. وتُختم الآيات بفتح بابٍ للأمل.. فلعله أن يُفتح لهم باب رحمة من بعد عقابهم على الإفساد الثاني لعلهم أن يتوبوا إلى الله ويتبعوا رُسُلَه.. رُسُلَ الرحمة محمداً ومن قبله عيسى عليهما الصلاة والسلام.. فإن عادوا للإفساد في الأرض فإنّ الله عزوجلّ لهم بالمرصاد وسيُنزل عليهم العقابَ الشديد من جديد.. " **عسى ربّكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا**" الإسراء: 7..

ولا يكاد يُحصي المرء المواضع من التوراة والكتاب المقدس التي جاء فيها الإخبار بالفساد المستقبلي المتكرر من قبل بني إسرائيل.. وهو إخبار تمّ حسبَ ما نُسب من رسائل للأسباط أنفسهم، تمّ منذ عصر يعقوب وأبنائه عليهم السلام، ثم تمّ بالتوراة على عصر موسى عليه السلام.. وما زال بالتوراة المعاصرة تفصيلٌ للعقاب المرتقب بما فيه من هدم المدن وهلاك الإسرائيليين ولعنهم وتشتيتهم خارج الأرض المباركة، ثم توبتهم وتجميعهم من

جديد وإكثار ذريتهم (أنظر مثلاً: التثنية 30: 1– 10.. وكذلك نحميا 9: 13– 38 وهو يستعرض توبة الله عليهم الأولى، وإكثار نسلهم من بعد العقاب الأول، ثم عصيانهم من بعد ذلك وقتلهم الأنبياء ونبذهم للشريعة، وانتقام الله عزوجل في زمانه مرةً أخرى من بني إسرائيل بتعبيدهم للأمم – البابليين في عصره– من جديد)..

وقد اختلف علماء التفسير المسلمون في المقصود بالإفسادين الأول والثاني المُشار إليهما بالآيات الكريمة أعلاه، كما اختلفوا في تفاصيل العقاب الذي وقع على بني إسرائيل بعد كلّ مرة، إلا أنّ آراءهم هنا كانت تعكس إلى حد كبير درجة معرفتهم بالتاريخ الإسرائيلي، والقضية التي يبدوا أنّ أغلبهم اتفق عليها هي إنّ هذين الإفسادين والعقابين الأول والثاني قد وقعا كلاهما بالماضي، وذلك عكس ما عليه الكثير من المفكرين المعاصرين، وإن كانت الآية الكريمة أعلاه تشير إلى احتمال تكرار الإفساد من بني إسرائيل من بعد إفسادهم الأول والثاني، وتقطع عندها بإنزال العقاب عليهم من جديد.. وهو ما يجعل الآيات الكريمة مستوعِبة لقيام إسرائيل المعاصرة وإفسادها الحالي بغض النظر عن قضية تفسير الإفسادين والعقابين التاليين للإفسادين المشار إليهما بالآيات الكريمة أعلاه..

الإفساد والعقاب الأوليين:

ويبقى هنا القول بأنّ من المتفق عليه عامةً هو أنّ المرة الأولى على الأقل من الإفساد والعلو من قِبَل بني إسرائيل قد وقعت.. ولعلنا نفهم من الآية الكريمة أنّ العقاب الأول كان كالثاني مصحوباً بدمار المسجد (وهو المسجد الأقصى أو المعبد بأورشليم) إذ أشارت الآية الكريمة (رقم 7) أنّ تدمير المعبد بالعقاب الثاني سيتمّ كما تمّ بالمرة الأولى.. ممّا يعني أنّ العقاب الأول المقصود به هنا – والله أعلم– هو ذلك العقاب الشديد الذي وقع على أيدي البابليين برئاسة نبوخذنصر عام 586 ق م حيث تمّ خلاله أول تدمير للبيت أو المعبد (المسجد) بالقدس.. وأنّ العقاب الذي وقع من قبله على مملكة إسرائيل وبه أُبيد شعبها عام 721 ق م على يد سرجون الثاني وجيشه من الآشوريين، أو العقاب الذي وقع على بني إسرائيل على أيدي الفلسطينيين قبل عصر طالوت وقتل فيه منهم ثلاثون ألفاً وسرق خلاله التابوت، إنّ هذين العقابين على أيدي الآشوريين أو على أيدي الفلسطينيين من قوم جالوت ليس أيٌ منهما هو المقصود بعقاب المرة الأولى إذ لم يُدمّر بأي منهما البيت بأورشليم، وقد

أُبيد على أيدي الآشوريين القومُ (العشرة أسباط الذين سكنوا إسرائيل) بمملكة إسرائيل إلى غير رجعة.. وفنوا فلم يكن لهم ذكر بعلو ولا بإفساد ولا بعقاب ثان من بعد ذلك.. وأمّا بنو إسرائيل حين هزموا على أيدي الفلسطينيين نتيجة ردتهم كما فصلنا في أحداث عصر القضاة، فقد رُدت لهم بحقّ الكرة على الفلسطينيين، ونُصر بنو إسرائيل بعد ذلك بحقّ على الذين اضطهدوهم.. وهو ما يجعل اعتبار إفساد بني إسرائيل يعصر القضاة هو الإفساد الأول وجيهاً لولا أنّ العقاب الذي ترتب عليه لم يشتمل على هدم المعبد كما يُفهم من الآية الكريمة أعلاه (1)..

أمّا عقاب الله عام 586 ق م فقد وقع على سبطي يهوذا وبنيامين الذين غلب عليهم فيما بعد اسم اليهود لكثرة سبط يهوذا بينهم كما ذكرنا من قبل، وهو العقاب الذي تبعه إفساد تال من بني إسرائيل ثم تبعه عقاب.. وهو الذي أُطلق – خلال ذكره بالقرآن– على الذين أوقعوه ببني إسرائيل لفظ " **عباداً لنا**"، مما يدعم القول بأنهم البابليون.. فقد أُطلق على رئيسهم نبوخذنصر بالتوراة (في إرمياء 25: 8– 11، وإرميا 43:10) لفظ "عبدي" رغم وثنيته هو وقومه.. وذلك من وحدة الوحي وممّا يدعم القول بأن العقاب الأول المقصود بالقرآن كان فعلا هو ذلك الذي وقع على أيدي البابليين عام 586 ق م.. ولا أرى صواب القول بنفي كل ذلك لمجرد الفهم من لفظ " **عباداً لنا**" أنه يعني بالضرورة مؤمنين، إذ الجميع عباد الله (2) وما أوردتُه هنا من أدلةٍ أقوى وأبين..

العقاب الرئيسي الثاني:

وقضى الله عزوجل بحكمته بالتوبة على بني إسرائيل (اليهود منهم) من بعد العقاب الأول فعادوا من الأسر برعاية الملك الصالح كورش وأقاموا بيت الله من جديد بأورشليم.. ولكنهم عادوا إلى الإفساد في الأرض.. وبالذات بالأرض المباركة.. فعطّلوا الشريعة، ونشروا المنكرات، وتبنوا مباديء الوثنيين من اليونانيين ثم الرومانيين.. وعصوا الأنبياء وقتّلوهم.. وتمادوا في ذلك رغم زجر المرسلين لهم وتهديدهم لهم بعقاب شديد قادم على أيدي الرومان (الذين سموهم بالقطيم!) (3) ..ووقع العذاب الشديد فعلاً من بعد عيسى عليه السلام بأربعين عاما.. تماماً كما سُجِّل بالنبوات التي سبقته بعشرات أو مئات السنين.. وكان عذاباً شديداً اشتمل على حرق البيت بأورشليم ثم تدميره ومحوه، تماماً كما حذر المرسلون من قبل..

وطُرِد بنو إسرائيل من الأرض المباركة.. وكُتِب على بني إسرائيل من بعد ذلك العقاب الثاني والتدمير الثاني، كُتب عليهم الشتات والمسكنة والمذلة بين أمم الأرض.. تماماً كما حذر الأنبياء(3).. وانتظر الناس لفترةِ من الزمان – تحدّث عنها الأنبياء– انتظروا مجيءَ الأمة المباركة الوارثة للكتاب والأرض من بعد بني إسرائيل.. فجاءت تماما في حينها المحدد من قبل (3)، وأَخرجت الرومَ من الأرض المباركة كما ذكر الأنبياء..

وعلى هذا فلا يبدو أنّ العقاب الثاني إلا ذلك الذي وقع على أيدي الرومان عام 70 م.. ومن غير المعقول تجاهله! وقد استمرت آثاره حتى اليوم.. وهو بلا شك العقاب الثاني الذي تمّ فيه هدم البيت (الهيكل) للمرة الثانية مما يتفق مع فهم التاريخ، ومع قول معظم المفسرين بأنّ الإفسادين والعقابين قد وقعا بالماضي.. ولكأنّ الآياتِ الكريمة لم تكن في معرض التنبؤ بأحداث بني إسرائيل في وقتٍ لم يعد لهم به معبدٌ ولا وجودٌ بالأرض المباركة، إنّما كانت – كما هو المعتاد بالمصحف الكريم– في معرض استعراض أحداثِ بني إسرائيل الماضية، وأخذ العبرة منها.. فقد أُعطوا الفرصة هاهنا مرتين قبل أن يتم استبدالهم بالمسلمين.. واختتمت الآياتُ بالإشارة إلى أن العقاب سيأتيهم مع إي إفساد جديد، وفي ذلك إشارة خفية إلى الأحداث المعاصرة.. والله أعلم..

العقاب المنتظر:

إنّنا نعاصر اليوم إفساداً وعلواً جديدا لبني إسرائيل، ربّما لم يتخيله المفسرون الأولون لهذه الآيات عند تفسير هذه الآيات.. وانصرف إليه ذهن المعاصرين حتى ظنّوه هو الإفساد الثاني.. مع أنّ الآيات صريحة في احتمال وقوع إفساد ثالث أو أكثر.. وجازمة بوقوع العقاب الشديد على كلّ إفساد بالأرض يقوم به اليهود.. ولا نحتاج لبثّ الأمل بزوال دولتهم المعاصرة إلى ليّ التفسير لنجعل إفساد اليهود المعاصر هو الثاني المقصود بالآيات أعلاه..

كتب الإمام الشنقيطي بالجزء الثالث من أضواء البيان عند تفسيره للآيات أعلاه من سورة الإسراء: " قوله تعالى: **(وإن عدتم عدنا)** لّما بيّن جل وعلا أنّ بني إسرائيل قضى إليهم في الكتاب أنهم يفسدون في الأرض مرتين وأنه إذا جاء وعد الأولى منهما بعث عليهم عبادا له أولي بأس شديد فاحتلوا بلادهم وعذبوهم وأنه إذا جاء وعد المرة الآخرة بعث عليهم

قوما ليسوءوا وجوههم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا، وبيّن أيضا أنّهم إن عادوا للإفساد المرة الثالثة فإنه جل وعلا يعود للانتقام منهم بتسليط أعدائهم عليهم وذلك في قوله: " **وإن عدتم عدنا**" ولم يبين هنا هل عادوا للإفساد **المرة الثالثة** أو لا، ولكنه أشار في آيات أُخَر إلى أنهم عادوا للإفساد بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم وكتم صفاته ونقض عهوده ومظاهرة عدوه عليه إلى غير ذلك من أفعالهم القبيحة فعاد الله جل وعلا للانتقام منهم تصديقا لقوله **(وإن عدتم عدنا)** فسلط عليهم نبيه صلى الله عليه وسلم والمسلمين..".

وجاء في التفسير الكبير للإمام لرازي رحمه الله تعالى بالجزء العشرين " ثم قال **(وإن عدتم عدنا)** يعني أن بعثنا عليكم من بعثنا ففعلوا بكم ما فعلوا عقوبة لكم وعظة لتنتفعوا به وتنزجروا به عن ارتكاب المعاصي ثم رحمكم فأزال هذا العذاب عنكم، فإن عدتم مرةً أخرى إلى المعصية عدنا إلى صبّ البلاء عليكم في الدنيا مرة أخرى، قال القفال إنما حملنا هذه الآية على عذاب الدنيا لقوله تعالى في سورة الأعراف خبراً عن بني إسرائيل : " **وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب**" الأعراف 167، ثم قال: **(وإن عدتم عدنا)** أي وإنّهم قد عادوا إلى فعل ما لا ينبغي وهو التكذيب لمحمد صلى الله عليه وسلم وكتمان ما ورد في التوراة والإنجيل فعاد الله عليهم بالتعذيب على أيدي العرب فجرى على بني النضير وقريظة وبني قينقاع ويهود خيبر ما جرى من القتل والجلاء ثم الباقون منهم مقهورون بالجزية لا ملك لهم ولا سلطان.."

..يلاحظ أنّ المفسّرين كالشنقيطي وربّما الرازي رحمهما الله تعالى اعتبروا إفساد اليهود أيام الرسول عليه الصلاة والسلام هو الإفساد الثالث.. ولا يوجد في الواقع ما يمنع من ذلك، فالباب مفتوح لإفسادٍ متكرر من قبل بني إسرائيل وهو مفتوحٌ كذلك لعقوبة زاجرة في كلّ مرة كما صرحت بذلك الآية الكريمة **(وإن عدتم عدنا)** .. إلا أنّ إفسادهم أيام الرسول عليه الصلاة والسلام لم يتمّ بالأرض المباركة (وهي التي يُشار إليها أحياناً بلفظ الأرض) كما أنّ العقوبة التي حلّت بهم لم تشتمل على هدم بيت الله بأورشليم (أو بيت المقدس).. ولم يكن لتلك العقوبة الأثر الشامل على اليهود كتلك التي كانت للسبي البابلي والعذاب الروماني عام 70 م.. وعقوبةٌ مثل تلك العقوبة أيام الرسول عليه الصلاة والسلام قد وقعت

على اليهود مراراً من قبل على أيدي شعوب فلسطين خلال عصر القضاة كما رأينا ذلك واضحاً بهذا الكتاب (4)، ووقع عليهم عذابٌ أشدّ منه كذلك على أيدي الآشوريين واليونانيين (كانطيوخس)، وعلى أيدي ما لا يُحصى من الملوك والشعوب خارج فلسطين.. لكنّها كلها لم تشتمل على هدم البيت الذي أُشير إلى وقوعه في المرتين الإثنتين بآيات الإسراء أعلاه.. ومع إقرارنا بأنّ عقاب المرّة الأولى كان هو عذاب السبي البابلي، فأنّ جميع تلك العقوبات الشديدة التي سبقت (أو لحقت) السبي البابلي والتي وقعت بسبب مخالفات ومعاصي بني إسرائيل لم يُعتبر أياً منها كعقاب رئيسي إلا ذلك الذي وقع على أيدي البابليين واشتمل على هدم البيت وطرد اليهود من فلسطين.. ولم تُسجّل تلك العقوبات ضمن العقوبات الرئيسية التي وقعت عليهم وأُشير اليها بالقرآن الكريم.. مع أنّ أكثرها سبق السبي البابلي.. وواضح أنّ أثرها عليهم لم يبلغ أثر العقابين البابلي والروماني الذين هدم بهما المعبد بأورشليم وطرد بهما اليهود من فلسطين.. ومن هنا فلعلي أختلف مع المفسرين رحمهم الله تعالى، وما أظن العذاب الثالث إلا العذاب المنتظر لهم بعد إفسادهم المعاصر وعودتهم الحالية إلى فلسطين وإقامتهم المستقبلية لهيكلهم المزعوم..

إنّ إفسادهم المعاصر أبرز من كلّ ما سبقه لهم من إفساد، بما فيه إفسادهم ذلك الذي عاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم.. لقد علوا اليوم بالأرض المباركة نفسها، وأفسدوا فيها بالهدم والقتل والإغتصاب .. وتعمدوا نشر الرذيلة والفاحشة على مستوى المعمورة بشكل مباشر وبغير مباشر، وابتزوا الناس بما أوقعوهم فيه من رذيلة وفاحشة وذلك على ما أثبتوه هم أنفسهم عن مخابراتهم (الموساد) وبما عرفته الشعوب وشهدته على حيلهم.. وإفسادهم المعاصر أبرز مما سبقه بما ملكوا اليوم من قوة ونفير، حتى سيطروا على أمم الأرض وجندوا لأنفسهم حكومات وجيوش أكثر هذه الأمم قوة.. حتى قال مهاتير رئيس وزراء ماليزيا مؤخراً بأن اليهود نجحوا في تجنيد جيوش الأمم الأخرى لتقاتل نيابة عنهم.. وأفسدوا بالأرض.. فكانوا هم وراء الإلحاد والشيوعية والإباحية والوجودية والتحلل الإجتماعي.. من خلال جيش من المفكرين والمبدعين! المعروفة أسماؤهم للجميع.. ومن خلال مؤسسات الإعلام والمال والضغط المنتشرة بالعالم.. إنّه العلوّ التام فوق كل الأعراف والشرائع والقوانين بما فيها تلك التي ساهموا في وضعها لإخضاع مَن سواهم من الشعوب.. وعلوا حتى حُرّم

بالعالم التعرض لهم أو نقدهم وأُحل بعد ذلك نقد كل شيء.. كل شيء بلا استثناء إلا انتقاد اليهود..

لكنّ المؤمنين يؤمنون بوعد الله.. وبقرب زوال دولتهم المعاصرة مهما حبكوا من خطط لحمايتها.. فسيأتيهم الله من حيث لم يحتسبوا.. ذلك وعد القرآن والسنة المطهرة.. وبه قد وُعدوا بالتوراة من زمن موسى عليه السلام.. وعلى ذلك إيمان جماعة متدينة كبيرة منهم..

هوامش الملحق الثالث

(1) يجمع الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى في تفسيره لآيات سورة الإسراء بين الرأيين الراجحين المشار إليهما أعلاه حول العقاب الأول الذي وقع على بني إسرائيل: " (فإذا جاء وعد اولاهما) وعد عقاب اولاهما، (بعثنا عليكم عبادا لنا) بختنصر عامل لهراسف على بابل وجنوده، وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب من أهل نينوى، (أولي بأس شديد) ذوي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا فترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء المهملة وهما أخوان، (خلال الديار) وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد.. (وكان وعدا مفعولا) وكان وعد عقابهم لا بد أن يفعل، (ثم رددنا لكم الكرة) أي الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم، وذلك بأن القى الله في قلوب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم إلى الشام، وملك دانيا عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بختنصر، أو بأن سلط الله داود عليه الصلاة والسلام على جالوت فقتله، (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا) مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب إلى العدو" وقد وضح البيضاوي رحمه الله هنا كيف رُدت الكرة لبني إسرائيل على أي من الرأيين حول تعريف العقاب الأول..

(2) الناس جميعا عباد الله مؤمنهم وكافرهم.. قال تعالى: " لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل، ذلك الذي يُخوف الله به عباده، يا عباد فاتقون" الزمر: 16.. نقلاً عن الشيخ محمد طنطاوي من كتابه بنو إسرائيل في القرآن والسنة.

(3) على القارئ مراجعة هذه التحذيرات الثابتة والمفصّلة بالإنجيل والتوراة ومخطوطات البحر الميت.. وقد أوردتها مفصلة بكتابي " تباشير الإنجيل والتوراة بالأسلام ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم".

(4) اختار الشيخ محمد طنطاوي في كتابه المشار إليه أعلاه القول بأنّ العقاب الأول على بني إسرائيل هو ذلك العقاب الذي وقع عليهم على أيدي الفلسطينيين قبل عصر طالوت، بدليل أنّ الآيات الكريمة أشارت إلى تمكن بني إسرائيل من بعد العقاب الأول وتفوقهم على أعدائهم في المال والنفير والبنون، وهو ما تمّ لبني إسرائيل بظهور طالوت ثم داود وسليمان عليهم السلام وتمكنهم التام من الفلسطينيين.. وعلى هذا فيكون العقاب الثاني إما ذلك الذي وقع على أيدي البابليين أو الذي وقع على أيدي الرومان.. ورجح الشيخ القول بأنّه ذلك الذي وقع على أيدي الرومان لأنه أبلغ أثراً.. وهذا تفسيرٌ قوي وحسن، لا يضيره إلا أنّ البيت بأورشليم لم يكن قائماً وقت هجمات الفلطسطينيين المشار إليها، والآيات واضحة في تدمير الغزاة للمسجد في كلتا المرتين.. اللهمّ إلا إذا اعتبرنا أنّ هزيمة بني إسرائيل الأخيرة قبل عصر طالوت، تلك التي سُرق فيها التابوت وقتل فيها ثلاثون ألفاً من بني إسرائيل (صموئيل الأول، الإصحاح الرابع) أنّها تشمل تدنيساً للبيت بالاستيلاء على التابوت الذي كان فيما بعد بقلب المسجد على الدوام.. يُلاحظ هنا أن استعراض نحميا الذي أشرتُ إليه أعلاه لإفساد بني إسرائيل الذي سبق عصره ثم الذي عاصره، يُوحي بأنّ السبي البابلي الذي عاصره نحميا هو العقاب الثاني الذي سبقته توبة بني إسرائيل وتكثير نسلهم من بعد ردة سابقة..

وعلى أي حال لا يتنافى هذا التفسير مع ما أوردتُه هنا من وقوع مرتي الإفساد بالأرض المباركة بالماضي.. وأن إفسادهم المعاصر هو إفساد جديد متوقع.. قد نسميه الثالث أو الرابع أو أكثر من ذلك..

الملحق الرابع

مكانة الخلافة الإسلامية في التأريخ البشري

ظلت البشرية أمة واحدة صالحة دهرا من الزمن من بعد آدم عليه السلام.. ويفهم من الكتاب المنسوب إلى إدريس عليه السلام أن تلك الفترة ربما تكون قد تجاوزت الألف عام.. ثم انحرفت البشرية، وتناست تعاليم أبيها آدم عليه السلام، فأرسل الله إليها الرسل متتابعين.. فلم يتبعهم ويهتد إلى الله على أيديهم إلا القليل.. " **ثم أرسلنا رسلنا تترا، كلّ ما جاء أمة رسولها كذبوه، فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث، فبعدا لقوم لا يؤمنون**" المؤمنون الآية 44.. وظل المؤمنون أقلية رغم العقاب الرباني المتكرر على العصاة.. ولم تخل أمة إلا وقد بعث إليها نبي أو أنبياء.. ولم تهتد أي أمة واحدة بجميعها إلا قوم يونس، ولكنّ اهتداءهم كان لفترة لا تبدو أنها طالت من بعد يونس عليه السلام.. ثم اختار الله عز وجل بني إسرائيل.. أحفاد الأنبياء إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام

ليقيموا أمة ربانية مهتدية تكون نموذجا للمؤمنين وشاهدة على الأمم.. واهتدى من قوم موسى أمة عظيمة.. ولكنها ظلت أقلية بين بقية بني إسرائيل مطاردة عبر الزمان.. وعطّل بني إسرائيل الشريعة وعطلوا الكتاب وحرفوه وبدلوا كلام الله الموحى إليهم، وقلدوا الأمم الوثنية من حولهم.. وأفحشوا في ذلك حتى عبدوا غير الله.. واضطهدوا المؤمنين وقتلوا أنبياء الله ورسله، وكانوا أسوأ مثال على المؤمنين، وظلوا – عقابا من الله عليهم– خاضعين لغيرهم من الأمم، محكومين إلا لفترة حكم النبيين داود وسليمان عليهما السلام ثم فترة حكم أبنائهم لعدد محدود من القرون إضافة إلى فترة أخرى قصيرة جدا لم يكن الاستقلال فيها مكتملا أيام المكابيين.. ثم كان عقاب الله عز وجل لهم عقابا شديداً متكررا.. وتاب عليهم مراراً.. وظنوا أنهم أبناء الله وأحباؤه دونما شرط العمل الصالح.. ظنوا ذلك واغتروا بعهد الله لإبراهيم الذي يقرأونه في كتبهم، مع أنّ الوحي والكتب لديهم تمتلىء بعشرات المواضع التي تهددهم بالعقاب إن لم يطيعوا ويصلحوا.. ولكن الانحراف ظل ديدنهم.. حتى جاء الحكم الإلهي بنزع النبوة منهم إلى أمة بديلة هي كذلك من نسل إبراهيم عليه السلام.. فكان قيام الأمة الإسلامية بعد ذلك.. أمة وارثة لدعوة الأنبياء جميعا، شاهدة على الناس، أبناؤها من كل الأمم، ودعوتها لكل الأمم.. وقام للمؤمنين أخيرا دولة مهابة ومنزلة ظلت هي الأعلى بين الأمم لما قد يتجاوز الألف عام.. ولأول مرة في تأريخ البشرية من بعد عهد آدم يجتمع هذا القدر من الأمم يعبدون الله ويتبعون الأنبياء بغير خوف ولا اضطهاد.. وانتشرت بيوت الله في كل بقعة وأمها الناس في أمان كامل، وسلام وعدل تام..

.. وحقّ بذلك أن يكون قيام دولة الإسلام وغلبتها للأمم الوثنية التي طالما اضطهدت المؤمنين من قبل، أن يكون هذا القيام مكان تسلية للمؤمنين السابقين وتخفيفا لمعاناتهم، وتبشيرا لهم بأن المؤمنين هم الغالبون فيما يلي من أيام..

ولكنّ الوجود البشري على الأرض هو وجود امتحان وابتلاء بالاستخلاف عليها.. ودين الله إنما أُنزل على بشر.. والمسلمون من البشر يسري إليهم الضعف كغيرهم، وقد أعادوا معظم أخطاء بني إسرائيل كما تنبأ لهم بذلك المصطفى عليه الصلاة والسلام، ولكن في نطاق أضيق.. فزال عنهم نصر الله وأُسلموا لأعدائهم تأديباً لهم كما أخبر بذلك أيضا المصطفى عليه الصلاة والسلام.. وفقدت كثير من أمم الإسلام استقلالها التام كما فقده بني

إسرائيل من قبل، وتحكمت في شئونها أمم كافرة كما وقع على بني إسرائيل من قبل، عقوبةً من الله حتى يعود المسلمون إلى دينهم، يأخذونه كاملاً، لا أجزاء يأخذون، وأخرى يدعون.. ونعلم أنّ المسلمين عائدون إلى الله.. وأنها عودة مباركة سيتوجها نصر شامل للإسلام حتى يدخل كل البيوت على وجه الأرض كما أخبر بذلك أيضاً المصطفى صلى الله عليه وسلم.. وسيتمم نصرهم نزول عيسى عليه السلام حكما عدلا يؤمن به كل أهل الكتاب بعد انتصاره مع المسلمين عليهم. ..

ولذا فمكانة رسالة الإسلام وأمته في تأريخ الأمم فريدة.. فالمؤمنون وأتباع الأنبياء مضطهدون إلا فيما ندر في تأريخ البشرية إلا عند قيام الإسلام.. وهو الدين والرسالة العالمية التي يجب على أتباع الأنبياء جميعا اتباعها.. فكان التبشير بها والتهليل لها أمرا طبيعيا..

نحن أولى بأنبيائهم وصالحيهم منهم:

إنّها أمة واحدة منذ آدم حتى آخر مؤمن يعيش على هذه الأرض.. دينها واحد.. ومعتقدها واحد.. والمشرِّع لها واحد.. إنها أمة الصالحين بما فيهم من الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين الذين قاموا على مرّ الزمان يدعون الناس لعبادة الله وحده واتباع شرعه.. ويجد المسلمون الذين يقرأون القرآن هذا المعنى في سورة الأنبياء حيث تأتي الخاتمة بعد استعراض قصص الأنبياء إبراهيم ونوحاً وداود وسليمان وأيوب وذا النون (يونس) وزكريا ومريم مع ذكر أسماء الأنبياء لوطا وإسحاق ويعقوب وإسماعيل وإدريس وذا الكفل ويحي، تأتي الخاتمة لهذا الاستعراض بالآية الكريمة : " **إنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**" الأنبياء الآية 91، ويتكرر مثل هذا التعليق كذلك بسورة المؤمنين آية 52، فيأتي بعد استعراض قصص الأنبياء نوح وموسى وعيسى وأنبياء بينهم.. فبعد ذلك الاستعراض يأتي قوله تعالى " **وإنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**"..

إنها أمة واحدة تعبد الله وتستسلم لأمره وحكمه، وهي تجاهد الضلال والزيغ المتكرر الذي ضلت البشرية تركنُ إليه كل حين، فيقوم الصالحون يقودهم الأنبياء والعلماء بهدايتها وإعادتها إلى الصلاح وهدى الله.. وتمرّ فترات عصيبة على المؤمنين، يُطاردون، ويُنكّل بهم، ويُقتلون، وهم أقلية.. فتأتيهم البشارات المتتالية تحثهم على الصبر، وأن هذه الدنيا

فانية، وأنّ العاقبة فيها مع ذلك ستكون للمؤمنين، وأنّ الله سيقيم لهم دولة غالبة بالأرض، ستكون لها الكلمة الأولى واليد الطولى.. وأنّ المؤمنين سيكونون هم الغالبون السائدون، وسيخزي الله هؤلاء المنحرفين حتى يكونوا هم القليل.. فكان المؤمنون ينظرون إلى من سيأتي بعدهم انه امتداد لهم، وجاء المؤمنون من بعدهم ينظرون إلى الأولين أئمة لهم.. يُجلّونهم ويحبونهم ولا يميزون بينهم **(لا نفرق بين أحد من رسله).**

وتأتي الأمة اليهودية من بين الأمم مصطفاة من الله تعالى لحمل دينه وتطبيق أوامره.. ولكنها مهددة منذ اللحظة الأولى باللعن الطرد والاستبدال إن لم تلتزم بتعاليم الأنبياء والمرسلين.. ومرّت الأحداث متتالية تُثبت عجز بني إسرائيل عن القيام بدين الله وشريعته، ولم يُجدي معهم، ولم ينفعهم العقاب ولا التهديد.. فقد ظلوا على غيهم، بل ظلوا يُكذبون المرسلين ويقتلون الأنبياء والصالحين.. والأنبياء في هذا ينذرونهم ويذكرونهم، حتى وقع أمر الله عليهم بالطرد من الأرض المباركة وتسليمها لأمة مصطفاة مختارة جديدة.. فصاروا يأمرون صالحيهم بالصبر والثبات ويبشرونهم بأنّ دولة الله ومملكته قادمة عمّا قريب، وبأنها ستحرر كلّ المؤمنين من استعباد الأمم الوثنية لهم، وقد كانوا لقرون طويلة تحت حكم الوثنيين، وتمّ كل ذلك، وطرد اليهود فعلا من الأرض المباركة في الوقت الذي حدده المرسلون كما سنرى، ثم قامت دولة الله (خلافة الإسلام) من أمة من غير اليهود تماما كما ذكر المرسلون، وفي الوقت الذي حددوه كذلك. .. وتحقق بقيامها وعد المرسلين. .. وظلت السائدة بالأرض لأكثر من ألف عام.. وهي اليوم ضعيفة تماما كما أخبر من قبل نبيها محمد صلى الله عليه وسلم. .. ولها جولة قادمة كما أخبر. .. وللباطل جولة.. ثم يكون بعد ذلك أمر الآخرة وانقضاء هذه الفانية.. والله أعلم..

الملحق الخامس*

التذكير بدور بولس ووجوب الاختيار بين البقاء في مدرسته أو العودة إلى مدرسة المسيح والأنبياء عليهم السلام

يتفق الجميع على الدور الحيوي الذي اضطلع به بولس في إنشاء المفاهيم الأساسية للمسيحية المعاصرة، فشخصية المسيح كأحد أنبياء بني اسرائيل المؤيدين بالمعجزات، هذه الشخصية مسخها بولس الى الإعتقاد بأنّ المسيح ابن الله أو هو الله عزوجل نفسه متجسد في صورة إنسان، متنكرا بذلك لقاعدة الإيمان الأولى والكبرى التي جاء بها المسيح نفسه وجاء بها مَن قبله مِن الأنبياء في توحيد الله وتنزيهه عن النقص وعن الشبيه والمثيل، مقتبسا هذه العقيدة من عقائد الأمم الوثنية التي آمنت ببعل وحورس وبوذا وكريشنا.. مقتبسا هذه العقيدة من تلك الأمم الوثنية التي آمنت بهؤلاء كأبناء لله مولودين في 25 ديسمبر! متقرباً بذلك للأمم بدين يألفونه ويتقبلونه.. وفي هذا تنكّر للمسيح عليه السلام الذي أمر بعبادة الله وحده وعاش بين الناس كنبي متواضع يعبد الله ويدعوا الى وحدانيته ويستعين به في تحقيق المعجزات ليؤمنوا به الناس مرسلا من الله اليهم! .. ولم يعش الهاً يعبده الناس ويسجدون له (1).. بل أعلن جهله بالساعة، ورفع يديه محتاجا يدعو الله أن يحقق المعجزات على يديه ليؤمن به الناس فقط كرسول اليهم!.. وتلك صورة

عن المسيح واضحة بالأناجيل المعترف بها على الرغم من أن هذه الأناجيل هي مما كتبه تلامذة بولس من بعده وتبنتها المدرسة النصرانية التابعة لبولس.. وعلى الرغم من إدخال لفظ ابن الله الى بعضها ومحاولات التأليه الى بعضها الآخر أحيانا..

وألغى بولس التوراة على الرغم من إعلان المسيح عليه السلام عن تثبيتها (2)، وأنه ليس لأحد الحقّ في إلغائها.. بل وسخر من التوراة وقد كان من المفروض عليه تقديسها باعتبارها كلام الله.. وألغى بذلك اتباع وتحكيم شريعة موسى عليه السلام.. وأحلّ الخنزير هو وتلامذته بما نسبوه الى بطرس، وقد نزه النصارى من أتباع المسيح الحقيقيين بكنيسة القدس نزهوا بطرس عما ينسب اليه بولس وأصحابه.. وعلى خطاه ابتعدت من بعده النصرانية عن هدي السماء، وظلت تبتعد حتى جاء اليوم الذي يعقد فيه قران الشواذ بمباركة الكنيسة.. فأين هم من تعاليم الرسل والأنبياء.. لقد ضلوا ضلالا مبينا..

وألغى بولس أهمية العمل الصالح رغم تتابع الأنبياء بالعهد القديم في التذكير بأهميته، وأنه يكاد يعادل الإيمان في الأهمية.. ألغى أهمية العمل الصالح فخالف بذلك وعطّل حتى الأناجيل والرسائل التي يؤمن بها أتباع مدرسته (3).. وجعل النجاة كلها – بلا دليل– مرهونةً بالإيمان بالفداء والتضحية التي يزعم أن المسيح عليه السلام قدّمها عندما صلب.. وجعل الإعتقاد بهذه الفكرة مكفرا لكل ما تقدم وما تأخر من ذنوب البشر.. والذين لولا ذلك لكانوا قد ورثوا خطيئة أبيهم آدم كغيرهم من البشر ولما استحقوا إلا غضب الله عليهم جميعا ..! وواضح أن ذلك مما لم يأتي به المسيح أو يعلّمه.. ومعلوم أنّ تعاليمه نصّت على أن كل إنسان مرهون بعمله، وأنه لا يحمل أحد ذنب أحد (4)، ولا تزر وازرة وزر أخرى.. انها لم تأتي بشيء عن الخلاص إلا الخلاص يوم الحساب بالعمل الصالح للفرد نفسه..

وألغى الختان، وقد التزم به كل أتباع المسيح عليه السلام في حياته، والتزم به كل أتباعه الحقيقيون من بعده.. ألغاه متجاهلا نص التوراة الصريح بأن الختان سيبقى في المؤمنين حتى قيام الساعة، وأنه علامة على المؤمنين غير قابلة للإلغاء.. بل وأنها مدونة " على الألواح السماوية تسري على جميع الأجيال الى الأبد، وأن كل مولود لا يختن (في اليوم الثامن) لا ينتمي لأطفال العهد الذي عقده الرب مع ابراهام، بل لأبناء الهلاك، كذا لن يكون عليه علامة الإنتماء للرب" (5) فكان في إلغائه للختان إعلان بيّن (بناء على التوراة ورسالة يعقوب) من حيث لا يشعر بأنه وأتباعه قد ضلوا الطريق وخرجوا عن قافلة المؤمنين وعباد الله الصالحين.. وهوّن أكل القرابين المقدمة للأصنام، ولولا خشيته من أتباع المسيح لصرح بتحليلها (كورنيثوس الاولى 8)، ونسب

تلميذه لوقا (أعمال الرسل 10: 11– 16) الى بطرس الحواريّ _من جملة ما افتروه على بطرس وفضحهم في ذلك الناصريين – أن بطرس أحلّ أكل لحوم كل الحيوانات، وفهم أن ذلك يشمل لحم الخنزير رغم تحريمه بالتوراة..

وأخرج دعوة المسيح عليه السلام من كونها دعوة خاصة ببني اسرائيل (متى 10: 5، ومتى 15: 24) لإصلاحهم، وتهيئتهم لقبول مملكة الله مبتعثة من أمة من غيرهم، وتبشيرهم بنصر المؤمنين على الكفار عند قيام هذه المملكة، فأخرجها بولس الى دعوة أممية متجردة عن الإلتزام بتعاليم التوراة وكتب الأنبياء... وهو ما كانت حياة المسيح عليه السلام على خلافه، و ما صرّح نفسه بضده.. ويبقى أن العبارات التي يستشهد بها على عالمية دعوة المسيح إما أنها لا تعني إلا خاتم الأنبياء أو أنها مدسوسة على الأناجيل الحالية.. كما سبق أن ناقشنا ذلك من قبل..

واخترع فكرة القربان المقدس كما تستنتج ذلك هيام ماكوبي (6)، وقد سماها حينها "عشاء الربّ" وهي تسمية وثنية قديمة أحرجت الكنيسة في الماضي كما تذكر المؤلفة حتى استبدلتها باسم القربان المقدس.. وعلى المؤمنين في هذا القربان أن يأكلوا لحم المسيح (الإله!) ويشربوا دمه حتى يتم لهم الفداء ويصلهم الغفران.. ويتم ذلك ليلة عيد الميلاد بعد تحول الخبز والنبيذ الى جسد المسيح ودمه وذلك بعد أن يقرأ عليه الكاهن.. وترى المؤلفة وغيرها أنه على الرغم من ذكر الأناجيل لوقوع حادثة العشاء الأخير وتوزيع المسيح لكسرات الخبز على أصحابه، وهو أمر عادي يقوم به أي سيد قوم في حفلات اليهود حتى اليوم، فإن المعاني التي ألحقها بها كتبة الأناجيل إنما جاءت اقتباسا من تعاليم بولس.. وذلك أن الأناجيل كتبت بعد فترة طويلة من كتابات بولس، على أيدي تلاميذ مترددين على الكنائس المتبعة لتعاليمه.. ويدلّ على ذلك كما تذكر الكاتبة أن بولس أعلن بنفسه تلقيه فكرة عشاء الربّ من عيسى بوحي مباشر (7)، وما كان ليقول ذلك لو أن أتباع المسيح الذين عرفوه يمارسون هذا الطقس الديني، ومما يؤكد هذا أن " كنيسة القدس" وأتباعها من الناصريين (أو النصارى) لم تعرف طقوس العشاء الرباني أو تشير اليها.. وأن عبارات الأناجيل جاءت متشابهة مع العبارات التي استخدمها بولس (مرقص 14: 22–24، كورنيثيوس الأول 11: 23– 30).. ولا يخفى ما في فكرة عشاء الرب من وثنية مقتبسة عن الأمم السابقة (8).

واخترع فرية وضع بها نفسه في مقام الرسل الذين يتلقون الوحي ليس من الله بل من المسيح عليه السلام (يرجى مراجعة النصوص بالهامش 9)، وإذ ألّه المسيح فقد اكتملت له منزلة المرسلين.. وصار بذلك وهو الذي لم يعرف المسيح مؤمنا أو يتعلم على يديه صار بذلك في موضع مُقدّم على كل تلاميذ المسيح وأتباعه الذين علمهم المسيح مباشرة في حياته.. وكانت

النتيجة أن غيّر الدين، وعطل دعوة المسيح، وضل وأضل المؤمنين.. وما سلم منه الا الذين تمسكوا بما تعلموه من المسيح.. فهؤلاء عرفوا بولس كأحد الكذبة الذين حذر منهم المسيح وتبرأ.

هذا وقد قاطعه أتباع المسيح عليه السلام بالقدس.. وهاجموه.. وحاكموه بالقدس فما احتمى الا بجنسيته الرومانية.. واعتبروه دجالا.. ومدعي للنبوة كذابا.. كما سبق أن بينا من قبل في هذا الكتاب.. وسعى بولس الى مداهنة الحكام وتثبيت حكمهم والتملق لهم..

وقد حاول بولس في باديء الأمر أن يأخذ شرعية لنشاطه بنسبة نفسه الى يعقوب ومن معه من تلامذة المسيح، لكنه سرعان ما اضطر الى التحرر من سلطتهم والهجوم عليهم (10)، وإدعاء أنه الرسول المؤتمن من قبل المسيح عليه السلام على دعوته..

– وداهن بولس السلطة الوثنية الرومانية الغاشمة، فتفاخر كثيرا بجنسيته الرومانية، وأمر الناس بالخضوع للسلطة من داخل أنفسهم لا لمجرد الخوف منها، وأن السلطة هي " خادمة الله"، وأن من يقاوم السلطة إنما " يقاوم ترتيب الله"، وقال بـ" أن السلطة لا تحمل السيف عبثاً"!! وأمر أن يؤدي لها الناس الجزية والضريبة والأحترام والأكرام (الرسالة لأهل روما اصحاح13: 1– 7).. وكل ذلك يحمل معان تقديس وإقرار لقوانين الوثنيين الحاكمين ولما يقومون به من مجازر ومذابح، ولا يتفق مع روح تعاليم الأنبياء والصالحين الذين يؤمنون بأن الشريعة الحقّ هي تلك التي أُنزلت على الأنبياء والمرسلين..

فمن هو بولس ؟

ينص أعمال الرسل وهو من تأليف لوقا تلميذ بولس على أن بولس من مواليد طرسوس بآسيا الوسطى، من أسرة يهودية، وأنه فريسي المذهب أصلا، وأنه كان يحمل اسما يهوديا هو شاول قبل أن يتسمّى ببولس، وأنه عمل فيما بعد – قبل تنصره – كشرطي عند الكاهن الأكبر.. وإن كان الكاهن الأكبر (قيافا) كما هو معلوم صدوقي المذهب، مما يشير كذلك الى كذب بولس بأنه كان فريسيا، خاصة أن أعمال الرسل أشار الى معارضة الفريسيين لمطاردة وقتل النصارى، بينما قام بذلك بولس خدمة للصدوقيين.. الذين يفترض أنهم أعداءه.. فهل كان فعلا فريسيا ؟ هذا ما يشكك فيه الكثير من الباحثين، بل ينكرون عليه أنه كان حتى يهوديا.. ويشيرون الى أن اسلوبه وتعاليمه وأفكاره لا تدل الا على خلفية رومانية، ولا يستبعد الباحثون صحة رأي النصارى الناصريين من أتباع يعقوب (والمسيح عليه السلام) بأنه شخص مجهول من أصل غير يهودي قدم الى القدس للمعيشة، وتعلق ببنت الكاهن، فدخل اليهودية وعمل مع الكاهن طمعا في الزواج بابنته، ولما رفضه الكاهن حقد على اليهودية، وانضم الى من كان يضنّهم أعداءهم.. وهم النصارى، ولكن بخلفيته

الوثنية، وشخصيته القيادية، فسعى الى إزالة كل صلة باليهودية بدءاً من العقيدة بالمسيح الى احترام التوراة والتزام تعاليمها..

شواهد أخرى على كذب بولس وافتراءاته:

لا شك أن الإنقلاب على تعاليم الرسول أياً كان بعد موته أو ذهابه من الدنيا هو تعطيل لكل جهده ودعوته، وهو بالتأكيد تبديل لدينه.. ولا يعقل أن الرسول كان عاجزا عن توضيح دعوته حتى يأتي من بعده أحد بمفاهيم مناقضة لجوهر دعوته زاعما أنّ هذا مما أوحى به الرسول اليه من بعد مغادرته للدنيا..

إن الواجب كان رفض الدعوى بأن الرسول نفسه أوحى إلى أحد من أتباعه بهذا التبديل والإنقلاب على رسالته من بعده.. وليس من المعقول أن يأمر المسيح عليه السلام بعبادة الله وحده فيأتي بولس فيأمر بعبادة المسيح بأنه الله نفسه أو ابنه.. وليس من المعقول أن يشدّد المسيح على وجوب إتباع التوراة وعدم نسخها (مثل متى 5: 17 " لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء.." أي لأبدل التوراة أو كتب الأنبياء)، ويأمر من يستفتيه بالإحتكام إليها كما ورد عند شفائه للأبرص (مرقس1: 44)، وكما يُفهم عنه وعن أتباعه بالقدس في قضايا أخرى كثيرة، فيأتي بولس من بعده ليسخر من التوراة وليأمر الأتباع بهجرها (غلاطية 2: 21، رومية 3: 28، رومية5: 18..) كيف وهي من الوحي المنسوب الى الله عزوجلّ.. وكيف يأتي المسيح لينبّه ألاّ خلاص إلا بالعمل الصالح، فيأتي بولس ليقول بأن سبيل الخلاص الوحيد هو الإيمان بالفداء الذي قدمه المسيح عن البشرية، لا بأعمال الناموس، أي ليس بالأعمال الصالحة التي أمرت بها التوراة (ان الإنسان لايتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح، لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما، غلاطية 2: 16)، بل ويزعم لمدرسته غير الملتزمة بالتوراة أنها ستدخل ضمن من باركهم الله من أبناء إبراهيم، والذين تمسكوا بالأعمال قد فقدوا المباركة :" إذاً الذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمن، لأن جميع الذين هم أعمال الناموس هم تحت لعنة لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به.. ولكن الناموس ليس من الإيمان.." ويقول في غلاطية 5: 4 " يامن تريدون التبرير عن طريق الشريعة، قد حرمتم المسيح وسقطتم من النعمة ! .." وفي غلاطية 4: 4 " ..أرسل الله ابنه، وقد ولد من امرأة وكان خاضعا للشريعة، ليُحرِّر بالفداء أولئك الخاضعين للشريعة، فننال جميعا مقام أبناء الله".. وفي ذلك خلط وضلال بيّن.. وهو ما لم يتحدث به المسيح أو أحد من الأنبياء عليهم السلام من قبل بولس! فكأنّ دعوات الله من خلال كل الأنبياء قبل زمن بولس كانت على ضلال، وأُخفي عن أتباعها سبيل الخلاص

الوحيد الذي لم يكشفه إلا بولس! والعجيب أنّ هذا الرأي الذي لم يعرفه الأنبياء أو يتحدثوا به كان معلوما لدى كثير من الأمم الوثنية السابقة على عصر بولس.. وقد أثبت عشرات الباحثين التشابه التامّ بين عقائد الأمم الوثنية وعقيدة تأليه المسيح عليه السلام وقضية الفداء الذي قدمها بولس للناس، وعقدوا مقارنات جلية لإثبات أن عقيدة بولس هذه والتطوير الذي تمّ لها من بعده إنما كانت مقتبسة من عقائد الأمم الوثنية ووحي الشيطان لا وحي الرحمن.. وفي هذا يؤكد كتاب الله الأخير وهو القرآن الكريم بأن النصارى قد نسخوا عقيدتهم عمّن قبلهم من الكفار.. جاء في سورة التوبة الآية 30، بعد ذكر دعوى طوائف من أهل الكتاب بوجود ابن لله وتعليقا عليه بأنهم في ذلك "**يضاهئون قول الذين كفروا من قبل**" وفي سورة المائدة الآية 77، في إشارة إلى غلو النصارى بتأليه المسيح " **يأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحقّ ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل**".. وذلك هو ما أثبته الباحثون مع أنهم من غير المسلمين..

وليعقوب خليفة المسيح الأول رسالة تُنسب إليه ضُمت إلى كتب العهد الجديد التي يؤمن بها المسيحيون لم تسلم من التحريف والإدخالات المسيحية إلا أنها تسطع بفكر مناقض تماما لفكر بولس..بما فيها من تشديد على أهمية العمل الصالح " هل ينفع أحداً أن يدّعي أنه مؤمن، وليس له أعمال تثبت ذلك؟ .." (رسالة يعقوب 2: 14) وعلى وجوب اتباع جميع الوصايا الواردة في شريعة موسى.. " وأنّ مَن يُخالف واحدة منها فقط يصير مذنبا تماماً كالذي يُخالف الوصايا كلها" (يعقوب 2: 11).. قال تعالى عن اليهود " ..**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض**.." البقرة:85.. مع تشديد يعقوب رحمه الله على التمسك بروح الدّين من الإخلاص لله والصدق ومحبة الآخرين والصبر على الإبتلاء والتوكل على الربّ والإكثار من الصلاة والخوف بل والبكاء من خشية الله وحده والتناصح والتواضع والحث على مقاومة ابليس والحذر من الغش والحسد وابتغاء غير وجه الله وزلات اللسان والفوضى والنزاع والتحزّب وظلم العمال في أجورهم.. وكلها وصايا منسجمة مع تعاليم التوراة والأنبياء وتعاليم المؤمنين كما جاءت في مخطوطات البحر الميت وإنجيل برنابا ومع روح الإسلام وتعاليمه.. إنّها أمة واحدة.. ودين واحد.. أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره.. هذا وقد نقل الباحث إيسنمان (11) تشكيك إيسوبيوس في أصالة رسالة يعقوب (واضح ان ذلك بسبب شذوذها عن تعاليم بولس)، وإيسوبيوس هو مؤرخ الكنيسة وكاهنها بالقيسرية وصديق الإمبراطور قسطنطين والمسئول الأول عن دوره في نصرة المسيحسية المنتسبة إلى بولس على تلك

المنتسبة لأتباع المسيح (عليه السلام) اليهود، ولاشك بأن رسالة يعقوب ظلت مشكلة لدى المسيحية المعاصرة (المنتسبة لبولس) فقد نقل إيسنمان كذلك تصريح المجدد الديني! مارتن لوثر بعد أكثر من ألف عام بأن المفروض كان عدم الإعتراف برسالة يعقوب وضمها إلى العهد الجديد..

وإضافة الى هذا كله، فإنّ فيما يلي أدلة أخرى من كلام بولس نفسه تدل على أنه كان يفتري على المسيح، ويسعى الى بناء مجد شخصي كما قال عنه الأولون، وأن المسيح – وهو البشر الرسول – ما كان يوحي إليه بشيء بعد غيابه عن الدنيا..

- وردت عبارات كثيرة على لسان بولس، هي في الواقع صريحة في دلالتها على تمييعه للعقيدة والإستعداد لتعديلها حتى تصبح مقبولة لدى الناس، ليتم بذلك كسب أكبر عدد من الأنصار.. وهي في الواقع سياسة أثبتت نجاحها في زمن بولس، وما زال عليها دعاة النصرانية حتى اليوم الذين يقدمون العقيدة لكل قوم في الثوب الذي يرضيهم ويقبلونه ولو كانوا يعلمون أنها خلاف ذلك.. فهي سياسة ناجحة لجمع الأنصار ولكن بعيدا عن منهج الأنبياء وعن طريق المرسلين، وأورد فيما يلي نماذج استشهد بها علماؤنا والباحثون للدلالة على كذب بولس وافتراءه على المسيح عيسى عليه السلام..

-جاء في رسالة رومية 3: 5– 7:" ولكن إن كان إثمنا يبين برّ الله، فماذا نقول؟ أيكون الله ظالما إذا أنزل بنا الغضب؟ أتكلم هنا بمنطق البشر: حاشا! وإلا فكيف يدين الله العالم ؟ ولكن إن كان كذبي يجعل صدق الله يزداد لمجده، فلماذا أُدان أنا بعد باعتباري خاطئا ؟" ..

وفي هذا إقرار بالتأليف والكذب على الدين باسم كسب الناس اليه، وهو اسلوب تبناه من بعد بولس أتباعه، وشواهده معلومة وثابتة.. وإنّ الله لغني عن إظهار مجده بالكذب عليه والإفتراء على أنبيائه ..!

-وجاء في رسالته لكورنيثوس الأولى 9: 19 – 23 :" فمع أنّي حرّ من الجميع ، جعلت نفسي عبدا للجميع، لأكسب أكبر عدد ممكن منهم، فصرت لليهودي كأني يهودي، حتى أكسب اليهود، وللخاضعين للشريعة كأني خاضع لها – مع أني لست خاضعا لها– حتى أكسب الخاضعين لها، وللذين بلا شريعة – مع أني لست بلا ناموس من عند الله بل أنا خاضع لناموس من نحو المسيح– حتى أكسب الذين هم بلا شريعة..", وفي كورنيثوس الأولى 10: 32: " كما أنا أيضا أرضي الجميع في كلّ شيء.." وواضح أن

هذا التلون مردود على طريقة الأنبياء والصالحين الذين يرفضون مخالفة الشريعة (التوراة) وتعطيلها ولو للحظات حتى لو ذهبت في ذلك أنفسهم.. فأما العيش مع الناس متجردا من الشريعة حتى يوقعهم في حبال دعوته، ومع الملتزمين بالتوراة كأنه من المتقين الملتزمين بقوانينها المنزلة أحتيالا للأتقياء واستدراجا لهم بعيدا عن هدى التوراة ونورها.. فهذا منتهى الإضلال والإغواء للناس جميعاً.. ولايدل الا على ضلال صاحبه.. ويفسر تأخر مقاطعة أتباع المسيح له..

- يذكر أيسنمان (11) أنّ حرص بولس في رسائله لدفع تهمة الكذب عنه ليؤكد ضراوة هجوم النصارى من كنيسة القدس عليه (وهي قضية قد سبق إثباتها عند التعليق على البشارة بالمختارين)، فهؤلاء لم يتهاونوا معه في قضايا التحلل من الإلتزام بالتوراة، أو اقتباس الطقوس الباطلة.. ومما أورده ايسنمان من كتابات بولس – وهي من العهد الجديد– في دفع تهمة الكذب عنه مايلي :" والذي أكتب به اليكم هوذا قدام الله إني لست أكذب اليكم" غلاطية 1: 20، وفي رسالته الأولى لتيمموثاوس 2: 7 " .. الحق أقول في المسيح ولا أكذب" ويقول في رسالته لأهل رومية 9: 1 " أقول الصدق في المسيح، لا أكذب وضميري شاهد لي بالروح القدس .." وفي كورنيثوس الثانية 11: 32 " الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي هو مبارك الى الأبد يعلم أني لستُ أكذب" .. وفي غلاطية 4:4 " أفقد صرت عدوا لكم لأني أصدق لكم، يغارون لكم ليس حسنا بل يريدون أن يصدوكم لكي تغاروا لهم" ويواصل في هذا الموضع الحديث عن الحرية.. فالحرية التي يزعمها (وهي الحرية من شريعة التوراة وإشراف الحواريين بالقدس) يستحقها هو وأتباعه لأنهم أبناء الحرة سارة لا أبناءء الأمة هاجر (عليهما السلام).

- ويذكرُ إيسنمان إدعاء بولس أنّه لم يعرف من الحواريين غير بطرس ويعقوب، وأنه بعد زيارته الأولى للقدس لم يزرها مرة أخرى الا بعد أربعة عشر عاما (غلاطية 2: 1) فيذكر بولس أن ذلك لهو مما يتناقض مع سفر الأعمال (وقد ذكر له زيارة أخرى خلال تلك الفترة)، وقد أوردتُ بالهامش (9) شواهد عديدة يدعي فيها بولس تلقيه التعاليم من المسيح مباشرة، واستغنائه عما تعلمه اللذين عرفوا المسيح في حياته.. وأضيف هنا موضع آخر ورد في غلاطية 1: 16 حيث كتب بولس: " ولكنّ لما سرّ الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته، أن يعلن ابنه فيّ لأُبشر به بين الأمم، للوقت لم استتشر لحماً ودما، ولا صعدت الى أورشليم الى الرسل اللذين قبلي.." ..وواضح أنّ في

هذا إدعاء من قبل بولس بأنّ ما يقوله هو وحي مباشر من الله، وفي ذلك بالتالي إزدراء لكل جهد المسيح في تعليم حوارييه وتلامذته، وإعلان للأستغناء عن كل ما تعلموه من المسيح في حياته.. فلا غرابة أن يضلّ ويُضلّ عن رسالة المسيح عليه السلام.. ولا عجب أن يتهمه أتباع المسيح الحقيقيون بأنه " النبي الكذاب" كما ذكرت في الفصل الثالث عن التبشير بالمختارين.. ويعدّد إيسنمان في الواقع عددا من المواضع والأحداث البين فيها تناقض بولس مع نفسه ومع سفر الأعمال، مما يظهر قضية الكذب جليّة.. وفي الواقع فإنّ إيسنمان يعقد مقارنة قوية بين شخصية الكاهن الشرير المذكورة بمخطوطات البحراليميت وشخصية بولس ليستنتج أنّ اليهود المؤمنين من أصحاب المخطوطات إنما كانوا يقصدون بولس كشخصية معادية ليعقوب البار الذي اعتبره هو المعلم الصالح الذي تحدث عنه أصحاب المخطوطات.. وقد سبق أن أثبت للقاريء أنّ المعلم الصالح الذي تحدث عنه أصحاب المخطوطات ما كان إلا المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، مما يعني أن الكاهن الشرير ما كان الا قيافا الذي تآمر على المسيح وسعى في النهاية لقتله.. ومع مخالفتي لتحليل ايسنمان إلا أنه أثبت أن شخصية بولس منطبقة تماما مع شخصية الكاهن الشرير عدو المعلم الصالح.. وفي الواقع فإن بولس كان قد عاصر المسيح عليه السلام في حياته عدوا يسعى للقبض على أتباع المسييح وقتلهم.. ومن بعده رأى أتباع المسيح الحقيقيين أنه هو " العدو"..

- فلسفته المنتهية الى تحليل أكل الذبائح التي ذبحت تقربا للأصنام (كورنيثيوس الأولى، 8: 1- 13)، إذا أكلت في الخفاء، واضح أنّ بذلك تشجيع على النفاق، ويشير إلى الخوف من أتبَاع المسيح الحقيقيين بمخالفة التوراة صراحة.. ويقول في كورنيثيوس الأولى 6: 12 " كل الأشياء تحل لي لكن ليس كل الأشياء توافق، كل الأشياء تحل لي لكن لا يتسلط عليّ شيء، الأطعمة للجوف والجوف للأطعمة والله سيبيد هذا وتلك ".. وهي فلسفة ميّعت المحرّمات وأضاعت الشريعة بل والدين.. إذ يقول بعد ذلك مباشرة " ولكن الجسد ليس للزنا بل للرب، والربّ للجسد .."! .. وفي غلاطية 3: 10: يتجرأ فيقول: "أما جميع الذين على مبدأ أعمال الشريعة فإنهم تحت اللعنة.."، ثم يقول في غلاطية 3: 13 " إن المسيح حررنا بالفداء من لعنة الشريعة، إذ صار لعنة عوضا عنا، لأنه قد كتب :(ملعون كل من علق على خشبة)".. ولا يسعنا إلا العجب من هذا

المنطق الذي بلغ التعالي على المتمسكين بالكتاب (الناموس)، بل لعنهم، بل لعن المسيح وهو يزعم أنه ابن الله عز وجل أو هو نفسه.. كل هذا فداء لهؤلاء !

-ولنتعرف على طريقة تفكير بولس، وانزلاقاته نراجع رومية اصحاح 7 : ففي مقدمته يشبّه بولس تحرره من الشريعة بتحرر الزوجة بموت زوجها منه، فكذلك تحرر بولس ومن معه من الشريعه بموت جسد المسيح.. ثمّ يُدلل على مرض قلبه ونفسه فيقول أنه لولا الشريعة لما وجدت الخطيئة!.. " ولكنني ما عرفتُ الخطيئة إلا بالشريعة، فما كنت لأعرف الشهوة لولا قول الشريعة: " لا تشته!"، ولكن الخطيئة استغلت هذه الوصية فأثارت فيّ كل شهوة، فإنّ الخطيئة استغلت هذه الوصية فأثارت فيّ كلّ شهوة، فإنّ الخطيئة لولا الشريعة ميتة، أما أنا فكنت من قبل عائشا بمعزل عن الشريعة، ولكنّ لما جاءت الشريعة عاشت الخطيئة.." .. وواضح أن هاهنا سقطة تُبين أنه لم يكن يهوديا تماما (في أصله) كما ذكر ذلك عنه الناصريون، وإلا فإنّ اليهود يعرفون الشريعة من صباهم، وما جاء المسيح إلا مثبتا لها، ولا يمكن أن يُقبل القول بأن نهي الشريعة عن ذنب هو دعوة للناس لعمله.. فهل هو – أي بولس_ أحكم من الخالق منزل الشريعة.. ثمّ يقول " وأمّا أنا فجسدي بيع عبدا للخطيئة، فإنّ ما أفعله لا أملك السيطرة عليه: إذ لا أمارس ما أريده، إنّ ما أبغضه فاياه أعمل، فما دمتُ أعمل ما لا أريده فاني صادق على صواب الشريعة، فالآن إذن ليس بعدُ أنا من يفعل ذلك، بل الخطيئة التي تسكن فيّ، لأنني أعلم أنه فيّ، أي في جسدي، لا يسكنُ الصلاح.. فأنا لا أعمل الصلاح الذي أريده، وانما الشرّ الذي لا أريده أنا إياه أعمل، فليس بعد أنا من يفعل ذلك، بل الخطيئة التي تسكن فيّ ..فيالي من إنسان تعيس! من يحررني من جسد الموت هذا ؟ أشكر الله بيسوع المسيح ربنا إذن ، أنا نفسي من حيث العقل أخدم شريعة الله عبدا لها، ولكنني من حيث الجسد أخدم ناموس الخطيئة عبدا له، والآن إذا ليس على الذين في المسيح يسوع أي دينونة" .. وبهذه الفلسفة التي تعتبر مخالفةَ أوامر الشريعة هو الوضع الطبيعي المتوقع تمّ إلغاء الشريعة، ونبذها، وتم تبرير الخطايا والآثام والوعد بمغفرتها بمجرد الإيمان بعقيدة الفداء التي وضعها بولس، ولم نسمعها عن المسيح أو حوارييه.. ويصل بولس إلى أنّه لن يكون على المؤمنين بهذه العقيدة عن المسيح عليه السلام أي حساب بالآخرة.. وفي ذلك إلغاء من الناحية العملية لكل شرائع الأنبياء ووصاياهم بما فيهم عيسى بمفاهيم غريبة لم يدعوا هم الناس إليها.. ويقول عن الله عزوجل " لأن

الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله" كورنيثوس الأولى 2: 10، وفي الرسالة الأولى لكورنثوس 1: 25 يقول عن الله عز وجل: " فبالمسيح قوة الله وحكمة الله، لأن جهالة الله أحكم من الناس وضعف الله أقوى من الناس" .. فما أقبح قوله هذا عن الله عزوجل.. تعالى الله عما يقول علوا كبيرا..

- تذكرُ رسالةُ أعمال الرسل وهي من تأليف لوقا الذي كان من اتباع بولس، تذكر وجود خلاف بين الأتباع الحقيقيون للمسيح عليه السلام بالقدس، وهم كلهم يهودا وقد تزعمهم من بعد يعقوب عليه السلام.. ففي أعمال الرسل 21: 21 ".. وقد سمعوا بأنك تدعوا اليهود الساكنين بين الأجانب الى الأرتداد عن موسى، وتوصيهم بألا يختنوا أولادهم، ولا يتبعوا العادات المتوارثة، فخذهم الى الهيكل وتطهر معهم وادفع نفقة حلق رؤوسهم، فيعرف الجميع أنّ ما سمعوه عنك غير صحيح، وأنك تسلك مثلهم طريق العمل بالشريعة.. وهكذا كان، ففي اليوم التالي أخذ بولس الرجال الأربعة، وبعدما تطهر معهم دخل الهيكل لكي يُسجل التاريخ الذي ينتهي فيه اسبوع التطهر".. وفي هذا الموضع تظَاهَر بولس – كذبا ودجلاً– بعدم صحة ما ينسب اليه، وقدّم التزاماً زائفا بالشريعة حتى لا يُنبذ من قبل يعقوب زعيم النصارى من بعد عيسى عليه السلام.. ومع هذا فقد حاول اليهود قتله " هذا هو الرجل الذي يدعوا الناس في كل مكان الى عقيدة تشكل خطرا على شعبنا وشريعتنا.."، وما أنقذه منهم الا الجنود الرومان وجنسيته الرومانية.. وتشير رسالة بولس الى أهل غلاطية الى أنّ هذا الخلاف كان حاداً (9 & 10).. ويحذر فيها (غلاطية 1: 6– 9) بولس أتباعه من الإستماع لتعاليم غيره من دعاة النصرانية، وأن عليهم ألا يتبعوا غير إنجيل المسيح الذي قدمه هو حتى لو كان من تنزيل ملك من السماء، " ولكن حتى لو بشرناكم نحن أو بشركم ملاك من السماء، بغير الإنجيل الذي بشرناكم به، فليكن ملعونا.. إن كان أحد يبشركم بانجيل غير الذي قبلتموه فليكن ملعونا! ".. أما هو فانجيله كان يقدمه سراً وبشكل فردي (ربما في بداية الأمر) كما ذكر ذلك في غلاطية 2: 2 : " وبسطتُ أمامهم الإنجيل الذي أبشر به بين الأمم، ولكن على انفراد أمام البارزين فيهم.. إنما أُثير الأمر بسبب الأخوة الدجالين الذين أُدخلوا بيننا خلسة، فاندسوا ليتجسسوا حريتنا التي لنا في المسيح يسوع، لعلهم يهيدوننا الى العبودية، فلن نخضع لهم مستسلمين ولو لساعة واحدة.. فإنهم لم يزيدوا شيئاً على ما أُبشّر به بل بالعكس، رأوا أنه عُهد إليَّ بالإنجيل لأهل عدم الختان، كما عهد به إلى بطرس لأهل الختان..".. وعرّض في تعليمهم الناس الشريعة بما فيها من أمور تحريم بعض الأطعمة بأنّ ذلك من الأساطير أو أساطير العجائز المبتذلة وممّا يثير المجادلات (تيموثاوس الأولى 1: 4، 7، و4: 7).. وقد أوردتُ بالفقرات أعلاه وكذلك ضمن التعليق على التبشير بالمختارين (بالفصل الثالث) ما فيه دلالة بيّنة على شدة الخصام الذي نشأ بين أتباع المسيح الحقيقيين وبولس، وكيف أن بولس استقلّ في تعاليمه

عن تعاليم الحواريين الذين تعلموا من المسيح عيسى عليه السلام مباشرة.. وتُسجّل رسالة أعمال الرسل ورسائل بولس الأخرى مقاطعة النصارى اليهود لبولس، حتى قال في رسالته الثانية الى تيموثاوس 1: 15 " أنت تعلم أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني".. وفي رسالته الثانية الى تيموثاوس 4: 15: " في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي بل الجميع تركوني.."، وفي كورنيثوس الثانية 11: 13، بعد تحذير أتباعه من الرسل الآخرين وأناجيلهم، وبيان زهده عن مالهم يقول (فإن أمثال هؤلاء هم رسل دجالون، عمّال ماكرون، يُظهرون أنفسهم بمظهر رسل للمسيح، ولا عجب فالشيطان يظهر نفسه بمظهر ملاك نور)، ويقول في كورنيثوس الثانية 11: 2– 5: " غير أني أخشى أن تضلل عقولكم عن الإخلاص والطهارة تجاه المسيح مثلما أغوت الحية بمكرها حواء، فإذا كان مَن يأتيكم يبشر بيسوع آخر لم نبشر به نحن أو كنتم تنالون روحا آخر لم تنالوه، أو تقبلون إنجيلا لم تقبلوه، فإنكم تحتملون ذلك بكل سرور. فإني أعتبر نفسي غير متخلف في شيء عن أولئك الرسل المتفوقين، فمع أني أتكلم كلام العامة غير الفصيح فلا تنقصني المعرفة..) ويواصل نفس الخطاب ببقية الإصحاح والذي يليه حتى يقول " فإن كانوا عبرانيين فأنا كذلك، أو إسرائيليين، فأنا كذلك، أو من نسل ابراهيم فأنا كذلك.." وواضح أنّ دعاة المسيح الذين يعنيهم هنا هم رسل يعقوب ومن معه من الناصريين، وقد كانوا يأخذون شيئا من المال لإرساله للحواريين بالقدس، وكان بولس نفسه يرسل مثل ذلك المال للقدس، مخادعة للناصريين كما يرى البعض..

وهنا مع هذه القطيعة والعداء الثابت ينبغي لمن يريد أن يتبع المسيح حقا أن يأخذ جانب أتباعه الذين عرفوه في حياته لا جانب من ادّعى بلا دليل أن المسيح بعد مغادرته للدنيا يُوحي اليه بتعاليم هي مخالفة لجوهر دعوة المسيح والأنبياء من قبله، ولم تُعرف هذه التعاليم إلا من خلال هذا الدّعي الذي لم يعرف المسيح ولم يتعلم على يديه في حياته، ولما أنكرها أتباع المسيح الحقيقيون لما بلغتهم، تظاهر بأن تلك التعاليم مكذوبة عليه وأنه لم يدعو إليها.. ونعلم أنها لم تكن مكذوبة عليه، بل تلك كانت حقيقة دعوته.. وبعيداً عن المؤثرات الخارجية فإنّ على مَن يخاف الله والدار الآخرة أن يختار لنفسه أيّ الفريقين يتبع..!

هوامش الملحق الخامس

* **أوردت هذا الملحق على حاله هذه كما كتبته في كتابي** " تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم"

(1) لا يكاد المرء يستطيع حصر المواضع من الأناجيل الدالة على وحدانية الله وتنزهه عن الند والنظير، ولا حصر الأدلة الدالة على أن عيسى عليه السلام كان بشرا رسولا، ومن ذلك على سبيل المثال ما يلي: متى 4: 1-3، 9- 11، 10: 33، 40، 25، و12: 38، 50، و14: 12- 16، و15: 24، و20: 33 ، و21: 11، و 23: 9، و مرقس 12: 29، 32، ولوقا 2: 52، و8: 21_ 34، 18: 18-19، و9: 16، 57-58، و 7: 16، و 24: 20، ويوحنا 1: 18، و4: 34، و 5: 37، و 6: 14، و8: 41، 47، و11: 26، و 16: 5، و 20: 17 .. وغيرها كثير جدا.. وأكثر من ذلك ممكن أن يستخرج من العهد القديم .. بحيث صار الإيمان بوحدانية الله هو الوصية الأولى للعهدين القديم والجديد .. ونأسف للذين يعتقدون أنهم يتبعون المسيح، وهم يعبدونه ويدعونه ويستغيثون به ويشركونه مع الله عزوجلّ، ويخالفونه في قضية دعوته الأولى فلو رأهم لتبرأ الى الله منهم .. بل قد أعلن ذلك ونقلته عنه الأناجيل .. وهل يعقل إلا أن يتبرأ منهم! فهل جاء ليصنع من نفسه إلها يعبد من الله حتى يرتضي صنيع من عبدوه مع الله ! وهل سيتبرأ إلا من هؤلاء الأتباع الضالين ..!

(2) جاء في انجيل متى 5: 17: " لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء _ أي التوراة وكتب الأنبياء الملحقة بها_ ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإني الحقّ أقول لكم الأن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكلّ" .. وجاء في رسالة يعقوب الثانية 2: 10 :" لأن من حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدة فقد صار مجرما في الكل .."

(3) جاء في رسالة يعقوب الثانية 2: 14 " ما المنفغة يا اخوتي إن قال أحد إن له إيمانا ولكن ليس له أعمال، هل يقدر الإيمان أن يخلِّصه.. هكذا الإيمان إن لم يكن له أعمال ميت في ذاته.." قارن هذا بالمواضع العديدة لبولس التي شدد فيها على أن الخلاص هو بالإيمان بالفداء الذي قدمه المسيح لا باتباع الناموس (التوراة) .. ففي أعمال الرسل 13: 39 " وبهذا يتبرر كل من يؤمن من كل مالم تقدروا أن تتبرروا منه بناموس موسى" وقال في رسالته لأهل غلاطية 2: 16 " إذ تعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح آمنّا نحن أيضا بيسوع المسيح بايمان يسوع لا بأعمال الناموس، لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما.." ثمّ يقول " .. لأنه إن كان بالناموس برٌ فالمسيح إذاً مات بلا سبب" .. وفي هذا إساءة واضحة الى التوراة غير مقبولة ! وواضح أن في رسالة يعقوب وكتب العهد القديم نقض صريح لأفكار بولس التي نافقت الناس وأعطت لهم دينا سهلا كما يتمنون، فأفكارهم وعقائدهم وأعيادهم بقيت وأعطيت فقط أسماء مسيحية .. وأسلوب الدعوة هذا ما زال يمارسه دعاة النصرانية اليوم بافريقيا، فلا يشترطون على الناس الإيمان بعقيدة التثليث وتأليه المسيح وإنما يكتفون منهم بجعل أسماء مسيحية إضافية واعتبار أنفسهم مسيحيون، وبغض النظر عن حقيقة عقيدنهم بالمسيح .. وفي هذا دجل واستدراج واحتيال على الناس لا يدل الا على عدم مصداقية أصحابه !

(4) جاء في حزقيال 18: 20 " لا يُعاقب الإبن بإثم أبيه، ولا الأب بإثم ابنه، يُكافأُ البارُّ ببره ويُجازى الشرير بشرّه". ومثل هذا النص ورد في التثنية 24: 16 " لا يُقتل الآباء عوضا عن الأبناء، ولا يقتل الأبناء بدلا من الآباء، فكل إنسان يتحمل وزر نفسه" ... فكيف يأتي بعد ذلك من يقول أن البشرية متحملة لذنب أبيها آدم وتستحق على ذلك النار.. هذا وماهو بذنبها! بل هو ذنب قد غفر لأبيها .. وكيف تكون كفارته بجريمة أعظم .. فيُقتل الخالق نفسه أو ابنه – أستغفر الله العظيم- كيف وليس لها دور لا في الذنب ولا في كفارته المزعومة ! وأين يذهب المؤمنون في الأجيال التي سبقت هذه الكفارة ..

(5) هذا النص مأخوذ من كتاب اليوبيلات اصحاح 15: 25- 26، ولا يقل عن هذا في الواقع صرامة نص التوراة في التكوين 17: 10- 14:" .. هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر، فتختنون في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم ..فيكون عهدي في لحومكم عهدا أبديا، وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها، إنه قد نكث عهدي"

(6) Hyam Maccoby, The Myth maker : Paul and the invention of Chrestianity 1987: page 110-118.

هذا وقد اطلعت مؤخرا بعد دراسة كتاب ماكوبي أعلاه بالإنجليزية على ترجمة مختصرة لها قامت بها سميرة عزمي الزين (منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية)، وقد استعنت أثناء كتابة هذا الفصل أحيانا بهذه الترجمة كذلك إضافة الى الكتاب الأصلي.

(7) قال بولس في رسالته الأولى لأهل كورنثوس حول وحي المسيح له بتفاصيل عشاء الرب " لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضا أن الرب يسوع في الليلة .." وقد رأى بعض الباحثين إما أن بولس كان يكذب أو أن هذا كلام أدخل على رسالته فيما بعد أو أن المسيح ظلّ حيا حتى التقى ببولس وأوحى اليه بفكرة هذا العشاء .. وواضح أن الرأي الأول هو أرجحها !

(8) كتب تيموثي فريك وبيتر قاندي في كتابهما The Jesus Mysteries, 1999 ed. ص48 :" ان فكرة الإتحاد بالملأ الأعلى عن طريق أكل الإله هي طقس قديم جدا موجود حتى في الكتاب المصري : كتاب الأموات، الذي فيه أن الأموات يأكلون الآله فيتشربون بقوتها.. واحتفال المسيحيين بالقربان المقدس قد كان يمارس مثله للأتحاد بأدونيس/ ديونيساس.." ويذكر المؤرخون طقسا مماثلا تماما مارسه أتباع ديانة ميترا من قبل ظهور المسيحية.. كما تذكر الباحثة سميرة عزمي في كتابها الأصول الوثنية للمسيحية، وهو عبارة عن مختارات مترجمة من خمسة كتب غربية، كيف أن شعوب الأزتك بالمكسيك كانوا يمارسون شعيرة " أكل الإله" تعالى عن ذلك علوا كبيرا، فقد كانوا يصنعون الكعك على صورة معبودهم ثم يذبحونه ثم يتوزعون الكعكة، وهم يعتقدون أنهم يأكلون جسد معبودهم، ويقولون " اننا نحفظ الإله ونحرسه حين نأكله"..

تجدر الإشارة الى أنّ هناك عدد ضخم من الكتب والأبحاث التي ألفها مؤلفون غربيون تثبت درجة الإقتباس والتأثر الضخمة التي تأثرت بها المسيحية الرومانية بالوثنية، ولعل من المناسب الإشارة إلى صورة غلاف كتاب " عيسى الغامض، هل كان عيسى الأصلي إله من الوثنية؟ The Jesus Mysteries. Was the Original Jesus A Pagaan God? " والذي حمل شعار الصلب المعتاد (رجل على الصليب) لا يشكّ من رأه أنه يمثّل المسيح عليه السلام، ولكنّ الشعار – وقد كان موجودا بمتحف برلين حتى ضاع خلال الحرب العالمية الثانية- ولكنّه لأمة اليونان الوثنية ويمثل الهها Osiris-Dionyysus.

(9) يصرح بولس بدعوى تلقيه الوحي والتعاليم مباشرة من المسيح عليه السلام في مواضع عديدة من رسائله، وقد سبقت معنا دعواه بمثل هذا حول العشاء الرباني، والقصة التي ذكرها سببا لإيمانه وأن المسيح عليه السلام قد أمره بالدعوة اليه كابن الله، ومن أقواله بهذا الخصوص ما جاء في رسالته الى غلاطية 1: 1:" من بولس، وهو رسول لا من قبل الناس ولا بسلطة انسان، بل بسلطة يسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من بين الأموات.." ، ومن ذلك قوله 1: 10– 12 " وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به إنه ليس بحسب انسان،لأني لم أقبله من عند إنسان ولا عُلِّمتُه، بل بإعلان يسوع المسيح"، ويقول في رسالته الأولى لأهل كورنيثوس 9: 5" ألست أنا رسولا، ألست أنا حر، أما رأيت يسوع المسيح ربنا (يقصد رؤياه المزعومة)، ألستم أنتم عملي في الربّ، إن كنت لست رسولا الى آخرين فإنما انا إليكم رسولا لأنكم أنتم ختم رسالتي في الربّ، هذا هو احتجاجي للذين يفحصونني.." فتلك حجته أنه جمع الناس ولكن على أي تعاليم؟! ويسخر بولس (في كورنيثوس الثانية 3: 7) من رسائل التوصية التي يكتبها يعقوب للدعاة ويعتبرها كما يذكر ايسنمان حروف ميتة كتبت على حجر (يراجع كتاب ايسنمان المذكور بالهامش 11، ص 126–128، 145)

(10) جاء في رسالة بولس الى أهل غلاطية 2: 9 " .. فإذا علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا المُعتبرون أنهم أعمدة أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان" وتكرر مثل هذا في مواضع أخرى مما يدلّ أنه حاول أن يستمد شرعية لدعوته من قبل مدرسة الحواريين، ولكن تعاليمه المخالفة لمنهج الأنبياء تسربت وبدأ الهجوم، فتهكم بولس بيعقوب وتلامذة المسيح، وزعم لنفسه الحق في التحرر من كل توجيه، كيف لا وهو الذي يتلق الوحي من المسيح ومن الله كما زعم.. فيقول في غلاطية 2: 4– 6 " .. إنما أثير الأمر بسبب الإخوة الدجالين، الذين أُدخلوا بيننا خلسة، فاندسوا ليتجسسوا حريتنا التي لنا في المسيح يسوع لعلهم يعيدوننا الى العبودية، فلم نخضع لهم مستسلمين ولو لساعة واحدة، ليبقى حق الإنجيل ثابتا عندكم، أما الذين كانوا يعتبرون من البارزين، ولا فرق عندي مهما كانت مكانتهم ما دام الله لا يراعي وجاهة انسان ، فإنهم لم يزيدوا شيئا على ما أبشّر به .." والنص في الفقرة 6 هو في الواقع كما يلي : " وأما المعتبرون أنهم شيء مهما كانوا لا فرق عندي".. وقد اعتبر ايسنمان أن إطلاق لفظ " شيء" للرؤساء الحواريين بالقدس إزدراء متعمد من قبل بولس، وفي غلاطية 5: 1– 4 يقول بولس: " فاثبتوا إذا في الحرية التي قد حررنا المسيح بها ولا ترتبكوا أيضا بنير العبودية، ها أنا بولس أقول لكم إنه إن ختنتم لا ينفعكم المسيح شيئا.. قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس، سقطتم من النعمة.." والمقصود بأصحاب الختان كما هو معلوم وكما يذكر ايسنمان (في كتابه جيمس أخو عيسى، 1996ص 126– 128) هم تلامذة المسيح بالقدس الذين يرأسهم يعقوب.. وواضح أن المقصود هنا كما في المصدر أعلاه التحرر من الشريعة ومن إشراف مدرسة الحواريين بالقدس (وهم المعتبرون والبارزون) التي اعتبر الخضوع لأمتها عبودية !.. ويقول في رسالته الثانية الى كونيثوس 3: 1" .. أم ترانا نحتاج كبعضهم الى رسائل توصية نحملها اليكم أو منكم؟" وفي هذا إشارة الى استغنائه عن الحاجة الى اعتراف أو تبني أو توصية من قبل حواريي المسيح بالقدس.. وهو ما يثبت انفصامه عن تعاليم المسيح التي علمها أتباعه في حياته !

ويبدو أنّ إدعاء الوحي من الله تعالى أصبح أمرا يسيرا لأتباع بولس من بعده.. ولعل القراء يذكرون ذلك عن بعضهم بعصرنا الحاضر..

(11) Robert Eisenman, James the Brother of Jesus
استعنت كذلك باقتباسات بعض المؤلفين عن إيسنمان ومنها اقتباسات هالة العوري في كتابها أهل الكهف.

الملحق السادس*

شجرة أنساب الحشمونيين

ماتاثياس (قتل عام 166 ق م)

جوناثان **(152– 143 ق م)** — **جوداس المكابي** **(قتل عام 160 ق م)** — **سيمون** **(143– 134 ق م)** — جون (يوحنا)

جون أو يوحنا هيركانوس **(134– 104 ق م)** — جوداس (توفي 135) — ماتاثياس (توفي 135)

الإسكندر أريستوبولس الأول **(104– 103 ق م)** — **الإسكندر حناؤس** **(103– 76 ق م)**

أريستوبولس الثاني **(63– 67 ق م)** — **هيركانوس الثاني** **(63– 40 ق م)**

أنتيقوناس **(40– 37 ق م)** — الإسكندر (توفي عام 49 ق م)

ماريامن الأولى (قتلت عام 29 ق م)

(تزوجها هيرود الكبير)

شجرة أنساب الهيروديين

(كتبت أسماء الحكام مغلظة)

أنتيباتر

سالومة ——————— فاصائيل الأول

مالثيس (الزوجة السامرية) = **هيرود الكبير**(**37 – 4**) = ماريامن الأولى (الزوجة المكابية)

هيرود أراكيلوس (**4 ق م – 6 م**)

أريستوبلاس الرابع (**قتل عام 7م**)

ألإسكندر (**قتل عام 7**)

هيروديياس (زوجة كلا من هيرود فيليبس* **وهيرود أنتيباس**)

أجريباس الأول (37– **44 م**)

هيرود (ملك خاليكس)

سالومة (تزوجها **فيليب أمير الربع** 4 ق م– **39 م**) هي التي رقصت أمام هيرودس أنتيباس وطلبت منه رأس نبي الله يحي بإيحاء من أمها هيروديياس

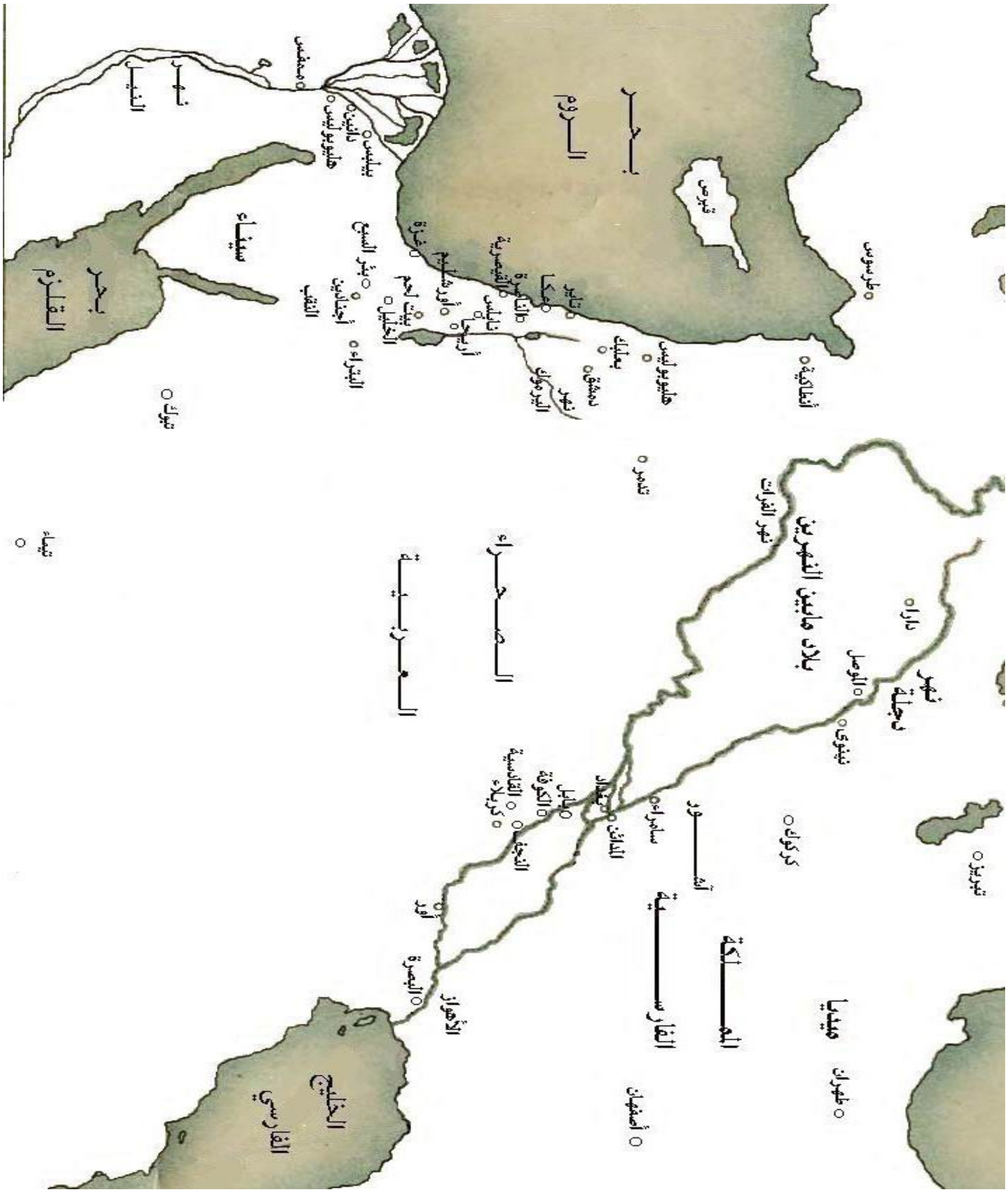
أجريباس الثاني (50– 100 م)

- أضيف هذا الملحق لتسهيل متابعة الأحداث والصراعات خلال فترات حكم الحشمونيين والهيروديين.

* هيرود فيليبس هو ابن هيرودس الكبير من زوجة أخرى هي مريامن الثانية.

الملحق الخامس

الخرائط المتعلقة بالأحداث الرئيسية بالبحث*



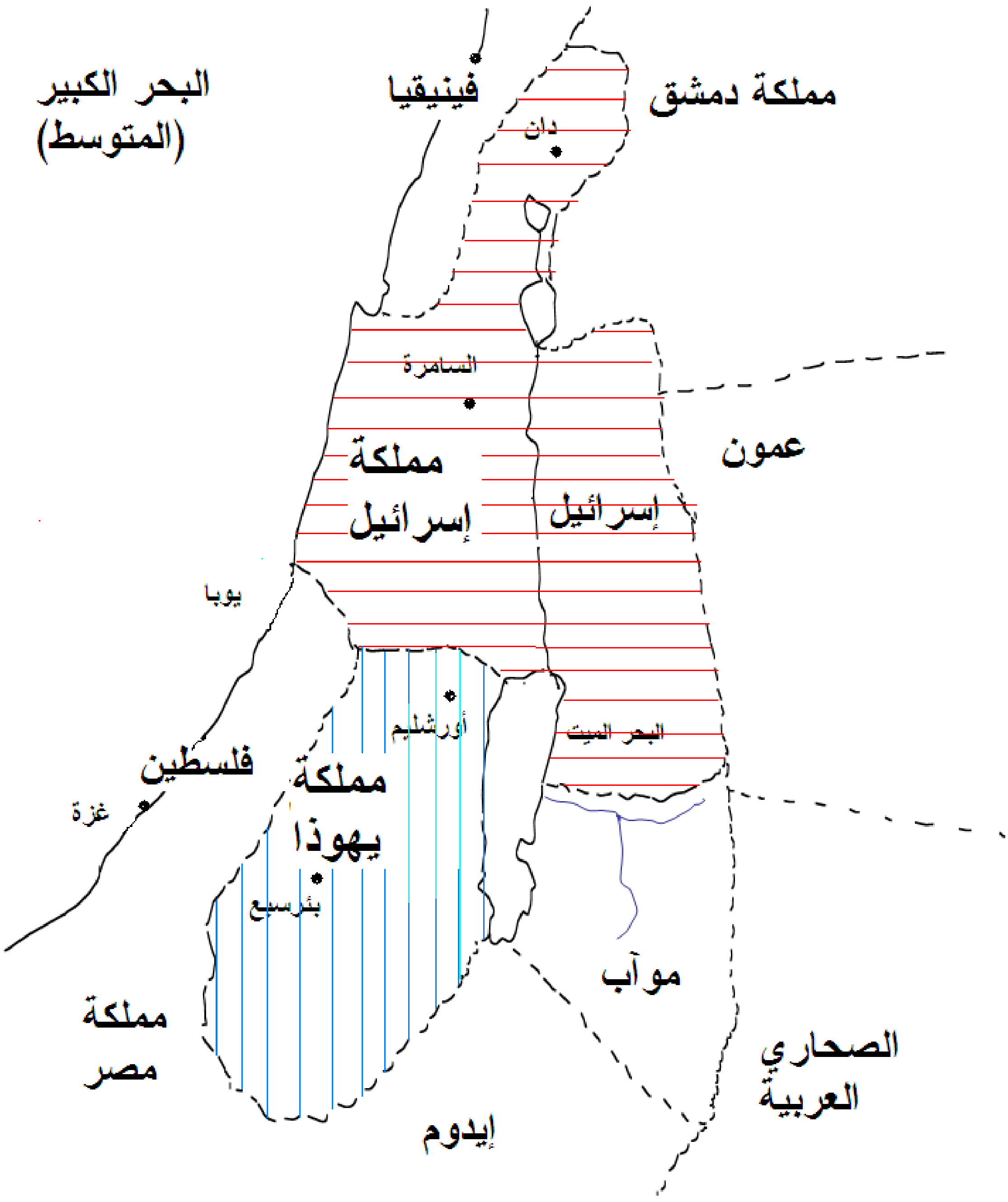
خريطة1: مسرح أحداث تاريخ بني إسرائيل.



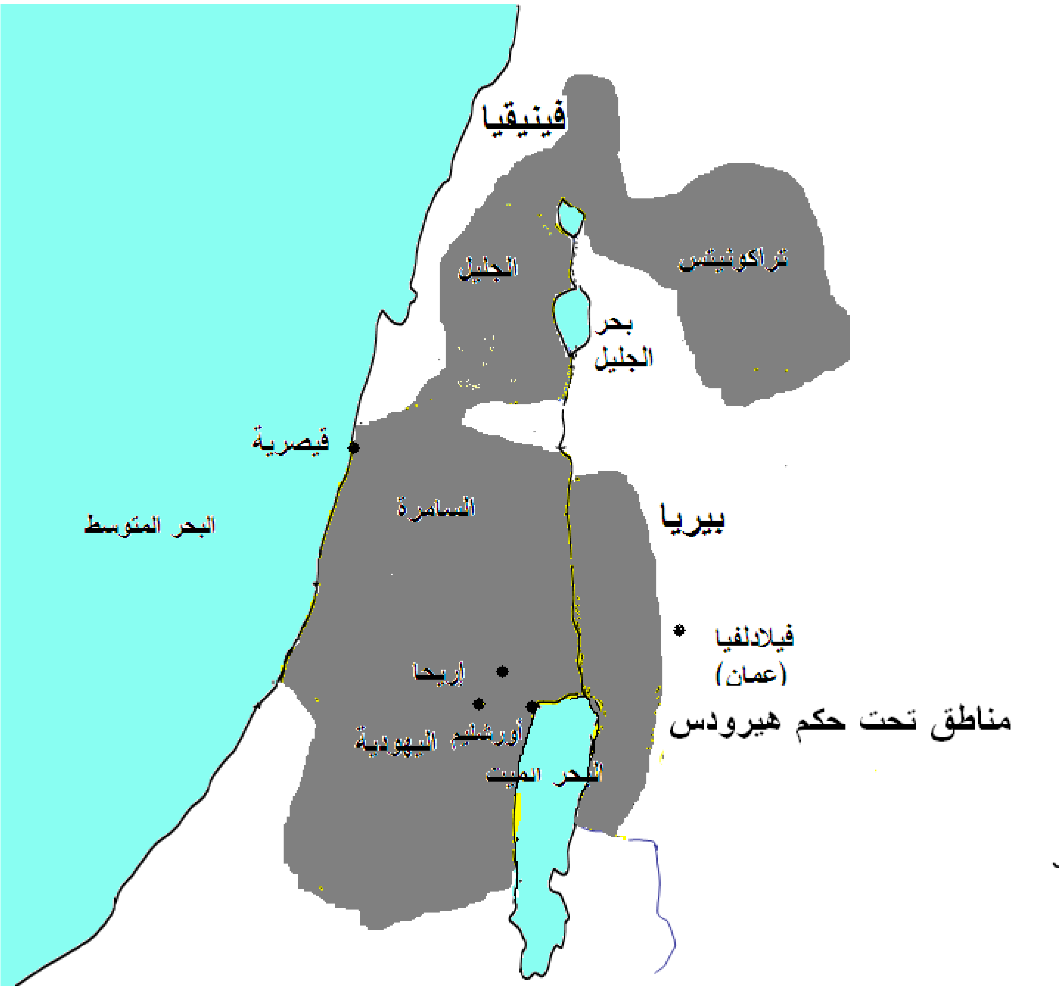
خريطة 2: خريطة خروج بني إسرائيل من مصر إلى فلسطين: يلاحظ هنا دخولهم أرض فلسطين من الجانب الشرقي بحيث كانت أريحا أول المدن التي دخلوها من بعد التيه بسيناء



خريطة 3: وراثة بني إسرائيل لفلسطين من بعد موسى عليه السلام، وإقتسام أراضيها بينهم حسب قبائلهم (وضع خط تحت كل اسم سبط، يُلاحظ أن سبط أبناء يوسف عليه السلام قد انقسم لكثرته إلى سبطين باسماء إبنيه منسي وإفرايم).



خريطة4: خريطة مناطق حكم مملكتي إسرائيل ويهوذا.



خريطة 5: مناطق حكم مملكة هيرودس الكبير.



- مناطق اليهودية والسامرة وإيدوم كانت تحت ولاية ارخيلوس ثم انتقلت إلى ولاية بيلاطس
- مناطق الجليل وبيرية كانت تحت ولاية إنتيباس
- مناطق باتانيا وتراخونيس وأورنتس تحت ولاية فيلبيوس

خريطة 6:

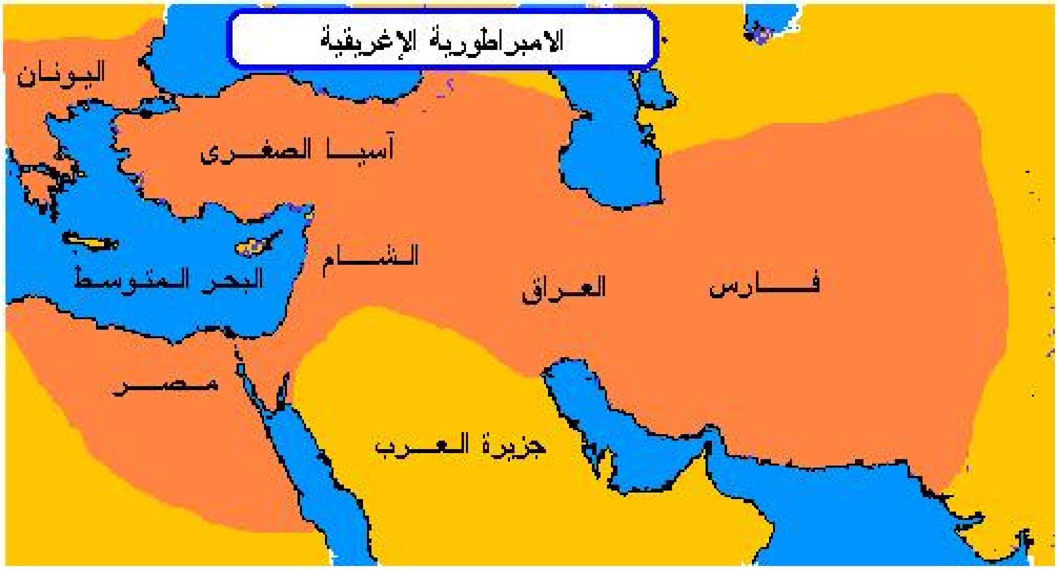
مناطق حكم أبناء هيرودس الثلاثة من بعده، وقد تلقب كل منهم بلقب أمير ربع



خريطة 7: انتشار الإمبراطورية البابلية 586 – 538 ق.م.



خريطة8: أنتشار الإمبراطورية الفارسية 538 – 331 ق م.



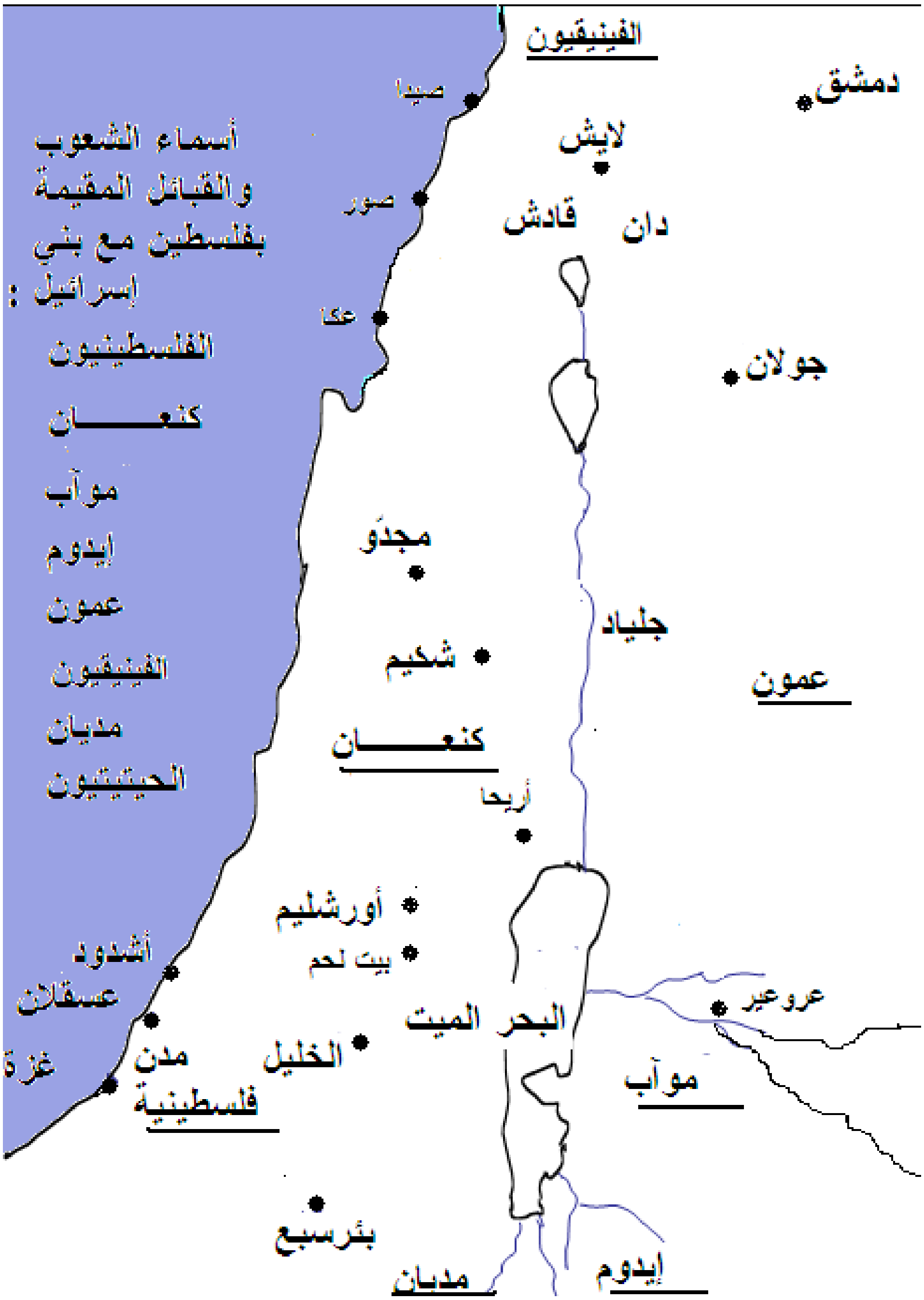
خريطة9: انتشار الإمبراطورية الإغريقية 331– 63 ق.م

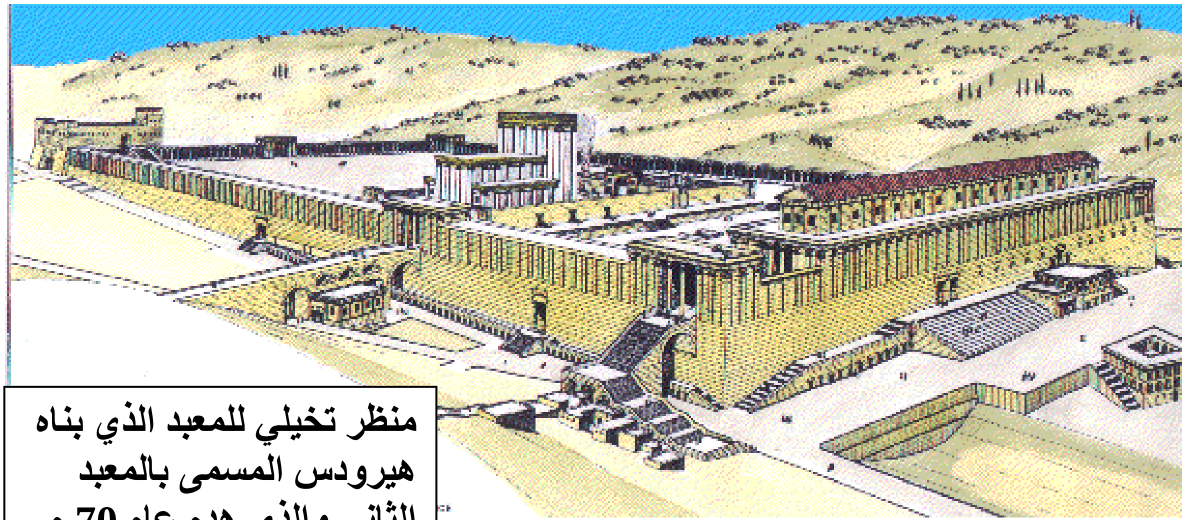


خريطة 10: انتشار الإمبراطورية الرومانية 63 ق.م – 638 م.

خريطة 11:

أسماء الشعوب والقبائل المقيمة بفلسطين مع بني إسرائيل





منظر تخيلي للمعبد الذي بناه هيرودس المسمى بالمعبد الثاني والذي هدم عام 70 م

---

* أخذت معلومات هذه الخرائط وصور المعبد من مجموعة من المراجع ومواقع بالانترنت مجانية.

الخـاتمــة

مأساتنا المعاصرة

من السهل أن نُسطِّر هنا مرة أخرى مجموعة من الخواطر والعظات المتعلقة بتاريخ بني اسرائيل.. وقد سبقت الإشارة إلى كثير منها عند استعراض أحداث تاريخ بني إسرائيل الرئيسة في هذا الكتاب.. ولكنّ الإلتزام بما تُمليه الدروس والعبر عسير على كل المستويات.. فالأعداء قد أحكموا خناقهم على هذه الأمة، ونجح مكرهم بها في جعلها تابعا مُمزقا ومستضعفا لهم.. جرّدوها من اعتزازها بدينها وأصالتها، وجردوها إلى حد كبير من كل سلاح يُمكِّنها من مواجهتهم يوما من الأيام، بل ومن كل التكنولوجيا التي حرّموها عليها، وعاقبوا من قد يعينها في الحصول عليها، ووضعوا لذلك النظم والقواعد التي جعلوها شرعة لا ينتهكها إلا المجرمون، وأرهبوا زعاماتها حتى لا تسعى لنهضة علمية تقنية حقيقية بها، لتظل هذه الأمة أمةً مستضعفة إلى الأبد، وأباحوا لها الحصول على منتجات التقنية التي يصنعونها ليطفئوا بذلك حاجتها، فالحاجة أم الإختراع.. ولا بأس بسد حاجتها، فلا تخترع!.. واستغلوا تناقضاتها وأخطاء أبنائها فشرّعوا شرائع كفلت لهم التدخل في شئونها والإطلاع المباشر على كل قضاياها، واستطاعوا بطريقة أو بأخرى أن يجعلوا ممّن عدّتهم الأمة يوماً أبطالها مجرمين.. أولئك الشباب الذين كانوا يوما أملاً واعداً للأمة قد تمّ وأده.. كيف نجح الوأد!.. لا نكاد أن نتخيل.. أولئك الذين هبّوا لإنقاذ المستضعفين بأفغانستان وقد ذبح الروس بها مليوناً ونصف المليون من سكانها، والذين هبّوا لإنقاذ البوسنة وقد ذبح الصليبيون بها ثلاثمائة ألف من أبنائها تحت سمع العالم المجرم الذي أعانهم بفرض الحصار على المسلمين فلا يصل إليهم سلاح ولا عون، وأولئك الشباب من أبناء فلسطين الذين يسعون لطرد الغاصب المحتل، وهو يُقتِّلهم ويمتهنهم بالليل والنهار، وأولئك الذين هبّوا لتحرير الشيشان من الروس الغاصبين الذين أزهقوا الأرواح وأبادوا المدن لا لشيء إلا ليستبدوا بأمة أخرى لا تمت لهم بصلة لغة ولا دين، والشباب الذين سعوا لإستقلال كشمير وقد استعمرها الهندوس بغير حق، وقتلوا الكثير من أهلها، والذين هبّوا لإنقاذ الإقليات المسلمة في أنحاء

أخرى من الأرض.. كل هؤلاء الأبطال صاروا مجرمين إرهابيين.. والمجرمون الحقيقيون وأكثرهم من المستبدين النصارى واليهود الذين قاموا بذبح الملايين من مسلمي افغانستان والبوسنة وطاجكستان وفلسطين وكشمير والفلبين وبورما والهند واثيوبيا، ومن قبلها ذبحوا الملايين من المسلمين بدول وسط آسيا المسلمة، صار هؤلاء المجرمون الحقيقيون هم أهل الحقّ وحماته.. إنجاز بالغ! وأُقنع بذلك كل المسلمين.. وحتى لا يُساء فهمي في هذه الفقرة **فأنا أُقرّ بأن هنالك أخطاء حقيقية** وتجاوزات كبيرة (1) وقعت من مجموعات من الشباب الذين خرجوا للجهاد ما كان لها أن تقع.. ولا يُمكن أن ندافع عنها، ولا يمكن أن نُقِّر أحداث كينيا ولا نيويورك.. التي جرّت على المسلمين من الكوارث ما لا يحصيه إلا الله عزوجلّ وذهبت بها أنفس بريئة.. لكنّ تلك التجاوزات وتلك الخطايا لا تعني أبداً نسيان المجرم الحقيقي الذي أباد الحرث والنسل وما زال.. وتلك التجاوزات والأخطاء البيّنة منها ما يسَّره المجرمون الحقيقيون لهؤلاء الشباب حتى يأخذوهم بها، ومنها ما كان لقلة خبرتهم وفقههم وأتى بعد انقطاع كلّ حيلة بديلة وسبب، وكثير منها ما يصعب التصديق بأنّهم هم فعلاً وحدهم المسؤلون عنه.. ومع هذا فأنَّى يجوز نسيان أنّ المغتصبين هم المجرمون الحقيقيون.. قتلةُ الملايين لا المئات ولا الآلاف بل قتلة الملايين ظلماً وعدوانا.. ولكن الأمر غدا أنّ المحتلّ والمستبد واللص هو الراعي لحقوق الشعوب ومقدراتها.. وضاقت السبل فأصبح التبرع لمشاريع الدعوة الإسلامية جريمة، بينما تجمع الكنيسة العالمية ثروات بآلاف المليارات تتجاوز بها ميزانيات الدول الغنية، وتستحلّ لدعوتها بالعالم كلّ شيء.. والجميع يعلم ذلك، ويظل الإسلام مطاردا، والدعوة إليه توشك أن تُعَدّ قرينة الإرهاب والجريمة.. وما هذا كله إلا جانب من جوانب هوان هذه الأمة اليومَ واستسلامها.. لقد ضاقت بها كل السبل، وأُحكم عليها وعلى المصلحين بها كل خناق.. وتمكّن منها دعاة التغريب والردّة.. الذين شكّلوا طابورا خامساً بالأمة يتكئ عليه المستبد الغربي لاكمال خطته في سحق الهوية والدين، مستغلين لأخطاء وتجاوزات أو قلّ ردود الفعل غير المنضبطة من مجموعات " الغيوريين" بهذا الأمة ليهاجموا الثوابت ويزيحوا الأصول، ويضيعوا الهوية بل والوجود لهذه الأمة، وتضآلت بذلك أمام المصلحين سبل الإصلاح ووسائله.. بل وأحسوا بالغربة وربما المذلة.. وياليت شعري هل سيدور الزمان كعادته فيكون لهذه الأمة قائمة بعد هذا السقوط،

أم أنّها هزيمة وخضوع إلى الأبد كما يُخطط لذلك الغرب، فلا يدع مخرجا لأمتنا ونهضتها إلا أوسده، ولا طريقا إلا أقفله، ولا زهرة أمل بدأت تتفتح إلا سارع لبترها.. حتى حقّ لنا أن نقول أنّ هبوط أمتنا اليوم لا يقاربه أي هبوط من قبل.. ويمتاز عنها جميعا بذكاء الخصوم الذين أقفلوا كلّ سبيل حقيقي للنهوض.. وأجازوا لأنفسهم أن يقوموا بحروب استباقية تُجهِز على ما قد نصنع من عدّة أو تقنية أفلتت من حواجزهم وبلغت إلينا كمسلمين، فيدمّرونها بمهدها.. حقاً لهم لا يُنكره أحدٌ عليهم.. أوَليسوا بذلك يمنعون حروباً أشدّ..! أوَليس فيما وضعوه من نظم عادلة بالأمم المتحدة والنظام العالمي ما يُغني الشعوب والدول عن حيازة السلاح..! ويتناسون الظلم الممارس على المسلمين، وعربدة إسرائيل وغيرها عليهم لا بشئ إلا بما جمعت من سلاح يُحني لها رقاب الجميع.. ولا تنحني هي – بما تملك من قوة وعُدّة– أمام ما يدّعون من تشريع دولي.. أفيريدون من الأمة إلغاء الإعداد وقد أُمرت به، ويريدون منها الركون لحمايتهم وهم مَن يتآمر عليها.. ويريدون منها تغيير هويتها وتعاليمها.. ذلك هو ما يتم اليوم تحت مشاهدة الجميع ومعاينتهم.. لكن الكثير صّدقوا وركنوا إلى هذه الحماية وإلى تلك الوصاية الغربية.. وآثروا بذلك الركون إلى المحتل المستبد ومَنطقِهِ المستكبر على العودة إلى دين الله والمحافظة على هويتنا الإسلامية..

قد يكون من السهل الدعوة إلى التوبة والإنابة إلى الله عزوجلّ.. والتذكير بأنّ ذلك هو المخرج الوحيد لهذه الأمة.. فقد كان ذلك هو نداء الصالحين على مرّ الزمان لتحقيق إصلاحاتهم.. وكان هو نداءُ أنبياء بني إسرائيل لإنقاذ أمتهم من عقاب الله الوشيك يوم كفرها بالأنبياء وردّتها، وهو نقطة البدء بالتغيير الذي هو أساس التغيير الإلهي للأمة بالعزّة والريادة.. " **إنّ الله لا يُغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**".. قد يكون من السهل الدعوة إلى الإنابة ولكن من الخطأ الظنّ بأنّ ذلك أمر ميُسرةٌ له السبل وممهدةٌ له الطرق.. فالواقع أنّ الأشرار الذين تجرأوا حتى حرّموا الحجاب – حتى في بلاد المسلمين– بما فيه من مجرد تغطية شعر الرأس، وأحلوا التعرّي بما يصل إليه من توفير شواطيء العري الكامل المختلط ببلاد المسلمين، والذين حرّموا بديار المسلمين الزواج بثانية وأحلّوا إتخاذ الخلائل البغايا بغير حدّ، هؤلاء لن يدعوا أبواب الإنابة المسالمة لأبناء الأمة مفتّحة.. إنها سنّة الله التي رأيناها هاهنا فيما استعرضناه من تاريخ بني إسرائيل.. إنّ أعداء الله والدّين ليَعلمون أنّ عودة

المسلمين إلى الدين هي بداية هزيمتهم، ولن يدعوا ذلك يتمّ بسهولة.. وستبقى المعركة قائمة بين الحق والباطل حتى قيام الساعة.. وعلى أهل الحق أن يعلموا أنّ ما يعاصرونه إنما هو فصل من فصول هذا الصراع فلا يهنوا ولا يحزنوا.. وماهم في أنفسهم إلا صفحات محدودة ستُطوى قريبا من هذا الكتاب، ولن يُسألوا إلا عن صفحات أنفسهم.. ولن يُسألوا عن نجاحاتهم، ولا عن وضع أمتهم ما داموا ساعين لنهضتها والإرتقاء بها.. وقد رأينا أنبياء عظاماً كثيرين من بينهم يحي وعيسى وغيرهما عليهم السلام ما ضرّهم أنهم عاشوا مع قومهم بفترات الضعف والإذلال، وما أنقص من درجاتِهم ولا من مكانتهم أنّهم ذهبوا ولم يُحقِّقوا لقومهم ما جأوا إليهم من تعميم التوبة وتفادي العقاب الإلهي.. إنّها سلوى للعاملين أن يثبتوا ولا يهنوا وأن نصرهم الحقيقي الأزلي مضمون لهم إن ثبتوا.. إنّهم مطالبون وهم في جهادهم بمدّ أبصارهم إلى الآخرة.. فهي الهدف الذي عليهم أن يُركزوا عليه أنظارهم.. فيهون عليهم بعد ذلك كل ما يعترضهم من صعاب ومحن.. مدركين أنّ أعداءهم حتى لو تمكّنوا بالأرض فإنّما هي أيام زائلة ويأتي بعدها عليهم عقاب الله الأبدي.. " **أفرأيت إن متعناهم سنين ثمّ جاءهم ما كانوا يُوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يُمتعون**".. إنّ العقبات التي تُوضع وستوضع أمام الدعوة وتغيير ما بالأمة وإصلاح حالها لن تنقطع.. لكنّ الإلتزام بروح الإسلام وأهدافه، وبما أُمرنا به من الأخذ بالحكمة هو أساس للنجاح ولتقليل الثغرات أمام الأعداء، وللمحافظة على وحدة الأمة..

إنّ الصبر والتوكل على الله عزوجل هما المفتاح.. وقد أمرَ موسى عليه السلام بهما بني إسرائيل : " **قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين**" الأعراف 128، " **وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين. فقالوا على الله توكلنا، ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين. ونجنا برحمتك من القوم الكافرين**" يونس 84- 86.. ووصى بالصبر عيسى عليه السلام – على ما ترويه الأناجيل الحالية- حين أخبرهم بما ينتظرهم من أحداث وابتلآت عظيمة حتى قيام مملكة الله بظهور الإسلام.. " **ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص، ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم، ثم يأتي المنتهى**"

فلمّا جاء فرج المؤمنين بعد ذلك بالإسلام نزلت الآيات الكريمة تبشر الذين صبروا من أهل الكتاب بمضاعفة الثواب.. قال تعالى: " **الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون. وإذا يُتلى عليهم قالوا آمنا به، إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين. أولئك يُؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم يُنفقون**" القصص: 52– 54.

إنّ الصبر على الاحتلال والإذلال قد يكون هو الحكمة أحيانا.. وقد يبدوا هذا المنطق مستهجنا.. ولكنّ القارئ يذكر صبر الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته على اعتداءات الكفار بمكة، تلك الاعتداءات التي بلغت حدّ القتل والمسلمون لا يرّدون، وصبر الرسول عليه الصلاة والسلام على شرط الحديبية المجحف الذي رفضه أو كاد أن يرفضه الصحابة، وعلى إعطاء نصف الخراج لغطفان بما يحمله ذلك من غضاضة، وصبر المرسلين من أنبياء بني إسرائيل على الاستبداد البابلي ثم الفارسي ثم اليوناني ثمّ الروماني دون أن يغير ذلك من أولوياتهم، أو يجرّهم إلى قضايا الثأر أو استعادة العزة والاستقلال لأمتهم وأقوامهم، وما لهم – أي للأنبياء – من أقوام إلا أقوام الصالحين والمؤمنين التي سعوا جاهدين إلى تجميعها وإحيائها عن طريق الدعوة الصابرة المحتسبة...

إنّ المحافظة على وحدة الأمة أساس للنصر، وشرط للمعية الإلهية للمؤمنين.. " **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء**".. فهل يُعقل أن تُمزّق الأمة بسبب الاختلاف حول إجتهادات غير ثابت خطاءُها أو بسبب إشاعات مغرضة، أو حتى بسبب أخطاء ثابتة لكنها لا تصل إلى الكفر البواح.. وكيف يُعقل أن يكون أكثر الأمة تمزُّقا هو قطاع الدعاة والمتمسكين بالكتاب.. أو لم يكن في تجربة فصائل الجهاد في افغانستان مأساة لايجوز تكرارها، أوَ لم يُرِنا الله عزوجلّ بها سببا آخر لامتناع النصر عن المسلمين.. فبتشتتهم وتمزقهم أضاع مجاهدو افغانستان أنفسَهم وأقوامَهم، وأزهقوا دماء بريئة لم يكن ليتخيلها أحدٌ منهم.. إنّها معصية صريحة.. آن الأوان للتقارب والتأليف.. آن الأوان ليلتحم الجميع بالمؤسسات الداخلية والوطنية لإصلاحها بدل هجرها، وتعميرها بدل هدمها.. آن الأوان ليُقطع الطريق على من يُخططون لتهميش الدعاة والعلماء واستعداء الحكومات عليهم.. إن الحكمة لا يُمكن أن تُقرّ أعمالاً – حتى لو كانت ممّا لا يُختلف عليه– تنتهي بمطاردة الدعاة في ديارهم وإخراجهم من حياة الناس وفرص الدعوة والمساهمة في حياة الناس.. آن الأوان للإصلاح بنفس طويل، واحتساب وصبر وأناة.. إن نجاح التغيير

والإصلاح للأمة وبروز آثاره على حياة الناس سيستجلب إن شاء الله النصر والعزة من حيث لا نحتسب، وسيهئ الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم مخرجا مما هي فيه.. ويهديها سبل العزة والنصر من حيث لا نحتسب.. إنّ مما لا يُستغنى عنه اجتماع المفكرين والموجهين والمصلحين لوضع خطة إصلاح وبناء طويلة وأخرى قصيرة الأمد، واسعة الأفق على مستوى الأقطار كلها يتم بها تجاوز عراقيل البناء التي صمّمها الغربيون لهذه الأمة.. إنّ في خطة الأعداء ثغرات، وإنّها ما قامت إلا على تمزّقنا وفقدان الثقة بين حكامنا.. فهل سيسعى المصلحون للإصلاح والتوحيد والبناء..

كان هذا الكتاب مادة للتأمل في أسباب إضاعة بني إسرائيل للاصطفاء الرباني لهم، لعل فيها للمصلحين والدعاة رصيدٌ من التجارب والعظات مفيد ومعين.. أبرأُ إلى الله عزوجل من أخطائه وأسأله تعالى عفوه وتجاوزه...

المؤلف

---

(1) كُتبت هذه الخاتمة في الحجة 1424هـ قبل أحداث العراق الأخيرة، التي اختلطت فيها الأمور إلى حدّ بعيد.. تماماً كما حدث من قبل بالجزائر.. مَن هذا الذي يستبيح دماء الناس الأبرياء هكذا ؟ يُقتلون الناس في الطرقات والمساجد؟.. هل هذا إلا عين الإفساد في الأرض.. وعين الصدّ عن الدين!.. أهم شبابٌ انتهجوا نهج الخوارج أم أعداؤهم يُنفرون الناس عنهم.. أم هم جميعاً مسئولون.. إننا لله وإنا إليه راجعون.. محنةٌ وبلوى ليست تماماً جديدة ندعوا بانقشاعها قريبا..

أهم مراجع الموجز التاريخي:

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس
- تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، للمؤلف.
- الله جلّ جلاله والأنبياء في التوراة والعهد القديم للدكتور محمد علي البار
- التاريخ اليهودي العام لصابر طعيمة، 1983م،
- الحضارة البيزنطية للدكتور السيد الباز
- قصة الحضارة لول ديورانت
- تاريخ إسرائيل لدير القديس للأب متى المسكين
- اليهودية (أي تقديما) للأغبياء لروبي تد فالكون (بالإنجليزية)
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية لعبدالوهاب المسيري
- بنو إسرائيل في القرآن والسنة للشيخ محمد طنطاوي.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري.

- The Apocrypha, translated by Edgar J Goodspeed, 1959,
- Jerusalem by Karen Armstrong,
- Antiquities of Jews, by Josephus.
- Great Jewish Revolt: Siege And Destruction Of Jerusalem (70 AD), by Josephus.
- History of the World by J.M. Robert.
- The timetables of History, 3rd Ed. By Bernard Grun.
- A short history of Western Civilization by John B. Harrison, et al
- The Dead Sea scrolls translated, 2nd edition, by Wilfred Watson.
- The Dead Sea Scrolls translated, by Florentino Gaarcia, 2nd ed.
- The Dead Sea Scrolls, by G. Vermes.
- The complete World of The Dead Sea Scrolls, by Phillip R. Davies et al, 2002.

- The Dead Sea Scrolls, ed. 1996, by Michael Wise, Martin, Abegg, J R. & Edward Cook.
- A Test of Time: The Bible – from myth to history, ed. 1995, by David Rohl.
- Life in Biblical Israel, by Philip J. King and Lawrence E. Stager, 2001.
- Jewish Writings of the Second Temple Period, by Michael E. Stone, 1984.
- Wycliffe Bible Dictionary, Michael Wise, Martin Abedge& Edward Cook.
- The Oxford Dictionary of World Religions, by John Bowker, 1997.
- The Other Bible, by Willis Barnstone, 1984.